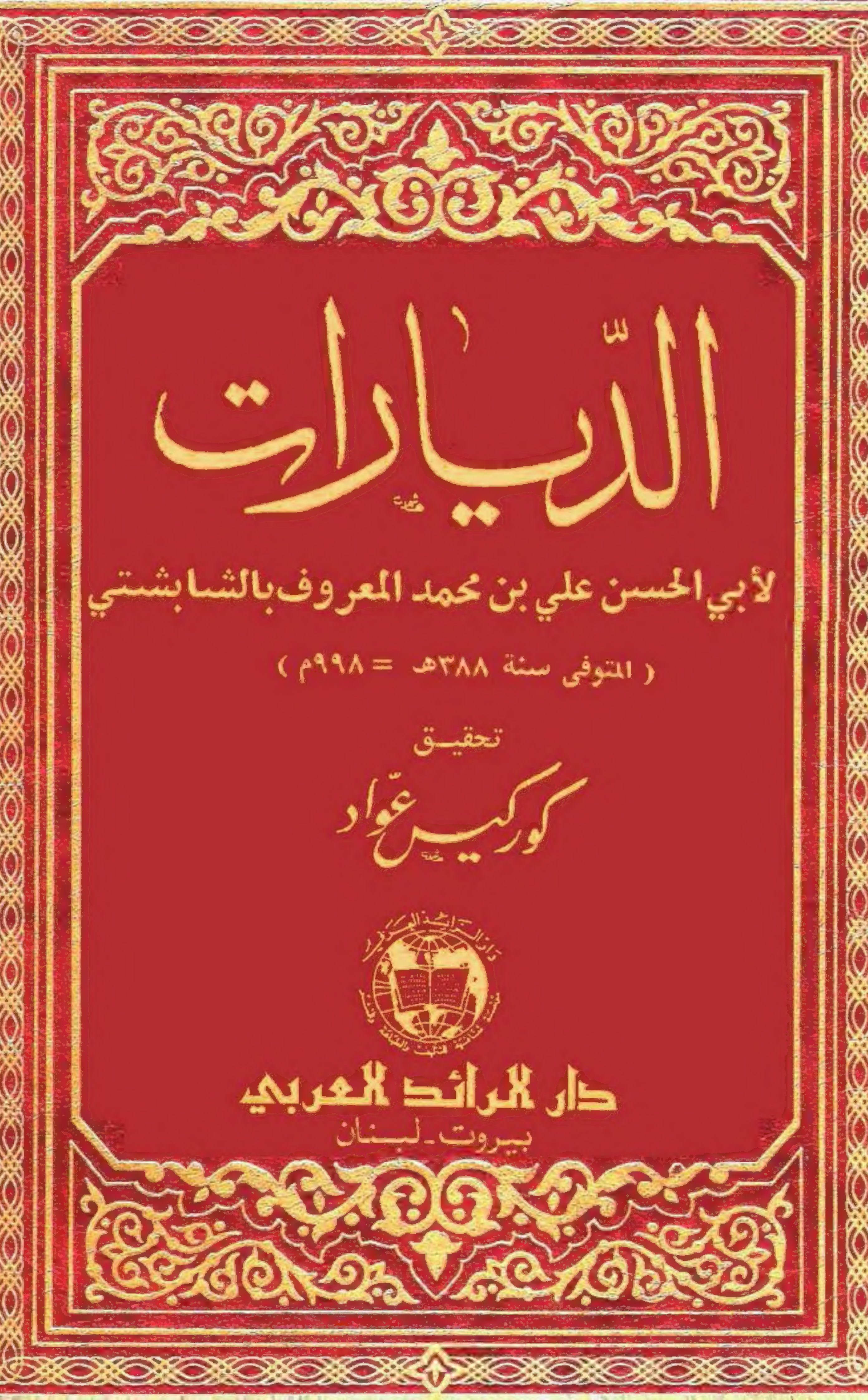

الدّيارات
لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي
(المتوفى سنة ٣٨٨هـ = ٩٩٨م)
تحقيق
كوركيس عوّاد
دار الرائد العربي
بيروت ـ لبنان



لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي

(المتوفى سنة ٣٨٨هـ = ٩٩٨م)

تحقيـق

كوركيس عواد



دار الرائد العربي

بيروت - لبـنان

الطبعة الثالثة
١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

أجازت طبعه دائرة الرقابة العامة
ودائرة الشؤون الثقافية العامة
بوزارة الثقافة والاعلام العراقية

دار الرائد العربي - بيروت - لبنان
ص.ب : ٦٥٨٥ - تلكس : LE ٤٣٤٩٩ رائد

مقدمة الطبعة الأولى

كيف وقفنا على هذا الكتاب ؟

كنت أقرأ عن كتاب « الديارات » للشابشتي في بعض المراجع العربية ، وأرى بعضها ينقل منه . وكان يغلب على ظني أن هذا السفر النفيس قد امتدّت اليه يد الضياع فأصبح أثراً بعد عين .

ثم اتضح لي ، في سنة ١٩٣٧ ، أن هذا الكتاب ، أو أكثره ، قد نجا من غوائل الدهر ، وأن نسخة فريدة منه محفوظة في خزانة كتب برلين .

ولبثتُ متشوقا الى الوقوف عليه ، حتى كانت سنة ١٩٣٩ . فان العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، رحمه الله ، حينما كان في مصر تلك السنة ، أهدى اليه صديقه المستشرق الالماني فيشر (August Fischer) نسخةً مصوّرة بالفتغراف من هذا الكتاب ، منقولة من نسخة خزانة برلين . ورغب الى الأب أن يُعنى بنشره . فأكبّ عليها ينقلها بيده ، ليعود اليها بالتحقيق والتعليق . ولكن انصرافه الى بعض مؤلفاته التي أخذ بها نفسه ، وانهماكه في أعمال « مجمع اللغة العربية » ، واقباله على اتمام معجمه الموسوم بـ « المساعد » ، حال دون انجاز تلك الرغبة ، وباعد بينه وبين نشر هذا السفر .

ولما عاد الى بغداد في تلك السنة ، أطلعني على النسخة التي كتبها بيده . وأما النسخة المصوّرة فلم أرها حينذاك لأنه أبقاها في القاهرة . وقد حرّضني على أن أقرأ الكتاب ، بل أن أتولّى تحقيقه ونشره بدلاً

منه . وقال لي ، فيما قال بصدد هذا المؤلف ، انه خليق بكل عناية .
فرأيت أن آخذ بما أشار به علي . وأقبلتُ على قراءة الكتاب . ثم انتسخت
لي نسخة منه بيدي تكون معواناً لي في عملي .

ولكنّ شيئا واحدا كان يحزّ في نفسي ويقلق بالي : ذلك اني لم
أقف على أصل الكتاب الممثَّل في النسخة المصوَّرة . فرجوت من الأب
الجليل أن يتكرّم علي بجلبها من القاهرة . فبادر الى ذلك ، فلما جاءت
أعطانيها .

فأنعمت النظر فيها . وقابلت نسختي بها مقابلة دقيقة كاملة ، سطرا
فسطرا وكلمة فكلمة . فبانت لي من خلال ذلك أمور لم تستقم في نسخة
الأب ، ثم في نسختي المأخوذة عنها .

فأصلحتُ ما أصلحت وأكملت ما بان لي نقصانه . وأغلب ما وقع
من هذا القبيل في نسخة الأب ، مردّه الى السهو أو الاسراع في النقل . فان
الأب ، رحمه الله ، أخبرني أنه نسخ الكتاب كله ، وهو في مصر ، في نحو
من أسبوعين . هذا الى انصرافه الي شؤون العلم ، من بحث وتأليف ونشر .

ولما أيقن الأب ، رحمه الله ، اني لن أتردد في نشر الكتاب ، تفضّل
فأهدى الي نسختيه : المصورة بالفتغراف والمكتوبة بيده ، تذكارا جميلا ،
وأملاً منه في أن يرى بعد زمن قصير نسخةً مطبوعة من هذا الكتاب .

ولكنّ الأقدار شاءت أن يبارح الأب هذه الدنيا قبل أن أُوفَّق
لنشر الكتاب . والذي حال دون ذلك أمور لا أرى ما يوجب ذكرها في
هذا المقام .

مخطوطة الكتاب

ليس لهذا الكتاب ، فيما نعهد ، الا نسخة خطّية فريدة ، في خزانة كتب برلين ، رقمها ٨٣٢١ . وقد وصفها مُفهرس المخطوطات العربية في تلك الخزانة وصفاً حسناً(١) ، غير انه وهم في أمر مؤلفها فنسبها الى أبي الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الأغاني .

وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخي جميل واضح . وأكثر كلماتها مشكول . أما عنوانات الفصول فبقلم الثلث .

والذي نأسف له ، أن هذه النسخة مخرومة من أولها بما نجهل مقداره . ويرى مُفهرس مخطوطات برلين ، أن المفقود منها زهاء عشر ورقات . وعندنا أن الساقط منها يزيد على ما ذكره هذا المفهرس ، بل قد يبلغ نحو ثلث الكتاب . فان ابن خلكان قال في تعريفه بالكتاب ، ان الشابشتي وصف فيه « كل دير بالعراق والموصل والشام والجزيرة والديار المصرية »(٢) . على ان جملة من ديارات العراق ، وكل ديارات الشام ما خلا دير البُخت ، لا أثر لها في هذه النسخة .

تبدأ هذه المخطوطة ، بأوائل الكلام على « دير درمالس » ببغداد ، وتنتهي بانتهاء الكتاب . وفي آخرها اشارة الى أن عبدالحليم بن محمد بن عبدالوهاب بن أحمد بن عربي الدمشقي المعروف جدّه بالنحوي ، قد فرغ من كتابتها في ليلة صباحها يوم الخميس ، السادس عشر من شهر

---

(١) Ahlwardt (W.), Verzeichniss der Arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin. (Vol. 7, p. 309-310; No. 8321).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (١ : ٤٨١ بولاق ١٢٧٥هـ) . وانظر : كشف الظنون للحاج خليفة (١ : ٧٦٢ استانبول سنة ١٩٤١) .

ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وستمائة (١٩ كانون الثاني ١٢٣٤م) •

والذي سلم من هذه المخطوطة ١٣٥ ورقة ، أي ما يساوي ٢٧٠ صفحة من قطع الثُمن • طول الورقة ٢٤ سنتمتراً وعرضها ١٥ سم • والمكتوب منها يبلغ ٥ر١٥ × ٥ر٩ سم • وفي كل صفحة ١٥ سطراً •

وكاغد هذه النسخة ثخين صقيل يضرب الى الصفرة • وهي مجلّدة بجلد أسود ، تمزقت دفته اليمنى • وأوائل أوراق المخطوطة مفككة • وقد أصاب أعالي بعض أوراقها رطوبة •

اتخذنا النسخة المصورة على نسخة برلين ، أساسا لنا في تحقيق الكتاب ، لأننا لم نعثر على غير نسخة برلين المذكورة ، على كثرة بحثنا عنها في مختلف الفهارس لخزائن كتب الشرق والغرب •

ذكر الاستاذ حبيب زيات انه كان من هذا الكتاب « نسخة ثمينة مزوّقة (Illustrée) ، وقف عليها شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي في القرن العاشر للهجرة (ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون الحنفي ، رقم ١٤٢٢ من الخزانة التيمورية) • ولا يخفى ما فاتنا بفقدها من الفائدة الجلّى لامكان دلالة ما فيها من الصور والاشكال على رسوم الديارات وضروب أبنيتها »[٣] •

وكان العلامة أحمد تيمور باشا ، قد نوّه بهذه النسخة المزوقة من كتاب الديارات ، في احدى رسائله[٤] الى الأب أنستاس الكرملي ، قال انه « رأى اسمه [يعني اسم كتاب الديارات] مذكورا في ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون • فذكر انه اطلع على نسخة منه

---

(٣) الديارات النصرانية في الاسلام : لحبيب زيات (ص ٥ ، بيروت ١٩٣٨) •

(٤) تاريخها ٢٩ يوليه ١٩٢٤ •

مشـوّهـة أي مصـورة عنـد عبداللطيف بن عبدالله ابن أحمد المكيّ الشافعي ، مع كتب أخرى مصوّرة ، كالمقامات الحريرية ، وكليلة ودمنة ، وطيف الخيال لابن دانيال ، والعرس والعرائس للجاحظ • فانظر يا سيدي كيف عَدت العوادي على مثل هذه الذخائر ، ولم تترك لنا منها الا التحسر عليهـا »[٥] •

ومما لابد من ذكره في هـذا المقام ، ان مـا نجده في بعض خزائن الكتب من نسخ مخطوطة أو مصورة بالفوتستات وبالميكروفلم لـكتـاب الديارات ، انما هي منقولة من نسخة برلين الفريدة •

على ان نسخة برلين هذه على جمالِ خطها وقدم تاريخها لم تسلم من عبث الناسخ • فقد تخلّلها شيء كثير جداً من التصحيف والتحريف • ذلك الى خرم أضاع شطرا من محاسنها •

بل ان عند الورقتين ٤ و٨ من هذه المخطوطة ، ثلمتين أخريين ، قد تبلغ كل منهما ورقةً أو ما يزيد على ذلك ، أضاعتا علينـا شيئا من المتن وشوّهتا النسخة بعض التشويه •

يتساهل ناسخ المخطوطة كثيرا فى كتابة الهمزة ، من أول الكتاب الى آخره • وهذا التساهل يتناول الهمزة أينما تقع من الكلمة • ولو ذكرنا كل الألفاظ المهموزة التي نالها تساهل الناسخ ، لطالَ بنـا القول وخرجنا عن المراد • فاننا نرمي في هذا المقام الى التمثيل لا الاستقصاء • فناسخ هذا المخطوط يحذف الهمزة تارة ، ويليّنها تارة اخرى • فتراه يكتب ازاه وقصايد ، بدلا من : ازاءه وقصائد •

---

(٥) رسائل أحمد تيمور الى الأب أنستاس ماري الكرملي (ص ١١٥ بتحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد • بغداد ١٩٤٧) • والتصوير عند العرب لأحمد تيمور (ص ٣٨ تحقيق الدكتور زكي محمد حسن• القاهرة ١٩٤٢) •

كما انه يحذف الألف من بعض الألفاظ ، على الطريقة القديمة في الكتابة • فيكتب : مرون وجمدى بدلا من : مروان وجمادى •

وهو بخلاف ذلك ، يكثر من الحاق الألف في آخر الفعل المضارع للمفرد المذكر والمؤنث • فيكتب : يخلوا وتدعوا بدلا من : يخلو وتدعو •

كما انه يكتب الألف طويلةً في مواطن القصيرة ، فيكتب : أبا ووفا ، بدلا من : أبى ووفى •

ثم انه يهمل كثيرا من الحروف المعجمة • وذلك شيء كثير جدا ، نكاد لا نجد سطرا من سطور الكتاب يخلو منه •

واهمال الحروف المعجمة في الكلمات المألوفة ، قد يكون غير ذي بال حين تسهل قراءة اللفظة • ولكنه يكون أمرا صعبا محيّرا حينما يجوز أن تُقرأ الكلمة المهملة عدة قراءات ، وأن تُحمَل كل قراءة منها على وجه من الوجوه •

وتعظم الصعوبة في قراءة مثل هذه الألفاظ المهملة الحروف ، حينما تكون عَلما لشخص أو مكان ، أو لفظا دخيلا • فمن أسماء الاشخاص كتب : ساريه وحعويه وسراعه بن الرىدىود وىموں بن المررع ، بدلا من : شارية وجبغويه وشراعة بن الزندبوذ ويموت بن المزرع •

ومن أسماء الأمكنة كتب : دير الررىقيه وىروعى وىلشكر ، بدلا من : الزُرَيقية وبزوغي وبلشكر •

ومن الدخيل نذكر ىاحىح وىادكارات بدلا من : تاختج ويادكارات •

وما نودّ الاشارة اليه بوجه خاص ، هو الشعر • والأبيات التي أوردها الشابشتي ، في ما بيدنا من كتابه ، تبلغ زهاء ألف وخمسمائة بيت • جاء بعضها صحيحا لا شائبة فيه ، واضطرب بعضها الآخر والتوى • فألفاظه لم تسلم من تحريف • وبعض تلك الأبيات جاء مختلّ الوزن ، قد تداخل فيه الصدر بالعجز ؛ فازدادت الصعوبة في تحقيقه ورفع غبار التشويش عنه •

منزلة الكتاب البلدانية والتاريخية والادبية

هذا كتاب ذو جوانب ثقافية متعددة • فهو كتاب بلدان وتاريخ وتراجم وأدب وحضارة معاً •

فالعالم بالبلدان ، له أن ينظمه في سلك كتب هذا العلم ، لكونه يذكر أمكنة وبقاعا كثيرة أغفلها غيره • هذا الى توسعه في ذكر ديارات أربت على خمسين ديرا •

وللمؤرخ أن يعده في جملة كتب التاريخ ، لما في مطاوي هذا السفر من الانباء والاحداث التاريخية ، ما لو جُرِّد واستخلص ، لقام منه مؤلَّف في الأخبار والتراجم لا يُستهان به •

وللأديب أن يدخله في عداد كتب الأدب • فالمصنَّف الذي بيدنا طرفة أدبية فاخرة • فيه من روعة الأسلوب وحلاوة النكتة ولطف النادرة ، ما تنشرح به النفس ويرتاح له الخاطر • وهو مرجع من مراجع الشعر العربي ، حوى بين دفتيه قصائد ومقطّعات وأبياتا ، لو أُفردت لقام منها « ديوان » لا يقل في جملته عن ألف وخمسمائة بيت ، على ما أسلفنا • وهذه الأشعار تُعزى الى جمهرة من الشعراء يبلغون نيفاً وسبعين شاعراً ، ضاعت دواوين أكثرهم وسلم أقلّها • بل ان ما بيدنا من تلك الدواوين ، لا يؤلف شعر الشاعر بأجمعه • مثال ذلك ان الشابشتي أورد قصائد ومقطوعات لكشاجم ، الشاعر الأديب المعروف • وديوان هذا الشاعر قد طُبع في بيروت منذ نيف ونصف قرن • ولكن في كتاب « الديارات » ، أبياتا وقصائد لا تُرى في النسخة المطبوعة من هذا الديوان • ومثل ذلك يقال في أشعار « ابن المعتز » و « أبي نواس » و « الصنوبري » وغيرهم •

أما الأشعار الواردة فيه لمن ضاعت دواوينهم من الشعراء ، فحدّث عن قيمتها الأدبية ولا حرج •

ثم ان فى هذا السفر ، شذرات نفيسة تتصل بالحضارة العربية والاسلامية • فقد انتشرت في مطاويه أنباء تتصل بالموسيقى والغناء والتصوير، وامور شتى تتعلق بالطعام واللباس والريازة وأساليب المعيشة •

فهذه كلّها أمور تجعل من كتاب « الديارات » مصنَّفا حافلا بالفوائد التى تحتم نشرَه • ولقد قال أحد ثقات الباحثين في صدده ، انه « ذخر للمؤرخ ، وغنية لكل أديب ، وحقيق بالخدمة والطبع »(١) •

* * *

حوى هذا السفر من أخبار بني العباس وأمرائهم ووزرائهم ، ومن عاصرهم من ادباء وشعراء وندماء ومغنّين شيئاً كثيراً ، لبعضه ما يشبهه في الكتب القديمة • وبعضه ما لا أثر له فيها • فهو مما انفرد به كتاب الديارات دون غيره •

والأديرة التي وصفها الشابشتي في ما انتهى الينا من مؤلفه ، تبلغ ثلاثة وخمسين ديرا • زال أكثرها من عالم الوجود • وأغلبها كان في العراق • وبعضها في الشام ومصر والجزيرة • وفي وسعنا اجمالها على النحو الآتي :

العراق	٣٧ ديراً
الشام	٣
مصر	٩
الجزيرة	٤
	٥٣ ديراً

وقد أسلفنا من القول ، ان مؤلَّف الشابشتي ، لم يحتو في أصله على هذا القدر من الديارات ، بل كان فيه ما لا يُرى في النسخة التي بيدنا

(١) الديارات النصرانية (ص ٥) •

منه • من ذلك ان في بعض المراجع القديمة ، نقولاً من هذا الكتاب ، في صفة أديرة لا وجود لها في ما بيدنا منه ، وهي « دير الزَّندَورد » و «دير الروم » و « دير الزرنوق » و « دير صليبا » • وهذه الديارات كانت في العراق ، الا الأخير فانه من ديارات الشام •

ما نشر من فصول هذا الكتاب

ان كتاب الديارات للشابشتي ، قد لفت اليه أنظار جماعة من الكتبة الأقدمين والمحدثين ، فنقلوا منه فصولاً ونبذا ، وأقوالا ، أودعوها مؤلفاتهم.

فأما الأقدمون الذين نقلوا منه ، فهم :

أبو صالح الأرمني	(ألف كتابه سنة ٥٦٨هـ = ١١٧٢م) .
ياقوت الحموي	(المتوفى سنة ٦٢٦هـ = ١٢٢٨م) .
القزويني	(" " ٦٨٢هـ = ١٢٨٣م) .
ابن شدّاد	(" " ٦٨٤هـ = ١٢٨٥م) .
ابن عبدالحق	(" " ٧٣٩هـ - ١٣٣٨م) .
ابن فضل الله العمري	(" " ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م) .
المقريزي	(" " ٨٤٥هـ = ١٤٤١م) .
ابن طولون الحنفي	(" " ٩٥٣هـ = ١٥٤٦م) .

وقد أشرنا الى مواطن هذا النقل في أول الذيول التي ألحقناها بالكتاب (انظر الصفحة ٣١٩ - ٣٢١ من هذه الطبعة الثانية) .

وأما الباحثون المحدثون ، فقد اقتبس بعضهم فقرات منه ، أودعوها مقالاتهم وكتبهم ، وأكثر من نقل منه : حبيب زيات[1] ، ومحمد كامل حسين[2] ، وآدم متز[3] .

---

(١) تناثرت هذه النقول فيأكثر مؤلفاته ، ولا سيما «الديارات النصرانية» و « الخزانة الشرقية » .

(٢) في كتابه«في الأدب المصري الاسلامي » (القاهرة) .

(٣) في كتابه « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » . وقد نقله الى العربيــة ، محمــد عبدالهادي أبو ريدة (مجلدان . القاهــرة ١٩٤٠ - ١٩٤١) .

ومنهم من نشر منه فصولا قائمة بذاتها أو نقلها الى بعض اللغات . -
والذي وقفنا عليه من ذلك :

(١) Sachau (Eduard), Vom Klosterbuch des Shâbushtî. (Berlin, 1919; 43 p.).

لخص فيه ، بالالمانية ، كتاب الديارات للشابشتي • ووضع لما لخصه مقدمة وذيولا مفيدة •

(٢) Rothstein (G.), Zu as-Shabushti's Bericht über die Tahiriden. (Orientalische Studien, Festschrift Theodor Nöldeke. ed. C. Bezold, Giessen 1906; I, 155-170).

لخص فيه ، بالألمانية ، ما ورد عن بني طاهر في فصل « دير العذارى » (الديارات ، صفحة ١٠٩ - ١٤٨ من طبعتنا الثانية هذه) •

(٣) ونشر توفيق اسكاروس (المتوفى سنة ١٩٤٢) القسم الاخير من كتاب الديارات للشابشتي (ص ٢٨٤ - ٣١٥ من طبعتنا الثانية هذه) « مجلة المجمع العلمي العربي ٩ [١٩٢٩] ص ٤٩٠ - ٤٩٧ » •
وما نشره يحوي ديارات مصر والديارات المعروفة بالعجائب •

(٤) ونشر عزيز سوريال عطية ، القسم الخاص بديارات مصر ، ونقله ، بمقدمة وتعليقات مفيدة ، الى الانكليزية ، بعنوان :

Atiya (A.S.), Some Egyptian Monasteries according to the unpublished Ms. of al-Shabushti's "Kitab al-Diyarat" (Bulletin de la Société d'Archéologie Copte. T. 5, 1919; pp. 1-28).

(٥) ونشر صلاح الدين المنجد مقتطفات من هذا الكتاب ، وهي :

(أ) من ثنايا « كتاب الديارات » للشابشتي : يوم من أيام المتوكل (الرسالة ٨ [١٩٤٠] العدد ٣٦٩ ، ص ١٢٢٦ - ١٢٢٧) •

(ب) دير مديان (الرسالة ٩ [١٩٤١] العدد ٣٩٥ ، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ العدد ٣٩٧ ، ص ١٥٧ - ١٥٨) •

(ج) أنموذجات من كتاب « الديارات » للشابشتي : دير سمالو (مجلة المجمع العلمي العربي ١٨ [١٩٤٣] ص ٢٥٣ - ٢٥٧).

(٦) ونشرنا أكثر الفصل المعنون « دير أشموني » في مقالنا « أشموني : كنائسها ودياراتها في بلاد الشرق » (المشرق ١ [الموصل ١٩٤٦] ص ٥١٦ - ٥٢٤) .

تحقيقنا للكتاب

لما أعيانا البحث في العثور على نسخة ثانية من «الديارات» للشابشتي ، تقابل بها نسخة برلين ، وجّهنا أنظارنا الى المراجع القديمة التي حوت نقولاً من « الديارات » نفسه ؛ أو تضمنت حكايات وأخباراً وأشعاراً من جنس ما في هذا السفر • فاتخذنا من تلك المراجع القديمة مصدرا مساعدا لنا في تحقيق الكتاب •

ثم اننا استندنا الى جملة كبيرة من الكتب ، للايضاح عما في « الديارات » من أعلام الناس ، والأمكنة ، والألفاظ والمصطلحات • فرجعنا الى دواوين اللغة والأدب والشعر والتاريخ والتراجم والبلدان والخطط والعمران وغير ذلك •

وبعض هذه المراجع ذُكر مرارا عديدة في حواشي الكتاب • وقد أشرنا الى كل مرجع اشارة واضحة كاملة لدى أول ذكر له في الكتاب • وأما ما بعد الاشارة الأولى ، فقد أوجزنا القول فيه التماسا للاختصار •

فان أراد القارىء أن يعرف ، وهو في منتصف الكتاب مثلا ، طبعة كتاب أشرنا اليه هناك اشارة خفيفة ، فليرجع الى «فهرس الكتب والمراجع» في أواخر الكتاب ، ويستخرج رقم الصفحة التي تلي اسم الكتاب المطلوب، فيجد ضالته بمراجعتها في موطنها •

وقد جعلنا للكتاب « ذُيولا » فيها من الفوائد التاريخية والبلدانية ما لم تتسع له الحواشي ، فهي من قبيل «المستدرك» على الديارات للشابشتي و « التكلمة » له •

وقد أثبتنا بين قوسين ( ) أرقام صحائف مخطوطة برلين التي نقلنا عنها •

أما « علامات الترقيم » في متن الكتاب ، من أوله الى آخره ، فهي لنا .

* * *

بقي علينا أن نشير الى أن في متن الكتاب ، حكايات وتعابير وألفاظا مَدارها في الغالب على الجواري والغلمان والتغزل بالرهبان والراهبات .

وكنا حين نمرّ بها ، بين أن نسقطها من الكتاب ، أو أن نثبتها على ما وردت فيه . وقد رأينا أن الابقاء عليها ضرورة تحتّمها الأمانة . لأن المنشور نص قديم لا سبيل الى التصرّف به . فان غيّرنا النص أبعدناه عن أصله .

وقد رأينا غير واحد من الكتّاب والأدباء يذهب هذا المذهب في نشر المصنفات القديمة . منهم الدكتور زكي مبارك . قال في هـذا الصـدد : « حدثنا المستر مرجليوث ، انه حذف حكايات لم يَر داعياً الى تخليدها . وكنا نود لو نُشر الكتاب[1] كاملاً لم يُحذف منه شيء . فان التحكم في أعراض المؤلفين من الأغلاط الشنيعة التي ينبغي أن ينزّه عنها أمثال المستر مرجليوث »[2] .

ومنهم صديقنا الأديب البحاثة الدكتور صلاح الدين المنجد ، قال في هذا الصدد وقد استطلعنا رأيه :

« أما طيّ ما ورد في كتاب الديارات من (أدب مكشوف) ، فأعيذك أن تصغي الى مَن أشار بذلك عليك . فشأن الكتاب يظهر في تلك الصورة الصادقة التي يقدمها لنا عن الحياة الاجتماعية في أيام العباسيين ؟ تلك الحياة التي كانت مزيجا من التقى والفجور واللهو والسرور والزهد والنسك والغنى والبذخ والجوع والفقر ، والتي كان فيها من الحرية والانطلاق

---

(١) الكلام يدور على كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي ، الذي نشره مرجليوث .

(٢) النشر الفني في القرن الرابع : للدكتور زكي مبارك (١ : ٣١٦) .

في وصف أحاسيس النفس ورغباتها وشهواتها الشيء الكثير . لقد كانوا كذلك . ولقد قالوا ذلك الشعر الذي يريد بعضهم طيّه ، ولقد عاشوا تلك الحوادث التي وقعت لهم . فلِمَ نُخفي ما كانوا عليه ؟ ولم نكتم ما قالوه أو فعلوه دون أن يتحرّجوا ؟ ولم نطوي ما لم يطوه المؤلف نفسه عندما ألف كتابه ؟ انه نص قديم وصل الينا على ما ترى ، ومن الأمانة ان نقدمه كما وجدناه »[٣] .

وقد نوّه الأستاذ محمد خلف الله الى هذه الظاهرة في بعض الكتب القديمة . قال في مقالته « بحوث الذكاء في كتب العرب » ما هذا بعضه :

« هناك ظاهرة في كتاب الاذكياء لابن الجوزي ، رأيت ان أشير اليها لتفشّيها في كتب الأدب العربي ، ولظهورها جريئة عارية في كثير من الكتب الكبيرة المتداولة ، مثل كتاب الأغاني وعيون الأخبار . تلك ما يسميه الناس في هذه الأيام الأدب المكشوف . فترى المؤلف - سواء أكان عالم أدب ، أم عالم دين - يذكر أعضاء الجسم تصريحاً لا تلميحاً ، ويكشف عن شؤون الجواري والغلمان كل مستور . وربما لم يجد حرجا في أن يصف أحوال الجنس ما يُعدّ استهتارا وفجورا ، وقد يضيف الى ذلك أحيانا بعض آيات من القرآن الكريم ، تتمثل به هذه الجارية أو تلك في مواطن غير صالحة . ولم أر من مؤلفي الأدب العربي من اعتذر لهذه النزعة في التأليف وحاول تبريرها الا ابن قتيبة في الجزء الأول من كتابه عيون الأخبار ، اذ بيّن ان ذكر عورات الجسم لا شيء فيه ما دام لا يتعدى حدود العلم ، الى القحة والفجور »[٤] .

---

(٣) من رسالة بعث بها الي في يوم ١٨ تشرين الاول ١٩٤٨ .
(٤) مجلة « الثقافة » (العدد ٥٥ ، ص ٢١) .

ونحن وان كنا نأسف كثيرا لورود حكايات وألفاظ نابيـــة في ثنايا هذا السفر ، الا اننا ممن يرى لزوم المحافظة على سلامة المتن ، ووقايته من التصرف به ، حذفا وطيا وتغييرا • فالكتاب أثر من الآثار القديمة ، ينبغي أن ُيعرض كما هو لا كما نريده أن يكون •

مؤلف الكتاب

أ - لفظة « الشابشتي »

أشار ابن خلكان ، في ترجمة الشابشتي ، الى ضبط هذه اللفظة والابانة عن شيء من أمرها ، فقال : « الشابُشتي : بفتح الشين المعجمة وبعد الألف باء موحَّدة مضمومة ثم شين معجمة ساكنة وبعدها تاء مثنّاة من فوقها . كشفتُ عن هذه النسبة كثيرا فلم أعرفها . ثم بعد سنين ، وجدتُ في كتاب التاجي ، تصنيف أبي اسحق الصابىء ، ان الشابشتي حاجب وشمكير بن زيار الديلمي ، قتل في سنة ٣٢٦ (٩٣٧م) بالقرب من اصبهان . قلتُ : وهذا اسم ديلمي ، يشبه النسبة وليس بنسبة. ويحتمل أن يكون صاحب هذه الترجمة منسوبا اليه ، بأن يكون أحد أجداده ، فنُسب اليه وبقي النسب على أولاده كذلك . وهذا وشمكير هو والد الأمير قابوس »[١] .

فهذه اللفظة ، على حد قول ابن خلكان ، ديلمية . وليست بنسبة . ولو كانت نسبة لما أغفل ذكرها أصحاب كتب الأنساب المعروفة ، كالسمعاني وابن الأثير والسيوطي .

وقد فسّر جماعة من الباحثين المحدثين ، هذه اللفظة تفسيراً واضحاً مقبولا . قال الأب أنستاس ماري الكرملي ، في معجمه ما هذا نصه : « الشابشتي : كلمة فارسية منحوتة ، معناها : عماد أو سِناد الملك . لأن (شاه) : الملك ، و (بُشتي) : العماد »[٢] .

---

(١) وفيات الأعيان (١ : ٤٨١) .

(٢) المساعد (وهو معجم مخطوط للاب أنستاس ماري الكرملي . ذيل المجلد الثالث . ص ١٣٨ مادة « شابشتي ») .

واوضح من ذلك ، ما ذكره الاستاذ عبد الحميد الدُجيلي ، في تصير هذه اللفظة . قال : « الشابشتي : لقب فارسي سياسي ، مأخوذ من (شاه) أي ملك ، و (پشت) أي خلف . فيكون معناها الشخص الذي يمشي خلف الملك والمانع الناس عن مزاحمته . وهذه الوظيفة هي المسماة باللغة العربية بالحاجب . والغريب ان هذا الشرح للكلمة لم يتضح لابن خلكان على رغم اطلاعه على الكلمات الفارسية »(٣) .

وقد ذكر لي صديقاي الأستاذان الباحثان أحمد حامد الصراف وعباس العزاوي ، ان أصل لفظها بالفارسية « شاه پُشتي » . وهذا التركيب يسمى في قواعد اللغة الفارسية والتركية وصفاً تركيبياً . كقولهم في الفارسية : (گل آب) ، وهي مؤلفة من لفظتين : (گل) أي ورد و (آب) أي ماء . وأصلها (آب گل) وقُلبت بقاعدة الوصف التركيبي . وهكذا الأمر في الشابشتي . فهو (پشتي شاه) ، فصار (شاه پشتي) وهو مَن يحافظ ظهر الملك . ثم خُففت الى (شابشتي) .

قلنا : وفي النصوص التاريخية ، ما يؤيد أقوال هؤلاء الأفاضل . فأقدم مَن عُرف بهذه الصفة ، قد كان حاجباً . ذكر مسكويه في حوادث سنة ٣٢٢هـ (٩٣٣م) ، ان « الشابشتي » كان حاجب وشمكير(٤) .

ومثل ذلك ما ذكره في أخبار السنة التي تلتها(٥) .

ونوّه الصولي بهذا الاسم(٦) ، في شيء من حوادث سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) .

---

(٣) مجلة « البيان » (١ [النجف ١٩٤٦] العدد ١٠ ص ٢٥٠) .

(٤) تجارب الأمم لمسكويه (٥ : ٣٠١ طبعة امدروز . القاهرة ١٩١٤) .

(٥) تجارب الأمم (٥ : ٣١٦) .

(٦) أخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتاب الأوراق للصولي (ص ١٤٤) .

وأشار الوزير أبو شجاع ، في حوادث سنة ٣٧٢هـ (٩٨٢م) الى نحوٍ من ذلك[٧] . وهذا يدل على ان الرجل قضى عمره المديد في هـذه الخدمة ، وهي الحجابة .

★ ★ ★

وقد ألفينا هذه اللفظة مستعملة في بعض كتب البيطرة . ففي كتاب « البيطرة الرومية » المنسوب الى يعقوب بن اسحق الكندي ، ورد في صفة أمراض الخيل ، ما هذا نصه :

« باب علامة الشابشتي : أن تراه قد خلّط في سيره . فاذا وقف قدّم يداً على الاخرى . وربما وضع يداً على يد . فاذا فتلتَهُ مستعجلاً سقط . وتشتدّ به هذه العلة في الصيف اذا أصابته الشمس »[٨] . قلنا : وهذا المعنى من ذاك الذي نقلناه قبل قليل .

★ ★ ★

ووردت لفظة « شابشتي » في عيون الأخبار لابن قتيبة[٩] ، في سياق رواية نقلها الجاحظ عن شيخ من الاباضية ، فيها ينكر مكان الشين في أول الكلمة . وأورد ألفاظاً جمة مبدوءة بالشين ، منها « الشابشتي » ولم يشر الى معناها ولا الى من عُرف بها .

ولفظة الشابشتي ، قد تصحفت في جملة كتب مطبوعة ، والمطبوع ونيد المنسوخ ، فكأنَّ أيدي النساخ قد تعاونت على مسخ هـذا الاسم وتشويهه . ومن يطالع « آثار البلاد » و « مراصد الاطلاع » و « كشف

---

(٧) ذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع الروذراوري (ص ٨١ طبعة امدروز) .

(٨) البيطرة الرومية (مخطوط في خزانة المتحف العراقي ببغداد . الرقم ١٣٤ ، الورقة ٥٧ ب وتاريخ النسخة ١٠٢١ هـ) .

(٩) عيون الأخبار لابن قتيبة (٢ : ٥٦ طبعة دار الكتب المصرية . وقد نبهنا الى ذلك صديقنا الاستاذ عبدالرزاق الحصان .

الظنون » لا يعثر فيها على اسم الشابشتي ، على الرغم من وروده فيها جميعا . ذلك ان اللفظة جاءت في هذه المراجع على غير وجهها الصحيح : فقد ورد هذا الاسم مرتين في آثار البلاد . ولكنه ذُكر في كلتيهما بصورة « الشابستي »[١٠] .

وأُشير اليه مرتين في مراصد الاطلاع . وللمراصد طبعات : أقدمهما طبعة ليدن ، وهي طبعة رديئة ضعيفة التحقيق . وأردأ منها بكثير طبعة ايران ، وهي طبعة سقيمة على الحجر ، كثرت فيها الأغلاط والتصحيفات حتى أخذ بعضها برقاب بعض .

ففي الطبعة الأوربية من المراصد ، ورد « الشابشتي » تارة بصورة « الشايشي »[١١] ، وطوراً بصورة « الشائشي »[١٢] .

وقد قال المستشرق جوينبل (T. G. J. Juynboll) ناشر المراصد ، معلقاً على لفظة « الشايشي » التي اختلط عليه أمرها ، أن لعل الأصل فيها : الشاشي ، أو السابسي ، أو الساسي ، أو الشاشي .

قلنا : وليس بين هذه القراءات ما أصاب كبد الحقيقة .

أما في الطبعة الايرانية من المراصد ، فقد وردت « الشابشتي » بصورة « الشاشي » و « السناسي »[١٣] .

كما أن « الشابشتي » تحولت الى « الشاشي » في كشف الظنون[١٤] على اختلاف طبعاته .

---

(١٠) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص ١٣١ و١٣٢ طبعة وستنفلد غوتنجن ١٨٤٨) .

(١١) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبدالحق (١ : ٤٢٧ طبعة جوينبل . ليدن ١٨٥٢) .

(١٢) المراصد (١ : ٤٢٩) .

(١٣) المراصد (ص ١٧٦ طبع حجر في ايران سنة ١٣١٥هـ) .

وقد تصحفت هذه اللفظة في حياة الحيوان الكبرى للدميري في كل ما وقفنا عليه من طبعاته • فكأن الوهم سرى اليها من معين واحد • قال الدميري : « وذكر ابن خلكان في تاريخه ، في ترجمة علي بن محمد الشبابشتي ، ان الواقعة كانت للرشيد • قال : ولم نعرف نسبة الشبابشتي الى أي شيء »(١٥) •

ولم نعلم من أين جيء بهذه الباء الأولى وأقحمت في اللفظة •

ولقد أخذنا العجب من الدكتور أحمد فريد رفاعي ، طابع معجم الادباء لياقوت ، الطبعة المصرية الأخيرة ، كيف صحّف هذا الاسم ، فجعله « الشابَسْتي » بفتح الباء وبعدها سين مهملة • على كون اللفظة وردت في الطبعة التي نشرها مرجليوث من قبله بالوجه الصحيح ، أعني بضم الباء ، والشين معجمة ، على النحو الذي ذكره ابن خلكان في ضبط اللفظة • وقد وقع الأستاذ رفاعي في وهم آخر في قوله بالحاشية : « الشابَستي : نسبة الى شابستة ، قرية من قرى مرو • وكانت في الأصل : الشابشتي ، تحريف »(١٦) •

٢ - ترجمة الشابشتي

عقد غير واحد من المؤرخين ترجمة للشابشتي • والذي انتهى الينا

---

(١٤) كشف الظنون (مادة : « الديارات ») •

(١٥) حياة الحيوان الكبرى (٢ : ٩٣ بولاق ١٢٩٢هـ في مادة «ضرغام») • ومثل ذلك ما في سائر طبعاته • على ان المستر جاياكر ، ناقل « حياة الحيوان » الى الانكليزية ، قد تنبه لهذا الوهم ، فقال (II, P. 213; Bombay, 1908) ان الوجه « الشابشتي » على ما ذكره ابن خلكان ، الا ان الواقعة التي نسبت الى الرشيد في نص الدميري ، لا وجود لها في ترجمة الشابشتي التي في وفيات الأعيان ، على اختلاف طبعاته •

(١٦) معجم الأدباء (١٨ : ١٦ مطبوعات دار المأمون • القاهرة ١٩٣٦) •

من ذلك أو بلغنا خبره منها ، ما كتبه ياقوت الحموي ، وابن خلكان ، والصفدي . قال فيه الأول :

« محمد بن اسحق أبو عبدالله الشابشتي : صاحب خزانة كتب العزيز بن المعزّ بمصر والمتولي عرضها . وكان من أهل الفضل والأدب. مات سنة ٣٩٩ للهجرة (١٠٠٨م) في أيام الحاكم بن العزيز . وله عدة تصانيف ، منها : كتاب الديارات . كتاب اليُسر بعد العسر . كتاب مراتب الفقهاء . كتاب التوقيف والتخويف . كتاب مراسلات . كتاب ديوان شعره . كتاب في الزهد والمواعظ . وقد اختُلف في اسمه فرأيتُ أنا كتاب الديارات من تصنيفه ، وهو مترجم محمد بن اسحق كما ترى . ونقل لي بمصر بعض من اختبرت صحة نقله ، انه أبو الحسن علي بن أحمد . والله أعلم »[١٧] .

وقال فيه ابن خلكان ما هذا نصه :

« أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي الكاتب . كان أديبا فاضلا. تعلّق بخدمة العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر ، فولاه أمر خزانة كتبه ، وجعله دفتر خوان يقرأ له الكتب ويجالسه وينادمه . وكان حلو المحاورة ، لطيف المعاشرة . وله مصنفات حسنة[١٨] ... وتوفي سنة تسعين وثلثمائة (٩٩٩م) . وقال الأمير المختار المعروف بالمسبّحي : توفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة (٩٩٨م) . وزاد غيره فقال : ليلة الثلاثاء منتصف صفر . رحمه الله تعالى . وكانت وفاته بمصر »[١٩] .

---

(١٧) معجم الأدباء (٦ : ٤٠٧ ـ ٤٠٨ طبعة مرجليوث) .

(١٨) ذكرها ابن خلكان بالوجه الذي أثبتناه في كلامنا على « مؤلفات الشابشتي » .

(١٩) الوفيات (١ : ٤٨١) ثم أورد ابن خلكان بعد ذلك نبذة في ضبط لفظة « الشابشتي » ومعناها . وقد سبق نقلها .

أما الصفدي ، فقد أحال في حرف الشين من « الوافي بالوفيات » على تلك الترجمة ، فقال : « الشابشتي : محمد بن اسحق ، والشابشتي : علي بن محمد » .

أما الترجمة الاولى ، فهذا نصها :

« محمد بن اسحق أبو عبدالله الشابشتي » ، صاحب خزانة كتب العزيز بمصر . كان من أهل الفضل والأدب ، توفي سنة تسع وتسعين وثلثماية ، أيام الحاكم . وقيل ان اسمه أبو الحسن علي بن أحمد ، وقيل ابن محمد وسيأتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى ، والله أعلم . ومن تصانيفه: كتاب الديارات ، اليسر بعد العسر ، مراتب الفقهاء ، التوقيف والتخويف ، مراسلات ، ديوان شعره ، كتاب في الزهد والوعظ ، ومن شعره(٢٠) :
[بياض بالأصل] » .

وأما الترجمة الثانية ، أعني الواردة في مادة «علي بن محمد» ، فهذا نصها وقد تفضل باستخراجها لنا صديقنا البحاثة الأستاذ صلاح الدين المنجد :

« علي بن محمد أبو الحسين الكاتب الشابشتي بشينين معجمتين بينهما الف بعدها باء موحدة ، وبعد الشين الثانية تاء ثالثة الحروف . كان أديبا فاضلا تعلّق بخدمة العزيز ابن المعز العبيدي صاحب مصر ، فولاه أمر خزانة كتبه وجعله دفتر خوان يقرأ له الكتب ويجالسه وينادمه . وكان حلو المحاورة لطيف المعاشرة له مصنفات حسنة منها : كتاب الديارات ذكر فيه كل دير بالعراق والشام ومصر وجمع الأشعار المقولة في كل دير . وكتاب اليسر بعد العسر ، وكتاب مراتب الفقهاء ، وكتاب التوقيف والتخويف ، وله كتاب مراسلات . توفي بمصر سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة ،

---

(٢٠) الوافي بالوفيات : للصفدي (٢ : ١٩٤ الرقم ٥٦١ ، باعتناء س . ديدرينغ Sven Dedering . استانبول ١٩٤٩) .

وقيل سنة تسعين وثلاث مابة ، وقيل سنة تسع وتسعين . وقيل اسمه محمد بن اسحق ، وكنيته أبو عبدالله . وقد مر ذكره في المحمدين أيضا أخصر من هذه الترجمة »[٢١] .

★ ★ ★

هذا جلّ ما وقفنا عليه فيما يتصل بترجمة الشابشتي ، ومنه يتضح أن الاقدمين اختلفوا في اسمه اختلافهم في سنة وفاته . فقد ورد اسمه في التراجم التي أثبتناها بأربع صور ، وهي : « محمد بن اسحق الشابشتي » ، و « أبو الحسن علي بن أحمد الشابشتي » ، و « أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي » ، و « أبو الحسين علي بن محمد الشابشتي » . وذكروا في سنة وفاته انها كانت **٣٨٨** أو **٣٩٠** أو **٣٩٩** للهجرة .

فاذا عُدنا الى كتاب « الديارات » وهو أوحد ما انتهى الينا من كتبه ، لم نُصب فيه ما يُفصح عن حال المؤلف أو يوضح جانباً من حياته ، ما خلا اشارة خفيفة واحدة ، وردت في أثناء موضوع « دير قنّى » في أخبار ابن جمهور محمد بن الحسن العمّي البصري (أنظر صفحة **٢٦٩** من هذا الكتاب) فقد قال : « وكنا نحضر مجلسه بالبصرة ، فيملي أخبار أهل البيت عليهم السلام وغيرها . فاذا فرغ من الاملاء ، ابتدأ جواريه فقرأنَ بألحانٍ ، ثم قلن القصائد الزهديات . فاذا فرغن من ذلك انصرف من انصرف واحتبس عندهُ من يأنس به ، وعمل الغناء والشرب » .

فان ثبت صحة هذا الاسناد ، جاز أن المؤلف كان يغشى مجالس العلماء بالبصرة . ولكن ترجمته التي نقلناها آنفا من بعض المراجع ، لا تلمّح الى نشأته الأولى ، بل لا تشير الى اقامته في غير مصر .

---

(٢١) الوافي بالوفيات (الجزء الثاني عشر : ورقة ١٩٩ ب . نسخة مصورة في المجمع العلمي العربي بدمشق ، عن مخطوطة اكسفرد) .

وفي ترجمة علي بن الحسين بن علي العبسي ، المعروف بابن كوجك ، الورّاق الأديب ، المتوفى سنة ٣٩٤هـ (١٠٠٣م) اشارة الى انه صنّف كتاب « أعز المطلب الى أعلى المراتب » في الزهد . كتب به الى الشابشتي صاحب كتاب الديارات »[٢٢] .

ويحسن بنا أن ننوّه بخزانة كتب العزيز[٢٣] بن المعز الفاطمي ، التي تولّى الشابشتي أمرها . فقد كانت من أجل خزائن الكتب في ذلك العهد . حوت من نفائس الأسفار وأمهات التصانيف ما لم تحوه غيرها في بلاد مصر . وقد وصف المقريزي ما كانت عليه في أيام عزها ، فيما نقله عن المسبّحي ، قال : « وذُكر عند العزيز بالله ، كتاب العين للخليل بن أحمد ، فأمر خزّان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين ، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد . وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار ، فأمر العزيز الخُزّان ، فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري ، منها نسخة بخطه . وذُكر عنده كتاب الجمهرة لابن دُريد ، فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها ... وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف ... والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل . وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات . فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف... كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة »[٢٤] .

---

(٢٢) معجم الأدباء (٥ : ١٧٩) .
(٢٣) دامت خلافته من سنة ٣٦٥ الى ٣٨٦ للهجرة (٩٧٥ - ٩٩٦م) .
(٢٤) خطط المقريزي (٢ : ٢٤٣ - ٢٥٥) وقد وضعنا نقطا (...) في موضع الطيّ

ولا مراء في ان من يتولى أمر خزانة ملوكية حافلة بهذه التآليف العربية المنقطعة النظير ،يتاح له الوقوف على ما في تلك الذخائر ، بما لا يتهيأ لغيره ٠

فاذا علمنا ان الشابشتي ، وهو الأديب الكاتب الشاعر ، كان اليه أمر تلك الخزانة العظيمة في أيام العزيز ، أدركنا جانبا من حياته ، هو الجانب العلمي المتصل بالكتب ٠

٣ ـ مؤلفات الشابشتي

لم يُغفل مدوّنو ترجمة الشابشتي ـ على قلتهم ـ أمر تآليفه ٠ فقد أحصى منها ياقوت الحموي والصفدي سبعة كتب[٢٥] ٠ وذكر ابن خلكان خمسةً منها[٢٦] ، أردفها بقوله : وله « غير ذلك من المصنفات في الأدب وغيره » ٠ ففي هذه العبارة ما يُشعر بأن للشابشتي ، الى تلك المصنفات الخمسة ، غيرها ٠ ويا ليته نوه بأسمائها كلّها ٠

وسنذكر ، في ما يأتي ، ما انتهي الينا من أسماء مصنفات الشابشتي ، مستندين الى هؤلاء الكتّاب الثلاثة والى غيرهم ممن تعرّض لذلك :

١ ـ الديارات :

وهو هذا الذي ننشره ٠ قال ابن خلكان في صفته ، ان الشابشتي « ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والشام والجزيرة والديار المصرية ، وجميع الأشعار المقولة في كل دير ، وما جرى فيه ٠ وهو على أسلوب الديارات للخالديين وأبي الفرج الاصبهاني ، مع ان هذه الديارات قد جمع فيها تواليف كثيرة »[٢٧] ٠

---

(٢٥) معجم الادباء (٦ : ٤٠٨) ٠ والوافي بالوفيات (٢ : ١٩٤) ٠
(٢٦) الوفيات (١ : ٤٨١) ٠
(٢٧) الوفيات (١ : ٤٨١) ٠

وتابعه في نحو هذا الوصف الحاج خليفة[٢٨] .

٢ ـ اليسر بعد العسر :

كتاب ضائع . ويؤخذ من عنوانه ، ان مؤلفه تناول فيه ما يُشبه موضوع كتاب « الفرج بعد الشدة » للقاضي التنوخي ، المتوفى سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤م) . ولعل التنوخي سبق الشابشتي الى تصنيف « الفرَج » ، فانه ذكر في مطلعه أسماء ثلاثة أسفار لمن تقدمه من المؤلفين في هذا الباب وليس الشابشتي منهم . كان من هذا الكتاب نسخة في بعض خزائن حلب القديمة[٢٩] ، ولا يُعرف أثرها اليوم .

٣ ـ مراتب الفقهاء :

ضاع . وقد أشار الحاج خليفة اشارة مضطربة الى كتاب في هذا العنوان ، بقوله : مَراتِب الفقهاء : لخالد بن أبي علي الاصبهاني ، المتوفى سنة ... »[٣٠] كذا باغفال ذكر السنة على جاري عادته لوفيات طائفة كبيرة من المؤلفين . ومهما يكن من أمر ، فخالد بن أبي علي الاصبهاني ليس بالشابشتي . وكتاب هذا ليس بذاك . على أن صاحب « المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب » قد نوه بنسخة في تلك المدينة في المائة السابعة للهجرة[٣١] .

٤ ـ التوقيف والتخويف :

ضاع . وقد تصحف اسمه في الوفيات الى « التوقيت والتخويف » .

---

(٢٨) كشف الظنون (١ : ٧٦٢) .

(٢٩) المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب : لمؤلف مجهول ، فرغ منه في سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) . نشره القس بولس سباط (القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٥١ ، الرقم ٩١٥) .

(٣٠) كشف الظنون (٢ : ١٦٥٠) .

(٣١) المنتخب (ص ٤٤ ، الرقم ٧٨٨) .

وفي كشف الظنون اشارة الى هذا الكتاب لا تخلو من اضطراب أيضا . قال : « التوقيف والتخويف : لأبي الحسين علي (بن محمد الشابشتي الكاتب) بن الحسين الخليعي[٣٢] الشاعر المتوفى سنة ... »[٣٣] .

وما كان محصورا بين قوسين في هذه العبارة ، ليس للحاج خليفة ، بل للمعلّق على كشف الظنون في طبعته الجديدة . العلامة اسماعيل صائب سنجر .

٥ - مراسلات :

ضاع . وقد سماه ابن خلكان « مكاتبات ومراسلات » وقال انها « مضمّنة شعرا وحكما »[٣٤] .

٦ - ديوان شعره :

ضاع . ولم نقف على نقول من الديوان . ولعل ما أورده الثعالبي[٣٥] ، منسوبا الى « علي بن محمد الشاشي » يكون له . هذا على احتمال ان « الشاشي » محرفة من « الشابشتي » والا فلا . كان من هذا الديوان نسخة في حلب في المائة السابعة للهجرة[٣٦] .

٧ - كتاب في الزهد والمواعظ :

لا نعلم من أمره شيئا . وهذا التأليف والذي قبله لم يذكرهما ابن خلكان .

فهذه التصانيف ، ما عدا الديارات ، قد امتدت اليها يد الفناء فأضاعتها ، وخفيت علينا بضياعها معرفة كثير من العلم بهذا الرجل وأدبه .

---

(٣٢) وردت هذه اللفظة بصورة « الحليقي » في الطبعة الاوربية من كشف الظنون (٢ : ٤٦٦ الرقم ٣٧٦٢) .
(٣٣) كشف الظنون (١ : ٥٠٩) .
(٣٤) الوفيات (١ : ٤٨١) .
(٣٥) يتيمة الدهر للثعالبي (١ : ٢٤٦ - ٢٤٧ القاهرة ١٩٣٤) .
(٣٦) المنتخب (ص ٢٢ ، الرقم ٣٩٨) .

٤ - نهج الشابشتي في كتاب « الديارات »

من يقرأ هذا السفر ، يقطع بأن مؤلفه أديب رقيق الحاشية ، خفيف الظل ، صافي الذهن ، لم يورد في كتابه الا ما لذّ وطاب من مستملح الأخبار وبديع الصفات ، ولم يتعرّض الا لما كان فيه متعة للقارىء ولذة وفائدة . فكتب ما كتب بأسلوب جميل أخاذ ، يذكّرنا بأساليب أئمة الأدب في المئة الرابعة للهجرة .

والشابشتي في كتابه هذا ، يسير على نهج يكاد لا يحيد عنه ، صرّح بذلك في غير موضع من كتابه . ولقد تتبعنا متن الكتاب وتعقبنا تصريحاتهفي هذا الباب ، فاذا بها زهاء أربعة عشر تصريحا ، يدل كلّها على أن المؤلف لم يكلّف نفسه ايراد ما لا يقتضيه شرط كتابه ولم يأت بما لا تدعو الحال الى ذكره .

ولنذكر عباراته في هذا الشأن ، فان في اجتماعها هاهنا ، ايضاحا لما سار عليه المؤلف في كتابه ، يغني عن اطالة النظر في استخراجها من ثنايا الكتاب .

قال في ترجمة اسحق بن ابراهيم الطاهري (ص ٣٧ من طبعتنا الثانية هذه) : « ونورد طرفا من أخباره في حزمه وضبطه بقدر ما يليق بالكتاب » .

وفي كلامه على عبدالله بن المعتز ومحمد بن القاسم النميري (ص ٧٢) قال : « وكانت تجري بينهما مكاتبات ومناقضات في الشعر ومداعبات طيبة . ونحن نذكر طرفا منها » .

وحين تكلم على أبي العيناء (ص ٨١) قال : « ونحن نذكر طرفا من أخباره بمقدار لا يخرج الى الاطالة ولا يخل بالشرط » .

وعاد الى مثل ذلك في الصفحة ٩٢ فقال : « وأخباره كثيرة ، ولكنا

أوردنا بمقدار ما يحتمله الكتاب ويقتضيه الشرط ولا يخرج قارئه الى الملل » .

وقال في الصفحة ١٢١ : « ولعبيدالله [بن عبدالله بن طاهر الخزاعي] شعر كثير وأخبار طريفة ، اخترنا منها ما يليق بغرض الكتاب ولا يخرج الى حد الاطالة » .

وفي الصفحة ١٢٦ قوله : « ولمحمد بن عبدالله [ابن طاهر] من الأفعال الكريمة ما يطول الشرح بذكرها ، وفيما ذكرناه كفاية » .

ومثله ما ذكره في أخبار عمرو بن عبدالملك الوراق (ص ١٧٢) : « وله شعر كثير في المجون ووصف الخمر . وقد ذكرنا منه ما يليق بالكتاب » .

وفي كلامه على أشعار مُصعب الكاتب (ص ١٩٣ قال : « ونحن نورد من ذلك ما يستطرف ويُستطاب ويستملح من معانيه » .

وشبيه بذلك ما قاله في شعر مهلهل بن يموت بن المزرّع (ص ٢٠٨) : « ونحن نورد من شعره ما يليق بكتابنا هذا » .

ونحوٌ منه ما قاله في شعر يموت بن المزرع (ص ٢١٣) : « وشعره وشعر ابنه مهلهل كثير في سائر فنون الشعر . وانما ذكرنا ما احتمله الكتاب واقتضاه الشرط » .

وفي الصفحة ٢٣٩ ذكر خبر مجيء عبدالمسيح بن بُقيلة الى سطيح فقال : « والخبر مشهور ، تركناه لشهرته » .

وقال في مطيع بن اياس (ص ٢٥٦) : « ولمطيع أخبار كثيرة ظريفة ، منع من ايرادها خوف الاطالة وما تدعو اليه من الملالة » .

ولما نقل شيئا من شعر كشاجم ، قال في الصفحة ٢٦٤ : « وفيما أتينا من طريف شعره وغريب صفاته كفاية تفي بالشرط ولا تتجاوز الحد » .

ومثل ذلك ما قال في شعر محمد بن حازم (ص ٢٨٣) : « ولولا خروج الكتاب عن حدّه المرسوم وخوف الاطالة ، لأوردت من غرر شعره ومحاسنه ما يلتذ به سامعه • وفيما أوردنا كفاية » •

* * *

ففي هذه النصوص التي سقناها ، دلالة على خطة المؤلف في تناول الموضوعات التي طرقها في كتابه ، وتنبيه الى انه كان يحاذر من تسرب الملل الى القارىء •

* * *

أدركنا مما مرّ بنا ، ما انتهجه المؤلف في تصنيف كتابه اجمالاً • أما من حيث التفريع ، أعني الكلام على الديارات واحداً واحداً ، فان الشابشتي حين يعقد فصلاً عن دير ما ، ينوه بموقعه ورهبانه وما اشتهر به ، ويورد شيئاً من أقوال الشعراء فيه ، وقد يشير الى بعض الحوادث التي جرت فيه •

فاذا فرغ من ذلك ، انتقل الى ايراد أخبار وحكايات ونكت وأشعار لا تتصل في جملتها بالدير ذاته ، بل تتعلق بأشخاص قالوا في ذلك الدير شعراً ، أو جرت لهم فيه حادثة ، أو وقع لهم خبر يتصل من قريب أو من بعيد بذلك الدير •

وكل دير من الديارات التي أطال الشابشتي الكلام عليها ، يكاد ينفرد باستيعاب أخبار شخص من أعلام الأدب أو السياسة أو الادارة • فيهم الخليفة والأمير والوزير والكاتب والأديب والشاعر والنديم والماجن والخليع • فيورد طرفاً من أشعاره ان كان ممن يقول الشعر ، أو جانبا من أخباره ونوادره ومجونه ولم يتعفف المؤلف عن ذكر الشعر أو الحكاية ، مهما يتخللهما من مجون وخلاعة وبذاءة ، بل عدّ ذلك من باب التظرف •

ومَن يساير فصول هذا الكتاب ، يجد مصداق ما نقول . فكل دير من الديارات المذكورة في الثبَت الآتي ، يكاد يكون مختصا بخبر الشخص الذي يحاذيه :

دير درمالس :	أبو عبدالله ابن حمدون النديم .
ديرَ سمالو :	خالد بن يزيد الكاتب . جحظة البرمكي .
دير الثعالب :	ابن دهقانة .
دير الجاثليق :	محمد بن أبي أمية الكاتب .
دير مديان :	اسحق بن ابراهيم الطاهري .
دير أشمونى :	أبو الشبل البرجُميّ .
دير سابر :	الحسين بن الضحّاك .
دير قوطا :	عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع .
دير مرجرجس (بالمزرفة) :	محمد بن القاسم النميري
دير باشهرا :	أبو العيناء .
دير الخوات :	أبو عثمان الناجم .
دير العلث :	المعتمد على الله
دير العذارى :	الطاهريون .
دير السوسي :	المتوكل على الله .
دير مرمار :	المعتز .
دير مر يُحنا (بتكريت) :	عمرو بن عبدالملك الوراق .
الدير الأعلى :	اجتياز المأمون به . عمرو بن الحمق الخزاعي .
دير يونس :	أبو شاس الشاعر
دير الشياطين :	عبّادة المخنث .
عمر الزعفران :	مُصعب الكاتب .
عمر أحويشا :	اللبّادي الشاعر .

دير فيق : أبو نواس •
دير الطور : مهلهل بن يموت بن المزرّع
دير البخت : علي بن عبدالله بن عباس •
دير زكى : الصنوبري الشاعر • هارون الرشيد •
دير ابن مزعوق : الثرواني •
ديارات الأساقف : عبدالمسيح بن بقيلة •
قبة الشتيق : بكر بن خارجة
دير هند : هند بنت النعمان •
دير زرارة : مطيع بن إياس •
عمر مر يونان : كشاجم •
دير قُنَّى : ابن جمهور العمّي • عبدون بن مخلد • صاعد بن مخلد
عمر كسكر : محمد بن حازم •
دير نهيا : عباس بن البصري •
دير طمويه : ابن عاصم •

على ان بين هذه الديارات ، ما انطوى على أخبار غير من أوردنا اسمه • ولكننا اقتصرنا على ذكر من ذكرنا منهم لأن أخبارهم غالبة هنالك على أخبار غيرهم •

وعندنا ، ان كتاب الديارات لو جُرّد مما تخلّله من الاستطرادات التي سبقت الاشارة اليها ، واستُبقي فيه ما كان ذا صلة بالديارات ذاتها ، من وصفٍ وشعر وخبر ، لتضاءل الى نحو ثُلث ما هو عليه •

الكتب العربية القديمة
الباحثة في الديارات

اتجهت أنظار جمهرة من الأدباء والشعراء والبلدانيين والمؤرخين ، منذ صدرَ التأليف في الاسلام حتى الألف للهجرة الى الديارات ، فوصفوا طيب مواقعها ورقة هوائها وعذوبة مائها ، وتغنوا بمحاسنها وبما وجدوه فيها من مجالي الأنس والطرب ومواطن النزهة واللهو ، وأشاروا أحياناً الى بعض الأحداث التاريخية التي ألمت بها •

ولا مراء في أن للديارات أثراً بيناً في الأدب العربي ، بكونها أتاحت لجماعة من الأدباء والشعراء أن يلجوا باباً من الوصف ما كان لهم أن يلجوه لولاها • يشهد بذلك كتب الديارات العديدة التي صنفوها ، وانتهى الينا منها ما انتهى ، وضاع ما ضاع • وفي ما سلم منها خير دليل على ما نقول •

وهذه التآليف الموضوعة في الديارات ، قد وقفنا بطول البحث على ذكر جملة صالحة منها ، ذكرناها في هذا الباب مرتبةً بحسب زمن تأليفها•

أما ما كتب في عصرنا هذا عن الديارات ، فقد وفّينا الاشارة اليه في الذيل الثاني (انظر الصفحة ٣٢٢ - ٣٣٦) •

* * *

١ - كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين :

لهشام بن محمد بن السائب الكلبي ، المتوفى سنة ٢٠٤ وقيل ٢٠٦هـ (٨١٩ ، ٨٢١م) • وهو من أقدم كتب الديارات بالعربية • وقد ضاع فيما ضاع من تآليفه الأخرى •

ذكره ابن النديم[١] وياقوت الحموي[٢] ولم يَصفاه .

ويؤخذ من عنوانه انه في صفة ديارات الحيرة وبيعها ونصارى أهلها الذين عرفوا بالعِباديين . ولعل الكتاب الذي نقل منه ابن فضل الله العمري في كلامه على « دير الاسكون » بقوله : « ذكر مصنّف ديارات الحيرة ... »[٣] هو كتاب هشام ابن الكلبي هذا .

٣ - كتاب الديارات :

لأبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ، المتوفى سنة **٣٥٦هـ (٩٦٦م)** وهو صاحب « الأغاني » أجلّ كتب الأدب التي بأيدي الناس اليوم . وكتاب الديارات هذا قد نالته يد الضياع ، فكانت خسارة الأدباء بفقده عظيمة . على أن غير واحد من الكتبة الأقدمين قد نوّه به ، فذكره ابن خلكان[٤] ، والصفدي[٥] ، والحاج خليفة[٦] .

كان هذا السفر ، مرجعاً لبعض المؤلفين الأقدمين فيما كتبوه عن الأديار القديمة . فنقل منه البكري[٧] ، وياقوت الحموي[٨] ، وابن

---

(١) الفهرست (ص ٩٧) .

(٢) معجم الادباء (٧ : ٢٥٣) .

(٣) المسالك (ص ٣١١) .

(٤) الوفيات (١ : ٤٧٥ و ٤٨١) .

(٥) الوافي بالوفيات للصفدي (١ : ١١٨ طبعة رتر- استانبول ١٩٣١).

(٦) كشف الظنون (١ : ٧٦٢) .

(٧) معجم ما استعجم (طبعة وستنفلد ، غوتنجن ١٨٧٦) ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ (مرتين) ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ (مرتين) ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ (مرتين) ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ (مرتين) ، ٣٧٩ .

(٨) معجم البلدان (طبعة وستنفلد) ٢ : ٦٥٤ ، ٦٦٧ ، ٦٦٩ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ (مرتين) ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣ ، ٨٧٧ و ٣ : ٦٦٧ .

فضل الله العمري[٩] •

وذكر الصفدي ، في ترجمة شيخ الشرف العبيدلي أبي الحسن علي ابن محمد العلوي الحسيني النسّابة البغدادي المولود سنة ٣٣٨ ، المتوفى سنة ٤٣٧هـ (٩٤٩ ـ ١٠٤٥م) ، انه روى عن صاحب الأغاني « كتاب الديارات » له[١٠] •

عُرف هذا الكتاب في جميع المراجع المذكورة بكتاب «الديارات» • على أن الحموي سماه في أحد النقول عنه كتاب « الديِرَة »[١١] •

٣ ـ كتاب الديرة :

للسريّ الرّفاء الموصلي ، الأديب الشاعر ، المتوفى ببغداد سنة ٣٦٢هـ (٩٧٢ـ٣م) • وهو صاحب « ديوان » الشعر المعروف باسمه الذي طُبع منذ سنوات •

وكتاب « الدّيرَة » هذا ، ضاع فيما ضاع من مخلّفات الأقدمين ، فلا أثر له اليوم •

وقد نوّه به بعض الكتبة ، كياقوت الحموي[١٢] ، وابن خلكان[١٣] ومؤلف « المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب »[١٤] • وأغفل ذكره الحاج خليفة •

ولا نعلم بوجه التحقيق مَن نقل عن هذا الكتاب من الأقدمين •

---

(٩) مسالك الأبصار في الممالك والأمصار (المجلد الأول : طبعة أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٢٤) ص ٢٦٣ ، ٢٦٩ (مرتين) ، ٢٧١ ، ٣٠٨ (مرتين) ، ٣١٣ ، ٣١٤ (مرتين) ، ٣١٦ ، ٣١٨ (مرتين) ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ٣٣٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ •

(١٠) الوافي بالوفيات (١ : ١١٨ الرقم ٢٤) •

(١١) معجم البلدان (٣ : ٦٦٧) •

(١١) معجم البلدان (٣ : ٦٦٧) •

(١٢) معجم الأدباء (٤ : ٢٢٧) •

(١٣) الوفيات (١ : ٢٨٤) •

(١٤) المنتخب (ص ٢١ ، الرقم ٣٦٩) •

وغاية ما وقفنا عليه ما ذكره ابن فضل الله في كلامه على « دير سعيد » قال وقد نقل عن الخالدي قوله : « وأنشدني السري الرّفاء لنفسه فيه »[١٥].

على أن تلك الأبيات التي أنشدها السري ، وردت في ديوانه المطبوع[١٦] . وهذا الشعر المنقول انما هو في صفة « دير سعيد » المعروف بـ « دير مار إيليا » القائم اليوم في جنوبي الموصل على مقربة منها. فلعل الأبيات وردت أيضاً في « كتاب الديرة » . وليس أولى من السري ، وهو من أدباء الموصل أن يتعرّض لوصف ديارات بلده ، في كتابه الذي صنفه في هذا الباب .

ولابن فضل الله ، اشارة ثانية من هذا القبيل ، وردت في كلامه على « دير الشياطين » قال :

« وفيه يقول السري الرفاء »[١٧] .

والأبيات التي ساقها ابن فضل الله ، لا أثر لها في ديوان السري المطبوع ، فلعلها منقولة من كتاب الديرة .

وفي معجم البلدان ، اشارات الى كتاب « الديرة » لم يُصرّح فيها باسم مؤلفه . وهذا ما يوجب اللبس بين السري الرفاء وبين الخالدي : فلكليهما كتاب بهذا العنوان .

قال ياقوت : « ووجدت في كتاب الديرة ، ان نهر الخالص هو نهر المهدي »[١٨] .

وقال في مادة « دير الرصافة » : « وقد ذكر صاحب كتاب الديرة ، انه ... »[١٩] .

---

(١٥) المسالك (ص ٢٩٢) .
(١٦) ديوان السري الرفاء الموصلي (ص ١٨٦ القاهرة ١٣٥٧هـ) .
(١٧) المسالك (ص ٣٠٣) .
(١٨) معجم البلدان (٢ : ٣٩٠ مادة : الخالص) .
(١٩) معجم البلدان (٢ : ٦٦١) .

ومثل تلك الاشارة المبهمة ، ما ذكره ابن خلكان استطراداً عن أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الاخشيد بقوله : « وكنتُ أظن ان دير سعيد الذي بظاهر الموصل ، منسوب الى أبيه ، حتى رأيته في كتاب الديرة منسوبا الى سعيد بن عبدالملك بن مروان الأموي »[٢٠] .

٤ ـ كتاب الديارات :

للخالديين . وهما الأخوان الأديبان الشاعران أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ، شاعرا سيف الدولة الحمداني وخازنا دار كتبه ، المتوفيان في أواخر المائة الرابعة للهجرة . وقد نُسبا الى « الخالدية » قرية من أعمال الموصل .

وكتابهما في « الديارات » ذكره غير واحد من المؤرخين ، كابن خلكان[٢١] والحاج خليفة[٢٢] . وورد في بعضها موسوماً بكتاب « الديِرَة »[٢٣] .

وأغلبَ من نقل عنه اقتصر على القول : « قال الخالدي » وهو يريد « الخالديين » .

والراجح عندنا ، ان هذا السفر قد امتدت اليه يد الفناء ، سوى نقول عنه لبعض الكتبة الأقدمين ، كياقوت الحموي[٢٤] وابن فضل الله العمري[٢٥] .

---

(٢٠) الوفيات (١ : ٥٢٢) .
(٢١) الوفيات (١ : ٤٨١) .
(٢٢) كشف الظنون (١ : ٧٦٢) .
(٢٣) معجم الأدباء (٦ : ٢٠٩) .
(٢٤) معجم الأدباء (١ : ١٥٧ ، ٢ : ٢٣ ـ ٢٦ ، ٦ : ٢٠٩ ـ ٢١٠) ، ومعجم البلدان (١ : ٣٤٥ ، ٦٦٧ ، ٢ : ٥٦٢ ، ٦٤٤ ، ٦٥٠ ، ٦٥٨ ، ٦٦٤ ، ٦٦٩ ، ٦٧٩ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٩١ ـ ٦٩٣ ، ٦٩٦ ، ٦٩٨ ، ٧٠٦ ، ٣ : ٣٦٣ ، ٤ : ٨٧٥) .
(٢٥) المسالك (ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٩٠ ـ ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ـ ٣٠٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢) .

٥ - الاديرة والاعمار في البلدان والاقطار :

ويعرف بكتاب الديارات الكبير . لأبي الحسن علي بن محمد لعدوي الشمشاطي[٢٦] ، أحد أبناء المائة الرابعة للهجرة (العاشرة للميلاد) . قال ابن النديم انه « يحيا في عصرنا هذا »[٢٧] . ومراده زمن تصنيف فهرسته ، يعني سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧ - ٨م) .

وقد أوضح أبو العباس أحمد بن علي النجاشي (المتوفى سنة ٤٠٥هـ ، ١٠١٤م) عن معنى « العدوي » الواردة في تمام اسمه ، فقال « هو من عدي بن تغلب ، عدي بن عمرو بن عثمان بن تغلب. كان شيخا بالجزيرة ، وفاضل أهل زمانهم وأديبهم ، له كتب كثيرة »[٢٨] .

واختلفت المراجع التي بيدنا في تعيين هذه النسبة التي اشتهر بها ، أعني « الشمشاطي » . ففي بعضها « السُميساطي »[٢٩] . وفي بعضها الآخر « الشمشاطي »[٣٠] .

وعندنا ان هذه النسبة الثانية ، هي الصحيحة ، بدليل ما ذكره ياقوت في كلامه على شمشاط ، قال : « وشمشاط الآن خراب ، ليس بها إلا أناس قليل ، وهي غير سُميسَاط ، هذه بسينين مهملتين ، وتلك بمعجمتين ، وكلاهما على الفرات ، الا أن ذات الاهمال من أعمال الشام وتلك في طرف ارمينية ... وقد نُسب اليها قوم من أهل العلم ، منهم أبو الحسن علي بن

---

(٢٦) بكسر الشين الأولى ، وسكون الميم .
(٢٧) الفهرست (ص ١٥٤) .
(٢٨) كتاب الرجال للنجاشي (ص ١٨٦ بمبي ١٣١٧هـ) .
(٢٩) الفهرست (ص ١٥٤) والديارات النصرانية (ص ٥) .
(٣٠) رجال النجاشي (ص ١٨٦) والأنساب للسمعاني (وجه الورقة ٣٣٨) ومعجم البلدان (٣ : ٣١٩ - ٣٢٠) ومعجم الأدباء (٥ : ٣٧٥) والذريعة الى تصانيف الشيعة لاغا بزرك (١ : ٤٠٥) .

محمد الشمشاطي ، كان شاعراً وله تصانيف في الأدب .. »[٣١]

وقد عدد النجاشي تآليف الشمشاطي ، ومن بينها كتاب « الأديرة والأعمار[٣٢] في البلدان والأقطار » . قال نقلاً عن سلامة بن زكاء أبي الخير الموصلي انه « أكبر كتاب عُمل ، فيه بضعة وثلاثون ديراً وعمراً »[٣٣] .

قال البحاثة حبيب زيات : « وفي جزء من تاريخ بغداد لابن النجار (رقم ٢١٣١ خزانة باريس ، ص ٣٤) : انه كان شاعراً يمدح الملوك . أصله من الموصل . سكن بغداد ودخل واسط سنة أربع وتسعين وثلثمائة (١٣٠٣ - ٤م) . وفي بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، عدة مطالعات فيه وروايات عنه لم نجدها في غيره من كتب الديارات . فلا شك انه كان أوسع اشتمالاً وأغزر فوائد منها كلّها . ولذلك وصفه صاحب الفهرست بالكبير . ولعل هذا التوسع ، مع قلة اقبال النساخ على كتابة غير مصنفات الحديث واللغة ، كان سبب إهماله وندرة نسخه»[٣٤] .

٦ - كتاب الديرة :

لمحمد بن الحسن بن رمضان النحوي . ذكره ابن النديم[٣٥] ، ولم يعيّن سنة وفاة مؤلفه . وعنه نقل ياقوت[٣٦] ، وعن الثاني نقل السيوطي[٣٧] دون أن ينوّه بهذا الكتاب . وقد فُقد .

---

(٣١) معجم البلدان (٣ : ٣٢٠) .
(٣٢) تصحف عنوانه في المطبوع من رجال النجاشي الى «الأديرة والأعمال» .
(٣٣) رجال النجاشي (ص ١٨٧) .
(٣٤) الديارات النصرانية (ص ٥ - ٦) .
(٣٥) الفهرست (ص ٨٤) . وقد تصحف اسم الكتاب فيه الى كتاب « الدبرة » .
(٣٦) معجم الادباء (٦ : ٤٩٥) .
(٣٧) بغية الوعاة للسيوطي (ص ٣٣) .

٧ ـ رسالة في دير مار سمعان العمودي ورهبانه :

لقيصر الأنطاكي ، من رهبان هذا الدير في المائة الثانية عشرة للميلاد . منها نسخة لدى ورثة رزق الله باسيل في حلب ، ذكرها الأب بولس سباط في فهرسته ، (Sbath, al-Fihris, I, p. 60; No. 492) ولم يصفها .

٨ ـ رسالة في أديرة مدينة أنطاكية ورهبانها :

لقيصر الأنطاكي المار ذكره . منها نسخة لدى ورثة رزق الله باسيل في حلب ، ذكرها سباط في فهرسته . (I, p. 60; No. 493)

٩ ـ أخبار أديرة ورهبان مصر :

لفرج الله الاخميمي ، الشماس القبطي ، من أهل المائة الرابعة عشرة للميلاد ، هذا الكتاب لم يُطبع . منه نسخة خطية في خزانة القمص عبدالمسيح صليب البرموسي المسعودي في القاهرة . ذكرها سباط في فهرسته (I, p. 57; No. 439) .

١٠ ـ وصف طور سينا وأبنيته :

لأفرام الشماس ، الذي عاش في أواخر المائة السادسة عشرة وأوائل السابعة عشرة للميلاد .

قال في صدره : « نبتدىء بعون الله وحسن توفيقه ، نشرح عن دير طور سينا المقدس وعن الكنائس التي فيه وعلى قلاليه ، وعلى الجبل المقدس وعلى الكنائس والقلالي التي فيه والديورة أيضاً ... الخ » .

ولهذا الكتاب جملة نسخ خطية منها نسخة لدى ورثة القس ميخائيل بصال في حلب ، ذكرها سباط في فهرسته (I, p. 30; No. 212) . وثانية في خزانة كتب الفاتيكان Ar. No. 286 ، وثالثة في خزانة باريس الوطنية (De Slane, No. 312¹) ، وفي الخزانة الشرقية ببيروت(٣٨)

(٣٨) المشرق (٩ [١٩٠٦] ص ٧٣٧) والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية لشيخو (ص ٣٧ الرقم ١١٢)

نسختان أخريان منه •

وهذا الكتاب ، نقله الى اللاتينية المستشرق الايطالي اغناطيوس جويدي (I. Guidi) وطبع الترجمة في مجلة :

Revue Biblique, 3 Juillet. 1906; pp. 433-442.

ثم نشر الأب لويس شيخو اليسوعي ، نص هـذا الكتاب في مجلة المشرق (٩ [١٩٠٦] ص ٧٣٦ – ٧٤٣ ، ٧٩٤ – ٧٩٩) ، بتعليق عليه •

١١ – تاريخ دير الزعفران :

لأيوب الراهب السرياني الآمدي بدير الزعفران • كـان حيا سنة ١٧١٧م • منـه نسخـة لدى المطران الياس هلولي السـرياني بالقدس ، بالقـدس ، ذكرهـا سـباط في فهرسـته (II, 1939; p. 11, No. 1097).

★ ★ ★

هذا غاية ما انتهى الينـا خبره من التآليف الموضوعـة في الديارات خاصة • على ان في المراجع العربة القديمة فصولاً وأبواباً تناول فيهـا أصحابها الكلام على الديارات • وفي بعض ذلك من الفائـدة والنفاسـة ما يوجب علينا أن نذكره هاهنا تكملة للفائدة • وقـد رتبنا ذلك بحسب قِدم مؤلفيها :

١ – ذكر الديارات المشهورة التي وردت فيها الأخبار وقيل فيهـا الأشعار : (معجم ما استعجم : للبكري ، المتوفى سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) • (١ : ٣٥٩ – ٣٨١ طبعـة وستنفلد في غوتنجن سـنة ١٨٧٦م ؛ أو ٢ : ٥٧٠ – ٦٠٧ بتحقيق مصطفى السقـا • القاهرة ١٩٤٧ • وكنـا اعتمدنا في مراجعاتنا على الطبعة الأولى) •

وفي هذا الباب صفة ثمانية وثلاثين ديرا •

٢ – القول في ذكر الدّيرة : (معجم البلدان : لياقوت الحموي ، المتوفى سنة ٦٢٦هـ = ١٢٢٨م ؛ ٢ : ٦٣٩ – ٧١٠ و ٣ : ٢٧٤ – ٧٢٦

طبعة وستنفلد في ليبسك ١٨٦٧ ؛ أو ٤ : ١١٩ - ١٨٥ و ٦ : ٢٢٠ - ٣٢٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٦ . وكان اعتمادنا في المراجعة على الطبعة الأوربية).

٣ - دير : (المشترك وضعاً والمفترق صقعاً : لياقوت الحموي . ص ١٨٩ - ١٩٢ طبعة وستنفلد في غوتنجن سنة ١٨٤٦) . وصف فيه عشرة أديرة ، يشترك اسم كل منها في أكثر من موضع .

٤ - دير : (آثار البلاد وأخبار العباد : للقزويني ، المتوفى سنة ٦٨٢هـ = ١٢٨٣م ؛ ص ١٣١ - ١٣٢ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٣٥٦ طبعة وستنفلد في غوتنجن سنة ١٨٤٨ . وقد تكلم في هذه الصحائف على تسعة عشر ديراً . ولهذا الكتاب طبعة حديثة في بيروت .

٥ - دير : (مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع : لابن عبدالحق ، المتوفى سنة ٧٣٩هـ = ١٣٠٨م ؛ ١ : ٤٢١ - ٤٤٣ طبعة جوينيل في ليدن سنة ١٨٥٢ = ص ١٧٤ - ١٨١ طبعة ايران على الحجر). = ٢ [القاهرة ١٩٥٤] ص ٥٤٩ - ٥٨٠ تحقيق علي محمد البجاوي .

٦ - الديارات المشهورة : (مسالك الأبصار : لابن فضل الله العمري ، المتوفى سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م ؛ ١ : ٢٥٤ - ٣٨٦ بتحقيق أحمد زكي باشا . القاهرة ١٩٢٤) . وفي هذا الباب نعوت مائة وستة أديرة ، استعان في كتابة بعضها بكتب الديارات لأبي الفرج الاصفهاني ، وللخالدي، وللشابشتي .

٧ - دير : (الدرّ الملتقط من كل بحر وسفط : لمحمد بن علي بن محمود الكاتب الدمشقي . أنجزه في شهور سنة ٧٤٣هـ (١٣٥٢م) . وهو مخطوط في خزانة المتحف البريطاني بلندن (رقم Add. 19408) وصفه حبيب زيات (الديارات النصرانية . ص ٦-٧) وعنه أخذنا هذه الاشارة . في الصفحات ١١٧ - ١٣٤ منه ، صفة تسعة عشر ديرا ، أولها دير الروم وآخرها دير مرّان بظاهر دمشق .

٨ ـ ذكر ديارات النصارى بمصر : (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : للمقريزي ، المتوفى سنة ٨٤٥هـ = ١٤٤١م • ويُعرف هـذا الـكتاب بخطط المقريزي ٤ : ٤٠٩ ـ ٤٣٧ مطبعة النيل ـ القاهـرة ١٣٢٥هـ) •

٩ ـ ديـر : (تاج العروس من جواهـر القاموس : للسيد مرتضى الزبيدي ، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ = ١٧٩٠م مادة : « د ي ر » ٣ : ٢٣١)•

★ ★ ★

وفي كثير من الكتب العربية الأخرى ، اشارات الى الأديرة • نخص بالذكر منها : « تاريخ الطبري » و « الكامل » لابن الأثير و « تاريخ يحيى ابن سعيد الأنطاكي » ، و « المجدل » لعمرو بن متى ، و « المجدل » لماري ابن سليمان ، و « التاريخ السعردي » ، « تاريخ أبي صالح الأرمني » •

★ ★ ★

ومما يتصل بالديارات ، كتبٌ تناول فيها مؤلفوها أخبار الرهبان وحياتهم في أديرتهم ، وما عندهم من نُظم ورسوم يتبعونها • نذكر منها المؤلفات الآتية :

١ ـ أخبار الرهبان : لأبي القاسم تمام بن محمد الرازي • ذكره السخاوي[٣٩] والحاج خليفة[٤٠] دون أن يصفاه • ولا نعلم من أمر هذا الكتاب ولا من أمر مؤلفه شيئا •

٢ ـ كنَّاش الأديرة والرهبان : لأبي الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ، المعروف بابن بطلان ، الطبيب البغدادي النصراني ، المتوفى سنة

(٣٩) الاعلان بالتوبيخ للسخاوي (ص ١٠٨) •

(٤٠) كشف الظنون (١ : ٢٧) •

٤٤٤هـ (١٠٥٢م) • ذكر فيه الأمراض العارضة لرهبان الأديرة ومَن بعُد من المدينة •

ومن هذا الكتاب بضع نسخ خطية ، منها واحدة في خزانة باريس الوطنية (De Slane, No. 2918[2]) واخرى في غوطا (No. 1952[3]) وثالثة في غوتنجن (No. 97) ورابعة لدى أسرة حكيم في حلب (Sbath, Al-Fihris, I, p. 9, No. 27)

٣ ـ الرهبان ودياراتهم : وهو فصل من كتاب « القوانين الرسولية والأحكام الدينية » • فيه الكلام على رؤساء الديارات ، والرهبان وزيّهم ، وحدود الرهبانية ، واتخاذ النساء والخوات في رهبنة النساء •

ومن هذا الكتاب ، نسخة خطية قديمة في خزانة برلين (Ahlwardt, IX, p. 536, No. 1080) مؤرخة بسنة ٦٠٧هـ (١٢١٠م) • ويقع الفصل المذكور فيها من الورقة ١٩٩ ب الى ٢١٤ أ •

٤ ـ رسالة في ترتيب الرهبان الذين كانوا في أديرة مصر : ليوحنا الراهب المتنسّك الروماني ، المعروف بكاسيانوس ، المتوفى سنة ٤٣٣م • لا نعلم متى نُقلت هذه الرسالة الى العربية ولا اسم الناقل لها • منها نسخة لدى القس يوسف حبيقة ، وثانية لدى ميشال الحائك في بيت شباب بلبنان[٤١] ، وثالثة لدى ورثة نعوم عازار في حلب ذكرها سباط في فهرسته (I, p. 61; No. 494) .

٥ ـ كتاب تعليم الرهبان : لمؤلف مجهول • منه نسخة في خزانة الأب بولس سباط[٤٢] ، ضمن مجموع مؤرخ بسنة ١٢٦٥م •

---

(٤١) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ١٧٢ الرقم ٦٥١) •

(٤٢) Sbath, Bibliothèque de Manuscrits Paul Sbath. Catalogue. Tome I, le Caire 1928; p. 144, No. 1031[1]).

٦ ـ بستان الرهبان أو فردوس الرهبان : منسوب الى صفرونيوس بطريرك أورشليم ، المتوفى سنة ٦٣٨م • والصواب انه ليوحنا موسخوس• قال الأب لويس شيخو : من هذا الكتاب « نسخ عديدة في مكتبة البروبغندا في رومية (ع ٧٧) وفي مكتبة باريس (Mss. 279 et 4703) وفي مكتبة الدار الاسقفية في بعلبك وفي دير الشير ومكتبة دير قزحيًا وفي الشرفة (بالكرشوني) وفي مكتبتنا الشرقية نسخة منه حسنة »[٤٣] •

قلنا ومنه نسخة في خزانة القس بولس سباط[٤٤] ، مؤرخة بسنة ١٦٨٨م •

٧ ـ السيرة الرهبانية : للخوري بطرس التولوي الماروني في حلب سنة ١٧٤٥ م • ومن هذا الكتاب نسخ خطية عديدة • أربع منها في خزانة سباط[٤٥] • وذكر شيخو ان في مكتبة الموارنة بحلب نسخة منه ونسختين في المكتبة الشرقية ببيروت[٤٦] •

---

(٤٣) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ١٣٤ الرقم ٤٩٧) •

(٤٤) فهرست مخطوطات سباط (١ : ٥٧ ـ ٥٨ الرقم ٩٠) •

(٤٥) فهرست مخطوطات سباط (١ : ١٤٥ الرقم ٣٣٢٥ و ١٤٨ الرقم ٢٣٣٧ ، ٢ : ٣٦ الرقم ١٦٦٦ و ٧٥ الرقم ١٨٣٠) •

(٤٦) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ٧٧ الرقم ٩) •

الدير : وما يشتمل عليه

تختلف الديارات باختلاف مواضعها • فمنها ما تسنَّم قمم الجبال ، أو ما توسّد ضفاف الأنهار ، ومنهــا ما اقترب من المدن والأرياف ، أو ما انفرد في البراري والقفار •

ولكل دير من الديارات ، حاجات تماثل حاجات سائر الأديرة من وجوه ، وتخالفها من وجوه أخرى • وفي وسعنا القول اجمالاً ، انّ كبر الدير يدل على كثرة الرهبان والمتبتّلين فيه ، والعكس بالعكس •

ولا ُيرى دير من الديارات الا وهو محصَّن بسور مكين شاهق ، يدفع عنه شر الهجمات ويقيه غائلة المعتدين عليه •

ويُشترط في كل دير ، صغر أم كبر ، أن يكون فيه « كنيسة » يصلي فيها الديرانيون• كما يشترط فيه أن يحتوي على صوامع تستوعب من فيه من رهبان • ولا حاجة بنا الى القول ، ان في كل دير من المباني الأخرى ما لا سبيل الى الاستغناء عنها ، كالمخازن وبيوت الطعام وغيرها من المرافق •

على أن بعض الديارات الكبيرة ، كانت تضم بين جدرانها غير كنيسة ، تقام كل واحدة على اسم قديس أو يتخذ لها اسم من بعض شعائر الدير • أما الصوامع ، وهي قلالي الرهبان ، فكانت في بعض الأديرة تعد بعشرات ، وفي بعضها بمئات ، وجاوزت في بعضها الألف عداً •

ولا يخلو دير من الديارات الكبيرة من « خزانة كتب » يجد الرهبان فيها ما ينشدون من التآليف التي تتناول موضوعات دينية وأدبية وعلمية مختلفة • كالكتب المقدسة وتفاسيرها ، والفلسفة واللاهوت ، وسير الشهداء والقديسين ، والحياة النسكية ، والعبــادات والطقوس الدينيــة ، والأدب

والشعر ، وغير ذلك مما تحفل به رفوفها •

وكانت خزانة الكتب مجتمع الباحثين من الرهبان ، فيهـا يطالعون وفيها يؤلفون الكتب وفيها ينسخون •

ولابد للراهب من صومعة يقيم فيها وحده • وهذه الصوامع تُبنى بناءً ان كان الدير قائماً في السهل ، أو تُنقر في قلب الصخر ان كان الدير في الجبل •

والديارات الجليلة الشأن ، لا تخلو من دور ضيافة ينزلها زوّار الدير والمجتازون به • فانه لا يباح لزائرٍ ما أن يقيم في صوامع الرهبان ذاتها •

وقــد كان بعض تلك الديارات ، عــلى جانب عظيم مــن فخامة البنيان واتساع الرقعة وحسن الآلة حتى أن بعض الخلفاء والملوك والأمراء وأعيان الناس ووجوههم ، كانوا ينزلونها • ولا يخرج أحدهم منها إلا وهو يلهج بطيب الاقامة فيها والثناء على من بها •

وان بعُد موضع الدير عن مجاري المياه ، لجأ مؤسسوه الى استنباط الماء الذي يفي بأمور معيشتهم • فلا تقوم للدير قائمة ان فقد الماء • فتراهم يحفرون الآبار داخل الدير طلباً للماء ، أو ينقرون الصهاريج في جوف الصخر ليجتمع فيها ماء المطر •

وان ركب الدير شــواطىء الأنهار ، ألفيتَ حــوله من البساتين والكروم والرياحين ما يبهج النظر ويشرح الخاطر •

شكر وثناء

لا يسعني ،وأنا أنشر هذا الكتاب ، الا الاشادة بفضل من أعانني على ابراز هذا الكتاب .

وأول من ينبغي عليَّ شكره في هذا الباب ، العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي[١] . فهو الذي حفّزني على نشره . ويسّر لي الوقوف على النسخة المنقولة بيده من كتاب « الديارات » للشابشتي عن النسخة المصوّرة بالفتغراف عن نسخة برلين . ثم سمح لي بنقلها فمقابلة ذلك بالنسخة المصورة . ولم يكتف - رحمه الله - بذلك ، بل أهدى اليَّ كلتا النسختين المذكورتين . المنقولة بيده والمصورة بالفتغراف ، دليلاً على صادق حبه الأبوي لي ، ورغبةً منه في أن يُطبع الكتاب وينتشر في أيدي الناس .

ثم اني أتقدم بالشكر والثناء ، على صديقي الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد . فقد طالع النسخة التي نقلها الأب أنستاس ، وعلّق عليها تعليقات مفيدة صائبة ، دلت في جملتها على طول باعه ووفرة علمه بالآداب والتاريخ . ولقد أباح لي أن أستفيد من هذه التعليقات ، فاقتبست منها ما رأيت الحاجة تمس الى اقتباسه ، وقرنت ما أخذته منه باسمه الكريم ، اعترافاً مني بفضله وحسن أدبه .

ثم اني أرفع آيات الشكر والاحترام ، الى المغفور له البطريرك ، مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم[٢] ، لما تفضل به علي من نبذ ثمينة عن

---

(١) توفي في ٧ كانون الثاني ١٩٤٧ .

(٢) توفي في ٢٣ حزيران ١٩٥٧ .

بعض الديارات السريانية الوارد ذكرها في كتاب الشابشتي ، فنشرتُ ما تكرم به غبطته عليَّ في الذيول ذوات الأرقام ١٠ و١٤ و١٧ و٢٥ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ .

وممن يطيب لي شكره والثناء عليه في هذا المقام ، صديقي البحاثة الدكتور صلاح الدين المنجّد فقد كان صرف من وقته وجهده شيئاً كثيراً في تحقيق كتاب الديارات للشابشتي ، أملاً منه في أن ينشره . ثم كان ما كان بيني وبينه من نقاش في بعض المجلات ، انتهى الى مراسلة ودية . فقد كتبتُ اليه في يوم ٢٨ آب ١٩٤٨ ما هذا بعضه :

« لا أعلم سبباً لهذه السحابة التي حجبت بيني وبينك فترةً من الزمن ، الا ما يكون قد حصل بسبب كتاب الديارات . ولا أرى اليوم ما يوجب ذلك . فالمرغوب فيه أن يُنشر هذا الكتاب ، كائناً مَن كان ناشره . فان شئتَ نشره وحدك ، كنتُ أول من يهنئك على ذلك . وإن شئتَ أن أنشره أنا ، فقد تفضلتَ . وان شئتَ أن نعمل سويةً ـ أنت وأنا ـ على نشره ، كان في ذلك كل الخير لنا وللقراء جميعا ... » .

فأجابني ، حفظه الله ، في رسالة مؤرخة في الثامن من أيلول ١٩٤٨ بما هذا شيء منه :

« أما كتاب الديارات ، فقد نزلت لك عنه ، وتستطيع أن تنشره وحدك ـ كُرمى لخلقك الكريم . وتقديراً لعلمك وجهدك ـ . فاذا أشكل عليك أمر ـ وما اخال ذلك يقع ـ فمخطوطتي وما صنعت تحت تصرفك » .

فدلّ بذلك على نبل نفسه وطيب خلقه وصدق وده .

ومن أرغب في الاشادة بأدبهم وفضلهم عليَّ في هذا الباب الأستاذ

الباحث الجليل ، حبيب زيات[٣] • فقد راجع شيئاً من مسودات الكتاب ، حين زرته في مدينة نيس ، أواخر عام ١٩٥٠ •

ومن ينبغي لي شكره ، أخي ميخائيل عواد • فقد قرأ مسودة الكتاب من أولها الى آخرها ، ونبهني الى أمور مختلفة أفادتني في تحقيق الكتاب واخراجه بهذا الوجه •

ولن أختم كلمتي هذه ، دون التنويه بفضل «المجمع العلمي العراقي»، في شخص رئيسه وسكرتيره وأعضائه المحترمين لما تفضّل به عليّ من مال يسّر طبع هذا السِفر ووضعه بأيدي القراء •

بغداد **كوركيس عواد**

(٣) توفي سنة ١٩٥٤ •

مقدمة الطبعة الثانية

لم تمضِ سنواتٌ قليلة على صدور هذا الكتاب ، حتى نفدت نسخه . فطلب مني بعض الأصدقاء ، أن أُعيد طبعه . وكان في طليعتهم الأستاذ قاسم محمد الرجب ، صاحب مكتبة المثنّى ببغداد . فقد بلغ من اهتمامه بأمر الكتاب ، وإلحاحه عليّ بمعاودة نشره ، أن تولّى الانفاق على طبعه ، وجَعَلَهُ في جملة مطبوعاته الثمينة .

حين ظهر الكتاب في طبعته الأولى منذ خمس عشرة سنة ، لقي من اهتمام الأدباء والباحثين وعنايتهم به ، ما هو أهلٌ له . فتواردتْ إليّ رسائلهم ، وفيها إطراء واستحسان ، وفيها تصويب وتقويم ، أفادني في هذه الطبعة الثانية .

ونشر بعضهم مقالاتٍ ونبذاً في الصحف والمجلات ، انتفعت بها أيضاً في هذا الصدد .

وأذكر من هؤلاء واولئك جميعاً ، كلاً من الأساتذة الأفاضل : سماحة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، عبدالستّار أحمد فراج ، الأمير جعفر الحسني ، حبيب زيّات ، هـ . ريتر ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، سعيد الديوه‌جي ، عبدالحميد الدجيلي ، الدكتور حسين علي محفوظ ، ضياء الدين الحيدري ، شكري محمود أحمد ، عزيز العلي العزّي ، الدكتور محمد مصطفى زيادة ، عبدالسلام النجار .

وأودّ أن أنوّه هنا ، بوجهٍ خاص ، بفضل بعض الأساتذة الأجلّاء ، الذين يسّروا لي الانتفاع من نسخهم « المصحّحة » من كتاب الديارات للشابشتي ، أو أمدّوني بـ « أثباتٍ » فيها ما وقفوا عليه في تنايا الكتاب من خطأ أو زلل . وقد دلّت تلك التصحيحات في نسخة الديارات ، وفي

الأثبات ، على علوّ كعبهم في البحث والتحقيق . وهم كلّ من الاساتذة : المحامي عبّود الشالجي ، مكي السيد جاسم ، رشدي الحكيم ، الشيخ كاظم الدجيلي ، الدكتور مصطفى جواد ، الأب حنا فياي الدمنكي ، عبدالهادي المختار .

ولا يسعني إلا أن أرفع الى جميع من ذكرتُ في هذه المقدمة ، آيات الشكر والامتنان على ما تفضّلوا به عليّ في هذا الشأن .

وفي الختام ، أتقدّم بالشكر والثناء على « مطبعة المعارف » في بغداد ، لعنايتها بطبع هذا الكتاب بالوجه الذي يراه القارىء .

والله وليّ التوفيق .

٢٠ حزيران ١٩٦٦

كوركيس عواد



كتاب

الديارات للشابشتي

المتن - التعليق



دير درمالس

[هذا الدير في رَقّة باب الشماسية ببغداد ، قرب][1] (١ أ)
الدار التي بناها الدَّيلمي أحمد بن بويه ، بباب الشماسية[2] . وموقعه أحسن موقع . وهو نزهٌ كثير البساتين والأشجار . وبقربه أُجمة قصب . وهو كبيرٌ ، آهل برهبانه وقسانه والمتبتّلين فيه . وهو من البقاع المعمورة بالقصف ، والمقصودة بالتنزُّه والشرب[3] .

وأعياد النصارى ببغداد ، مقسومة على ديارات معروفة ، منها أعياد الصوم [4] :

فالأحد الأول منه : عيد دير العاصية ، وهو على ميلٍ من سمالو[5] .

والأحد الثاني : دير الزُريقية .

---

(١) ما بين العضادتين سقط من المخطوط ، فأكملناه من معجم البلدان (٢ : ٦٦٠) وقد نقل ذلك من « الديارات » للشابشتي .

(٢) عرفت بـ « الدار المعزية » ، نسبة الى صاحبها معز الدولة البويهي ، المتوفى سنة ٣٥٦هـ (٩٦٧م) . وكانت بباب الشماسية في أعلى بغداد ، بالجانب الشرقي منها . وقد وفينا هذا الموضوع في رسالتنا «الدارالمُعزّية من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة» (بغداد ١٩٥٤ ؛ ٢١ ص) .

(٣) يؤخذ من كلام ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ ـ ١٢٢٨م) ، ان دير درمالس ، كان عامراً في أيامه . وذكر ابن عبدالحق (المتوفى سنة ٧٣٩هـ ـ ١٣٠٨م) ، انه «لا أثر له الآن» (المراصد ١ : ٤٢٩). فيكون الدير قد خرب بين وفاة هذين الكاتبين .

(٤) يريد به « الصوم الكبير » ، ومدته خمسون يوماً ، تنتهي بعيد القيامة المعروف بالعيد الكبير .

(٥) هو دير سمالو ، وسيأتي وصفه . أما « دير العاصية » فلا نعلم عنه شيئاً .

والأحد الثالث : دير الزندورد[٦] .

والأحد الرابع : دير دُرمالس[٧] هذا . وعيده أحسن عيد ، يجتمع نصارى بغداد اليه ، ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم . ويقيم الناس فيه الأيام ، ويطرقونه في غير الأعياد .

ولأبي عبدالله بن حمدون النديم[٨] ، فيه[٩] :

يا دير درمالس ما أحسنك ويا غزال الدير ما أفتنك
لئن سكنتَ الدير يا سيدي فانّ في جوف الحشا مسكنك
ويحك يا قلب ، أما تنتهي عن شدة الوجد بمن أحزنك
ارفق به ، بالله ، يا سيدي فانه من حَينه[١٠] مكّنك

وكان من خبر هذا الشعر، ما ذكره أحمد بن خالد الصَريفيني[١١].

---

(٦) سقطت أخبار هذا الدير من مخطوطة «الديارات» (أنظر الذيل ٣) . أما « دير الزريقية » فأمره مجهول لدينا .

(٧) تصحف اسم هذا الدير في المراجع المعروفة : ففي الشابشتي « دُرمالس » بضم الدال . وفي معجم البلدان والمراصد ، بفتحها . وفي المسالك « دومالس » . ولعل الوجه الصحيح « رومانس » ، (Romanus) وهو اسم عُرف به ثلاثة من القديسين عاشوا بين المئة الرابعة والمئة السادسة للميلاد .

(٨) أديب لغوي من أهل المائة الثالثة للهجرة ، كان استاذ أبي العباس ثعلب ، وخصيصاً بالمتوكل ونديماً له . معجم الادباء (١ : ٣٦٥ — ٣٧٢) .

(٩) معجم البلدان ، والمجموع اللفيف لأمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني الافطسي النسابة ، (الورقة ١١٦ من النسخة المصورة عن مخطوطة باريس ٣٣٨٨) والبيتان الاولان في المسالك .

(١٠) الحين : الهلاك والمحنة . وفي معجم البلدان : من حتفه . والروايتان مقبولتان .

(١١) أخباره منثورة في كتاب المكافأة لابن الداية (ص ٥ — ٦ بتحقيق محمود محمد شاكر) ، و « الفرج بعد الشدة » للتنوخي (١ : ١٠٠ — ١٠١

قال : كنا (١ ب) عند أبي عبدالله بن حمدون ، في الوقت الذي نفاه فيه المتوكل[١٢] • فتذاكرنا الديارات ، وطيبها وحسنها في الأعياد ، واجتماع الناس بها • فقال : قد ، والله ، شهّيتني لحضور هذه المواضع ، والتفرج فيها ، والتسلي بها ، فأي دير منها قد حضر عيده ؟ قلت : دير درمالس، وغداً عيده ! قال : فعلى بركة الله • فأعددت جميع ما يُحتاج اليه ويصلح لمثله ، وبكّرنا الى الدير ، ونظرنا الى اجتماع الناس وتعييدهم[١٣] • وانصرف من انصرف ، وأقمت معه في الدير ذلك اليوم ومن غده • وجلسنا منه مجلسا يشرف على تلك البساتين والمزارع • فشرب ، وطابت نفسه وطرب ، وحضره من أحداث[١٤] الموضع من كان يقضي لنا الحاجة ويجيئنا بالطرفة والتحية[١٥] • فشُغف بهم ، واستطاب وقته معهم ، وقال الأبيات المتقدمة •

= القاهرة ١٩٠٣) ، و « الولاة والقضاة » للكندي (ص ٢٠٠ طبعة كست) • والمغرب في حلى المغرب : لابن سعيد المغربي (قسم مصر ١ [القاهرة ١٩٥٣] ص ٣٤٨ ــ ٣٥٠) • تولى الخراج بمصر ، وكان ممدوح السيرة • وفي الانساب للسمعاني (ظهر الورقة ٣٥١) ان الصريفيني : نسبة الى صريفين ، قرية بواسط واخرى ببغداد • ولم يتعين عندنا الى أيهما نسب •

(١٢) عاشر خلفاء بني العباس • دامت خلافته في سامراء ، من سنة ٢٣٢ الى ٢٤٧هـ (٨٤٧ ــ ٨٦١م) •

(١٣) يقال : عيد القوم تعييداً : شهدوا العيد • والمراد هنا الاحتفال بالعيد •

(١٤) الاحداث : جمع حدث ، وهو الحديث السن ، الصغير •

(١٥) التحية ، وجمعها التحايا : التحفة والطرفة وأكثر ما تطلق على الطاقة من الازهار والرياحين التي يحيا بها الندماء ، وتزين بها مجالس الشرب •

وكان سبب نفي المتوكل له[١٦] ، ان الفتح بن خاقان[١٧] ، كان يعشق شاهك ، خادم المتوكل ، واشتهر الأمر فيه حتى بلغه . وله فيه أشعار ، منها[١٨] :

أشاهكُ ، ليلي مذ هجرتَ طويلُ ... وعيني دماً بعد الدموع تسيلُ
وبي منك ، والرحمن ، ما لا أطيقه ... وليس الى شكوى اليك سبيلُ
أشاهك ، لو يجزى المحبُّ بودّه ... جُزيتُ ، ولكن الوفاء قليلُ

(٢ أ) وكان أبو عبدالله ، يسعى فيما يحبه الفتح ، فعرف المتوكل الخبر ، [فاستدعى أبا عبدالله][١٩] وقال له : انما أردتك وأدنيتك لتنادمني ، ليس لتقود على غلماني ! فأنكر ذلك ، وحلف يميناً حنث فيها ، فطلق من كانت حرةً [من نسائه] ، وأعتق من كانت مملوكة ، ولزمه حج ثلاثين سنة ، فكان يحج كل عام .

قال : فأمر المتوكل بنفيه الى تكريت ، فأقام بها أياماً . ثم جاءه

---

(١٦) نقل ياقوت هذه القصة من كتاب الديارات (معجم الادباء ١ : ٣١٥ـ ٣١٨) . وقد ذكرت أيضاً في الورقة ١١٤ من « المجموع اللفيف » ، باختلاف يسير عما هي عليه هنا .

(١٧) أحب المتوكل الفتح بن خاقان ، فاتخذه أخاً ورفيقاً . وقد قتلا معاً في سنة ٢٤٧هـ (٨٦١) . وكان للفتح خزانة كتب نوهنا بها في «خزائن الكتب القديمة في العراق» (ص ١٨٠ ــ ١٨١ بغداد ١٩٤٨). وأخبار الفتح في الفهرست (ص ١١٦ ــ ١١٧) ومعجم الشعراء للمرزباني (ص ٣١٨ طبعة كرنكو ، القاهرة ١٣٥٤هـ) . ومعجم الادباء (٦ : ١١٦ ــ ١٢٤) وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (٢ : ١٢٣ ــ ١٢٤ بولاق ١٢٨٣هـ) . والفخري لابن الطقطقي (ص ٤ و ٣٢٦ . باريس ١٨٩٥) .

(١٨) معجم الادباء (٦ : ١١٨) والمجموع اللفيف (الورقة ١١٥) .

(١٩) الزيادة من معجم الادباء .

زرافة[٢٠] في الليل على البريد ، [فبلغه ذلك] ، فظن انه [يعني المتوكل] لما شرب [بالليل] وسكر ، أمر بقتله ، [فاستسلم لأمر الله] • فلما دخل عليه ، قال : جئتُ في شيء ما كنت أحب أن أجيء في مثله ! قال : وما هو ؟ قال : أمر أمير المؤمنين بقطع أذنك ! وقال : قل له : لستُ أعاملك الا كما يُعامَل الفتيان ! فرأى ذلك أسهل مما ظنه من القتل • فقطع غضروف أذنه من خارجٍ ، ولم يستقصه ، وجعله في كافور معه ، وانصرف • [وبقي منفياً] • ثم حُدر أبو عبدالله الى بغداد ، الى منزله • فأقام به مدة• قال أبو عبدالله : فلقيت اسحق[٢١] بن ابراهيم الموصلي ، بعدما كُف بصره • فسألني عن أخبار الناس والسلطان • فأخبرته ثم شكوتُ اليه غمي بقطع أذني•فجعل يسليني ويعزيني ، ثم قال لي : مَن المتقدم اليوم عند أمير المؤمنين والخاصُ من ندمائه ؟ فقلت له : محمد بن عمر [البازيار] • فقال لي : ومن هذا الرجل ؟ وما مقدار أدبه وعلمه ؟ (٣ ب) فقلتُ : أما أدبه ، فلا أدري ، ولكني أخبرك بما سمعت منه منذ قريب : حضرنا

---

(٢٠) زرافة من أصحاب دولة المتوكل على الله •مات سنة ٢٥٢هـ (٨٦٦م)• وله ذكر في عيون الانباء (١ : ١٨٩) ، وتاريخ الطبري ، والكامل لابن الاثير (فهارسهما) •

(٢١) شاعر أديب عالم أخباري • كان أعلم أهل زمانه بالغناء ، وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الطرب • نادم الرشيد والمأمون والواثق • ومات ببغداد سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩م) • صنف نحواً من أربعين كتاباً في الغناء والشرب ، والمنادمة وأخبار الشعراء والمغنين والقيان ، وقد ضاعت كلها • وقد جمع اسحق خزانة حافلة بالكتب ، وصفناها في « خزائن الكتب القديمة في العراق » (ص ١٩٥ ـ ١٩٦) •

وأخبار اسحق في كثير من كتب الادب والتراجم ، ولا سيما الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (٥ : ٤٩ ـ ١٢٤ طبعة الساسي) • وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦ : ٣٣٨ـ٣٤٥) • ومعجم الادباء (٢ : ١٩٧ـ٢٢٦) والفهرست (ص ١٤٠ـ١٤٢) •

الدار[٢٢] يوم عقد المتوكل لأولاده الثلاثة[٢٣] ، فدخل مروان بن أبي [الجنوب بن أبي] حفصة[٢٤] ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

بيضـــاء في وجناتهـــا ورد ، فكيف لنـا بشمـه

فسُر [المتوكل] بذلك سروراً شديداً ، وأمر ، فنُثر عليه بدرة[٢٥] دنانير ، وأن تلقط وتطرح في حجره ، وأمره بالجلوس ، وعقد له على اليمامة والبحرين • فقال : يا أمير المؤمنين ، مـا رأيت كاليوم قط ، ولا أرى ، أبقاك الله ما دامت السموات والأرض ! فقال محمد بن عمر : هذا بعد عمر طويل ان شاء الله ! [وقبل ، قال له : فما تقول في أدبه ؟ فقال : أأكثر من أن يقول للخليفة : أبقاك الله ، يا أمير المؤمنين ، الى يوم القيامة وبعد القيامة بشيء كثير !] • فقال لي اسحق : ويلك ! جزعت على أذنك وغمك قطعها ؟ ولِمَ ؟ حتى تسمع مثل هذا الكلام ؟ [ثم قال لي :]

---

(٢٢) أي دار الخليفة •

(٢٣) هم : المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد • وكان ذلك في سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩م) •

(٢٤) من شعراء الدولة العباسية • نادم المتوكل وخص به • وقد مدح المأمون والمعتصم والواثق وأخذ جوائزهم • وأخباره في تاريخ الطبري (٣: ١٤٦٥ ــ ١٤٦٦ طبعة ليدن) • وطبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١١ ــ ١٦ طبعة عباس اقبال) • والاغاني (٩ : ٣٤ ــ ٧٣) • والفهرست (ص ١٦٠) وتاريخ بغداد للخطيب (١٣ : ١٥٣ــ١٥٥)• والوفيات (٢ : ١٣٠ــ١٣٣) • وخزانة الادب للبغدادي (١ : ٤٤٧) • ومعجم الشعراء للمرزباني (ص ٣٩٩) • والشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ١٧٨ــ١٧٩ القاهرة ١٣٢٢هـ) •

(٢٥) البدرة ، على ما في تاج العروس (٣ : ٣٤) : كيس فيه ألف ، أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار • ويؤخذ من عبارة في كتاب التاج للجاحظ (ص ٣٧ طبعة زكي باشا) ان البدرة كانت في أيام العباسيين عشرة آلاف درهم • (ج : بدر وبدور) •

ويلك ! لو أن لك مكّوك(٢٦) آذان ، أيش كان ينفعك مع هؤلاء ؟

قال : وأعاده المتوكل الى خدمته . وكان اذا دعا به ، قال على جهة المزاح : يا با عبيد(٢٧) .

ولما رضي عنه ، قال له : هل لك في جارية أهبها لك ؟ فأكبر ذلك وأنكره . فوهب له جارية يقال لها صاحب ، من جواريه ، حسنة كاملة الأدب ، الا أن بعض الخدم ردّ السبطانة(٢٨) على فمها ، وقد أرادت أن ترميه ، فصدع (٣ أ) احدى ثنيّتيها(٢٩) ، فاسودّت ، فشانها ذلك عنده . وحمل معها كل ما كان لها : وكان شيئاً عظيماً كثيراً . فلما مات أبوعبدالله ، تزوجت صاحب بعض العلويين . قال علي بن يحيى [بن] المنجم(٣٠) : فرأيته في النوم وهو يقول لي(٣١) :

أبا علي(٣٢) ، ما ترى العجائبا أصبح جسمي في التراب غائبا

واستبدلت صاحب بعدي صاحبا

---

(٢٦) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصفاً (ج : المكاكيك) . والصاع معياره أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما .

(٢٧) معجم الادباء : يا عبيد .

(٢٨) وصف القلقشندي السبطانة في كلامه على آلات الصيد ، فقال انها آلة من خشب ، مستطيلة كالرمح ، مجوفة الداخل، يجعل بها الصائد بندقة من طين صغيرة في فيه ، وينفخ بها فيها ، فتخرج منها بحدة ، فتصيب الطير ، فترميه ، وهي كثيرة الاصابة » (صبح الاعشى ٢ : ١٣٨) .

(٢٩) الثنية ، جمعها : الثنايا : هي أربع أسنان في مقدم الفم ، ثنيتان من فوق ، وثنيتان من أسفل .

(٣٠) أديب شاعر مغن . نادم المتوكل ونال حظوة كبيرة عنده وعند الخلفاء من بعده الى أيام المعتمد . مات سنة ٢٧٥هـ (٨٨٨م) . وقد وصفنا خزانته في « خزائن الكتب القديمة في العراق » (ص ٢٠٥ — ٢٠٧) وأوردنا طرفاً من أخباره .

(٣١) معجم الادباء (١ : ٣٦٧) .

(٣٢) معجم الادباء : أيا علي . وهو الوجه .

ولأبي عبدالله شعر جيد • ومن شعره يعاتب علي بن يحيى[٣٣] :

مَن عذيري من أبي حسن	حين يجفوني ويصرمني[٣٤]
كان لي خلاً وكنتُ له	كامتزاج الرُوح بالبدن
فوشى واش ، فغيّره	وعليه كان يحسدني
انما يزدادُ معرفةً	بودادي حين يفقدني

قال : [و] اتصل بنجاح بن سلمة[٣٥] ، ان أبا عبدالله بن حمدون ، يذكره ويتنادر[٣٦] به بين يدي المتوكل • فلقيه [نجاح] يوماً ، فقال له : [يا] أبا عبدالله : قد بلغني ذكرُك لي بحضرة أمير المؤمنين بغير الجميل ، ولم يخفَ عليّ قولك ! [أتحب أن أنهي اليه قولك] اذا خلوت به : « أتراني أحبه ، وقد فعل بي ما فعل ؟ والله ، ما وضعت يدي على أذني الا تجددت له بغضةٌ[٣٧] في قلبي » • فقال ابن حمدون : الطلاق له لازم (٣ ب) ان كان قال هذا قط ، وامرأته طالق ان ذكرتك بغير ما تحبه أبداً !

---

(٣٣) هو علي بن يحيى ابن المنجم المذكور • وانظر الأبيات في معجم الأدباء (١ : ٣٦٧) والمجموع اللفيف (الورقة ١١٦) •

(٣٤) صرم ، بمعنى : هجر •

(٣٥) من كتاب الدولة العباسية • كان على ديوان التوقيع والعمال ، ولم يحمد • قتل سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م) في أيام المتوكل • أنظر : تاريخ الطبري (٣ : ١٤٤٠ ــ ١٤٤٧) ، والوزراء والكتاب للجهشياري (ص ٢٥٢ طبعة البابي الحلبي) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٧ : ٣٠ طبعة أوربة) والوفيات (١ : ٧٢١) • وقد وصمه الجاحظ بالطيش والسخافة ، في رسالته « ذم أخلاق الكتاب » (ص ٤٤ــ٤٥ القاهرة ١٣٤٤هـ) • وفي « أدب النديم » لكشاجم (ص ٢٥ بولاق ١٢٩٨هـ) ما قاله نجاح للمتوكل لما دعاه لمنادمته •

(٣٦) تنادر به : تهزأ وسخر وجعله من نوادره •

(٣٧) المخطوط : بغضة (بالنصب) وهو خطأ •

قال : كان ابراهيم بن محمـد بن مدبّر[٣٨] ، يلاعب أبا عبدالله بالنرد • فاذا غلبه شيئاً ، دفعه الى كردية المغنية ، جارية محمد بن رجا • فغلبه يوماً عشرين ديناراً ، فأخذها منه ودفعها اليهـا • فكتب اليـه أبو عبدالله بعد ذلك :

تقضـي الحقـوق بمـالي   وأنت تعـرفُ حـالي
ان دام هـذا علـيَّ   أفقـرتني وعيـالي !

وكان [أبوه ابراهيم وأظن انه الملقب بـ] حمدون بن اسماعيـل ، ينادم المعتصم ، ثم الواثق بعده • وكـان يعابث المتوكل في ذلك الوقت • وجاءه مرة بحية في كُمّه[٣٩] ، وأخرج رأسها تعريضاً بأمه شجاع[٤٠] ، وكان ذلك يعجب الواثق •

قال : فلما مات الواثق ، نادم [حمدون] المتوكل • قال : فلما كان في بعض الأيام ، أمر المتوكل باحضار فريدة[٤١] جارية أخيه الواثق ، وكانت من الحسن والاحسان على ما لم يُر مثله • وقال للخدم : ان لم

---

(٣٨) أديب شاعر من وجوه كتاب العراق • تولى الولايات الجليلة في أيام المتوكل والمعتمد والمعتضد • وقد وزر للمعتمد • مات سنة ٢٧٩هـ (٨٩٢م) • وأخباره في الوزراء والكتاب (ص ١٠٢) • والاغاني (١٩ : ١١٤ـ١٢٧) • ومعجم الادباء (١ : ٢٩٢ ـ ٢٩٤) •

(٣٩) الكم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب •

(٤٠) المخطوط : سجاع ، وهو تحريف • وشجاع هذه هي أم المتوكل العباسي • توفيت سنة ٢٤٧هـ (٨٦١م) • ومن معاني « شجاع » في اللغة ، ضرب من الحيات • ومن هنـا جاءت النكتـة في تعريض حمدون بها •

(٤١) كانت فريدة جارية عمرو بن بانة ، ثم أهداها الى الواثق ، فأصبحت أثيرة عنده ، حظية لديه جداً • كانت جميلة حسنة الغناء حادة الفطنة والفهم • وبعد وفاة الواثق ، تزوجها أخوه المتوكل • وأخبارها مع كليهما ، في الأغاني (٣ : ١٧٦ ـ ١٧٩) •

تجيء فجيئوني برأسها ! فأحضرت [مكرهة] ، ودُفع اليها عود ، فغنت غناء يشبه الندبة والمرثية ، فأسمعها ، وأمرها أن تغني غيره . فبكت وغنت غناء شجياً بحزن . فزاد[٤٢] [ذلك في طيب غنائها ، فوجم حمدون للرقة التي تداخلته ! فغضب المتوكل ، ورأى أنه فعل ذلك بسبب أخيه الواثق حزناً عليه ، وكان يبغض كل من مال اليه ! فأمر بنفيه الى السندوضربه ثلثمائة سوط ! فسأل أن يكون الضرب من فوق الثياب لضعفه عن ذلك ، فأجيب الى ذلك . وأقام منفياً ثلاث سنين . وتزوج المتوكل فريدة[٤٣] بعد ذلك ، فولدت له ابنه أبا الحسن] .

(٤ أ) قال : دعا ابراهيم جماعة من المغنين ، فيهم جحظة[٤٤] وقاسم بن ز رزر[٤٥] ، وكان فيها عمه أبو محمد بن حمدون . فجعل ابراهيم يحاكي واحداً واحداً من المغنين . فقال له عمه : لا تُحاك جحظة ، ولا يكن بينك وبينه عمل ! فلم يقبل ، وحاكاه . فلم يزل جحظة

---

(٤٢) في المخطوط خرم لا نعلم مقداره . وما بين القوسين من هذه الحكاية ، أكملناه من معجم الادباء (١ : ٣٦٨-٣٦٩) .

(٤٣) في الأغاني (٣ : ١٧٧) ان المتوكل ، لما تزوج فريدة ، « أرادها على الغناء ، فأبت أن تغني وفاء للواثق . فأقام على رأسها خادماً ، وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغني » .

(٤٤) شاعر مغن طنبوري مجيد ، حسن الأدب والمنادمة ، كثير الرواية للاخبار ، ظريف حاضر النادرة . مات بواسط سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥م) ألف سبعة كتب في الغناء والمنادمة والطعام وأخبار بعض الخلفاء وقد ضاعت . وأخبار جحظة في الفهرست (ص ١٤٥ ـ ١٤٦) وتاريخ بغداد للخطيب (٤ : ٦٥-٦٩) . والمنتظم لابن الجوزي (٦ : ٢٨٣ ـ ٢٨٦) . ومعجم الأدباء (١ : ٣٨٣ ـ ٤٠٥) . والوفيات (١ : ٥٧ ـ ٥٨) .

(٤٥) مغن حاذق مجيد . مات سنة ٢٩٨هـ (٩١٠م) . (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ص ٣٤ طبعة ليدن) .

يحتال في شيء يكتب فيه ، الى أن وجد رقعة[٤٦] ، فكتب فيها :

حصلت على حكاية من يغنّي ، فحاك لنا العجوز اذا تغنّت
وحاك لنا لبيباً اذ أتاها فأعطاها القُمُدّ كما تمنّت

فقال له عمه : ألم أقلْ لك : « عقرب ، لا تقربْ » !

وحكى جحظة ، عن ابراهيم [بن][٤٧] القسم زرزر ، ان لاكهكيفي[٤٨] كان حسن الغناء مجيدا ، وكان يحسد ابراهيم بن أبي العُبيس[٤٩] على غنائه وشجا صوته . فلما مات ابراهيم وكانت وفاته في أيام المكتفي ، دخلتُ على لاكهكيفي والدموع في عينيّ . فقال : ما لك ؟ قلتُ : مات ابراهيم ! قال : بسلام ! والله ، لو لم يمت لقتلته !

(٤٦) الرقعة : القطعة من الورق يكتب عليها .
(٤٧) الزيادة وضعناها لاكمال التسمية .
(٤٨) كذا ما في الأصل ، وليس في مراجعنا مغن بهذا الاسم .
(٤٩) مغن مجيد (معجم الادباء ١ : ٣٦٩) .

دير سمالو[1]

وهذا الدير شرقي بغداد ، بباب الشماسية ، على نهر المهدي[2] .
وهناك أرحية للماء ، وحوله بساتين وأشجار ونخل . والموضع نزه ، حسن العمارة ، (٤ ب) آهل بمن يطرقه ، وبمن فيه من رهبانه[3] .

وعيد الفصح ببغداد ، فيه منظر عجيب . لأنه لا يبقى نصراني الا حضره وتقرّب فيه[4] ، ولا أحد من أهل التطرب واللهو من المسلمين الا قصده للتنزه فيه . وهو أحد متنزهات بغداد المشهورة ، ومواطن القصف المذكورة .

ولمحمد بن عبدالملك الهاشمي ، فيه[5] :

ولرُبَّ يوم في سمالو تم لي	فيه السرور وغيّبت أحزانُهُ
وأخ يشوبُ حديثهُ بحلاوةٍ	يلتذّ رجعَ حديثه ندمانُهُ
صافي الرَّحيقَ من المدام شرابهُ	والمحسنات من الأوانس شانُهُ

(١) المخطوط : سمالوا ، بألف في الآخر . وعن موضع «سمالو» الاصلي، وما جاء فيه من الاخبار ، راجع الذيل (٤) .

(٢) في صفة هذا النهر ، راجع تاريخ بغداد للخطيب (المقدمة الخططية ص ٧٠ ـ ٧١ طبعة باريس) . وصفة ما بين النهرين وبغداد لابن سرابيون (ص ٢٣ طبعة لسترنج لندن ١٨٩٥) ومعجم البلدان (مادة : دير سمالو) وتاريخ الطبري (٣ : ٣٦٥) .

(٣) بني هذا الدير سنة ١٦٣هـ (٧٧٩م) على ما سيجيء في الذيل ٤ . وظل عامراً نحواً من خمسمائة سنة . وكان آهلا برهبانه فى أيام ياقوت الحموي . وذكر ابن عبدالحق (المراصد ١ : ٤٣٢) ان هذا الدير « خرب ، فلم يبق له أثر » . فيكون خرابه قد حصل في نحو أواسط المائة السابعة للهجرة أو أواخرها .

(٤) تقرب : تناول القربان على مذهب النصارى .

(٥) البيتان الاول والاخير ، وردا في المسالك .

بكرتْ عليَّ به الزيارةُ فاغتدى[٦] طـربـاً اليَّ وسـرَّني اتيانُه
فأمرتُ سـاقينا وقلتُ له اسـقنـا قـد حان وقت شـرابنا وأوانـهُ
فتـلاعبت بعقـولنـا نشـواتُـهُ وتوقَّـدت بخـدودنـا نيرانـهُ
حتى حسبتُ لنا البسـاط سفينةً والديرَ ترقُـصُ حولنا حيطانهُ

ولخالد الكاتب ، فيه :

يا منزل القصف في سـمالو ما ليَ عن طيبكَ انتقـالُ
واهـاً لأيـامـك الخوالي والعيشُ صـافٍ بهـا زلالُ
(٥ أ) تلك حيـاةُ النفوس حقاً وكل مـا دونهـا مُحـالُ

وهو أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب[٧]. وكان مليح الشعر رقيقه ، لا يقول الا في الغزل ، ولا يتجاوز الاربعة أبيات ، ولا يزيد عليها . ولم يكن له شعر في مدح ولا هجاء[٨] .

وذكر ميمـون بن حمـاد ، قـال : دخل عليَّ يوماً أبو عبدالله ابن الأعرابي[٩] ، فقلتُ : يا أبا عبدالله ، سمعتَ من شعر هذا الغُلَيِّم شيئاً ؟

---

(٦) المخطوط : فاعتدى ، بالعين المهملة . والوجه ما في أعلاه .

(٧) توفي خالد الكاتب في سنة ٢٦٢هـ (٨٧٥م) . وأخباره في طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٩٢ـ١٩٣) . والاغاني (٢١ : ٣١ـ٣٨) . وتاريخ بغداد للخطيب (٨ : ٣٠٨ ـ ٣١٤) . والمنتظم (٥ : ٣٥ ـ ٣٩) . ومعجم الادباء (٤ : ١٧١ـ١٧٣) ولخالد «ديوان» شعر ، منه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق .

(٨) في الاغاني (٢١ : ٣٤) شعر لخالد ، يهجو بـه أبا تمـام . وذكـر صلاح الدين المنجد (مجلة المجمع العلمي العربي (١٨ [١٩٤٣] ص ٢٥٤ الحاشية ٣) انه وقف في النسخة المخطوطة من «ديوان خالد» ، على خمس قصائد في المدح .

(٩) نحوي لغوي شاعر راوية حفاظة . مات بسر من رأى سنة ٢٣١هـ (٨٥٤م) . صنف نحواً من عشرين كتاباً ، انتهى الينا منها ، كتاب « أسماء البئر وصفاتها » ، و « أسماء خيل العرب وفرسانها » وقد

قال : من هو ؟ قلتُ : خالد بن يزيد • قال : لا ، واني لأحب ذلك !
فصحْ به • فجاء حتى وقف • فقلت : أنشد أبا عبدالله شيئاً من شعرك •
فقال : انما أقول في شجون نفسي ، لا أمدح ولا أهجو • فقلتُ : أنشده ،
فأنشده[10] •

أقول للسقم ُعدْ الى بدني حُباً لشيء يكون من سَببكْ

فقال ابن الأعرابي : حسبُك يا غلام ! فقد خُيّل الي ان الرقة قد
ُجمعت لك في هذا البيت •

قال جحظة : حدثني خالد الكاتب[11] ، قال : [كنتُ بدير
سمالو ، ف][12] لم أشعر الا ورسول ابراهيم ابن المهدي[13] قد وافاني •
فدخلت اليه ، فاذا برجل أسود مشفراني[14] قد غاص في الفراش ،

طبعا • وترجمته في الفهرست (ص ٦٩) ، ونزهة الالباء (ص ٢٠٧ ــ ٢١٢) ، ومعجم الادباء (٧ : ٥ ــ ٩) ، والوفيات (١ : ٧٠٢ ــ ٧٠٤) ، وبغية الوعاة (ص ٤٢ ــ ٤٣) ، والشذرات (٢ : ٧٠ ــ ٧١) •

(١٠) تاريخ بغداد للخطيب (٨ : ٣١٣) والمنتظم (٥ : ٣٨) •

(١١) المسالك (ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦) وزهر الآداب (٢ : ١٥٨ــ١٥٩ تحقيق زكي مبارك) •

(١٢) الزيادة من المسالك •

(١٣) هو ابراهيم بن الخليفة المهدي العباسي • كان من أفصح أولاد الخلفاء، وأعلم الناس بالغناء والموسيقى والمنادمة • ذكر له ابن النديم مؤلفات في هذه الأمور ، ضاعت جميعها • وكان أسود اللون عظيم الجثة ، وأخباره في الأغاني (٩ : ٤٦ ــ ٧٣) ، (ص ١١٥ ــ ١١٦) ، وأشعار أولاد الخلفاء للصولي (ص ١٧ ــ ٤٩) ، وتاريخ بغداد للخطيب (٦ : ١٤٢ ــ ١٤٨) ، والوفيات (١ : ١٠ ــ ١٢) •

(١٤) المشفراني مبالغة في المشفران ، وهو عظيم الشفتين (الأب أنستاس ماري الكرملي) •

فاستجلسني[١٥] ، فجلستُ . فقال : انشدني شيئاً من شعرك ، [فقلتُ : أيها الامير ، أنا غلام أقول في شجون نفسي ، لا أكاد أمدح ولا أهجو . فقال : ذلك أشدّ لدواعي البلاء][١٦] ، فأنشدته[١٧] :

(٥ب) رأت منه عيني منظرين كما رأت
من البدر والشمس المضيئة بالأرض

عشية حيّاني بوردٍ كأنه
خدودٌ أضيفت بعضهن الى بعض

وناولني كأساً كأن رُضابها
دموعي لما صُدَّ عن مقلتي غَمضي

وولّى وفِعلُ السُّكر في حركاته
من الراح ، فعلُ الريح بالغصن الغضّ

فزحف ، حتى صار في ثلثي المصلّى[١٨] . ثم قال : يا بني ، شبّه الناسُ الخدود بالورد، وشبّهت أنت الورد بالخدود! زدني، فأنشدته[١٩]:

---

(١٥) أي عرض عليّ الجلوس. ولم يذكره أرباب المعاجم ، فهو من المستدرك عليهم (الأب أنستاس ماري الكرملي) .

(١٦) الزيادة من الأغاني (٢١ : ٣٣) .

(١٧) زهر الآداب (٢ : ١٥٨) ، والمسالك (ص ٢٧٦) ، وشرح مقامات الحريري (١ : ٣٣) ، وفوات الوفيات (١ : ١٤٩) ، وعنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد المغربي (ص ٣٦ القاهرة ١٢٨٦هـ) .

(١٨) الزهر : الفراش . والمصلى بمعنى السجادة ونحوها . وراجع بحثاً في « المصلى » لميخائيل عواد « الثقافة ٧ [القاهرة ١٩٤٥] العدد ٣١٧ ، ص ٢٠ — ٢٢ » .

(١٩) الأغاني (٢١ : ٣٣) ، والمنتظم (٥ : ٣٦) ، وزهر الآداب (٢ : ١٥٨) وشرح المقامات (١ : ١٣٣) ، والمسالك (ص ٢٧٦) . والرسالة المصرية لأبي الصلت أمية بن عبدالعزيز الاندلسي . (طبعة عبدالسلام هارون في « نوادر المخطوطات » ١ : ٤٧) . وخريدة القصر للعماد الاصفهاني (قسم شعراء مصر ٣ : ٢٠٦) .

عاتبتُ نفسي في هوا	كَ ، فلم أجدها تقبلُ
وأجبتُ داعيها إليـ	كَ ، ولم أطع من يعذلُ
لا والذي جعل الوجو	دَ لحسن وجهك تمثُلُ
لا قلتُ ان الصبر عنـ	كَ من التصابي أجمَلُ

فزحف ، حتى صار خارج المصلى ، ثم قال : زدني ! فأنشدته[20] :

عِش فحبّيك سريعاً قاتِلي	والضنى ان لم تصلني واصِلي
ظفر الحبُّ بقلبٍ دَنِف	بكَ والسقمُ بجسم ناحل
[فهما بين اكتئابٍ وضنى	تركاني كالقضيب الذابل][21]
وبكى العاذل لي من رحمتي[22]	فبكائي لبكاء العاذل

فصاح[23] وقال : يا بُليق[24] : كم لي معك من العين[25] ؟ قال : ستمائة وخمسون[26] ديناراً ، (٦ أ) قال : اقسمها بيني وبينه ، واجعل الكسر كاملاً للغلام .

---

(٢٠) الأغاني (٢١ : ٣١ و ٣٤) ، وشرح المقامات (١ : ١٣٣ ــ ١٣٤) . وزهر الآداب (٢ : ١٥٨ ــ ١٥٩) ، وتاريخ بغداد للخطيب (٦ : ١٤٧ و ٨ : ٣١٤) ، والمنتظم (٥ : ٣٩) ، والفوات (١ : ١٤٩) ، والمسالك (ص ٢٧٦) .

(٢١) الزيادة من المراجع المتقدمة .

(٢٢) زهر الآداب وتاريخ بغداد والمنتظم وشرح المقامات والفوات: من رحمة، من دون اضافة .

(٢٣) الزهر : فنعر طرباً .

(٢٤) المخطوط : بالمق . وفي الاغاني : يا رشيق .

(٢٥) الزهر : كم معك لنفقتنا ؟ والعين : الذهب المضروب .

(٢٦) الزهر : ثمانمائة وخمسون .

وذكر أحمد بن صدقة المغني(٢٧)، قال(٢٨) : اجتزت بخالد الكاتب يوماً ، فقلت له : إعمل لي أبياتا أغنّي فيها أمير المؤمنين ، يعني المأمون . قال : فأي حظ لي في ذلك ؟ تأخذ [أنت](٢٩) الجائزة ، وأحصل أنا على الاثم ! فحلفت له ، انه إن وصلني بشيء ، قاسمته اياه . فقال لي : أنت أنذل من ذاك ! ولكن أذكره بي ، فلعله يصلني بشيء . قلت : أفعل . فأنشدني :

تقول سلا فمن المدنَف ومَن عينه أبداً تذرف
ومن قلبُه قلق خافق عليكَ وأحشاؤه ترجف

فحفظت الشعر ، وعملت فيه لحناً ، وحضرنا عند المأمون من الغد [مع المغنين] . وكان بينه وبين بعض حظاياه هجرة . فوجَهت اليه بتفاحة [عنبر] مكتوب عليها(٣٠) بالغالية(٣١) : « يا سيدي سلوتَ » . [وما علم الله اني عرفت شيئاً من الخبر . وانتهى الدور اليّ] وابتدأت اغني بشعر خالد . فلما غنيته اياه ، [احمر وجه المأمون و] انقلبت عيناه ، ودارتا في أم رأسه ، وظهر الغضب في وجهه ، وقال : لكم على حرمَي أصحاب أخبار(٣٢) ؟ فقمت إعظاماً لما شاهدت منه ، وقلت : أعيذ أمير المؤمنين بالله أن يظن بعبده هذا الظن ، وأنزّه داره أن يكون لأحد عليها صاحب خبر !

---

(٢٧) طنبوري حاذق ، حسن الغناء ، محكم الصنعة . اشتهر في أيام المتوكل ، ونال بفنه حظوة لدى الناس . وأخباره في الأغاني (١٩ : ١٣٧ ــ ١٣٩) ونهاية الارب (٥ : ٣٣ ــ ٣٥) .

(٢٨) الاغاني (١٩ : ١٣٨) ونهاية الارب (٥ : ٣٣ ــ ٣٤) .

(٢٩) الزيادات من الاغاني .

(٣٠) الاغاني : مكتوب عليها بالذهب .

(٣١) الغالية ضرب من الطيب الفاخر ، وفي نهاية الارب للنويري (١٢ : ٥٢ ــ ٦٠) من أحسن ما ورد فيها .

(٣٢) أصحاب الاخبار : الجواسيس .

قال : فمن أين عرفتَ خبري (٦ ب) مع جاريتي حتى غنيت في معنى ما بيننا ؟ [فحلفتُ له اني لا أعرف شيئاً من ذلك] ، وحدثته حديثي مع خالد . فلما انتهيت الى قوله : أنتَ أبذل(٣٣) من ذاك ! قال : أشهد أنك كذاك ، وأسفر وجهه . وقال : ما أعجب هذا الاتفاق ! وأمر لي بخمسة آلاف درهم ، ولخالد بمثلها .

ومن مليح شعر خالد(٣٤) :

كبدُ المستهام كيف تذوبُ … ما تقاسي من العيون القلوب

بدن المستهام كيف تراهُ … شجنٌ ما له سواهُ طبيب

أين أين الرقاد يا مقلتَيَ مَن … حرٌ أحشائه عليه رقيب

يا مكان الهوى خلوتَ من الصبـ … ـر ، فما للسُلو فيك نصيب

ومن مليح شعره(٣٥) :

ولم أدر ما جُهدُ الهوى وبلاؤهُ … وشدتُهُ حتى وجدتُك في قلبي

أطاعكَ طرفي في فؤادي ، فحازهُ … لطرفِك حتى صار في قبضة الحب

ومن شعره ، وفيه لحنٌ :

قد استعار الحسنُ من وجهه … والغصن الناعمُ من قدّه

لقد تعاتبنا بأبصارنا … فيما جَناه الخُلف من وعده

حتى تجارحنا بتكرارنا … للّحظ في خدّي وفي خدّه

(٧ أ) وله أيضاً :

---

(٣٣) المخطوط : اندل . وقد تقرأ : أنذل . وفي الاغاني : أنزل .

(٣٤) البيتان الاول والرابع ، وردا في المسالك (ص ٢٧٦) نقلا عن الشابشتي .

(٣٥) ورد في المسالك (ص ٢٧٦) نقلا عن الشابشتي أيضاً .

ما على الغ [ضبان لو كان][36] رضي — ورثى لي من تمادي مرضي
قال لي لما [شككـ][37]ـيت الهوى — إحمد الله كذا كان قُضي
قلت : حاشى الله أن يقضي بذا — بل قضاه صاحب الوجه الوضي
أنت شرّدت رقادي ظالماً — فاجعل الانصاف منه عوضي

وله أيضاً[38] :

رحلتم ، فكم من أنةٍ بعد زفرةٍ — مبيّنةٍ للناس شوقي اليكم
وقد كنت اعتقت الجفونَ من البكا — فقد ردّها في الرق حزني عليكم

وله أيضاً :

زارني في مُوردٍ مثل خدّيـ — ـه وعقد فصوله الكافور
ليلة لم يكن سوى قصر الليـ — ـلة فيها عيب ولا تقصير[39]

قال جحظة : كنت يوماً عند عبدالله بن المعتز[40] ، فطلبت نعلي ، فلم أجده ، فجعلت أقول :

يا قومُ مَن لي بنعلي — أو في مُصحَفٍ نعلِ

فسار هذا البيت حتى رواه الصبيان[41] .

قال : ودعاني عبيدالله يوماً ، (٧ ب) فابطأت عنه ، فكتب اليَّ :

---

(٣٦) و (٣٧) في المخطوط ثلمة . وما بين العضادتين ، للدكتور صلاح الدين المنجد . وهو توجيه حسن .
(٣٨) معجم الادباء (١ : ٣٩٤) .
(٣٩) هذا البيت مضطرب .
(٤٠) من أقطاب الادب والشعر في العصر العباسي . تولى الخلافة ببغداد يوماً واحداً ، ثم قتل عقيب ذلك ، في سنة ٢٩٦هـ (٩٠٨م) . ألف كتباً عديدة انتهى الينا بعضها . وترجمته في : الاغاني (٩: ١٣٥ ـ ١٣٩) والوفيات (١ : ٣٦٥ ـ ٣٦٧) والفهرست (ص ١١٦) ونزهة الالباء (ص ٢٩٩ ـ ٣٠١) وتاريخ بغداد للخطيب (١٠ : ٩٥ ـ ١٠١) والمنتظم (٦ : ٨٤ ـ ٨٨) .
(٤١) الحكاية ، وردت على غير هذا الوجه في « بدائع البدائه » (ص ٤١).

لا تهجر الأمراء من بعدوا[٤٢] على فرس الحـ [٤٣] قيراط

فكتب اليه جحظة :

من كان خادمَ مثلكم فجواده فرس الحفاء ودَينُه طسُّوج

قال جحظة : كنت أعشق جارية في القيان[٤٤] ، يقال لها شَروين • فسكرت عندي ليلةً ، فخرئت في سطلي وحُميديتي[٤٥] وانصرفت • فكتب اليَ الهُداهدي :

قد زارني خلٌ أسرُّ به ... حلو الشمائل راجح العقل

فبحقّ شروين التي خرئت ... في الطست والابريق والسطل

إلا أتيتَ مبادراً عجلاً ... وأرحت من نكد ومن مطل

حتى أراك اذا سكرتَ وقد ... شاركتها في ذلك الفعل !

ولجحظة ، الى ابن طرخان يدعوه[٤٦] :

لنا يا أخي زَلةٌ[٤٧] وافره ... وقدرٌ معجّلة حاضره

وما شئت من خبز طيب ... ونادرة بعدها نادره

وراحٍ تريك اذا صُفّقت ... سنا البرق في الليلة الماطره

---

(٤٢) لعل الاصل : يعدو •

(٤٣) في ورقة المخطوط : ثلمة •

(٤٤) القيان ، واحدتها القينة : الامة أو الجارية ، مغنية كانت أم غير مغنية •

(٤٥) قال الاب أنستاس ماري الكرملي ، في معجمه المخطوط « المساعد » مادة : « خدم » : « الخلمية : بكسر الخاء وتضم : المتفلة أو المبزقة • وهي من الفارسية خلم ، أي المخاط • وجاء في بعض الكتب خلميدية ، من فعل خلميدن أي مخط ، وصحفها آخرون بصورة حميدية • وفي العربية يقال : متفلة ومبصقة » ا • هـ •

(٤٦) وردت باختلاف في الترتيب ، في معجم الادباء (١ : ٣٨٨) •

(٤٧) الزلة : الوليمة (ج : الزلات) •

ومحسنةٍ لم يخنْهـا الصواب وزامـرةٍ أيمـا زامـره
[فايت ولو كنت يا ابن الكرام وحاشاك من ذاك في الآخره][48]

(٧أ) لست[49] أدري أين الفؤاد مقيماً يا مكان الفؤاد ، أين الفؤاد ؟
دفعته الأحشاء عما يليها فأذابته حرقة واتقاد

وله :

نأيتَ فلم ينأ عنه الضَّنى وعُدتَ فعاد الى نكسه
وفارقه الصبر في يومه لما فاته منك في أمسه
ومستوحش آنس بالبكاء على قلبه وعلى إنسه
يرقُّ هواه لأحشائه ويرثي له الشوق من نفسه[50]

---

(٤٨) الزيادة من معجم الادباء ٠
(٤٩) لعل البيت كان مسبوقاً بلفظة : « وله » ٠ فانه يخالف ما قبله وزناً وقافية ٠ هذا ان لم يكن قد سقط من المخطوط ورقة أو أكثر ٠
(٥٠) كان يجب أن يكون البيتان الأخيران مقدّمين على ما سبقهما ٠

دير الثعالب[١]

وهذا الدير ببغداد ، بالجانب الغربي منها ، بالموضع المعروف بباب الحديد . وأهل بغداد يقصدونه ويتنزهون فيه ، ولا يكاد يخلو من قاصد وطارق . وله عيد[٢] لا يتخلف عنه أحد من النصارى والمسلمين .

وباب الحديد ، أعمر موضع ببغداد وأنزهه : لما فيه من البساتين والشجر والنخل والرياحين ، ولتوسّطه البلد وقربه من كل أحد . فليس يخلو[٣] من أهل البطالات ، ولا يخلّ به أهل المتطرّب واللذاذات . فمواطنه أبداً معمورة ، وبقاعه بالمتنزهين مشحونة .

وقد قالت الشعراء (٨ ب) في الدير وباب الحديد وقبرونيا[٤] ،

---

(١) لنا كلام على هذا الدير ، في الذيل (٥) .

(٢) قال البيروني (الآثار الباقية عن القرون الخالية . ص ٣١٠ ليبسك ١٨٧٨) في كلامه على أعياد النصارى : « .. عيد دير الثعالب ، هو آخر سبت من أيلول ، الا أن يكون أول تشرين الأول من السنة الآتية يوم الأحد ، فيتأخر العيد اليه ويخرج من أيلول ، فتتعرى تلك السنة ويتكرر في الآتية مرتين : في أولها وآخرها » .

(٣) المخطوط : يخلوا .

(٤) كذا ما في المخطوط ، بقاف في أوله . والمراجع العربية القديمة لم تذكر هذا الموضع . وفي كتاب « أعمال الشهداء والقديسين » (٣ : ٣٢٢ــ٣٤٤ طبعة بيجان بالسريانية ، ليبسك ١٨٩٢) ، و « أبطال الايمان » لشيخو (ص ٣٤) : ترجمة لقديس اسمه « قبرينا » أو «قبريانوس» ، وهوالمعروف عند الكتبة الغربيين باسم (Cyprianus) وقد قتل سنة ٢٥٨م . فان صح أن يكون هذا الموضع قد عرف باسمه ، زال اللبس في هذه التسمية. والا فلعلها محرفة من«فبرونيا» بفاء في أوله . وهي قديسة شهيرة معروفة عند النصارى شرقاً وغرباً (St. Febronia) قتلت نحو سنة ٣٠٩م . أنظر ترجمتها في كتاب بيجان المذكور (٥ : ٥٧٣ ــ ٦١٥) ، وسيرة أشهر شهداء المشرق للمطران أدي شير (١ : ١١٢ ــ ١٤٢ الموصل ١٩٠٠) ، وتاريخ

فأكثروا ، ووصفوا حسن تلك المواضع فأطنبوا .

ولابن دِهقانة الهاشمي ، فيه[5] :

دير الثعالب مألفُ الضلّال	ومحلُّ كل غزالةٍ وغزال
كم ليلة أحييتها ومُنادمي	فيها أُتيحَ[6] مقطّع الاوصال
سمحٌ يجود بروحه فاذا مضى	وقضى سمحت له وجُدتُ بمالي
ومنعم دين ابن مريمَ دينُه	غنجٌ يشوب مُجونه بدلال
سقّيته وشربت فضلة كأسه	فشربت من عذب المذاق زلال

وابن دهقانة هذا ، من ولد ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، ويعرف بأبي جعفر محمد بن عمر . وله شعر مليح . وذكر جحظة انه أنشده[7] :

أحينَ قطعتُ لك الواصلين	وجُدت عليك ولم أبخل
غدرت وأظهرت لي جفوةً	وجُرت عليّ ولم تعدل ؟
أ أطمع في آخر من هواك	ولم ترعَ لي حرمة الأول ؟

وذكر جحظة ، انه كان والي البصرة في أيام الزنج ، وانه أخذ من الناجم بها ثلاثين ألف دينار ، وسلم اليه البصرة. وكان جحظة (٩ أ) يكثر [المكث] عنده ولا يغبّه . قال : فتأخرت عنه في وقت من الأوقات ، لعارض عرض لي ، فوجّه الي يدعوني ، فكتبت اليه : أنا والله عليل !

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحمَ والدما

كلدو واثور لأدي شير (٢ : ٥٨ ـ ٥٩ بيروت ١٩١٣) . على اننا لا نقطع فى نسبة الموضع الى هذه التسمية أم الى تلك .

(٥) معجم البلدان (٢ : ٦٥٠) .

(٦) معجم البلدان : أبح .

(٧) المسالك (ص ٢٧٧) .

فوجّه اليّ بخمسين ديناراً وخلعة ، وقال : هـذا يزيل العلة ، وبحياتي الا جئتني ! فمضيت اليه .

وذكر جحظة ، انه كان ينادم المعتمد والموفق ، وكان عظيم الخلق ، ثقيل الجسم ، وكان اذا قام الخليفة ورجع ، وقام الندماء ، نام هو ، وقال : هذا عوض القيام لما لم يكن يقدر عليه . وكان أكولا ، فكان يقول : قد أكلت حتى زمِنت[8] ، وأريد آكل حتى أموت !

ومن شعره :

فلو أن في جزعي راحةً لأصبحت أجزعَ من يجزعْ

سأصبر جهدي على ما ترى وإن عِيلَ صبري، فما أصنع؟

وللناشيء[9] ، يذكر باب الحديد وقبرونيا :

ما جليدٌ[10] يوم النوى[11] بجليد بعدت والمزار غير بعيد

خبّرت عن ضميرها عبراتٌ صرن عوناً على الفؤاد العميد

(٩ب) يا ليالي اللذّات بالله عودي بين قبرُونيا وباب الحديد

بين تلك الرُبى وقد نسج الوبل[12] بكف الربيع رَيط[13] البرود[14]

---

(٨) المخطوط : رمت .

(٩) هو الناشيء الاكبر أبو العباس عبدالله بن محمد الانباري ، المتوفى بمصر سنة ٢٩٣هـ (٩٠٥م) ، كان شاعراً مجيداً وترجمته في تاريخ بغداد للخطيب (١٠ : ٩٢ ــ ٩٣) والمنتظم (٦ : ٥٧ــ٥٨) والوفيات (١ : ٣٧٢ ــ ٣٧٣) والشذرات (٢ : ٢١٤ ــ ٢١٥) .

(١٠) الجليد : ذو القوة والصبر .

(١١) النوى : البعد .

(١٢) الوبل : المطر الشديد .

(١٣) الريط : مفردها الريطة ، وهي الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً أو هي كل ثوب يشبه الملحفة .

(١٤) البرود جمع برد : هو الثوب المخطط ، وخص به الوشي .

خدُّه ضدُّ صدغه[١٥] مثل ما الوعـ ـد اذا ما اختبرت ضدُّ الوعيـد

طلب الطبل طايلات من السزّ ـر وعاد السرور اذ عاد عودي

ومن رقيق شعره[١٦] :

لم أسلُ عنكَ ولم أخنْكَ ولم يكن في القلب مني للسلوّ مكان

لكن رأيتُكَ قد مللت مودّتي فعلمت انّ دواءك الهجران

---

(١٥) الصدغ : ما بين العين والاذن · وهما صدغان ·

(١٦) وردا في ديوان العباس بن الاحنف · (تحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجي · القاهرة ١٩٥٤ ؛ ص ٢٧٥) ·

دير الجاثليق[1]

وهذا الدير ، يقرب من باب الحديد . وهو دير كبير ، حسن ، نزه ، تحدق به البساتين والاشجار والرياحين . وهو يوازى دير الثعالب في النزهة والطيب وعمارة الموضع ، لأنهما في بقعة واحدة . وهو مقصود مطروق ، لا يخلو من المتنزهين فيه والقاصدين له . وفيه رهبانه وفتيانه[2] ومن يألفه من أهل الخلاعة والبطالة .

وقالت الشعراء فيه ووصفته . ولمحمد بن أبي أمية الكاتب فيه (٥١أ)، وفيه لحنٌ خفيف رَملٌ :

لهفي على قمرٍ في الدير مسجون	في صورة الانس ، في مكر الشياطين
والله ما أبصرت عيني محاسنَه	الاّ خرجتُ له طوعاً من الدين

وله في هذا الدير أيضاً[3] :

تذكرت دير الجاثليق وفتيةً	بهم تمَّ لي فيه السرور وأسعفا
بهم طابت الدنيا وتم سرورها	وسالمني صرف الزمان وأنصفا
ألا ربَّ يوم قد نعمتُ بظله	أبادر من لذات عيشي ما صفا
أغازل فيه أدعج الطرف أهيفا	وأُسقى به مسكية الطعم[4] قرقفا[5]
فسقياً لأيام مضت لي بقربهم	لقد أوسعتني رأفةً وتعطفا

(١) الجاثليق لفظ يوناني (Catholicos) معناه « العمومي » . والمراد به ، الرئيس الديني الاعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك الساسانيين والخلفاء العباسيين (ج : الجثالقة) . ويقابله في وقتنا هذا «البطريرك» (Patriarch) .

(٢) المخطوط : فتيا نه .

(٣) نقلها ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦٥١) عن الشابشتي ، بتغيير .

(٤) لعل الاصل : مسكية الفغم . وفي معجم البلدان : مسكية الريح .

(٥) القرقف : من أسماء الخمر .

وتعساً لأيام رمتني ببينهم[٦] ودهرٍ تقاضاني الذي كان أسلفا

ومحمد بن أمية هذا ، أحد المتقدمين في الشعر ، رقيق الطبع ، حسن التصرف فيه ، غريب المعاني . وأكثر شعره في الغزل . وكان هو وعلي أخوه يكتبان للفضل ابن الربيع . وهو عم أبي حشيشة الطنبوري[٧] .

ومن مليح شعره[٨] :

رأيتُك حليَتي دنيا ودين حياةً للضَّجيع وللقرين

(١٠ب) بدا لي بعدما سَبقت يميني بهجرك أن أكفّر عن يميني

وله[٩] :

لم أسلُ عنك ولم أخنك ولم يكن في القلب مني للسُلوّ مكان

لكن رأيتكَ قد مللت مودّتي فعلمت ان دواءك الهجران

ومن رقيق شعره :

يا غريباً يبكي لكل غريب لم يذُق قبلها فراق حبيب

عزّهُ الصبر فاستراح الى الدّمع ، وفي الدمع راحة للقلوب

ليت يوماً أراكَ فيه كما كنتَ قريباً ، فاشتكي من قريب

---

(٦) البين : الفرقة .

(٧) شاعر أديب ظريف ، طنبوري حسن المعرفة بصنعة الغناء . خدم جماعة من الخلفاء العباسيين ، أولهم المأمون ، ثم من بعده الى المعتمد. وترجمة أخباره ، في الفهرست (ص ١٤٥) ، ومعجم الشعراء (ص ٤٢٧) ، وتاريخ بغداد للخطيب (٣: ٥٧) ، ونهاية الأرب (٥ : ٣٥) .

(٨) المسالك (ص ٣٠٩) .

(٩) سبق للمؤلف ايراد هذين البيتين في آخر الكلام على «دير الثعالب». وقد نسبهما هناك الى غير ابن أبي أمية .

ولـــه[10] :

رب يوم[11] منك لا أنساه لي　　أوجب الشكـر وان لم تفعـل

أقطـع الدهرَ بظـن حســنٍ　　وأجلّـى غمــرةً ما تنجـلي

وأرى الأيـام لا تُـدني الذي　　ارتجي منـك وتدنـي أجلـي

كلمـــا أمَّلت يوماً صالحـــاً　　عَرض الهجرانُ دون الأمـل

ومن نادر شعره :

لأقيمن مـأتمـاً عن قريب　　ليس بعد الفراق غير النحيب

(١١أ) ظلمتْني فيك الخطوب فلم أقـ　　ـوَ علـى أن أردّ ظلم الخطوب

ربّ ما أوجع الهوى للقلوب　　لا ولا سـيما فراق الحبيب

لم أكن أعرف الفراق فأقدم　　تُ عليـه غرّاً بلا تجريب

وله أيضاً :

اليـوم أثكلني صـبري فراقـكمُ　　كذاكَ أعظـم شيء فقدُ معشـوق

قد كنت في فسحةٍ من قبلِ بَيْنِكم　　فاليوم صرت من الأحزان في ضيق

واغتالني زمـنٌ قـد كنت آمنـــه　　تعسـاً لغـدرته من بعـــد توثيق

إني على العهد لم أنقض مودّتكم　　يا مَن يرى حسنـاً نقض المواثيق

ولـــه :

ما ذاقت النفس على شهوةٍ　　ألذّ من ودّ صديق أمـين

من فاتـه ودُّ أخٍ صـالـح　　فذلك المغبـون حقّ اليقـين

---

(١٠) تاريخ بغداد للخطيب (٢ : ٨٦) والاغاني (٣ : ١٦٣) وانظر البيت الأول في الأغاني أيضاً (١٢ : ٣١) ٠

(١١) تاريخ بغداد : رب قـول ٠ الأغاني : ربّ وعـدٍ ٠ وهي أحسن الروايات ٠

وله ، وهو من مليح شعره :

فيا شوق لا تَنفد ، ويا دمع فِض وزد
ويا شوق راوح بـين جنبٍ الى جنب

ويا عاذلي لُمني ، ويا عابد افتني[١٢]
عصيتُكمـا حتى أغيَّب في التـرب

اذا كـان ربّي عالمـاً بسـريـرتي
فمـا النـاس في عيني بأعظـم من ربي

(١١ب) وله يصف روضة :

في جنـانٍ كأنمـا نُشرت فـو ق ثـراهـا حريرة خضـراء
أعينُ النرجس الجنيّ نجومٌ واخضرار الرياض فيهـا سماء
للثـرى تحتهـا سُبات وللمـا ء خريـرٌ وللغصـون غنـاء

ولـــه :

فها أنا مُغضٍ في رضاكَ وصابرٌ على مثل مصقول الذُبابَين قاضب
ومنتزح عمـا كرهتَ وجـاعـلٌ رضـاك مثـالاً بين عيني وحاجبي

ولـــه :

كم فرحـةٍ كانت وكم ترحـة تخرّصتْهـا لي فيـك الظنون
اذا قلـوبٌ أظهرت غـير مـا تُضمره أنبتْك عنهـا العيـون

ولـــه :

يُصعِّـد في الحشـا نفَسـا ويسـهـرُ ان فتـىً نعســـا
يظـلُ بعـالـج الزفـرا ت ان أغفـى وان جلســـا

غــــذا بالشــوق مهجتـــه وعلــلَ نفســـه بعَســـى
محبٌّ صيَّـــر الشــكوى الى جلســـائه أُنســـــا

(١٢ أ) وكان أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري[١٣] ، يختـم أماليه في مجالسه بمقطوع من شعر ابن أبي أمية ، استحساناً له واستعذاباً لألفاظه ، ويقرّظه دائماً ويصفه .

---

(١٣) نحوي لغوي أديب. مات سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م). وقد أربت مصنفاته على ثلاثين ، انتهى الينا بعضها . وترجمته في : الفهرست (ص ٧٥) وتاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٨١ ـ ١٨٦) ونزهة الالبـاء (ص ٣٣٠ ـ ٣٤٢) ومعجم الأدباء (٧ : ٧٣ ـ ٧٧) والوفيات (١ : ٧١٨) وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢ : ٥٧ ـ ٥٩) والبغية (ص ٩١ـ٩٢). وقد نوهنا بخزانة كتبه في « خزائن الكتب القديمة في العراق » (ص ٢١٥ ـ ٢١٦) .

دير مديان[1]

وهذا الدير على نهر كَرْخايا ببغداد . وكرخايا نهر يشق من المُحوَّل الكبير ويمر على العباسية[2] ، ويشق الكرخ ، ويصب في دجلة[3] ، وكان قديماً عامراً ، والماء فيه جارياً ، ثم انطمّ وانقطعت جريته بالبثوق[4] التي انفتحت في الفرات .

وهو دير حسن ، نزه ، حوله بساتين وعمارة ، ويُقصد للتنزه والشرب ، ولا يخلو من قاصد وطارق ، وهو من البقاع الحسنة النزهة . وللحسين بن الضحاك[5] ، فيه[6] :

حُثَّ المدام فان الكأس مترعة مما يهيج دواعي الشوق[7] أحيانا

---

(١) في معنى اسم هذا الدير ، راجع الذيل ٧ .

(٢) من محلات الجانب الغربيمن بغداد القديمة . (المقدمة الخططية لتاريخ بغداد للخطيب ص ٤٣ ، ومعجم البلدان ٣ : ٦٠٠) .

(٣) في المقدمة الخططية (ص ٦٦ ــ ٦٨) ايضاح واف عن «نهر كرخايا» وما يتفرع منه . وراجع أيضا ابن سرابيون (ص ٢٤ــ٢٥) ومعجم البلدان (٤ : ٢٥٢) ومناقب بغداد المنسوب لابن الجوزي (ص ١٩) .

(٤) المخطوط : بالشوق . والبثوق جمع بثق . موضع الكسر من الشط .

(٥) شاعر ماجن مطبوع.جالس الخلفاء وصحب منهم الأمين ومن بعده الى المستعين.وهو في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين. وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته . مات ببغداد سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤م) . وترجمته في : الأغاني (٦ : ١٦٥ ــ ٢٠٥) ومعجم الأدباء (٤ : ٣٠ ــ ٣٨) والوفيات (١ : ٢١٧ ــ ٢١٨) .

(٦) معجم البلدان (٢ : ٦٩٤) والمسالك (ص ٢٧٨ و ٣٥٥) والصبوح والغبوق للنواجي (مخطوط في خزانتنا . ص ٣٥) والأغاني (٦ : ١٨٩) ومعجم ما استعجم (ص ٣٦٢) وأشعار الحسين بن الضحاك . (تحقيق عبدالستار أحمد فراج (بيروت ١٩٦٠ ، ص ١١٥ ــ ١١٦) .

(٧) يعلو لفظة « الشوق » في المخطوط ، كلمة « الحزن » .

اني طربتُ لرهبانٍ مجاوبةٍ بالقدس[٨] بعد هدوّ الليل وهبانا
فاستنفرت شجناً[٩] مني ذكرت به كرخَ العراق وإخواناً وأشجانا
فقلتُ ، والدمع في عيني مطّردٌ والشوق يقدح في الأحشاء نيرانا :
يا دير مُديان ، لا عرّيت من سكن ما هجتَ من سقم يا دير مديانا
(١٢ب) هل عندك قسّك من علم فيخبرني ان كيف يُسعد وجهُ الصبر من بانا
سقياً ورعياً لكرخايا وساكنه بين الجنينة والروحاء[١٠] من كانا

قال : كان أبو علي بن الرشيد ، يلازم هذا الدير ويشرب فيه . وكان له قيان يحملهنّ اليه ، ويقيم به الأيام ، لا يفتر عزفاً وقصفاً ، وكان شديد التهتك ! وكان من يجاور الموضع يشكون ما يلقونه منه . فانتهى الخبر الى اسحق بن ابراهيم الطاهري[١١] ، وهو خليفة السلطان ببغداد. فوجه اليه يقبّح له فعله ، وينهاه عن المعاودة لمثله . فقال : « وأيُّ يد لاسحق عليّ ؟ وأي أمر له فيّ ؟ أتراه يمنعني من سماع جواريّ ، والشرب بحيث أشتهي ؟ » . فلما أتاه هذا القول منه أحفظه[١٢] وتمهّل ، حتى اذا كان الليل ، ركب الى الموضع ، وأحاط به من جميع جهاته ، وأمر أن يُفتح باب الدير ، وينزل به على الحال التي هو عليها . فأنزل وهو سكران في ثياب مصبغة ، وقد تضمخ بالخلوق[١٣] . فقال

---

(٨) القدس : صدر الكنيسة ، أو المذبح فيها . وهو مجتمع القسوس والشمامسة فيها .
(٩) المخطوط : فاسفرت سحنا .
(١٠) الروحاء : قرية من قرى بغداد ، على نهر عيسى ، قرب السندية (معجم البلدان ٢ : ٨٢٩) .
(١١) مات سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩م) وسيروي الشابشتي كثيراً من أخباره في هذا الفصل .
(١٢) أحفظه ، بمعنى أغضبه .
(١٣) الخلوق (بفتح الخاء وضم اللام) : ضرب من الطيب ، يتخذ من الزعفران وغيره ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة (التاج ٦ : ٣٣٧) .

[له][14] : « سوءة لك ! رجل من ولد الخلافة على مثل هذه الحال ؟ » . ثم أمر ، ففُرش بساط على باب الدير ، وبطح عليه ، وضربه عشرين درة[15] ، وقال : « ان أمير المؤمنين لم يولّني خلافته حتى أضيع الامور وأهملها ، ولا حتى أدعك (١٣ أ) وغيرك من أهله تعرّونه[16] وتفضحونه وتخرجون الى ما خرجت اليه من التبذّل والشهرة وهتك الحرمة[17] واخراجهنّ الى الديارات والحانات . وفي تأديبك صيانة للخلافة ، وردع لك ولغيرك عن هذه الفضيحة » . ثم أمر بعمّاريّات[18] كانت معه ، فأركب فيها مع حُرمه ، وردّه الى داره . فبلغ ذلك المعتصم ، فكتب اليه يصوّب رأيه وفعله ، ويأمره أن لا يرخّص لأحد من أهل بيته في مثله .

وأم أبي علي هذا ، تعرف بشكل . وكان الرشيد قد اشتراها وصاحبةً لها تعرف بشذر[19] في يوم واحد . فحملت شذر وولدت أم أبيها[20] ؛ فحسدتها شكل ، وبلغ بها الحسد الى أمر عظيم من العداوة ؛ حتى اشتهر ذلك . وحملت شكل وولدت أبا علي . وماتت أمّاهما ؛ وبقيت العداوة

---

(١٤) زيادة اقتضاها السياق .

(١٥) الدرة : السوط يضرب به (ج : درر) .

(١٦) تعرونه ، من العر والمعرة : تدخلون عليه مكروهاً تلطخونه به .

(١٧) لعله « الحرم » جمع حرمة . وسيأتي بعد سطرين قول المؤلف « .. فأركب فيها مع حرمه » .

(١٨) العماريات ، مفردها العمارية : نوع من القبة ، يوضع على بغل ، ويقعد فيه رجلان ، كل منهما في جانب . وتسمى اليوم في العراق : الكجاوة .

(١٩) سماها الطبري في تاريخه (٣ : ٧٥٨) : شذرة .

(٢٠) ذكرها الطبري (٣ : ٧٥٨) وابن الاثير في الكامل (٦ : ١٤٨) . وقد ظلت هذه التكنية معروفة بين بعض النساء حتى المائة الثامنة للهجرة (الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١ : ٥٤٤) .

بين أبي علي وأم أبيها ، حتى بلغ الأمر الى أن تهاجيا بالأشعار ، وشاع أمرهما في جميع آل الرشيد ! فلما قتل الأمين[٢١] ، وورد المأمون الى بغداد ، جلس يوماً وعمه ابراهيم بن المهدي وأبو اسحق أخوه[٢٢] والعباس ابنه ، وتذاكروا العداوة التي بين هذين . فقال : لقد سمعت بخبر عداوتهما بخراسان ، ولقد هممت أن أصلح بينهما . ووجّه فأحضر أم أبيها ، وأقبل يعاتبها وهي (١٣ب) مطرقة لا تردُّ جواباً . ثم أمر باحضار أبي علي . فلما رأته أم أبيها ، تنقّبت وسترت وجهها . فقال المأمون : كنت مسفرةً ، فلما حضر أخوك تنقبت ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين ، لَسفوري بين يدي عبدالله بن طاهر[٢٣] وعلي بن هشام[٢٤] أوجبُ من سفوري لأبي علي ! فو الله ، ما هو لي بأخ ولا للرشيد بابن ! وقد قال الله عز وجل في قريش : « الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »[٢٥] . قال ابن عباس : « آمنهم من البرص والجذام » ، وهو والله أبرص ، وما هو إلا ابن فلان الفرّاش ! فأمر المأمون أخاه أبا اسحق ، فجلدها حداً[٢٦] . فقالت : « سوءةً يا أمير المؤمنين أن تحدّ

---

(٢١) كان ذلك سنة ١٩٨هـ (٨١٣م) .

(٢٢) هو « المعتصم بالله » ، وقد تولى الخلافة بعد المأمون .

(٢٣) هو عبدالله بن طاهر بن الحسين ، أمين خراسان وأجل أعمال المشرق وولي مصر من قبل المأمون . مات سنة ٢٣٠هـ (٨٤٤م) وسترد أخباره في موضوع « دير العذارى » من هذا الكتاب وأخباره مستوفاة في تاريخ الطبري (فهارسه) ، والولاة والقضاة للكندي (ص ١٨٠ـ ١٨٤) ، والاغاني (١١ : ١١ ـ ٢٣) ، والفهرست (ص ١١٧) والوفيات (١ : ٣٦٩ ـ ٣٧١) ، والنجوم الزاهرة (٢ : ١٩١ ـ ٢٠٤) .

(٢٤) من قواد الدولة العباسية . قتله المأمون سنة ٢١٧هـ (٨٣٢م) « تاريخ الطبري ٣ : ١١٠٧ » .

(٢٥) سورة قريش . الآية ٤ .

(٢٦) هو حد القذف : أي تأديب المذنب بما يمنعه ويمنع غيره عن اتيان الذنب (ج : الحدود) .

اختك لابن الفراش ، وسننت على بنات الخلفاء الحد ! فو الله ، لقد ظننت ان أمره يستتر ، فأمّا الآن فو الله ليتناقلنه[٢٧] الرواة وليُتحدثن به الى أن تقوم الساعة ! » . ونهضت فقال المأمون : قاتلها الله ! فلو كانت رجلاً لكانت أقعدَ [٢٨] بالخلافة من كثير من الخلفاء ! وقلد أبا علي الصلاة على جنائز أولاد الخلفاء ليدرأ عنه العيب[٢٩] .

ونرجع الى ذكر اسحق بن ابراهيم ، ونورد طرفاً من أخباره ، في حزمه وضبطه ، بقدر ما يليق بالكتاب .

اسحق هذا ، هو ابن أخي طاهر (١٤ أ) ابن الحسين ، ويكنّى أبا الحسن . وكان المأمون اصطنعه وولاه خلافة عبدالله بن طاهر بحضرته لما أخرج عبدالله الى خراسان ، وكان أشد الناس تقدماً عنده واختصاصاً به .

فذكر عبدالله بن خُرْداذبه ، انه حضر مجلس المأمون يوماً ، وقد عرض عليه أحمد بن أبي خالد رقاعاً ، فيها رقعة قوم متظلمين من اسحق بن ابراهيم . فلما قرأها المأمون ، أخذ القلم وكتب على ظهرها : « ما في هؤلاء الأوباش إلا كل طاعن واشٍ ! اسحق غرسي بيدي ، ومن غرسته أنجب ولم يخلف ، لا أُعدي[٣٠] عليه أحداً . ثم كتب الى اسحق رقعة، فيها : « من مؤدبٍ مشفق الى حصيف متأدب . يا بني ، من عزّ تواضع ، ومن قدر عفا ، ومن راعى أنصف ، ومن راقب حذر . وعاقبة الدالة غير محمودة ، والمؤمن كيّس فطن . والسلام » .

---

(٢٧) المخطوط : لساقلنه .

(٢٨) المخطوط : أقعد ، بالرفع .

(٢٩) في هامش المخطوط ، بخط رديء : « ألا رحم الله أمير المؤمنين عبدالله المأمون ، ما كان أوسع علمه وأغزر عقله في أمره ، وتقليده لأبي علي في الصلاة على الجنائز من أولاد الخلفاء » .

(٣٠) يقال : أعدى فلاناً على فلان ، اذا نصره وأعانه وقواه .

وولي اسحق للمأمون ، ثم للمعتصم ، ثـم للواثق ، ثم للمتوكل • ومات في أيام المتوكل • فأقام محمداً ابنه مكانه ، فلبث يسيراً ومات • فاستدعي محمد بن عبدالله بن طاهر من خراسان ، ورد اليه ما كان الى اسحق •

وذكروا ان بعض ولد الرشيد ــ وكان له موضع من النسب ومكان من المعرفة والأدب ــ مرض ببغداد مرضاً طال ، ولم يقدر على الركوب (٤١ب) واشتهى التفرج والتنزه في الماء • فأراد أن يبني زلالاً[٣١] يجلس فيه ، فمنعه اسحق ، وقال : « هذا شيء لا نحب أن يعمل مثله إلا بأمر أمير المؤمنين وإذنه » • فكتب الى المعتصم يستأذنه في ذلك ، فخرج الأمر الى اسحق باطلاقه له • فكتب اسحق : « ورد عليَّ كتاب من أمير المؤمنين باطلاق بناء زلال لم يحدَّ لي طوله ولا عرضه ، فوقفت أمره الى أن استطلع الرأي في ذلك » • فكتب اليه يحمده على احتياطه ، ويحدُّ له ذرع الزلال •

قال : لما انتقل المعتصم الى سُرَّ من رأى[٣٢] ، كان الناس في يوم الموكب يغشون دار المأمون ، ويقعدون فيها على سبيلهم في حياته إجلالاً للسلطان وتعظيماً لأمره • فانصرف محمد بن اسحق في يوم من الأيام الحارة ، وقد أطال الركوب • واجتاز بدار المأمون ، وقد فتل قلنسوته[٣٣] على رأسه مستتراً بها من الشمس ، فبلغ أباه ذلك ، فضربه معاقباً له على اجتيازه بباب الخليفة متبذلاً !

---

(٣١) الزلال (كشداد) ضرب من السفن النهرية الصغيرة السريعة • كانت معروفة في بغداد في أيام الخلفاء • ويسمى أيضاً « الزلالة » •

(٣٢) بنى المعتصم مدينة سر من رأى (سامراء) سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) واتخذها عاصمة له بدلا من بغداد •

(٣٣) القلنسوة : من ملابس الرأس ، وهي على هيئات متعددة •

وذكر عبدالله بن خرداذبه ، انه خرج يوماً من بين يدي المأمون في أثر اسحق بن ابراهيم ، حتى اذا صار الى الدهليز الثاني، وقف ووقف القواد والناس لوقوفه ! ثم قال : « أين خليفة علي بن صالح[٣٤] ؟ » ، وكان علي ذلك الوقت صاحب أمر الدار والموسوم بالحجبة • فأتي بخليفته ، فضربه مائة مقرعة ، (١٥ أ) ثم قال : « الحبس ! » • ثم قال : « هاتوا خليفة صاحب البريد » • فاتي به ، فضربه مائة مقرعة ، ثم قال : « الحبس ! » • ثم دعا بعلي بن صالح وبصاحب البريد ، وقال لهما : « تقلدان خلافتكما في دار الخليفة من يضيع الأمور ويهملها ؟ كنتما بهذا الأدب أحقّ من هذين ! » • فقالا : وما كان من أمرهما الذي أنكرته ، أيها الأمير ؟ فقال : «صاحب بريد يقعد في دار الخليفة ، فيضحك ويقهقه ، وصاحب الدار جالس لا ينكر ؟ » ثم خرج ! قال : فكنت أدخل الدار بعدها ، فلا أرى فيها ضاحكاً[٣٥] !

قال : ودخل اسحق في يوم نَورُوز[٣٦] الى المتوكل ، والسَّمَاجة[٣٧] بين يديه • وعلى المتوكل ثوب وَشْي مُثْقل ، وقد كثر

---

(٣٤) هو علي بن صالح ، صاحب المصلى ، وسيرد ذكره في هذا الكتاب في أخبار « دير العذارى » • كان كاتباً راوياً • ولاه الامين على ديوان رسائل ابنه موسى ببغداد • مات سنة ٢٢٩هـ (٨٤٣م) • وأخباره في تاريخ بغداد للخطيب (١١ : ٤٣٧ ـ ٤٣٩) وتاريخ الطبري (فهارسه) وفي طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٢١) أربعة أبيات لأبي دلامة في هجاء علي بن صالح •

(٣٥) مما يناسب هذه الحكاية ، ما ذكره هلال بن المحسن الصابىء في « رسوم دار الخلافة » (ص ٧١ ـ ٧٢ تحقيق ميخائيل عواد) •

(٣٦) النوروز ، ويقال فيه النيروز أعظم أعياد الفرس وأجلها يقع في أول يوم من السنة الشمسية عند الفرس • وذلك في ٢١ آذار من الشهور الرومية •

(٣٧) كانت السماجة تشبه ما يعرف اليوم بـ « التمثيل الهزلي » • فأصحاب السماجة قوم يحاكون حركات بعض الناس ويمثلونهم في

أصحاب السّماجة حتى قرُبوا منه لِلقْط الدراهم التي تُنثر عليهم ، وجذبوا ذيلَه ! فلما رأى اسحق ذلك ، ولّى مُغضباً ، وهو يقول : « أُفٍّ وتُفٍّ ! فما تُغني حراستنا المملكه مع هذا التضييع ! » . ورآه المتوكل وقد ولّى ، فقال : ويلكم ! رُدوا أبا الحسين ، فقد خرج مغضباً !» فخرج الحُجّاب والخدم خلفه ، فدخل وهو يُسمع وصيفاً[٣٨] وزرافة كل مكروه ، حتى وصل الى المتوكل . فقال : « ما أغضبك ، ولِم خرجتَ ؟ » فقال : يا أمير المؤمنين ،عساك تتوهّم أن هذا المُلك ليس له من الأعداء مثل (١٥ب) ما له من الأولياء ! تجلسُ في مجلسٍ يبتذلُك فيه مثلُ هؤلاء الكلاب تجذّبوا ذيلك ، وكلّ واحدٍ منهم متنكرٌ بصورة منكرة ، فما يُؤمَن أن يكون فيهم عدوٌّ قد احتسب نفسَه ديانةً وله نيةٌ فاسدة وطويّة رديّة ، فيثب بك ! فمتى كان يستقال[٣٩] هذا ، ولو أخليت الأرض منهم ؟ » . فقال : « يا أبا الحسين ، لا تغضب ! فو الله لا تراني على مثلها أبداً » . وبُني للمتوكل بعد ذلك مجلسٌ مُشرف ، ينظر منه الى السّماجة .

وذكر موسى بن صالح بن شيخ[٤٠] ، انه كلم[٤١] اسحق بن

أصواتهم ، ويظهرون في مظاهر مضحكة ، ايناساً للناس : تاريخ الطبري (٣ : ١٣١٨) ، وأشعار أولاد الخلفاء للصولي (ص ٢٤٩) ، والامتاع والمؤانسة (١ : ٥٩) وخطط المقريزي (١ : ٣٣٥ ، ٢ : ٣١ و ٣٨٩) . والسلوك للمقريزي (١ : ٢٩٤) . وآثار البلاد (ص ١٢٨) والفخري (ص ٤٤٨) .

(٣٨) خادم تركي كان مقدماً في أيام المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز . قتل سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧م)

(٣٩) المخطوط سيتعال .

(٤٠) متأدب شاعر ، كان من ندماء الامير اسحق بن ابراهيم المصعبي أمير بغداد . مات سنة ٢٥٧هـ (٨٧٠م)

(٤١) التاج للجاحظ (١٧٠ ـ ١٧١)

إبراهيم في امرأة من أهله ، وسأله النظر لها فقال : يا أبا محمد ، من قصة هذه المرأة[٤٢] ، ومن حالها ، ومن بعلها[٤٣] ، [قال][٤٤] : فو الله ان زال يصفها حتى تحيرت[٤٥] .

قال[٤٦] أبو البرق الشاعر : كان اسحق يُجري علي أرزاقاً ، فأنشدته يوماً ، فسألني عن عيالي ، وما احتاج اليه لهم ، ثم قال لي : « تحتاج عيالك في كل شهر من الدقيق كذا ، ومن كذا كذا ... » فما زال يخبرني بشيء من أمر منزلي جَهلته وعَلِمه هو !

قال[٤٧] : وورد على اسحق كتاب من المعتصم ، وهو جالس يشرب ، ومعه محمد بن راشد الخنّاق ، وكان خصيصاً به أثيراً عنده . فما فرغ من قراءة الكتاب (١٦ أ) حتى قال : « سياط[٤٨] وعُقابَين[٤٩] وجلادين » ! فأُحضر ذلك . فأمر بمحمد بن راشد ، فأُقيم من مجلسه وشُقّ عنه ونُصب في العقابين ، وهو يقول : « أيها الأمير ، ما حالي ؟ ما قصتي ؟ » . فقال : « الحُقّ[٥٠] الجوهر الذي كان لفلانٍ ، من صفته كيت وكيت ، تُحضِرُنيه الساعة ، وإلا أتيتُ على نفسك ! » . فذهب يتلكأ فقال : « أوجِعوا ! » فلما أحس بالضرب ، قال : « أنا أُحضره أيها الأمير» . قال : « وحقِ أمير المؤمنين ، لا برحت مكانك أو تُحضرَهُ !» .

---

(٤٢) يعني : من قصتها كيت وكيت . وقد طوى المؤلف الخبر لانه معلوم . وهذه عادة شائعة بين أكابر الكتاب .
(٤٣) التاج : فعلها .
(٤٤) الزيادة من التاج .
(٤٥) رواية التاج : لم يزل يصفها حتى بهت .
(٤٦) التاج للجاحظ (ص ١٧١) .
(٤٧) أدب النديم لكشاجم (ص ٣٤ بولاق ١٢٩٨هـ) .
(٤٨) لعل الصواب : سياطاً .
(٤٩) العقابان : خشبتان ، يشبح الرجل بينهما فيجلد .
(٥٠) الحق : بضم الاول ، الوعاء الصغير .

فأحضره لوقته . فلما رآه اسحق ، سُرّي عنه وأسفر وجهه وقال : هاتوا ثياباً ، فأُتي بخلعة ، فأُلبسها . وردّه الى موضعه . وأجاب عن الكتاب ، وأنفذ الحق لوقته الى المعتصم . فقال محمد : « أيها الأمير ، ما أبعد ما بين الفعلين ؟ » . فقال : ويحك ! وفّيت الخدمة والنصيحة ، ووفيت المودّة بعد ذلك حقها » .

وذكر أبو حشيشة الطنبوري ، قال : كنت يوماً في منزلي ، اذ طرق الباب صاحب بريدٍ ، وقال : أجب ! فلما قال أجب ، علمت انه أمرٌ عالٍ . فلبست ثيابي ، ومضيت معه حتى دخلنا دار إسحق بن ابراهيم . فعُدل بي الى ممرٍ طويل فيه حُجَر متقابلة ، تفوحُ من جميعها روائحُ الطعام . فأُدخلت حجرة منها ، وقُدّم الي طعام (١٦ب) في نهاية النظافة وطيب الرائحة ، فأكلت . وجاؤوني بثلاثة أرطال[٥١] ، فشربت . وأحضروا لي صندوقاً فيه طنابير ، فاخترت طنبوراً منها ، وأصلحته على الطريقة ، وأُخرجتُ من الموضع الى حجرة لم أر أحسن منها . واذا في مجلسها[٥٢] رجلان جالسان ، على أحدهما قَباء مُلحَم[٥٣] وقلنسوة سَمُّوريّة[٥٤] ، وعلى الآخر ثياب خزّ ؛ وستارة مضروبة فيه . فسلمت وأُمرت بالجلوس ، فجلست . فقال لي صاحب السمورية : غنّ !

---

(٥١) الأرطال ، جمل الرطل الوعاء الذي يسع رطلا من الخمر ، يقابله في وقتنا عند الافرنج « اللتر Litre » .

(٥٢) « في مجلسها » كتبت في المخطوط مرتين سهواً .

(٥٣) الملحم من الثياب : ما سداه ابريسم أي حرير ولحمته غير ابريسم . بخلاف الديباج .

(٥٤) السمورية : نسبة الى السمور ، وهو حيوان بري ، يشبه ابن عرس لكنه أكبر منه . لونه أحمر مائل الى السواد . ومنه ما يكون أسود لامعاً وأشقر . يتخذ من جلده فراء ثمينة . (حياة الحيوان الكبرى ٢ : ٣٧) ومعجم الحيوان لأمين المعلوف (ص ٢١٣) . وتاج العروس (٣ : ٢٧٩) .

فغنيت[٥٥] :

ما أُراني إلا سأَهجرُ مَن لي ... س يراني أقوى على الهجران
ملّني واثقاً بحسن وفائي ... ما أضرّ الوفاءَ بالانسان

فغنّيته ، فشرب رطلاً ، ونقر[٥٦] الستارة وقال : غنّوه ! فغُنّي الصوت أحسن غناء في الدنيا ، وخلت أن البيت يرقص ! فقال لي : كيف ترى ؟ قلت : قد والله ، يا مولاي ، بغّضوا إلي هذا الصوت وسمجوه في عيني • فضحك واستعادنيه ثلاث دفعات ، يشرب في كل دفعة منها رطلاً • ثم قال : أتعرفني ؟ قلت : لا ! قال : أنا اسحق بن ابراهيم ، وهذا محمد بن راشد الخناق • ووالله ، لئن ظهر حديث هذا المجلس منك ، لأضربنّك ثلثمائة سوط ! قم اذا شئت ! فقمت من بين يديه ، فلحقني الغلام بصرّة (١٧ أ) فيها ثلثمائة دينار ، فاجتهدت أن يأخذ منها شيئاً ، فأبى !

وذكر عمرو بن بانة[٥٧] ، قال : وجّه الي اسحق بن ابراهيم في آخر النهار ، فصرت الى داره وأدخلت عليه ، وهو جالسٌ في طارمة[٥٨] ملبسة بالخز ، على دجلة ، وقد انبسط القمر على الروشن[٥٩] وعلى دجلة ، وهو من أحسن منظر رأيت قط ! والمعينون[٦٠] جميعاً بين يديه ،

---

(٥٥) البيتان للعباس بن الأحنف • وهما في ديوانه (ص ٢٦٧) ، وفي الاغاني (٧ : ٣٢) ونهاية الارب (٥ : ٦٦) • وثاني البيتين في محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني (١ : ١٨٤ القاهرة ١٢٨٧هـ)•

(٥٦) المخطوط : وبعر •

(٥٧) نسب الى أمه بانة • كان مغنياً شاعراً • أخذ الغناء عن اسحق الموصلي وغيره • نادم المتوكل ومات سنة ٢٧٨هـ (٢٩١م) (الفهرست ص ١٤٥ ، والاغاني ١٤ : ٥٠ ـ ٥٨ ، والوفيات : ١ : ٥٥٧ ، ونهاية الارب ٥ : ٢١) •

(٥٨) الطارمة : صفّة مفتوحة ومعروفة بشكلها الى اليوم عند العراقيين •

(٥٩) الروشن : جناح السطح ، أو المنظرة التي تشرف على خارج البيت ، الذي يُعرف اليوم ب « البالقون » •

(٦٠) لعله يريد بهم المعينين على الخدمة • ويجوز أن يكون ما في الاصل « المغنون » •

وبذل"(٦١) جالسة وراء مقطع في الطارمة • فلم يزل جالساً بموضعه ، ونحن بين يديه ، الى أن نودي بالفجر فقام وقمنا • وقال لنا الغلمان : انصرفوا ! فنزلنا الى الشط ، ودعونا بسميريّة(٦٢) ، فجلسنا جميعاً ، وقلت لهم : إن منزلي أقرب من منازلكم ، فاجعلوا مقامكم اليوم عندي ، ففعلوا • وحصلنا في المنزل ، فطلبت فيه شيئاً يؤكل ، فلم أجد ! فأمرت باحضار المائدة ، فأحضرت فارغة ، وطرحت في وسطها مائة درهم صحاحاً وقلت : يوجه كل واحد منكم ، فيشتري له ما يريد • فما كان بأسرعَ من أن امتلأت بكل شيء ! فأكلنا وشربنا ، ومر لنا يوم طيب ، وتفرقنا آخر النهار ، وفي قلوبنا "غصص" مما فعله بنا اسحق ، وما فاتنا من تلك الليلة الحسنة في ذلك الموضع الحسن ! فمضيت بعد (١٧ب) ذلك الى بذل ، وسألتها عن السبب فيما فعله ، فقالت : قد سألته عن ذلك ، فقال : ويحك ! أنا أشتهي الشرب في مثل هذه الليلة منذ سنة ، وأدافع نفسي به ، فلما حصل لي جميع ما أريده وأشتهيه ، أردت أن أري نفسي سلطاني عليها وقهري لها ومنعها مما تحبه ، لئلا تقودني الى ما تريد ، ففعلت ما رأيتِ •

وكان مع ذلك حسن المروءة ، كريم النفس • فذكر أبو حشيشة ، قال : دعاني في بعض الأيام ، فصرت اليه وجلست أغنيه ، وعليه درّاعة(٦٣) خز خضراء لم أر أحسن منها قط • فجعلت أنظر اليها ، وفطن بنظري ، فدعا بالخازن وقال : كانوا جاؤونا منذ أيام بعشرة أثواب خز "خضر ، هذا أحدها ، فجئني ببقيتها • فأحضر تسعة أثواب ، يتجاوز حسنها كل وصف ، فأعطانيها ، فبعت من رذالها الثوب بمائة دينار !

---

(٦١) جارية ، أصلها من المدينة ، وربيت في البصرة ، ثم لازمت قصور الخلفاء والكبراء لاشتهارها بجودة الغناء والضرب بالعود (الاغاني ١٥ : ١٣٨ ـ ١٤٠ والمكافأة لابن الداية ، ص ٦٤) •

(٦٢) السميرية (بالتصغير) : ضرب من السفن النهرية في العراق أيام العباسيين (ج : السميريات) •

(٦٣) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم (تاج العروس ٥ ٣٢٥) •

وقال : طرق أحمد بن يوسف الكاتب(٦٤) ، اسحق بن ابراهيم ، فقدم اليه كل شيء حسن من الأطعمة والآلة ، وضربت الستائر(٦٥) ، وأحضرت الفواكه والنبيذ ، ومرَّ يوم لم يكن مثله • ثم سأل أحمد أن يكون عنده من الغد ، فقال أحمد : يفوتني الصيد • فأحضر جارية (١٨ أ) وغلاماً وفرساً لم يُر أحسن منهم ، وقال : هذا صيدك غداً • ثم تصنّع له من الغد ، فرأى أحمد شيئاً لم يرَ مثله قط •

وقال له اسحق : أمس كان فتوة ، واليوم مروَّة •

وكان المأمون يصير الى داره ، فيقيم عنده الأيام هو وغلمانه وحشمه أنساً به وثقة بمكانه •

واجتازت(٦٦) يوماً زبيدة(٦٧) في دجلة في حرّاقتها(٦٨) ، فصعدت الى دار اسحق لبعض حاجتها ، فعرض عليها اسحق الطعام ، فأمرت باحضاره ، فعجبت مما رأت ومما قدّم • وقالت : والله ما كانت بي حاجة اليه ، وإنما أردت أن أختبر مروءته ، فوجدته أتم الناس مروءةً ، هذا من غير تصنُّع لي ولا علم بمجيئي •

---

(٦٤) ترجمته في « أمراء البيان » لمحمد كرد علي (١ [القاهرة ١٩٣٧] ص ٢١٨ ـ ٢٤٣) •

(٦٥) كانت الستائر تضرب في مجالس الخلفاء ، لتفصل بينهم وبين الندماء والمغنين ، لئلا يظهر أحد من هؤلاء على ما يفعله الخليفة اذا طرب للمغني والتذه • وكان الموكل بأمر الستارة يعرف بصاحب الستارة (التاج للجاحظ • ص ٢٨) • وكان بعض المتقدمين في الدولة ، كالوزراء والأمراء ، يضربون الستائر في مجالسهم للسبب عينه •

(٦٦) كتب في هامش المخطوط : « مرور الست زبيدة على مسكن اسحق، فدخلت اليه لتنظر مروءته » •

(٦٧) هي بنت جعفر بن المنصور الخليفة العباسي ، وزوجة هرون الرشيد، وأم الامين • توفيت ببغداد سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) •

(٦٨) الحراقة : من سفن العراق النهرية في أيام العباسيين (ج : الحرّاقات) •

دير أشموني

وأشموني ، إمرأة بني الدير على اسمها[١] ، ودفنت فيه[٢] . وهو بقطربل[٣] ، غربي دجلة . وعيده اليوم الثالث من تشرين الأول[٤] ، وهو من الأيام العظيمة ببغداد ، يجتمع أهلها اليه كاجتماعهم الى بعض أعيادهم ، ولا يبقى أحد من أهل التطرب واللعب الا خرج اليه ، فمنهم في الطيارات[٥] (١٨ب) ومنهم في الزبازب[٦] والسميريات ، كل إنسان بحسب قدرته . ويتنافسون فيما يظهرونه هنالك من زيهم ، ويباهون بما يعدونه لقصفهم ، ويعمرون شطه وأكنافه وديره وحاناته . ويضرب لذوي البسطة منهم الخيم والفساطيط ، وتعزف عليهم القيان . فيظل كل إنسان منهم مشغولاً بأمره ، ومكباً على لهوه ؛ فهو أعجب منظر وأطيب مشهد وأحسنه !

---

(١) راجع الذيل (٨) ، ففيه ذكر للكنائس والديارات الشرقية المعروفة باسم « أشموني » .

(٢) هذا قول لا سند له .

(٣) المخطوط : بعطربل . قال ياقوت (معجم البلدان ٤ : ١٣٣) أنها « قرية بين بغداد وعكبرا ، ينسب اليها الخمر . وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين . وقد أكثر الشعراء من ذكرها » . ولابن عبدالحق (المراصد ٢ : ٤٥٩) تصحيح لما تقدم ، هذا نصه : « قال [ياقوت] انها بين بغداد وعكبرا . قلت : بين بغداد والمزرفة. لان عكبرا من الجانب الشرقي وهي في الغربي ، وبينهما فراسخ . واليها ينسب الطسوج التي هي فيه ، فيقال طسوج قطربل » . ثم زاد على ما تقدم : « وهي الآن خراب » .

ويرى الدكتور مصطفى جواد (جريدة «العراق» البغدادية بتاريخ ٢٣/١/١٩٤٧) ان قطربل كانت في الموضع المعروف بالتاجي .

(٤) أنظر الذيل (٨) .

(٥) الطيارات ، مفردها الطيار والطيارة : سفن نهرية سريعة الجريان .

(٦) الزبازب : واحدها الزبزب (بفتح الزاءين المعجمتين) ، ضرب من السفن النهرية الصغيرة .

وهناك أيضاً دير يسمى **دير الجرجوث**[٧] وحوله بساتين ومزارع، ومن ضاق به دير أشموني[٨] ، عدل اليه .

قال جحظة : خرجت[٩] في عيد من أعياد أشموني الى قطربل ، فلما وصلت الى الشط ، مددت عيني لأنظر موضعاً خالياً أصعد اليه ، أو قوماً ظرافاً أنزل عليهم ، فرأيت فتيين[١٠] من أحسن الناس وجوهاً وأنظفهم لباساً ، وأطرفهم آلة ! فقدمت سميريتي نحوهما ، وقلت : أتأذنون[١١] في الصعود اليكم ؟ فقالوا : بالرّحب والسعة ! فصعدت وقلت : يا غلام ، طنبوري ونبيذي ! فقالا : أما الطنبور فنعم ، وأما النبيذ فلا . فجلست مع أحسن الناس أخلاقاً وأملحهم عشرة . وأخذنا في أمرنا . ثم تناولت الطنبور ، وغنيت بشعر لي[١٢] :

(١٩ أ) سقياً لأُشمونى ولذاتها — والعيشِ فيما بين جناتها

سقياً لأيام مضت لي بها — ما بين شطّيها وحاناتها

إِذ اصطباحي في بساتينها — واذ غُبوقي[١٣] في دياراتها

فنعر القوم ، وشربوا بالأرطال وشربت ، وطاب لنا الوقت [الى آخر النهار][١٤] .

---

(٧) لم نقف على دير بهذا الاسم . ولعله مصحف عن « **دير جرجيوس** » **أو** « دير جرجس » .

(٨) المخطوط : الشمونى ، وهو تحريف .

(٩) نقل ابن فضل الله العمري هذه الحكاية عن الشابشتي (المسالك ص ٢٧٨) دون الاشارة الى مصدر نقله .

(١٠) المسالك : قينتين .

(١١) المخطوط : اتادنون .

(١٢) نقل صاحب المسالك البيت الاول والثالث .

(١٣) الاصطباح : تناول الصبوح . والصبوح ما يشرب صباحاً . والغبوق ما يشرب في العشي ، وهو خلاف الصبوح .

(١٤) الزيادة من المسالك . وبها ينتهي ما نقله عن الشابشتي .

ثم قلت لأحدهما : جعلت فداك ، ما أرى في هذا الجمع أرقَّ منكما طبعاً ، ولا أرق نبيذاً . فقال لي مجيباً :

شرابي رقيقٌ كما قد رأيت ، ودِ بسهم بذباب يساطُ

وأشار الى القوم ، ثم قال :

فكيف أكون نظيراً لهمُ
أبنْ لي بعقلكَ [أم ذا][١٥] ضراط

ثم قال : أزيدك ؟ قلت : لا . ومرّ لنا أطيب يوم وأحسنه !

قال محمد بن المؤمّل الطائي : كنت[١٦] مع أبي العتاهية[١٧] في سميرية[١٨] ، ونحن سائرون الى أشمونى . فسمع غناء [من بعض النواحي ، فاستحسنه و][١٩] طرب له . فقال لي : تحسن ترقص ؟ قلت: نعم ! فقال : قم بنا نرقص . قلت : نحن في سميرية ، وأخاف أن نغرق ! قال : وإن غرقنا نكون ماذا ؟ أليس نكون شهداء الطرب ؟

وللشرواني[٢٠] ، فيه[٢١] :

---

(١٥) الزيادة للدكتور مصطفى جواد .

(١٦) نقل ابن فضل الله هذه الحكاية عن الشابشتي ، (المسالك ص ٢٧٨) بتصرفه المعهود ، دون الاشارة الى مصدر النقل .

(١٧) من فحول شعراء الدولة العباسية . توفي سنة ٢١١ (٨٢٦م) له ديوان مطبوع . وترجمته وأخباره كثيرة في الاغاني (٣ : ١٢٢ ـ ١٧٦) والوفيات (١ : ١٠٠ ـ ١٠٣) . والاعلام للزركلي (١ : ٣١٩) .

(١٨) المسالك : في سميريته .

(١٩) الزيادة من المسالك .

(٢٠) سيذكره المؤلف في « الدير الاعلى » و « دير ابن مزعوق » ويورد طرفاً من أشعاره .

(٢١) معجم البلدان (٢ : ٦٤٣) .

إشرب علی قرع النواقيس　　في ديرأشمونی بتغليس[٢٢]

(١٩ب)لا تخفِ كأس الشرب ، والليل في

حـــــدِّ نعيــــم لا ولا بـــوس

إلا عـلى قــرع النـواقيس　　أو صــوت قسّــان وتشميس[٢٣]

فـانمــا الشـيء بأسبابه　　ومحكـم الوصف بتأسيس

فهكـذا فاشرب ، وإلا فكن　　مجـاوراً بعض النواويس[٢٤]

قال : كتب يحيى بن كامل الى عبدالملك بن محمد الهاشمي في يوم[٢٥] أشمونی :

اليـوم أشمونی أبا الفضـلِ　　وهـو عجيبٌ طيب الظـلّ

وأنت لليوم صريعٌ فمـا　　يصنـع يحيی يا أبا الفضـل

فوجّه اليه بما ركبه ، وعرف الجماش[٢٦] الخبر ، فكتب اليه :

قـولا لعبـدالملك المـاهر　　ولابن عـم المصطفی الطاهر

أما ترى اليوم ، وأحـواله　　تدعو الى حثّـك بالدائر[٢٧]

عيـدٌ وغيمٌ زار في يومنا ،　　فقـم بحقِّ العيـد والزائـر

واليوم أشموني ، فبادر بنا ،　　نحثُّـهـا في يومهـا الزاهـر

---

(٢٢) معجم البلدان : « بتفليس » وهو وهم ٠ والتغليس من الغلس ، وهو ظلمة آخر الليل ، اذا اختلطت بضوء الصباح (تاج العروس ٤ : ٢٠٢) ٠

(٢٣) التشميس : لفظة سريانية الاصل (تشمشتا) تدل على ما يتلوه الشماس من الصلاة ٠ والشماس خادم البيعة العابد فيها ٠

(٢٤) النواويس : جمع ناؤوس وهو القبر ٠

(٢٥) يريد باليوم ، يوم عيد أشمونی ٠

(٢٦) سياق الحكاية يدل على أن الجماش شاعر ، بقوله « عن جماشك الشاعر » ٠ ولا نعرف من أمره شيئاً ٠

(٢٧) يريد بالدائر كأس الخمر التي تدور على الشاربين ٠

حَبَوْتَ يحيى ثم أغفلتني   أحلتَ عن جماشك الشاعر

فوجّه اليه وأحضره · ومرّ لهم يوم طيب ·

ولأبي الشبل البرجمي[28] ، فيه :

(٢٠أ) شهدتُ مواطنَ اللذات طرا
وجبت بقاعها بحراً وبرّاً

فلم أر مثل أشموني محلاً   ألذّ لحاضريه ولا أسرّا

به جيشان من خيل وسُفن   أناخا في ذراه واستقرا

كأنهما زحوفٌ[29] وغىً ولكن
الى اللذات ما كرّا وفرا

سلاحهما القواقز[30] والقناني
وأكواسٌ تدور هلمَّ جرا

وضربهما المثالث والمثاني[31]
اذا ما الضربُ في الحرب استحرا

---

(٢٨) من شعراء الدولة العباسية · كان في أيام المأمون وأدرك المتوكل ومدحه وقد عمر طويلا · ولم نقف على سنة وفاته · وفي الاغاني (١٣ : ٢١ ــ ٢٨ و ٢١ : ١١٨) ومعجم الشعراء للمرزباني (ص ٢٧٥) ونهاية الارب (٤ : ٦٣ ــ ٦٦) ، شيء من أخباره وشعره ·

(٢٩) الزحوف : واحدها الزحف ، الجيش الكثير يزحف الى العدو ·

(٣٠) القواقز والقواقيز ، واحدتها القاقوزة والقافزة مشربة أو قدح ، أو الصغير من القوارير ، والطاس · (القاموس المحيط ٢ : ١٨٧) وفي التاج (٤ : ٧٠) انها « الفناجين التي يشرب بها الشراب » · وفي المعرب للجواليقي (ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤) انها « اناء من آنية الشراب » ·

(٣١) المثالث ، مفردها المثلث ، وهو ثالث أوتار العود · والمثاني مفردها المثنى وهو ما بعد الاول من أوتار العود · وفي كتاب الملاهي للمفضل بن سلمة (ص ٣٠ ، كلاسكو ١٩٣٨) « يقال لاوتار العود المحابض واحدها محبض وهي الشرع واحدتها شرعة · فمنها الزير ، والذي يليه المثنى ومنهم من يسميه الثاني ، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث ، والبم ··· » ·

وأسرهمـا ظبـاءُ الدّيـر طوعـاً

اذا أسـد الحروب أسرن قسـرا

لقـد جـرّت لنـا الهيجـاء خـيراً

اذا مـا جـرت الهيجـاءُ شـرا

وكان أبو الشبل هذا من الطياب ، وله شـعر مليح ، وطبع رقيق • وكان منعكفاً على الشرب لا يفارقه ولا يوجد إلا سكرانَ • وكان يتطرح في الديارات والحانات ومواطن اللهو ، لا يغبُّها ولا يتأخر عنها •

وكان بينه وبين محمـود الوراق(٣٢) مودة ، وكانا لا يفترقـان • وذكر أبو الشبل ، قال(٣٣) : صرت أنا ومحمـود الى قطربل ، فدعـونا الخمار ، فقلنا : إيتنا ببنت عشر قد أنضجها الهجير • فجاءنا بها • فقلنا : اسقنا ! فسقانا • فقلنا : إشرب واسقنا ! فقال : أنا مسلم ، وكان يهودياً قد أسلم • فقال (٢٠ب) لي محمود : « قوم يكون الخمار عندهـم مسلمـاً متحرّجاً ، وهم عند الخمار كفار ، أترى لله فيهم حاجة ؟ »(٣٤) •

---

(٣٢) هو محمود بن الحسن الوراق الشاعر • كان نخاساً يبيع الرقيق • وأكثر شعره في المواعظ والحكم • مات في خلافة المعتصم في حدود الثلاثين والمائتين • (طبقات الشعراء لابن المعتز• ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١٣ : ٨٧ـ٨٩ ، وفوات الوفيات ٢ : ٢٨٥ـ ٢٨٦ ، ونهاية الارب ٣ : ٨٥ الطبعة الثانية) •

(٣٣) الاغاني (١٣ : ٢٣) ونهاية الارب (٤ : ٨١ من الطبعة الاولى الكاملة) •

(٣٤) مـا في الاغـاني ونهـايـة الارب : فقـال لي محمـود : ويحـك ! هل رأيت أعجب مما نحن فيه ؟ يهودي يتحرج من شرب الخمر ، ونشربها ونحن مسلمون ؟ فقلت له : أجل ! والله لا نفلح أبداً ولا يعبأ الله بنا ! » •

قال : كان[٣٥] أبو الشبل يعابث[٣٦] خنساء[٣٧] قينة هشام الضرير النحوي[٣٨] ، وكانت تقول الشعر ؛ فعبث بها يوماً وأفرط ، فغضبت وقالت : ليت شعري ، بأيّ شيء تدلّ ؟ أنا والله أشعر منك ! ولئن شئتُ لأهجونَّك حتى أفضحك ! فأقبل عليها ، وقال :

خنساء[٣٩] قد أفرطتْ علينا فليس منها لنا مُجير
تاهت بأشعارها علينا كأنما ناكها جرير

فخجلت [حتى بان ذلك عليها][٤٠] وانقطعت عن جوابه .

ولأبي الشبل في جارية سوداء كان يهواها ، فعوتب عليها ، وكان مولعاً بالسودان[٤١] :

غدت بطول الملام عاذلةٌ تعذلني في السَّواد والدَّعج[٤٢]
ويحكَ ، كيف السلوُ عن غرر مقيّرات الوجوه كالسَّبج[٤٣]

---

(٣٥) الاغاني (١٣ : ٢٥) ونهاية الارب (٤ : ٨١ من الطبعة الكاملة) .
(٣٦) المخطوط : يعاتب .وأحسن من ذلك ما في أعلاه ، كما هو في الاغاني .
(٣٧) بعض أخبارها فى الاغاني (٢١ : ١١٨) . وانظر أعلام النساء لعمر رضا كحاله (١ : ٣٧٢ ط ٢) .
(٣٨) هو هشام بن معاوية الضرير ، النحوي الكوفي ، صاحب الكسائي وتلميذه . له تآليف في النحو لم تصل الينا . مات سنة ٢٠٩هـ (٨٢٤م) . (الفهرست . ص ٧٠ ، ونزهة الالباء . ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ، ومعجم الادباء ٧ : ٢٥٤ ، والوفيات ٢ : ٢٩١ ، ونكت الهميان للصفدي . ص ٣٠٥ ، وبغية الوعاة . ص ٤٠٩) .
(٣٩) الاغاني : حسناء .
(٤٠) الزيادة من الاغاني ونهاية الارب .
(٤١) الاغاني (١٣ : ٢٥) .
(٤٢) الدعج : شدة سواد العين مع سعتها .
(٤٣) السبج : وبالانكليزية (Obsidian) حجر أسود حالك صقيل ، سريع الانكسار ، تصنع منه المرايا وفصوص الخواتم والخرز وأميال الاكتحال . انظر : الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني (ص ١٩٩ طبعة كرنكو) ونخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن الاكفاني السنجاري (ص ٩٠ طبعة الأب أنستاس الكرملي) .

يحملـن بين الأفخـاذ أسـنمة تطـير أوبارهـا[٤٤] من الوهج

لا عـذّب الله مـؤمنـاً بهـم غيري ، ولا حان منهـم فرجي

(٢١ أ) فانني بالسـواد مبتهـجٌ ولسـت بالبيض جـد مبتهـج

وله في جارية كان يحبها اسمها تبر :

لـم تنصفي يا سميّـة الذهب تتلـف نفسـي وأنت في لعـب

يا بنت عم المسك الذكي ومن لولاك لـم يُجتَبَ ولـم يطب

ناسبك المسك في السواد وفي الطيـ ـب ، فأكـرم بذاك من نسـب

---

(٤٤) الاغاني : تحرق أوبارها .

دير سابر(١)

وهذا الدير ببَزُوغى(٢) ، وهي بين المَزرَفة(٣) والصالحية(٤)، في الجانب الغربي من دجلة . وهي(٥) عامرة ، نزهة ، كثيرة البساتين والفواكه والكروم والحانات والخمّارين ، معمورة بأهل التطرب والشرب، وهي موطن من مواطن الخلعاء .

والدير حسن ، عامر ، لا يخلو من متنزه فيه ومتطرب اليه .

وللحسين بن الضحاك ، فيه(٦) :

وعواتق(٧) باشرت بين حدائق ... ففضضتهنّ وقد حسن(٨) صحاحا

أتبعت وخزة تلك وخزة هذه ... حتى شربت دماءهنّ جراحا

---

(١) لعل « سابر » من « سابور » . والا فقد تكون اللفظة سريانية بمعنى البشارة . أنظر : دليل الراغبين في لغة الاراميين للمطران يعقوب أوجين منا (ص ٤٧٦ الموصل ١٩٠٠) .

(٢) المخطوط : مامروعى، وهو تحريف . وبزوغى من قرى بغداد، قرب المزرفة، بينها وبين بغداد نحو فرسخين . (معجم البلدان ١ : ٦٠٦-٦٠٧).

(٣) قرية كبيرة فوق بغداد ، على دجلة ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ (معجم البلدان ٤ : ٥٢٠ - ٥٢١) . ما زالت معروفة في البقعة التي على ضفة دجلة اليمنى ، شمالي بغداد ، على نحو ٢٥ كيلومترا منها ، وعلى نحو ستة كيلومترات من شمال شرقي محطة التاجي الحالية . انظر : ري سامراء في عهد الخلافة العباسية للدكتور أحمد سوسة (١ : ٢٠١) . ويرى موضع المزرفة في سادس الواح ذلك الكتاب .

(٤) قرية كانت فوق بغداد ، في الجانب الغربي من دجلة (معجم البلدان ٢ : ٦٦٦) .

(٥) الضمير يعود الى بزوغى .

(٦) معجم البلدان (٢ : ٦٦٦) ، المسالك (ص ٢٧٩) ، أشعار الحسين بن الضحاك (ص ٣٧) .

(٧) العواتق : واحدها العاتق وهو الزق الواسع ، أو جيد الشراب ، أو الخمرة القديمة .

(٨) كذا ما في المخطوط . وفي معجم البلدان : عنين ، وفي المسالك : غنين .

أبرزتهن من الخدور حواسراً وتركت صون حريمهنّ مباحا

في دير سابر والصباح يلوح لي فجمعت بدراً والصباح وراحا

(٢١ب) فاذهب بظنّك كيف شئت ، فكله

مما اقترفت تفطرساً وجماحا

وكان الحسين بن الضحاك ، من الأدباء الشعراء وأهل الخلاعة والمجون ، وبالخليع يعرف . ونادم جماعة من خلفاء بني العباس ، منهم : الأمين ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل . فأما المأمون ، فانه لم يدخل اليه ولم يختلط به ، وذاك انه رثى الأمين ، فقال فيه[٩] :

هلا بقيت لسدّ فاقتنا فينا وكان لغيرك التلف

قد كان فيك لمن مضى خلف فاليوم أعوز بعدك الخلف

فلما[١٠] ورد المأمون [من خراسان][١١] الى بغداد ، أمر بأن تثبت له أسماء من يصلح لمنادمته من أهل الأدب ، فأُثبت له قوم ذكر فيهم الحسين بن الضحاك [وكان من جلساء محمد المخلوع[١٢] ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ الى اسم حسين] فقال : أليس القائل [في محمد] : « وكان لغيرك التلف . » ؟ والله ، [لا حاجة لي فيه و] لا رأى وجهي إلا على قارعة الطريق ! فلم يحظ طول أيام المأمون بشيء !

وكان وقت خدمته المتوكل ، ضعف كبراً ، فكتب اليه يستعفيه من الخدمة ، فقال :

---

(٩) بغداد لطيفور (٦ : ٥٩) وتاريخ الطبري (٣ : ٩٤١) والكامل لابن الاثير (٦ : ٩٧) والاغاني (٦ : ١٦٦) ومعجم الادباء (٤ : ٣١) وأشعار الحسين بن الضحاك (ص ٧٩) .

(١٠) بغداد لطيفور (ص ٥٨ ــ ٥٩) والاغاني (٦ : ١٦٦) والكامل لابن الاثير (٦ : ٩٨) .

(١١) الزيادة من الاغاني .

(١٢) المراد بمحمد المخلوع : الامين ، الخليفة العباسي .

أسلفت أسلافك فيما مضى ... من خدمتي إحدى وستينا
كنت ابن عشرين وخمس فقد ... وفّيت بضعاً وثمانينا
(٢٢أ) إني لمعروف بضعف القوى ... وإن تجلدت أحايينا
وإن تحملت على كبرتي ... خدمةَ أبناء الثلاثينا
هدت قواي ووهت أعظمي ... وصرت في العلّة عزّونا
وخفت أن يعجل بي معجل" ... الى التي تعيي المداوينا[١٣]

عزون[١٤] هذا الذي ذكره ، نديم كان للمعتصم ، ثم نادم المتوكل.

وذكر عزون هذا ، قال : كنا مع المعتصم في بعض متنزهاته ، فاحتجنا[١٥] أن نخوض نهراً ، وكان معنا حسين بن الضحاك ، فكاد أن يغرق . فقبض[١٦] المعتصم على عضده ، وحمله من السرج حتى عبر به النهر إشفاقاً عليه[١٧] .

وكان الحسين مستهتراً بالخدم جداً ، ولم يقصر عن ذاك حتى مات.
قال المتوكل : أنشدني حسين قوله[١٨] :

---

(١٣) في الاغاني (٧ : ٢٢٥ ــ ٢٢٦) رواية ثانية في هذا الشأن .
(١٤) له ذكر في تاريخ الطبري (٣ : ١٣٣١ ــ ١٣٣٥) .
(١٥) هذه اللفظة ، كتبت سهواً مرتين في المخطوطة .
(١٦) اشتهر المعتصم بالقوى الجسمية . وقد أوردنا في مقالنا « أقوياء الابدان في العصور الاسلامية » (الرسالة ١١ [١٩٤٣] العدد ٥٢٥ ، ص ٥٩٢ ــ ٥٩٣) شواهد تاريخية على ذلك .
(١٧) ورد في هامش المخطوط : « أقول : أنظر الى أخلاق المعتصم أمير المؤمنين ، مع علو شرف نفسه ، كيف خشي على تكدير مجلسه من النكد ، لما تحقق غرق أحد جلسائه ، فأنقذه بنفسه وحمله من سرجه بنفسه ، ولم يسأل أحداً من اتباعه فعل ذلك » .
(١٨) الاغاني (٦ : ١٨٧) والصبوح والغبوق (ص ٨٣ ــ ٨٤) والوفيات (١ : ٢١٧ ــ ٢١٨) وصلة تاريخ الطبري (حاشية ص ١٠٠ من طبعة ليدن) وأشعار الحسين بن الضحاك (ص ٥٤) .

فلــو شــئت تيســرت كمـا سـميت يـا يسـر
ولا والله لا تبـــر ح أو ينصـرم الأمـر
فـامّـا المنـع والـذمْ وإمـا البـذل والشـكـر[١٩]
فـدعني مـن مـواعيـد ك إذ حيّنـك[٢٠] الدهر
فقـلْ : أيهمـا كـان فقـال البـذل والشكـر

(٢٢ب) قال أبو عبدالله بن حمدون : كنا[٢١] عند المتوكل في يوم نوروز ، والهدايا تعرض عليه ، وفيها تماثيل من عنبر[٢٢] • وكان شفيع الخادم[٢٣] واقفاً ، وعليه أقبية[٢٤] مورّدة ورداء مورَد ، وهو فيها من أحسن الناس [وجهاً][٢٥] • فجعل المتوكل يدفع الى شفيع قطعةً قطعة من ذلك العنبر ، ويقول : اِدفعها الى حسين ، واغمزْ يده [فيفعل

---

(١٩) المخطوط : وآما البذل واما الشكر • وهو خروج على الوزن •

(٢٠) المخطوط : حنك •

(٢١) المسالك (ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ نقلا عن الشابشتي) والاغاني (٦ : ١٧٨) والصبوح (ص ١٨٧) ومروج الذهب (٧ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨) وبدائع البدائه (ص ١٩٢) •

(٢٢) العنبر ، على ما في منهاج البيان لابن جزلة وتاج العروس (٣:٤٢٦): « شمع عسل ببلاد الهند ، يجمد وينزل البحر • أجوده الابيض وما قارب البياض ، ولا رغبة في أسوده » ولتماثيل العنبر ذكر في الكتب القديمة ، ففي بدائع البدائه (ص ٢١٢) : « ••• وكان بين يدي المعتمد بن عباد تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلىء ••• » •

(٢٣) ذكره الطبري في تاريخه (٣ : ١٤٥٩ و ١٦٨٤ و ٢١٨٠ و ٢١٨١) ، وابن الاثير في كامله (٧ : ٣٣٧ و ٣٣٨) •

(٢٤) الاقبية ، واحدهما القباء (بفتح القاف) : ثوب يلبس فوق الثياب ، يسميه أهل العراق اليوم (الزبون) ، وأهل مصر وسورية (القنباز) •

(٢٥) الزيادة من المسالك •

ذلك] . وكان آخر ما دفع اليه وردة حمراء حياه بها ، فأنشأ يقول[٢٦] :

وكالوردة[٢٧] البيضاء حيا بأحمر ... من الورد يسعى في غلائل كالورد
لـه عبثـات عنـد كـل تحيـة ... بكفيه تستدعي الخليَّ الى الوجد
تمنيت أن أُسقى بكفيه شربةً ... تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهراً لم أبت فيه ليلةً ... من الدهر إلا من حبيب على وعد

فأمره المتوكل أن يسقيه ، وقال : قد أعطيناك أمنيتك .

وكان حسين ينادم صالح بن الرشيد[٢٨] ، فشرب معه مرة في متنزه بباري[٢٩] ، وهي من أعمال كلواذا[٣٠] . وكان له هناك بستان حسن جليل وسوره باق الى الآن وآثاره . وقال يصف البستان وصبوحهم فيه ،

---

(٢٦) الاغاني (٦ : ١٧٨) والصبوح والغبوق (المخطوط . ص ١٨٧) وأشعار الحسين بن الضحاك (ص ٤٣) .

(٢٧) الاغاني (٦ : ١٧٨) . والمسالك (ص ٢٨٠) . والمروج (٧ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨) . وبدائع البدائه (ص ١٩٢ ـ ١٩٣) . والعقد الفريد (٤ : ٣٥٥ المطبعة الازهرية سنة ١٩١١) . والصبوح والغبوق (ص ١٨٧) وعنوان المرقصات (ص ٣٥) وخزانة الادب لابن حجة الحموي (ص ٢٤٦ بولاق ١٢٩١هـ) . وسحر العيون لأبي البقاء البدري (نسخة معهد الاستشراق في لنينغراد (A 327) الورقة ١٢٧ أ)

(٢٨) هو ابن هرون الرشيد ، من زوجته المسماة رئم (تاريخ الطبري ٣ : ٧٥٨) .

(٢٩) قرية من أعمال كلواذا من نواحي بغداد . كان بها بساتين ومتنزهات، يقصدها أهل البطالة (معجم البلدان ١ : ٤٦٦) .

(٣٠) طسوج قرب مدينة السلام بغداد ، وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها وناحية الجانب الغربي من نهر بوق . وهي الآن خراب ، أثرها باق ، بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر . وقد ذكرها الشعراء ، ولهج بذكرها الخلعاء (معجم البلدان ٤ : ٣٠١) .
وفي المراصد (٢: ٥٠٩) : « كلواذى : أسفل من بغداد ، أحد أبوابها عليه . وهي قرى ، لها نهر من القاطول ، عامرة » .

وهي من مليح شعره[٣١] :

(٢٣ أ) أما ناجاك بالنظر[٣٢] الفصيح
وانّ اليك من قلب قريح ؟

فليتك حين تهجره ضراراً ... مننت عليه بالقتل المريح
يحسنك كان أول حسن ظني ... أما ينهاك حسنك عن قبيح ؟
وما ينفكُّ متهماً لِنصحي ... بنفسي نفس متهم نصيح
أحبُّ الفيء من نخلات باري ... وجوسقها[٣٣] المشيَّد بالصفيح
ويعجبني تناوح أيكتيها ... إليّ بريح حُوذان[٣٤] وشيح
ولن أنسى مصارع للسكارى ... ونادبة الحمام على الطلوح
وكأس في يمين عقيد ملك ... تزين صفاته غرر المديح
صريح مدامة هويتْ صريحاً ... وهل تزري الصريحة بالصريح[٣٥]
ألا يا عمرو ، هل لك في الصبوح[٣٦]
هلم الى صفية كل روح
فقام على تخاذل مقلتيه ... وسلسل بالسنيح وبالبريح[٣٧]

---

(٣١) معجم البلدان (مادة : باري) والمسالك (ص ٢٧٩) وأشعار الحسين بن الضحاك (ص ٣٦) ٠

(٣٢) المسالك : بالوتر ٠

(٣٣) الجوسق القصر ، أو الحصن ٠ وهو تعريب كوشك الفارسية ٠ أنظر : المعرب للجواليقي (ص ٩٦ ــ ٩٧) وشفاء الغليل للخفاجي (ص ٦٧ الوهبية ، ٥٨ الخانجي) وتاج العروس (٦ : ٣٠٦) والالفاظ الفارسية المعربة (٤٨) ٠

(٣٤) نبت من نبات السهل ، يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء في أصلها صفرة ، وورقته مدورة ، وهو حلو طيب الطعم (النبات والشجر للاصمعي ص ٢٩ بيروت ١٩١٤) ٠

(٣٥) يقال صرحت الخمر ، اذا ذهب زبدها ٠

(٣٦) المسالك : ألا يا عمرو هل لك بنت كرم ٠

(٣٧) المخطوط : بالسنح ، المسالك : وسلسلها كأوداج الذبيح ٠

وأتبــع سكــرةً سـلفت بأُخــرى

وخلّى الصحو لِلَّحْزِ[٣٨] الشحيح

وذكر عمرو بن بانة ، قال[٣٩] : كنـا عند صالح بن الرشـيد في بستانه هذا ، ومعنا الحسين بن الضحاك ، وحولنا من النرجس أمر عظيم ، وقد طلع القمر على الشجر والنور ، ووقتنا من أحسن وقت رئي ، وخادم (٢٣ب) لصالح كان يحبه يسقيه . فقال للحسين : قل في مجلسنا هـذا شيئاً يتغنى به ابنُ بانة وأشار الى الخادم ، [فقال][٤٠] :

وصف[٤١] البدر حسن وجهـك حتى
خلت أني ومـا أراك أراكـــا

واذا مـا تنفس النرجس الغـ
ـض توهمتـه نسيـم نشـاكـا

خـــدَع للمنى تعللنـي فيـ
ـك باشراق ذا وبهجـة ذاكـا

لأدومنَّ مـا حييت عـلى الود
لهـــذا وذاك اذ حكيـاكـــا

قال عمرو : فغنيت فيه . ومر لنا أطيب وقت وأحسنه !

قال الحسين بن الضحاك : كنت جالساً في داري يوم شـك[٤٢] ، وقد أفطر المأمون[٤٣] ، وأمر الناس بالافطار . فجاءتني رقعة الحسن بن رجاء ، يقول فيها[٤٤] :

---

(٣٨) اللحز : الجبس ، البخيل .

(٣٩) بغداد لطيفور (٣٢٥) والاغاني (٦ : ١٧٦ و ١٧٧) .

(٤٠) الزيادة لنا ، وهي مما يقتضيه السياق .

(٤١) بغداد لطيفور (ص ٣٢٥) والاغاني (٦ : ١٧٦ و ١٧٧) وزهـر الآداب (٣ : ١٢١) ومعجم الأدباء (٤ : ٣٤ ــ ٣٥) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣) وأشعار الحسـين بن الضحـاك (ص ٨٨) .

(٤٢) هو اليوم الثلاثون من شعبان اذا غم الهلال بعد تسعة وعشرين يوماً من شعبان .

(٤٣) الأغاني والصبوح : الواثق .

(٤٤) فصول التماثيل في تباشير السرور لابن المعتز (ص ٧٧) والأغاني (٦ : ١٩٢) والصبوح (ص ١٠٣ و ١٢٢) .

هزرتك للصبوح وقد نهاني[٤٥] أمير المؤمنين عن الصيام
وعندي من بنات الكرخ[٤٦] عشر تطيب بهـا مصافحة المدام
ومن أمثالهن اذا انتشينا نرانا نجتني ثمر الحرام[٤٧]
فكن أنت الجواب[٤٨] ، فليس شيء أحب الي من حذف الكلام

فوردت علي رقعته ، وقد أرسل الي محمد بن الحرث بن بسخنر[٤٩] غلاماً (٢٤ أ) له ، نظيف الوجه [كان يتحظاه][٥٠] ، ومعه ثلاثة غلمان أقران[٥١] حسان [الوجوه] ، ورقعة منشورة قد ختم أسفلها مثل المناشير ، فيها[٥٢] :

سر على اسم الله يا أحـ سن من غصن لجين
في ثلاث من بني الرو م الى دار حسين
أشخص الكهل الى مو لاك يا قرة عيني
أره العنف إن استعـ صى وطالبه بدين
ودع اللفظ وخاطبـ ـه بغمز الحاجبين
واحذر الرجعة من وجـ ـهك في خفّي حنين[٥٣]

فمضيت مع غلام بن الحرث ، وتركت المضي الى الحسن ٠

---

(٤٥) فصول التماثيل والصبوح : نهانا ٠
(٤٦) فصول التماثيل والأغاني والصبوح : من قيان المصر ٠
(٤٧) فصول التماثيل والأغاني : الغرام ٠
(٤٨) المخطوط : الجواب ، بالرفع ٠ وهو وهم ٠
(٤٩) أديب حسن الغناء والنغم له منزلة عند المأمون ٠ (الاغاني ١٠ : ١٥٣ ــ ١٥٦ و ٢٠ : ٨٢ ــ ٨٤ ، ونهاية الارب ٥ : ٣٢ ــ ٣٣ ، ومعجم الادباء ١ : ٢٦٤) ٠
(٥٠) الزيادة من الاغاني ٠
(٥١) الاقران ، واحدها القرن بالكسر ، النظير ٠
(٥٢) الاغاني (٦ : ١٩٢ ــ ١٩٣) وفصول التماثيل (ص ٧٧ ــ ٧٨) ٠
(٥٣) اشارة الى المثل المشهور : « رجع بخفّي حنين » ٠ وهو يضرب في الرجوع بالخيبة ٠ (مجمع الأمثال للميداني ١ : ١٧٢ ــ ١٧٣ و ١٩٩ ــ ٢٠٠ القاهرة ١٣١٠ هـ) ٠

دير قوطا[١]

وهذا الدير بالبَرَدَان[٢] ، على شاطىء دجلة • وبين البردان وبغداد بساتين متصلة ومتنزهات متتابعة•منها الى بلشكُر[٣]، ثم الى المحمدية[٤] ، ثم الى الطولوني الصغير ، ثم الى الطولوني الكبير[٥] ، ثم الى البردان • كل ذلك بساتين وكروم وشجر ونخل •

والبردان ، من المواضع الحسنة ، والبقاع النزهة والأماكن (٣٤ب) الموصوفة • وهي كثيرة الطرّاق والمتنزهين •

وهذا الدير بها • وهو يجمع أحوالاً كثيرة ، منها : عمارة البلد ، وكثرة فواكهه ، ووجود جميع ما يُحتاج اليه فيه ؛ ومنها أن الشراب هناك مبذول ، والحانات كثيرة ؛ ومنها أن في هذا الموضع ما يطلبه أهل

---

(١) قال البيروني (الآثار الباقية ص ٣١٠) : « أما الاعياد التي قيدتها الملكائية بأيام الاسابيع من غير أن يكون بينهم فيها اشتراك أو وصلة ، فمثل ذكران قوطا الراهب وهو مار سرجس ، فانه في اليوم السابع من تشرين الأول ، إن كان أوله يوم الأحد ، وان لم يكن ، أخر الى الاحد الذي يتلو السابع » •

(٢) من قرى بغداد ، على سبعة فراسخ منها (معجم البلدان ١ : ٥٥٢ ــ ٥٥٣) • قلنا : هي في شمال بغداد من نواحي الخالص ، على ما في المراصد ، على يسار دجلة • وقد أثبتها لسترنج في الخارطة الأولى من كتابه بغداد في عهد الخلافة العباسية •

(٣) قال ابن عبدالحق (المراصد ١ : ١٧٠) : قرية تحت البردان تسمى بلشكر ، والناس يقولون بنشكر بالنون من الجانب الشرقي من دجلة مقابل قطربل ، وقطربل في الجانب الغربي •

(٤) في معجم البلدان (٤ : ٤٣٠) محمديات ، والتي أرادها الشابشتي هي التي كانت تسمى الايتاخية وهي المحمدية الثالثة بالعراق • (الدكتور مصطفى جواد) •

(٥) لم نجد لها ذكراً في ما بيدنا من مراجع •

البطالة والخلاعة من الوجوه الحسان ، والبقاع الطيبة النزهة ، فليس يكاد يخلو •

ولعبدالله[٦] بن العباس بن الفضل بن الربيع ، فيه[٧] :

يا دير قوطا ، لقد هيجت لي طربا … أزاح عن قلبي الأحزان والكربا

كم ليلة فيك واصلت السرور بها … لما وصلت لها الأدوار والنخبا[٨]

في فتية بذلوا في القصف ما ملكوا … وانفقوا في التصابي المال والنشبا[٩]

وشادن ما رأت عيني له شبهاً … في الناس ، لا عجماً منهم ولا عرباً

اذا بدا مقبلاً ، ناديت : وا طربا ! … وان مضى معرضاً ، ناديت: وا حربا!

أقمت بالدير حتى صار لي وطناً … من أجله، ولبست المسح[١٠] والصلبا

وصار شماسه لي صاحباً وأخاً … وصار قسيسه لي والداً وأبا

ظبي، لواحظه في العاشقين ظبى[١١] … فمن دنا منه مغتراً ، بها ضربا

ان سمته الوصل أبدى جفوة ونبا … أو سمته العطف ولى معرضاً وأبى

وان شكوت اليه طول هجرته … وما ألاقيه من إبعاده قطبا

والله ، لو سامني نفسي سمحت بها … وما بخلت عليه بالذي طلبا

وكان عبدالله هذا ، من الأدباء الظرفاء ، وكان صاحب غزل ومجون، كثير التطرح في الديارات والحانات ، والاتباع لأهل اللهو والخلاعة ! وله

---

(٦) شاعر أديب راوية حسن العلم ، كان في أيام المعتصم (تاريخ بغداد للخطيب ١٠ : ٣٦) •

(٧) معجم البلدان (٢ : ٦٨٩) • والمسالك (ص ٢٨٠) نقلا عن الشابشتي •

(٨) المخطوط : النحبا •

(٩) النشب : العقار والمال •

(١٠) المسح : ثوب من الشعر غليظ ، يلبسه الرهبان على البدن ، تقشفاً وقهراً للجسد • الجمع : أمساح ومسوح •

(١١) الظبى ، مفردها الظبة ، وهي حد السيف أو السنان ونحوهما •

شعر مليح يغنى فيه ويتغنى هو أيضاً فيه وفي غيره •

وقال له محمد بن عبدالملك الزيات[١٢] يوماً : أنشدني من شعرك• قال : وما قدر شعري ، أيها الوزير ؟ قال : ألست الذي يقول[١٣] :

وشادن رام ، إذ مرّ في الشعانين[١٤] ، قتلي
يقول لي : كيف أصبحت ؟ كيف يصبح مثلي ؟

من يقول هذا ، يقول ما مقدار شعري ؟

قال :[١٥] وكان عبدالله تعشّق عساليج[١٦] ، جارية

---

(١٢) من أشهر الوزراء العلماء في العصر العباسي • وزر للمعتصم والواثق وأياماً قلائل في خلافة المتوكل• وقد نكبه المتوكل وقتله سنة ٢٢٣هـ (٨٤٧م) • وله ديوان شعر نشره الدكتور جميل سعيد في القاهرة سنة ١٩٤٩ • وقد نوهنا بخزانة كتب هذا الوزير في « خزائن الكتب القديمة في العراق » (ص ١٧٨ ــ ١٨٠) • وترجمة ابن الزيات في الاغاني (٢٠ : ٤٦ ــ ٥٦) والفهرست (ص ٢٢) وتاريخ بغداد للخطيب (٢ : ٣٤٢ ــ ٣٤٤) والوفيات (٢ : ٧٨ ــ ٨٣) •

(١٣) الاغاني (١٧ : ١٢٢ و ١٢٨ و ١٣٨) •

(١٤) الاغاني : السعانين ، بالسين المهملة ، وهما سواء • والشعانين مشتقة من العبرية « هوشعنا » ومعناها : انقذنا ، ويسوع مشتقة منها ومعناه المخلص (انجيل متى ٢١ : ٩ وانجيل يوحنا ١٢ : ١٣ ، والمزامير ١١٨ : ٢٥ و ٢٦) • وعرف الشعانين في المؤلفات العربية القديمة بالسباسب • جاء في المخصص (١٣ : ١٠٢) وتاج العروس (١ : ٢٩٤) ان « يوم السباسب عيد للنصارى ، ويسمونه يوم السعانين ، ويقال شعانين » • وذكر مؤلف « التاريخ السعردي » (٢ : ٢١٤ طبعة أدي شير) ان مار بابي الكبير ، المتوفي سنة ٦٢٨م ، له بالسريانية « كتاب فيه السبب الذي عمل له عيد الشعانين المقدس » ، وقد ضاع • وللشعانين عند النصارى ، عيد يقع في الاحد الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة • فهو من الاعياد المتحولة •

(١٥) الأغاني (١٧ : ١٣٢) •

(١٦) العساليج ، مفردها العسلوج : ما لان من قضبان الشجر • وبها سميت هذه الجارية • وفي الأغاني (١٧ : ١٣١) رواية طريقة تفي بالتعريف بها •

عمته رُقية[١٧] ، فقالت له بذل الكبيرة : أرني عساليج ، فاما عذرتك وإما عذلتك ! قال : فدعاها الى منزله ، وحضرت بذل ، فابتدت عساليج ، فغنت :

أأن خُنتم بالغيب عهدي فما لكم ... تُدلون ادلال المقيم على العهد
صلوا وافعلوا فعل المدلّ بوصله ... والا، فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد

(٢٥ب) فأتت فيه بكل شيء حسن . فقال لبذل : كيف ترين يا ستي ؟ فقطعت عساليج الغناء ، وقالت : يا عبدالله ، تُشاوِر فيَّ ؟ فوالله ما شاورتُ فيك حين وددتك ! فنعرت بذل وقالت : [ايه ! أحسنتِ والله يا صبية ! ولو لم تحسني شيئاً ولا كانت فيك خصلة تحمد ، لوجب أن تُعشقي لهذه الكلمة ؟ أحسنتِ والله ؟ ثم قالت][١٨] : أحسنتَ والله يا عبدالله ، عذرتُك !

ومن شعر عبد الله :

اسقني الراح ، قد خلعتُ العذارا ... وتحملت فيك قالاً وقيلا
اسقني طارد الهموم ولا تمـ ... ـزج منه الغداة الا قليلا

ومن شعره[١٩] :

يا حبذا يومي بالدالية[٢٠] ... نشربها قُفْصِيّةً[٢١] صافيه

---

(١٧) هي رقية (بالتصغير) بنت الفضل بن الربيع . (الأغاني ١٧ : ١٢٢ ـ ١٢٣ و ١٣٢ ـ ١٣٣) .
(١٨) الزيادة من الأغاني .
(١٩) المسالك (ص ٢٨٠) ومحاضرات الراغب (١ : ٣٢١) .
(٢٠) لعله أراد بالدالية واحدة الدوالي التي يستقى بها الماء للزرع ، وهي تكثر في البساتين ، أو قصد موضعا ذكره ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٥٣٨) بقوله : « الدالية : مدينة على شاطىء الفرات ، في غربيه ، بين عانة والرحبة ، صغيرة ... » وزاد صاحب المراصد (١ : ٣٨٦) قوله : « انها لا تعرف اليوم » .
(٢١) نسبة الى القفص (بالضم فالسكون) : قرية مشهورة بين بغداد

مع كل قــرْم[٢٢] متلف ماله   لم تبــق في الدنيا له باقيــه
فخــذ من الدنيــا ولذاتهــا   فانمــا نحــن بهــا عاريــه

قال : وكتب عبدالله الى صديق له يدعوه : جعلت فداك ، أنا وقلم ، وأنت أعلم !

وكان عبد الله يعشق جارية نصرانية ويهيم بها • فله فيها[٢٣] :

فتنتنــا صــورة في بيعــة[٢٤]   فتــن الله الــذي صــوّرها
زادهــا النــاقش في تحسينهــا   انــه اذ صــاغهــا نصّرها

(٢٦ أ) وله فيه لحن •

وكانت مصابيح[٢٥] ، جارية الأحدب المقين ، تغني بهذا الصوت ، وتغني في كثير من شعره • وكانت أروى الناس له وأعرفهم بغنائه • وكانت موصوفة بالحسن والاحسان • وكان عبدالله يهواها •

ومما غنت فيه من شعر عبدالله[٢٦] :

ألا اصبحاني يــوم الشــعانين   من قهــوة عُتقت بكركين[٢٧]

وعكبرا ، قريبة من بغداد ، كانت من مواطن اللهو ومعاهد النــزه ومجالس الفرح • تنسب اليها الخمور الجيــدة والحانات الكثيرة (معجم البلدان ٤ : ١٥٠) •

(٢٢) المخطوط : فرم • والقرم : السيد العظيم • الجمع قروم •

(٢٣) معجم ما استعجم (ص ٣٧٥) والمسالك (ص ٣٧٢) •

(٢٤) البيعة، بكسر الباء : متعبد النصارى واللفظة سريانية بمعنى البيضة والقبة • وللبيعة ذكــر كثــير في الشعر العربي (أنظر : شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية • ص ٢٠١ ، وتاج العروس ٥ : ٢٨٥) •

(٢٥) من مغنيات العصــر العباسي • وفي الأغاني (١٧ : ١٣٣) طرف من أخبارها •

(٢٦) الأغاني (١٧ : ١٣٠) •

(٢٧) كركين : بكسر الكافين بينهما راء ساكنة : من قرى بغــداد ، قرب البردان (معجم البلدان ٤ : ٢٦٣) •

عنـد أُنـاس قلبي بهـم كلفٌ وانْ تولوا دينـاً سـوى ديـنـي

ولعبدالله في مصابيح ، وكان قال هذا الشعر[٢٨] وغنّى فيـه وهي حاضرة ، فأخذته عنه ، وغنت فيه أيضاً متيّم الهشامية[٢٩] :

انـي عشـقتُ عـدوةً فسـقى الالـهُ عـدوتي
وفديتهـا بأقـاربي وبأسـرتي وبجيرتـي
جُدِلت كجـدل الخيزرا ن وثنيّت فتثنّت
واستيقنتْ أن الفـؤا د يحبهـا فأدلّت

قال[٣٠] : وغاضبت مصابيح عبدالله بن العباس في شيء بلغها عنه . فرام أن يترضاها ، فأبت . فكتب اليها رقعة، يحلف فيها أنه ما أتى شيئا مما أنكرته ، ويدعو على من ظلم . فلم تجبه عن شيء مما كتبـه ، ووقعت (٢٦ ب) تحت الدعاء : « على الظالم . آمين » ولم تزد على ذلك . فكتب اليهـا[٣١] :

أمـا سروري بالجـوا ب فليس يفنى ما بقينـا
وأسرُّ حرف فيـه لي « آمـين » ربَّ العـالمينا

ومن شعره[٣٢] :

---

(٢٨) هذا الشعر في الأغاني (١٧ : ١٣٣) .
(٢٩) من المغنيات المجيدات في العصر العباسي . كانت من أحسن الناس وجها وغناء وأدبا . أخذت الغنـاء عن اسحق بن ابراهيم الموصلي وعن أبيـه وعن طبقتهما من المغنين . وكانت مـن تخريج بذل وتعليمهـا . غنت للمأمون والمعتصم . وأخبارهـا في الأغـاني (٧ : ٢٩ ــ ٣٥) .
(٣٠) الأغاني (١٧ : ١٣٣) .
(٣١) الأغاني (١٧ : ١٣٣) .
(٣٢) العقد الفريد (٤ : ٣٧٣) ، الصبوح والغبوق (ص٥٤) . ويلاحظ ان الابيات في العقد منسوبة الى صريع الغواني ، بقوله : « وقف

ذهبٌ في ذهب را	ح بــه غصــن لُجين
فأتت قــرّة عـــين	بيــدي قــرّة عَـــين
قمــر يحمل شمساً	مرجبــاً بالنيّـــيرين
إلفـــا سـكرين إلفـيـ	ن معـــاً مؤتلفين
لا جــرى بيني ولا بيـ	نهمـا طـــائر بَـــين
بــل غنينـــا ما بقينـــا	أبـــداً معتنقـــين
في صـبوح وغبـــوق	لم نَبــع نقـداً بديـن

صريع الغواني بباب محمد بن منصور ، فاستسقى ، فأمر وصيفا له ،فأخرج اليه خمراً في كأس مذهبة ،فلما نظر اليها في راحته ، قال ٠٠٠ » ثم ساق الابيات ٠ على اننا لم نجد هـــذه الابيات في ديوانه المطبوع في أوربــة ٠ وانما استدركهـا سامي الدهان في طبعته لهذا الديوان (ص ٣٤٤ دار المعارف ــ القاهرة) ٠

دير مر[1] جرجس

هذا الديرُ بالمزْرَفة • وهو أحد الديارات والمواضع المقصودة • والمتنزهون[2] من أهل بغداد يخرجون اليه دائماً في السميريات ، لقربه وطيبه • وهو على شاطىء دجلة• والعُروب[3] بين يديه ، والبساتين محدقة به ، والحانات (**٢٧** أ) مجاورة له • وكل ما يحتاج اليه المتنزهون فحاضر فيه •

والمزرفة ، من أحسن البلاد عمارة ، وأطيبها بقعة ، وبها من البساتين ما ليس ببلد من البلدان •

ولأبي جفنة القرشي فيه ، وكان من الخلعاء ومدمني الشرب والمتطرحين في الديارات والحانات • ولم يكن يخلو من غلمان مرد[4] ، بعضهم يخدمه ، وبعضهم يغنيه[5] :

ترنم الطيرُ بعد عجمته وانحسر[6] البرد في أزمّته

---

(١) مر ، وتكتب : مار ، لفظة سريانية معناها السيد وهي لقب يطلق على القديسين والاولياء والجثالقة والأساقفة •

(٢) المخطوط : المبرهون •

(٣) العروب ، واحدتها العربة : طواحين تقوم على سفن رواكد في النهر ، كانت شائعة في العراق والجزيرة وبعض ما جاورها من البلدان • ويرتقى استعمالها الى ما قبل الاسلام ، وظلت معروفة حتى المائة السادسة للهجرة • ثم قل استعمالها • « العروب في العراق » لميخائيل عواد • (الرسالة ٨ [١٩٤٠] العدد ٣٦٠ • ص ٨٩٤ ــ ٨٩٦) •

(٤) المرد ، واحدها الامرد : الشاب الذى طر شاربه ولم تنبت لحيته •

(٥) معجم البلدان (٢ : ٦٩٧ ــ ٦٩٨) ، المسالك (ص ٢٨١) •

(٦) انحسر الشيء : انكشف • وفي المسالك : وانصرف •

وأقبل الورد والبهار[7] الى زمان قصف يمشي[8] برمته

ما أطيب الوصل إن نجوت فما يلسعني هجره بحمّته

ومثل لون النجيع[9] صافية تذهب بالمرء فوق همته

نازعتُها من سداؤه أبداً في العشق والفسق مثل لحمته

في دير مرجُرجس وقد نفح ال فجر علينا أرواح زهرته

أريد منه وليس يمنعني من ذلك الشيء غير حشمته

وفى بميعاده وزورته وكنتُ أوفى له بذمته

ومن مليح شعره[10] :

ومُعرّس طلب الصبوح وإنني لفتىً يوافقني الصبوح بكورا

(٢٧ ب) وقرعت صافيةً بماء سحابة فنتَجْنَ حين قرعتهن سرورا

فشربتُ ثم سقيته فكأنما سببت[11] فوق لهاته كافورا

وفتىً يدير عليك في طرباته خمراً تولّد في العظام فتورا

واذا[12] رشفت شفتيك رضابها كتب العقار[13] بحسن وجهك نورا

ما زلت أشربها وأسقي صاحبي حتى رأيت لسانه مكسورا

---

(٧) البهار : نبت طيب الرائحة ·

(٨) المخطوط : يمسي ·

(٩) النجيع من الطعام والشراب ما نفع البدن · وماء نجيع : مريء ·

(١٠) المسالك (ص ٢٨١) ، معجم البلدان (٣ : ١٨٤ ـ ١٨٥) ·

(١١) سبسب الماء : أساله ·

(١٢) لعل الأصل في هذا البيت :

« واذا رشفت بمرشفيك رضابها
كست العقار لحسن وجهك نورا »

(١٣) العقار : بضم الاول ، الخمرة ·

ممـا تخيَّـرت التجـار ببـابل　　أو ما تعتّقه' اليهود بسـورا[١٤]

وله :

ومزورِّ وجـهٍ لم ير الناس مثله　　أدرت' عليـه الكأس لما تغضّبا
يؤاخذني إن رمت في الخد قبـلة　　ويعرض عني كلما قلت : مرحبـا
ولـولا الذي يرتجُّ تحت إزاره　　لألسعته مني ، إذا صدّ ، عقـربا
أدرت عليـه قهـوة بابليـةً　　تريك حميَّاها على الكاس كوكبـا
اذا شَجَّهَا[١٥] الساقي بمـاء تدرَّعت
على المزْج سربالاً مـن الدرِّ مُذهبـا

وللنُميري ، فيه :

نزلت' بمرما جرجس[١٦] خيرَ منزل
ذكـرت بـه أيّام لهو مَضينَ لي
تكنَّفنـا فيـه السـرور وحفنـا
فمن أسفل يأتي السرور ومن عَـل
(٢٨أ) وسالمت الأيـام' فيـه وساعفت
وصارت صروف الحادثات بمعـزل
يدير علينا الكأس ظبيٌ مقرطق[١٧]
يحثُّ بهـا كأساتهـا ليس يأتلي

---

(١٤) سورا : موضع بالعراق ، من أرض بابل ، وهي مدينة السريانيين ، وقد نسبوا اليها الخمرة • وهي قريبة من الوقف والحلة المزيدية (معجم البلدان ٣ : ١٨٤ ـ ١٨٥) •

(١٥) الشج : المزج •

(١٦) تصحف هذا اللقب في المخطوط الى « مر ما » والذي نراه ان « ما » تصحيف « مار » وهي زيادة اقتضاها الوزن •

(١٧) المقرطق : لابس القرطق • والقرطق قباء له طاق واحد •

فيا عيش ما أصفى ، ويا لهو دم لنـا ،

ويا وافـد المـلذّات حيّيت فانـزل

وهو أبو الطيب ، محمد بن القاسم النميري[١٨] . وكان من أهـل الأدب والفضل ، مليح الشعر ، رقيق الطبع . وكانت له حال ونعمة . وكان يكثر الشرب في الديارات والحانات ، ويلذ له ذلك .

وكان عبدالله بن المعتز ، يأنس به ولا يفارقه ، وكانت تجري بينهما مكاتبات ومناقضات في الشعر ومداعبات طيبة . ونحن نذكر منها :

قال عبدالله بن المعتز : كتب الي النميري يوماً ، وقد دعوته[١٩] :

رأيتك تدعوني الى الشرب مُعتما   وتقطع عني الشرب والليـل ممتع
فاما شربتَ الراح ليـلك كلّـه   وإما شربت الراح والشمس تلمع
فأيهمـا آثـرت وفيتُ حقّـه   وذاك الذي تهـواه شرب مخلع

قال : وكتبت اليه في يوم عيد ، ولم يكن جاءني ذلك اليوم :

بأبـي ، هل حـلا بعينك شـيء   هو أسلاك ، يا خليلي ، بعـدي

(٢٨ ب) طعم كأسي مرٌ ، إذا لم تزرني ،

وهـو حلوٌ ، إذا رأيتك عنـدي

فكتب الي :

سـيدي أنت لـم تـردني فمـاذا   حيلتي إذ بُليت منـك بصـدّ
يعـلم الله ما أُقاسيه من شـو   قي ومن حسـرتي وغمي ببُعدي

---

(١٨) من شعراء المئة الثالثة للهجرة . أخباره في الأغاني (٩ : ١٣٧) ، معجم الشعراء للمرزباني (ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

(١٩) أغلب أشعار ابن المعتز الواردة فى هذا الباب لم نجدها في ديوانه المطبوع في مصر وفي استانبول .

قال عبدالله : وكتبت اليه مرة أدعوه ، فكتب إلي : عندي قوم ، ولعلي أتخلص منهم . وعلق الوعد . فكتبت اليه :

يا مَن يسوّف وعدي — لو شئت جئت بمرّه
فاسقط علينا سقوطاً — ولا ترفرف لغدره
فإن ضبطت بِسَاقَيْـ — ـك بعد هذي المرّه
لأحبسنَّك عندي — على أذىً ومضرّه

قال عبدالله : وكتب الي النميري في آخر شعبان[٢٠] :

يا أبا العباس ، قد شـ — ـمّر شعبان إزاره
ومضى يسعى فما يلـ — ـحق إنسان غباره
فاغدُ نشرب صفوة الدّ — نّ ونسلبه[٢١] وقاره
وإذا ما ذُكر العقـ — ـل شربنا يادكاره[٢٢]

(٢٩ أ) قال : وكتب إلي ، وقد تأخر اجتماعنا :

بكم الموت في الجماعة خيرٌ — من حياةٍ في وحشة وانفراد
عرّفوني اجتماعهم يومهم ذا — واستبدّوا عليّ في الميعاد
والحريري رأسهم وبحَسْبي — بالحريري رأس كلّ فساد
إن رأى قينةً[٢٣] تحرك للعشق — وأرخى جناحه للسفاد
وتصدى لها وحرّك عطفيـ — ـه وراقت لشهوة الأولاد

---

(٢٠) المسالك (ص ٢٨١) .
(٢١) المخطوط : ونسلمه ، والوجه ما في أعلاه ، وهو من المسالك .
(٢٢) لفظة فارسية ، بمعنى الذكرى . وقد أورد المؤلف في كلامه على « عمركسكر » ، قول محمد بن حازم الباهلي :
بعمر واسط طاب اللهو والطرب
واليادكارات والأدوار والنخب
(٢٣) المخطوط : مسه .

فاعتذرت اليه ، وسألته المصير إلينا ، فجاءنا .

قال عبدالله : وكتب إلي :

إذا غبت لم أُطلب ، وإن جئت لم أصل
وللعتبُ أولى بي ولست بعاتب

سأصبر للشوق المبرِّح كارهاً
وأرقبُ يوماً صالحاً في العواقب

وما كل مَن صاحبته مثل قاسم
فقسه[٢٤] وفكِّر في سبيل الذواهب

قال : وكتب الي في يوم خميس صُمته :

أبا العباس يا خير الأنام تصوم ، وليس ذا يوم الصيام
فهل لك في مدام اخ ظريف يساعد في الحلال وفي الحرام؟

قال : كتب الي النميري ، يستبطىء رسولي ويعتذر من تأخره عني **(٢٩ ب)** ويذكر انه اشتغل بعمارة بستانه . فأجبته : أما ما ذكرت من تأخر رسولي عنك للسؤال عن خبرك في هذه الأيام والتفقد لك ، فاني رأيتك قلبت قول القائل : « خذ اللص من قبل أن يأخذك[٢٥] ! » وإلا ، فما قصرت في السؤال عنك والبعثة اليك . ولكن ما أقول لمن نكس عليله فلم يعده ؟ واشتاق اليه فلم يزره؟ مشتغلاً بطروق الحانات والديارات ، وركوب الزلالات ، ومغازلة القيان ، ومعاقرة ابنة الدنان ، جامعاً بين طرفي نهاره بغبوق لا يهدأ سامره ، وصبوح لا يفتر باكره ، في عسكري لهو : واحد يخبط الماء بمجاذيفه ، وآخر يقرع الأرض بخببه ووجيفه . وسألت

---

(٢٤) المخطوط فعسه .

(٢٥) مثل سائر (مجمع الأمثال للميداني ١ : ١٧٦) .

عن خبري في هذه الأمطار ، فما عسيت أن أقول في المنّة الواجب لله تعالى الشكر عليها ، اذ تخطتنا بعد ان سلّت سيفها وخفنا حيفها •

قال عبدالله : وكتب اليّ النميري :

أميرٌ كنت أرجوه لدهري ... إذا ما ناب بالخطب الجليل

مرضت، فلم يعدني من سقامي ... وتاه عن العيادة والرسول

وما بي حاجة تدعو الى ما ... أذلُّ به لذي النبل المنيل

(٣٠ أ) ولا لمتوَّج بالملك يزهى ... اذا ما كنت أقنع بالقليل

فكتبت اليه رقعة ، في آخرها :

في كل يوم طاعة وعصيانْ ... وملل ٌ وملقٌ وهجرانْ

خلائق كأنهنَّ غيلانْ(٢٦)

قال : ودعوته ليوم أسميته ، فتأخر رسولي عنه ، فكتب الي :

دعوتنا وبدا لك ... نك في استه من وفى لك

قال : وكتب اليّ النميري :

برّح بي الشوق الى الشرب ... مع سيّد يهرب من قربي

ولم أكن أعهده جافياً ... فصار يجفوني بلا ذنب

والله ، ما أعرف لي عنده ... ذنباً ، سوى الافراط في الحب

وانني ما سؤته ساعةً ... في حاضر الجدّ ولا اللعب

فكتبت اليه :

---

(٢٦) الغيلان ، جمع الغول (بضم أوله) : قيل انه الذكر من الجن ومؤنثه السعلاة •

يــا أيهـــا الجافي ويستجفــى ليس تجنّيك[٢٧] من الظرف
إنك والشوق الينـــا كمن يُؤمنُ بالله عــلى حرف[٢٨]
محوتَ آثارك من ودّنـا غـــير أساطيرك في الصُّحف
(٣٠ب) وإن تجشمت لنـــا زَوْرةً
يومـــاً ، تحاملت عـــلى ضَعف

قال ، وكتب إلي[٢٩] :

أتيتك مسروراً فطاب لي الشُّرب ونالت مناها عنـدك العين والقلبُ
فجارت عليَّ الكأس حتى هجرتها ثلاثة أيام كمـا استوجب الذّنب

فكتبت اليه[٣٠] :

علام هجرت الكأس اذ جار حكمها ولا لهو الا أن تكون ، فما الذنب
أدام لك الله الســـــرور ودام لي بك العيش والنّعماء واتصل القرب

قال عبدالله : بعثت الى النميري يــوم جمعة رسولاً ، وقلت لـــه : إركب معنا الى الصلاة ، فوجده الرسول قد اصطبح . فقال له : قل له : أنا أصلي مذ صلاة الغداة . فكتبت اليه :

يا مـــن يصلي صـــلاةً فيهـــا لابليس طاعـــهْ
إن كنت تقبل شـــكري فالشـــكر في ذا رقاعـــه !

قال : وكتبت اليه وقد اعتللت ، فلم يعدني :

---

(٢٧) المخطوط : نحسك .
(٢٨) اشارة الى الآية الكريمة (سورة الحج : ١٠) . وفي المخطوط : من حرف .
(٢٩) ديـــــوان ابن المعتز (ص ٢٠٩) ، معجم الشـــعراء للمرزباني (ص ٣٣٧) .
(٣٠) معجم الشعراء (ص ٣٣٧) .

الحمد لله حتى أنت تجفوني بعد الصفاء جفاء ليس بالدُون

قد[٣١]كنت منتظراً هذا فجئت به وليس خلقٌ على غدر بمأمون

(٣١ أ) فكتب يعتذر بشغل له واعتلال مركبه . فكتبت اليه :

لا تعتذر ! قد عرفنا ك سوف تفعل فعلك

ذكرت شغلاً ، فهلاّ جعلتني بعض شغلك ؟

أو لم يكن لك عيرٌ[٣٢] فكنت تركب نعلك

قال : فكتب إلي :

إن كنت أذنبت ذنباً فقد وثقتُ بفضلك

وقد أتيتك مشياً كما قضيت بعدلك

وجاءني ماشياً .

قال النميري : كان عبدالله بن المعتز ، يعيب العشق كثيرا ، الى أن صار يقول : هو طرف من الحمق ، واذا رأى منا مطرقاً أو مفكراً ، اتهمه بهذا المعنى ويقول : وقعت يا فلان ، وقلّ عقلك وسخفت ! الى أن رأيناه قد حدث به سهو شديد وفكر دائم ، الى ان كانت تبدر منه الأبيات في معنى العشق . فمرة يقول :

أسر الحبّ أميرا لم يكن قبل أسيرا

فارحموا ذلّ عزيزٍ صار عبداً مستجيرا

(١٣ ب) ومرة يقول :

عقل المحبّ ساهي في قلبه الدواهي

(٣١) ديوان ابن المعتز (٣ : ١١٤ س ١٦ طبعة استانبول).

(٣٢) العير : الحمار الأهلي أو الوحشي .

فقلت : جعلني الله فداك ! هذه أشياء قد كنت تعيب أمثالها منا ، ونحن ننكرها الآن منك ! فيرجع تصنُّعاً ، ثم لا يلبث أن تبدر منه بادرة .

فقال مرة :

مكتوم يا أحسن خلق الله ... لا تتركيني هكذا بالله

ثم تنفس ، فقلت :

قد ظفر العشق بعبدالله ... وانهتك الستر بحمد الله

فقل له : سمِّ لنا ، بالله ، ... هذا الذي تهوى ، بحق الله !

فضحك وقال : لا ، ولا كرامة ، فكتبت اليه من غد :

بكت عينه وشكا حرقةً ... من الوجد في القلب ما تنطفي

فقلت له : سيدي ، ما الذي ... أرى بك ؟ قال : سقامٌ خفي

فقلت : أعِشقٌ ؟ فقال : اقتصر ... على ما تراه ، أما تكتفي ؟

فكتب الي :

يا مَن يحدث عني ... بظنٍّ سمع وعين

اِن كنت تَخطب سري ... فارجع بخفي حُنين

(٣٢ أ) فكتبت اليه :

هيهات حظك والله ... أن تبوح بعشقك

دع عنك خُفي حنينٍ ... واحرص على حلِّ ريقك[٣٣]

تعال نحتال فيما ... تهوى برفقي ورفقك

ثم صرت اليه . فأخبرني بقصته ، فسعيت له بلطف الحيلة ، وأعانني بحزم الرأي ، الى أن فاز بالظفر وأدرك البغية .

---

(٣٣) لعل الوجه « ربقك » أي رباطك .

دير باشهرا[1]

وهذا الدير على شاطىء دجلة ، [بين سامراء وبغداد][2] • وهو دير حسن ، عامر ، نزه ، كثير البساتين والكروم • وهو أحد المواضع المقصودة والديارات المشهورة[3] • والمنحدرون من سر من رأى ، والمصعدون اليها ، ينزلونه • فمن جعله طريقاً ، بات فيه وأقام به ان طاب له • ومن قصده ، أقام الأيام في ألذ عيش وأطيبه ، وأحسن مكان وأنزهه !

ولأبي العيناء[4] فيه[5] ، وكان نزله وأقام به أياما ، واستطابه ،

---

(١) قال أحمد زكي باشا (مسالك الأبصار ص ٢٨٢ حاشية ٢) في تعليقه على صفة هذا الدير : « وقد يكتبونه باشهرا » • ولم يشر الى موطن هذه التسمية المصحفة • فاللفظة سريانية : «بيث شهرا» بمعنى محل السهر ، وهي مشهورة في كنائس المشرق • وعندهم ايضاً « صلوثا دشهرا » و « قال دشهرا » أي صلاة السهر • (دليل الراغبين ص ٧٧١) •

(٢) الزيادة من معجم البلدان •

(٣) في الهامش ، بخط يخالف الأصل : « النوادر الواقعة في هذا الدير لطيفة جداً • يجب على المسامر حفظها واستحضارها فان النفس تشرف برفائع الأقاصيص » •

(٤) هو محمد بن أبي القاسم اليمامي ، اشتهر بكنيته • مات سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥م) • وللصاحب بن عباد ، كتاب «أخبار أبي العيناء» (معجم الأدباء ٢ : ٣١٦) وقد ضاع • ولأبي العيناء ذكر في أكثر كتب الادب والتاريخ والتراجم : مروج الذهب (٨ : ١٢٠ ــ ١٢٥)، الفهرست (ص ١٢٥) ، تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٠ ــ ١٧٩)، المنتظم (٥ : ١٥٦ ــ ١٦٠) ، معجم الادباء (٧ : ٦١ ــ ٧٣) ، الوفيات (١ : ٧١٩ ــ ٧٢٢) ، نكت الهيمان (ص ٢٦٥ ــ ٢٧٠) ، لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٥ : ٣٤٤ ــ ٣٤٦) ، الشذرات (٢ : ١٨٠ ــ ١٨٢) •

(٥) قال ياقوت بصدد هذا الشعر (معجم البلدان ٢ : ٦٤٥) :

وقال فيه[٦] :

نزلنـــا دير باشـهَرا	على قسيسه ، ظُهرا
عـلى دين أيسوع[٧]	فما أفتى وما أسـرا
(٣٢ب) فأولى من جميـل الفعـ	ـل ما يستعبد الحُرا
وسقّـــانا وروّانـا	مـن الصافيـة العـــذرا
وطاب الوقت في الـدير	فرابطنـــا بـــه عشـرا
وسُقّينا بـه الشمس[٨]	وأُخدمنا بـــه البـــدرا
وأحيت لـــذّة الـكأس	ولـكن قتّلت ســـكـرا
ونلنـــا كل ما نهـــوا	ه من لذاتنـا ، جَهـرا
تصابينـــا ، وغنّينـــا ،	وأرغمنـ بـــه الدهرا
فـكنـــا ، وتهتـكنـا ،	ومثـلي هتَـك السترا
وقـــد ساعدنا ربَّن[٩]	طوعاً منـــه ، لا جبـرا
جـــزاه الله عن خـــير	بـــه قابلنـــا خـــيرا
فقـــد أوسـعته شـكرا	كمـــا أوسـعنا بـــرا

وكان أبو العيناء من الطياب . وكان المتوكل يعجب بكلامه وسرعـــة جوابه ونوادره . وعَـمي على رأس أربعين سنة من عمره . ومما يدل على

« ... وأنشد [الشابشتي] فيه [في دير باشهرا] لابي العيناء . فان صح ، فهو غريب ، لان أبا العيناء قليل الشعر جدا ، ولم يصح عندي له شيء من الشعر البتة » .

(٦) معجم البلدان (٢ : ٦٤٥) ، المسالك (ص ٢٨٢) .

(٧) لا يستقيم الشطر الا بقوله : « أيا سوع » أو « يسوعي » (كاظم الدجيلي) . قلنا : وفي معجم البلدان « يشوعي » .

(٨) الشمس يُقصد بها هنا الخمرة .

(٩) ربن وتكتب ربان : لفظة سريانية معناها الراهب .

ذلك ، قول أبي علي البصير[١٠] ، فيه[١١] :

قد كنتُ خفت يد الزما　　ن عليك إذ ذهب البصر

(٣٣أ) لم أدر أنك بالعمى　　تغنى ويفتقرُ البشر

وكان حسن الشعر ، جيد العارضة ، مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم •

ونحن نذكر طرفاً من أخباره ، بمقدار لا يخرج الى الاطالة ، ولا يخل بالشرط[١٢] •

قال[١٣] المتوكل لأبي العيناء : ما أشد شيء مر عليك في ذهاب بصرك ؟ قال : فوات رؤيتك يا أميرالمؤمنين ، مع إجماع الناس على جمالك •

وقال[١٤] له يوماً : يا محمد ، الى كم تمدح الناس وتذمهم ؟ قال : ما أساءوا وأحسنوا •

---

(١٠) شاعر بليغ مترسل ، كان ضريراً ولقب بالبصير تلطيفاً • وهو من أهل الكوفة. وسكن بغداد مات سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥ م) وأخباره في : طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٨٨ ــ ١٨٩) ، الفهرست (ص ١٢٣) ، معجم الشعراء للمرزباني (ص ٣١٤) ، نكت الهميان (ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦) وفي « جمهرة رسائل العرب » لاحمد زكي صفوت (٤ : ١٥٦ ــ ١٦٩ القاهرة ١٩٣٧) شيء من رسائله •

(١١) تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٤ وقد نسب الشعر فيه الى أحمد ابن أبي طاهر) ، معجم الادباء (٧ : ٦٣) ، نكت الهميان (ص ٢٦٥) ، الشذرات (٢ : ١٨١) •

(١٢) أورد الشابشتي لابي العيناء في هذا الفصل ، ثلاثاً وثلاثين نادرة • وقد تتبعنا نوادره الاخرى في المراجع التي بيدنا ، فاذا بها لا يزيد كلها على نصف ما في الديارات •

(١٣) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١٢٥) •

(١٤) معجم الادباء (٧ : ٦٦) ، الوفيات (١ : ٧٢٠) •

وقال له عبيد الله بن سليمان[١٥] : قد أمرنا لك بشيء في هذا الوقت، فخذه واعذر . قال : لا أفعل ، أيها الوزير ! إذا كنت في النكبة تعتذر ، وفي الدولة تعتذر ، فمتى لا تعتذر ؟

وسأل صاعد بن مخلد[١٦] كتاباً يكتبه الى مصر . فجعل يقول : الى مصر يا أبا العيناء الى مصر ؟ فقال : وما استبعادك ، أعزّك الله ، لي مصر ؟ والله ! لما في صناديقك أبعد علي مما في مصر !

ودخل الى أبي الصقر[١٧] ، فقرّب مجلسه وأدناه ، فقال[١٨] : أيها الوزير ! تقريب الولي وحرمان العدو !

---

(١٥) هو أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب بن سعيد ، الوزير (٢٢٦ ــ ٢٧٨ هـ ــ ٨٤٠ ــ ٩٠٠ م) . دامت وزارته في أيام المعتمد والمعتضد عشر سنين . كان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب ، وأخباره في : تاريخ الطبري (فهارسه) ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابىء (فهارسه) ، الفخري (ص٣٤٧ــ ٣٤٩) ، الوفيات (١ : ٣٨٧ ــ ٣٨٨) ، فوات الوفيات (٢ : ٢٧ ــ ٢٨) .

(١٦) من مشاهير وزراء بني العباس . قال هلال الصابىء : وتلقب صاعد بن مخلد في أيام المعتمد ب « ذي الوزارتين » اشارة الى وزارة المعتمد والموفق » (رسوم دار الخلافة ص ١٣٠ تحقيق ميخائيل عواد . بغداد ١٩٦٤) . مات سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) . (المنتظم ٥ : ٦٦ و١٠١ ، وثمار القلوب للثعالبي ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤) وسيورد الشابشتي أخبارا مهمة عن صاعد في فصل « دير قنى »·

(١٧) هو اسماعيل بن بلبل ، الوزير . استوزره الموفق لاخيه المعتمد ، سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ ــ ٨٧٩ م) . قال ابن الطقطقى (الفخري ص ٣٤٥ ــ ٣٤٧) : « كان كريماً مطعاماً متجملا ، بلغ من الوزارة مبلغاً عظيماً وجمع له السيف والقلم .. مدحه الشعراء كالبحتري وابن الرومي وغيرهما وهجوه .. وقبض عليه المعتمد وحبسه وعاقبه ثم قتله في محبسه واستصفى أمواله » .

(١٨) الايجاز والاعجاز للثعالبي (ص ٣٠ طبعة الجوائب) .

ودخل عليه يوماً ، فقال[19] : ما أخَّرك عنا ، أبا عبد الله ؟ قال : سُرِقَ حماري ! قال : وكيف سرق ؟

(٣٣ب) قال : لم أكن مع اللص ، فأعرف كيف سرقه !

ثم جاءه بعد مدة ، فقال[20] : ما أخَّرك عنا أبا عبدالله ؟ فقال : مَنّ العواري وذلّة المكاري[21] . فأمر له بخمسين ديناراً .

قال : دخل أبو العيناء يوماً الى محمد بن عبدالملك الزيات ، فلم يرفع طرفه اليه ، ولا كلمه ! فقال : إن من حق نعمة الله عليك ، لما أهّلك له في الحال التي أنت عليها ، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك خُلقاً ، فان من أُوحش انقبض عن المسئلة ، وبكثرة السؤال مع النجح يدوم السرور ، وبقضاء الحاجات تدوم النعم . فقال له محمد : اني أعرفك فضولياً كثير الكلام ، أترى ، ان طول لسانك يمنع من تأديبك إذ زللت ؟ وأمر به الى الحبس ! فكتب اليه أبو العيناء من الحبس : قد علمت انّ الحبس لم يكن لذنب تقدم اليك ، ولكن أحببتَ أن تريني قدرتك علي ، لأن كل جديد يُستلذّ . ولا بأس أن ترينا من عفوك ما أريتنا من قدرتك ! فأمر باطلاقه .

فلقيه بعد مدة طويلة على الطريق ، فحبس محمد دابته وقال : ما أراك أبا عبدالله تواصلنا بحسب انجائنا[22] لك ! فقال أبو العيناء : أما المعرفة بعنايتك فمتأكدة ، ولكنني (٣٤ أ) أحسب الذي جدد استبطاءك لي

---

(١٩) معجم الادباء (٧ : ٦٥) ، الوفيات (١ : ٧٢٠) ، الشذرات (٢ : ١٨١) .

(٢٠) معجم الادباء (٧ : ٦٥) ، الوفيات (١ : ٧٢٠) ، الشذرات (٢ : ١٨١) .

(٢١) ربط ابن خلكان (١ : ٧٢٠) الرواية السابقة بهذه ، فقال : « قال : فهلا أتيتنا على غيره [على غير حماره المسروق] ، قال : قعد بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذل المكاري ومنة العواري » .

(٢٢) المخطوط : انجائنا .

فراغ حبسك ممن فيه ، فأردت أن تعمره بي !

قال : ودخل يوماً على رجل قد عزل عن عمل كان يتـولاه . فقال : لئن قبحت[٢٣] عليك النعمة ، لقـد حسنت بك النقمة ! قال : ولم ذاك ؟ قال : لأني سألتك أحقر من قدرك ، فرددتني بأقبح من وجهك ، ثم قال :

قُـل لزيد بن صاعـدٍ جاءك العـزل في لطف[٢٤]
فاجـرع الهمّ واصـطبر فعـلى ربّـك الخلف
أنت أيضـاً إذا وَليـْ ـتَ فلا تُـكثر الصـلف

قال : اجتاز ابن بدر بأبي العيناء وهو على بابه جالس . فقال : هـذا منزلك أبا عبدالله ؟ قال : نعم ! فان شئت أن ترى سوء أثرك فيه ، فانزل !

قال[٢٥] : ومرّ بدار عبدالله بن منصور يوماً [وهو مريض وقـد صح][٢٦] ، فقال لغلامه : أي شيء خبر أبي محمد ؟ قال : كما تحب ! قال : فما لي لا أسمع الصراخ في الدار ؟

قال[٢٧] : وذكر أبو العيناء ميمون بن ابراهيم ، فقال : لو تأمل رجل أفعاله فاجتنبها ، لاستغنى عن الآداب أن يطلبها !

قال أبو العينـاء : قال لي محمد بن مكرم : أما تعرفني ؟ قلت : بلى ، ولكن معرفة (٣٤ ب) أرثي لك منها !

---

(٢٣) المخطوط : فبحت .
(٢٤) لعل الأصل : « حالك العزل في نطف » أي عزلت كما تعزل النطف من العزل ، وهو معروف في الفقه واللغة ، يقال : عزل عن أمته من باب ضرب (الدكتور مصطفى جواد) .
(٢٥) معجم الادباء (٧ : ٦٥) ، الوفيات (١ : ٧٢٠) ، نكت الهميان (ص ٢٦٧) ، الشذرات (٢ : ١٨١) .
(٢٦) الزيادة من وفيات الاعيان .
(٢٧) ذيل زهر الآداب (ص ١٦٨ و ١٦٩) .

وقال له محمد بن مكرم يوماً : يا أبا عبدالله ، كل شيء لك من الناس حتى أولادك !

وقال أبو العيناء : رأيت ابن مكرم ، فرأيت بطنه بطن حبلى ، ونفسه نفس وَلهى ، ومخاطه مخاط ثكلى ، وفي استه الداهية العظمى !

وقال[(٢٨)] له [ابن] مكرم يوماً : يا أبا عبدالله ، هو ذا تصوم معنا في هذا الشهر شيئاً ، وكان شهر رمضان . فقال : وتدعنا العجوز نصوم[(٢٩)] ؟

قال رجل لعبيد الله بن سليمن : إن رأيت ، أعزك الله ، أن تخرج لي رزقاً . فقال : ممن الرجل ليخرج الرزق على قدر ذاك . قال من وُلد آدم ! قال أبو العيناء : احتفظ ، أعزك الله ، بهذا النسب ، فقد انقطع أصله[(٣٠)] !

قال : اجتمع الجاحظ وأبو العيناء عند الحسن بن وهب ، فقال له الجاحظ : علمت أن محمد بن عبدالله أحسن من عمرو بن بحر ، وأبو عبدالله أحسن من أبي عثمان . ولكن الجاحظ أحسن من أبي العيناء . فقال أبو العيناء : هيهات ! جئت الى ما يخفى من أمورنا ، ففضلتني عليك فيه ، والى ما يعرف ، ففضّلت نفسك فيه . إن أبا العيناء يدل على كنية ، والجاحظ يدل على عاهة ! والكنية وان سمجت ، أصلح من العاهة وإن ملحت !

(**٣٥** أ) قال أبو العيناء : عشقتني إمرأة بالبصرة من غير أن تراني ،

---

(٢٨) معجم الأدباء (٧ : ٦٥) ، نكت الهميان (ص ٢٦٨) .

(٢٩) في نكت الهميان : « وقال ابن مكرم له يوماً : أحسبك لا تصوم شهر رمضان . فقال : ويلك ! وتدعني امرأتك أصوم ؟ » .

(٣٠) الوفيات (١ : ٧٢٠) ، معجم الأدباء (٧ ، ٦٧) ، غرر الخصائص (ص ١٠١) ، الشذرات (٢ : ١٨١) .

وانما كانت تسمع عذوبة كلامي.فلما رأتني استقبحتني ، وقالت قبحه الله :
أهذا هو ؟ فكتبت اليها :

ونبّتها ، لمـا رأتني ، تنكّرت وقالت:دميمٌ، أحولٌ، ما لهجسم
فان تُنكري مني احولالاً فانني أديب، أريب، لاعييٌ ولا فدم[٣١]

فوقّعت في الرقعة : يا عاضّ بظر أمه ، لديوان الرسائل أردتُك ؟

ولأبي العيناء[٣٢] ، في علي بن الجهم[٣٣] :

أراد علي أن يقول قصيدة بمدح أمير المؤمنين ، فأذّنا
فقلت لـه : لا تعجلن باقامـة فلست على طُهر ، فقال : ولا أنا

قال أبو العيناء[٣٤] : أتيت[٣٥] عبدالله بن داود الخريبي[٣٦] ،
فسألته أن يحدثني ، فاستصغرني ، وقال :

---

(٣١) الفدم من الناس : العيي عن الحجة والكلام ، في ثقل ورخاوة وقلة فهم ٠

(٣٢) طبقات الشعراء لابن المعتز (تحقيق عبد الستار فراج ٠ ص ٤١٦ القاهرة ١٩٥٦) ٠ وفي جمع الجواهر وهو ذيل زهر الآداب للحصري القيرواني (تحقيق علي محمد البجاوي ٠ ص ٢٣٢ القاهرة ١٩٥٣) نسب البيتان الى ابن ابي حفصة ٠ وهذا كثيراً ما كان يناقض ابن الجهم عند المتوكل ٠البيتان وردا أيضا في « الموشّح » للمرزباني

(٣٣) كان جيد الشعر عالماً بفنونه ٠ وله اختصاص بالمتوكل ٠ مات سنة ٢٤٩هـ (٨٦٣م) ٠ وله ديوان مطبوع وأخباره في : طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٥١ ــ ١٥٢) ، الأغاني (٩ : ٩٩ ــ ١١٥) ، تاريخ بغداد للخطيب (١١ : ٣٦٧ ــ ٣٦٩) ، الوفيات (١ : ٤٩٧ ــ ٤٩٩) ٠ وما كتبه خليل مردم بك ، في تصديره « ديوان علي بن الجهم » الذي حققه ونشره المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٤٩ ٠

(٣٤) المخطوط : أبو العينا قال ٠

(٣٥) تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٢) ، لسان الميزان (٥ : ٣٤٦) ٠

(٣٦) الخريبي (بالتصغير) نسبة الى الخريبة محلة كانت في البصرة (الانساب للسمعاني وجه الورقة ١٩٦) وهو عبدالله بن داود بن عامر بن الربيع الخريبي الهمداني أصله من الكوفة ، نزل خريبة البصرة ، فنسب اليها ٠ مات سنة ٢١١ هـ (٨٢٦ م) ٠

اِذهب فتحفّظ القرآن • قلت : قد حفظته • قال : اِقرأ من رأس ستين[٣٧] من يونس ، فقرأت العشر • فقـــال : أحسنت ، اِذهب فتعلم الفرائض • قلت : قد حفظتها • قال : فأيهما[٣٨] أقرب اليك : عمك أو ابن أخيك ؟ قلت : ابن أخي • قال : ولِـم ذاك ؟ قلت : لأن هذا من وَلد أبي وهذا من وُلد جدي • قال : أحسنت • اِذهب فتعلم العربية • قلت : قد فعلت (٣٥ ب) وتعلمت منها ما فيه كفاية • قال : فلم قال عمر [بن الخطـاب ، يعني حـين طُعن[٣٩]] : يا لَلّه ، يا للمسلمين • قلت : لأن الأول استغاثة ، والثاني نداء • فقـال : لو كنت محدثاً أحداً في سـنك ، لحدثتك !

قال[٤٠] أبو العيناء : دخلت على أبي أحمـد عبيدالله[٤١] بن عبدالله بن طاهر ، وكان يوماً صائفاً ، وقوم بين يديه يلعبون بالشطرنج • فقـال : يا أبا عبدالله ، إنا نلعب في نَدَب[٤٢] الى ان يـــدرك طعامنـا ، ففي أي الحزبين تحب أن تكون ؟ قلت : في حزب الأمير ، أيده الله ، فانـــه أعلى

(٣٧) المخطوط : من راس سين من يونس • أي الآية الستين • والذي في تاريخ بغداد : « قال : اقرأ (واتل عليهم نبأ نوح) • قال : فقـرأت العشر حتى أنفدته » (سورة يونس • الآية ٧٠ وما بعدها) •

(٣٨) المخطوط : فأيها

(٣٩) الزيادة من تاريخ بغداد •

(٤٠) معجم الادباء (٧ : ٦٤) ، نكت الهميان (ص ٢٦٧) •

(٤١) كان أديباً شاعراً مترسلا ، أميراً ، ولي الشرطة ببغداد خلافة عن أخيه محمد بن عبدالله بن طاهر ، ثم استقل بها بعد موت أخيه • وقـــد صنف كتباً في الادب ضاعت كلهـا • مات ببغـداد سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) • (الاغاني ٨ : ٨٨ـ٩٧ ، والفهرست لابن النـــديم ص١١٧، وتاريخ بغداد للخطيب ١٠ : ٣٤٠ ، والمنتظم ٦:١١٧ـ١١٨، والوفيات ١ : ٣٨٦ ــ ٣٨٨) •

(٤٢) الندب : الرهان • والمراد هنا أن من غلب أخذ ما تراهنوا عليه •

وأبهى • فغُلبنا ! فقال أبو أحمد : يا أبا عبدالله ، قد غلبنا ! وقد أصابك بقسطك عشرون[٤٣] رطلاً ثلجاً • فقلت : أُحضره أيها الأمير • ووثبت ، فصرت الى أبي العباس بن ثوابة[٤٤] ، فأقرأته السلام من أبي أحمد ، وقت له : إنه يتشوقك ، وأراد أن يكتب اليك رقعة ، فخاف مراوغتك[٤٥] ، فوجهني رسولاً ، وحملني رسالة ، ولسنا نفترق الا بحضرته ! فركب معي ، وجئنا • فلما وقفت بين يديه ، قلت : أيها الأمير ، قد جئتك بجبل همذان[٤٦] ثلجاً ، فاقتضِ[٤٧] منه ما قُمرنا ، والعب مع أصحابك في الباقي ! فضحك حتى استلقى ! وسأل ابن ثوابة عن القصة ، فعرّف الخبر ، فلما وقف عليها ، شتمني وانصرف !

قال[٤٨] أبو العيناء : دخلت على المتوكل ، ودعوت له ، وكلمته • فاستحسن (٣٦ أ) خطابي ، وقال لي : بلغني ان فيك شراً ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشرُّ ذكر المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته ، فقد زكى الله جل وعز ، وذمّ[٤٩] • فقال في التزكية : « نِعم العبد إنه

---

(٤٣) نكت الهميان : خمسون •

(٤٤) توفي سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) وقيل سنة ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) تولى كتابة الانشاء في دار الخلافة العباسية ببغداد السنين الكثيرة ، وجرى مجرى الوزراء • وكان أبو العباس هذا من الثقلاء البغضاء ، له كلام مدون مستهجن مستثقل ، وللبحتري قصيدة في مدحه (الديوان ١ : ١٢٥ — ١٢٦ الجوائب) • وأخبار ابن ثوابة في : الفهرست (ص ١٣٥) ، أقسام ضائعة من تحفة الامراء (ص ٧٠ — ٧١) ، معجم الادباء (٢ : ٣٦ — ٥١) •

(٤٥) لعل الاصل : مراوعتك ، بالعين المهملة ، أي افزاعك •

(٤٦) نكت الهميان : قد جئتك بجبل همذان وماسبذان ثلجاً •

(٤٧) من اقتضاء الدين •

(٤٨) معجم الادباء (٧ : ٦٢) ، الوفيات (١ : ٧٢١) •

(٤٩) الوفيات : « فقال [المتوكل] : بلغني عنك بذاء في لسانك • فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم ، فقال •• » •

أواب»[٥٠] • وقال في الذم : « همّازٍ مشّاءٍ بنميم • مناع للخير معتدٍ أثيم • عتُلٍّ بعد ذلك زنيم »[٥١] • فذمّه ، تعالى اسمه • وقد قال الشاعر[٥٢] :

إذا أنا بالمعروف لم أثن دائباً ولم أشتم الجبس[٥٣] اللئيم المذمّما
ففيمَ عرفت الخيرَ والشرَّ باسمه وشق لي الله المسامعَ والفما

وإن كان الشرُّ كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمّي بطبع لا يميز فقد صان الله عبدك عن ذلك •

فقال[٥٤] لي : وبلغني انك رافضيٌ • فقلت : يا أمير المؤمنين ، وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ، ومنشأي في مسجد جامعها ، واستاذي الأصمعي ، [وجيراني باهلة][٥٥] • وليس يخلو [الناس] من إرادة دين أو دنيا • فان أرادوا ديناً ، فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا [وتأخير من قدموا] • وإن أرادوا دنيا ، فأنت وآباؤك امراء المؤمنين ، [لا دين إلا بك و] لا دنيا إلا معك • [ابوك مستنزل الغيث ، وفي يديك خزائن الأرض ، وأنا مولاك • فقال : ان ابن سعدان زعم ذلك فيك ! فقلت : ومَن ابن سعدان ؟ والله ما يفرق ذاك بين الامام والمأموم والتابع والمتبوع ، انما ذاك حامل درّة ومعلم صبية وآخذٌ على كتاب الله اجرة • فقال : لا تفعل لأنه مؤدب المؤيد • فقلت يا أمير المؤمنين،

---

(٥٠) سورة : ص ، الآيتان ٢٩ ، و ٤٣ •

(٥١) سورة : القلم ، الآيات ١٠ ـ ١٢ •

(٥٢) الوفيات (١ : ٧٢١) •

(٥٣) الوفيات : النكس • والجبس : الجبان ، اللئيم ، الثقيل الروح ، الفاسق •

(٥٤) معجم الادباء (١ : ٦٠) •

(٥٥) الزيادة من معجم الادباء •

انه لم يؤدبه حسبة وانما أدبه بأجرة ، فاذا أعطيته حقَّه قضيت ذمامه .
فقام ابن سعدان فقال : يا أبا العيناء ، لا ، والله ما صدق أمير المؤمنين في شيء مما حكاه عني ! ثم أقبل على المتوكل فقال : أي شيء أسهل عليك ، يا أمير المؤمنين ، من أن ينقضي مجلسك على ما تحب ، ثم يخرج هـــذا فَيُقَطِّعني ! قال : فضحك المتوكل] .

فقال[٥٦] : كيف داري هذه ؟ فقلت : رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا ، وأنت جعلت الدنيا في دارك[٥٧] !

فقال[٥٨] لي : ما تقول (٣٦ ب) في عبيدالله بن يحيى[٥٩] ؟ فقلت : العبد لله ولك ، منقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح رعيتك على كل لذة .

فقال[٦٠] : ما تقول في صاحب البريد ميمون بن ابراهيم ؟ وكان عرف اني وجدت عليه في تقصير وقع بي منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين : يد تسرق ، واست تضرط ! هو مثل يهودي قد سرق نصف جزيته ، فله

---

(٥٦) المروج (٨ : ١٢٣) ، اليتيمة (٣ : ١٩٢) ، معجم الأدباء (٧ : ٦٢) الوفيات (١ : ٧٢١) ، لسان الميزان (٥ : ٣٤٥) .

(٥٧) ما في المروج والوفيات : « ودخل [أبو العيناء] على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري ، سنة ست وأربعين ومائتين ، فقال له : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : ان الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك . فاستحسن كلامه » .

(٥٨) المروج (٨ : ١٢٥) .

(٥٩) هو ابو الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكل والمعتمد. مات سنة ٢٦٣هـ (٨٧٦م) .كان حسن الخط ، ذا معرفة بالحساب، الا انه كان مخلطاً . وكان كريماً حسن الأخلاق متعففاً ، وكان كرمه يستر كثيراً من عيوبه . (المنتظم ٥ : ٤٥ ، الفخري . ص ٣٢٦ ، الشذرات ٢ : ١٤٧)

(٦٠) المروج (٨ : ١٢٥) ، ذيل زهر الآداب (ص ٦٧) .

إقدام بما أدّى ؟ ومعه إحجام لما بقيّ . إساءته طبيعة ، واحسانه تكلّف !

فقال[٦١] : اني أريدك لمجالستي . فقلت : لا أطيق ذاك ، ولا أقوى عليه . وما أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف ؟ ولكني رجل محجوب ، والمحجوب تختلف اشارته ويخفى عليه إيماؤك ، ويجوز علي أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان . ومتى لم أُميز بين هذين ، هلكت [فأختار العافية على التعرّض للبلاء][٦٢] . قال : صدقت ! ولكن تلزمنا . قلت : لزوم الفرض الواجب . فوصلني بعشرة آلاف درهم .

وقال لي يوماً ، وقد دخلت اليه : يا محمد ، ما بقي في المجلس أحد إلا اغتابك غيري ، فقلت :

(٣٧ أ) اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فـلا زال غضبانـاً عـلي لئامُهـــا

وهو أبو عبدالله ، محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان . وأصله من اليمامة من بني حنيفة أنفسهم . وكان مسكنه بالبصرة . ثم انتقل الى بغداد ، وانتجع سر من رأى ، ولقي المتوكل ، وأقام بها ،

وكان حسن الكتابة ، بليغ الخطابة ، مليح الشعر ، طلق اللســان بالذم والاستبطاء ، سريع الجواب ، حاضر النادرة ، لا يقام له .

وقال[٦٣] المتوكل : اشتهى أنادمَ أبا العيناء لولا أنه ضرير ! فبلغ

---

(٦١) المروج (٨ : ١٢٣ ـ ١٢٤) ، تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٤) ، ذيل زهر الآداب (ص ١٢٩) ، معجم الادباء (٧ : ٦٢) ، الوفيات (١ : ٧٢١) .
(٦٢) الزيادة من الوفيات وذيل زهر الآداب .
(٦٣) تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٤) ، محاضرات الراغب (٢ : ١٧٤ القاهرة ١٢٨٧هـ) ، معجم الادباء (٧ : ٦١) ، الوفيات (١ : ٧٢٠)، نهاية الارب (٤ : ٢٢) .

هذلك أبا العيناء ، فقال : إن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلة ، ! ونظم اللآلىء واليواقيت][٦٤] ، وقراءة نقوش الخواتيم ، فاني أصلح له .

وحجب محمد بن مكرّم أبا العيناء ، ثم كتب يعتذر منه . فكتب اليه أبو العيناء : تحجبني مشافهة وتعتذر الي مكاتبة !

وأخباره كثيرة ، ولكنا أوردنا بمقدار ما يحتمله الكتاب ، ويقتضيه الشرط ، ولا يخرج قارئه الى الملل .

وكتب ابن مكرّم الى أبي العيناء : عندي سِكباج[٦٥] ترعب المجنون ، وحديث يطرب المحزون ، واخوانك المحازون (؟) فلا تعلو علي واتون . فأجابه أبو العيناء : « اخسئُوا فيها ولا تكلّمون »[٦٦] .

---

(٦٤) الزيادة من نهاية الارب ٤ : ٢٢ .

(٦٥) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل ، معرب سكبا (الالفاظ الفارسية المعربة . ص ٩٢) .

(٦٦) القرآن (المؤمنون . الآية ١٠٧) .

(٣٧ ب) دير الخوات[١]

هـذا الدير بعُكبَرا[٢] • وهـو دير كبـير عامر ، يسكنه نسـاء مترهّبات متبتلات فيه • وهو وسط البسـاتين والكروم ، حسن الموقـع ، نزه الموضع • وعيده الأحد الأول من الصوم[٣] • يجتمع اليه كل من يقرب منه من النصارى والمسلمين ، فيعيّد هؤلاء ، ويتنزه هؤلاء • وفي هذا العيد ليلة الماشوش[٤] ، وهي ليلة تختلط فيها[٥] النساء بالرجـال ، فلا يردّ أحد يده عن شيء ، ولا يرد أحد أحداً عن شي • وهو من معـادن الشـراب[٦] ، ومنازل القصف ، ومواطن اللهو •

وللناجم[٧] أبي عثمان ، فيه[٨] :

---

(١) الخوات : تحريف الأخوات ، جمع الاخت • ويراد بها هنا : الراهبة •

(٢) عن « عكبرا » ، راجع الذيل ٩ •

(٣) يريد به الصوم الكبير عند النصارى •

(٤) أنظر : « ليلة الحاشوش وليلة الماشوش » للاب أنستـاس مـاري الكرملي (لغـة العـرب ٨ [١٩٣٠] ص ٣٦٨ ــ ٣٧٣) ، « ليلة الماشوش » لحبيب زيات (الديارات النصرانية ص ١٠٩ ــ ١١٢) • وفي هذين البحثين مجمل أخبار هذه اللفظة في المظـان القديمـة ، ودحض هذه التهمة الكاذبة الملصقة بدير الخوات •

(٥) لعله : تختلط فيها •

(٦) في اليتيمة (٢ : ٣١٠) والوفيات (١ : ٥٠٣) اشارة الى شراب عكبرا • قال : « ••• ووضع في يد كل واحد منهم طاس ذهب وزنه الف مثقال ، مملوء شرابا قطربليا أو عكبرياً » • والحادثة جرت في المائة الرابعة للهجرة •

(٧) أديب شاعر ، كان يصحب ابن الرومي ، ويروي أكثر شعره • توفي سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) • وفي الوفيات (١ : ٥٠٠) والفوات (١ : ١٧٠) قطع من شعره ، ليس بينها شيء مما ذكره الشابشتي في هذا الفصل •

(٨) معجم البلدان (٢ : ٦٥٨) •

آح قلبي مـِن الصَّبابـة آح   من جوارٍ مزيَّنات مـلاح
وفتـاةٍ كأنهـا غصن بـان   ذات وجه كمثل نور الصَّباح
أهلَ دير الخوات بالله ربي   هل على عاشق قضى من جُناح

وكان أبو عثمان هـذا ، راوية ابن الرومي . وهـو مليح الشعر ، رفيق الطبع ، جيد المعاني في وصف الخمر والأغاني والغزل .

ومن مليح شعره :

أدرْ يا سلامة[9] كأسَ العقار   وضاهِ بشدوك شدو القماري[10]
وخذها معتَّقةً مُزَّةً[11]   تصبُّ على الليل ثوب النهار
(٣٨أ) ينازعها الخدُّ جِريالها[12]
فيهديه للعين يوم الخمار

ومن مليح شعره :

سـلامـة بـن سـعيـدٍ   يجيـد حـثَّ الـراح
اذا تغنَّـى زمـرنـا   عليـه بـالأقـداح

ولـه :

ما نطقت عاتبٌ[13] ومزهرها[14]
الا وهمنا[15] باللهـو والفرح

---

(٩) نديم ومغن ، سيأتي اسمه كاملا في القطعة الآتية .
(١٠) القماري ، واحدها القمري : ضرب من الحمـام ، حسن الصوت . والانثى : القمرية .
(١١) أي بين الحلوة والحامضة .
(١٢) معنى الجريال هنا اللون الأحمر للخمر . وانظر : ديوان الاعشى (ص ٢٣ س ٩ من طبعة أوربة) . (مكي السيد جاسم) .
(١٣) مغنية ، لم نقف على خبرها .
(١٤) المزهر ، كمنبر : العود ، وهو من آلات الطرب . الجمع : مزاهر (تاج العروس ٣ : ٢٥٠) .
(١٥) المخطوط : وهنا . والقراءة أعلاه للدكتور مصطفى جواد .

لها غناء كالبرء في جسـدٍ أضناه طول السقـام والترح
تعبده الراح فهي ما نطقت إبريقنا ساجـد على القـدح

ولـه :

ما نطقت عاتبٌ ومزهرهـا الاّ ظلَلْنا بالرّاح نُعملها
تطلب أوتارُها الهموم بأوْ تار فمـا تستفيق تقتلهـا(١٦)

وله ، وفيه لحن :

ما دعـاني الشّـوق الا أذرَت(١٧) العين دموعا
انمـا أبكـي لأنـي صـرت للحبّ رضيعـا(١٨)
أحسن الناس وأولى الن ـناس بالحسن جميعـا
(٣٨ب) ما أرى لي عن حبيبي أبد(١٩) الدّهر نُزُوعا

---

(١٦) المخطوط : نعملها .
(١٧) الذرى : الدمع المصبوب . ومنه الفعل أذرى .
(١٨) المخطوط : رسعا .
(١٩) المخطوط : أبداً . والوجه ما في أعلاه .

دير العلث[1]

والعَلْث[2] ، قرية على شاطىء دجلة ، في الجانب الشرقي منهـا ، وبين يديها من دجلة موضع صعب ، ضيق المجـاز ، كبير[3] الحجـارة ، شديد الجرية ، تجتاز فيه السفن بمشقة . وهذه المواضع تسمى الأبواب. واذا وافت السفن الى العلث ، أرست بها ، فلا يتهيأ لها الجواز الا بهاد من أهلها يكترونه ، فيمسك السكان ويتخلل[4] بهم تلك المواضع ، فلا يحطّها حتى يتخلص منها .

وهذا الدير راكب دجلة . وهو من أحسن الديارات موقعا وأنزهها موضعا ، يقصد من كل بلد ، ويطرقه كل أحد . ولا يكـاد يخلـو من

---

(١) ذهب ياقوت (معجم البلدان ٣ : ٧١١) الى ان العلث « ان كـان عربياً فهو من العلث ، وهو خلط البر بالشعير . يقال علث الطعام يعلثه علثاً » . ونحن لا نرى وجهاً لهذا التأويل البعيد . فالعلث على ما يبدو لفظة سريانية « علوثا » بمعنى الزقـاق الضيـق . أو « عولوثا » بمعنى المدخل أو الطريق أو المجاز (دليل الراغبين ص ٥٤٢) ولكل من اللفظين معنى يوافق ما سيذكره الشابشتي من أن هذا الدير أو القرية متوسد دجلة عند موضع صعب ضيق المجاز .

(٢) عين الدكتور أحمد سوسة موضع العلث في كتابه « ري سـامـراء » (١ : ١٨٣ ـ ١٨٤) ، بقوله ان خرائب العلث ما زالت تشاهد على نحو من سبعة كيلومترات من شمال غربي مدينة « بلد » الحالية . وهي تعرف الى اليوم باسم العلث. كما ان سكنة هذه المنطقة ما زالوا يعرفون بالعلثاويين . وتمتد خرائبها على طول الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم « الشطيطة » وهو المجرى الذي يسـير فيـه نهر بلد الحالي الذي يتفرع من ضفة دجيل اليسرى وينتهي الى بساتين بلد الحديثة . وقد أثبت المؤلف موضع العلث في اللوحة السادسة من كتابه المذكور .

(٣) المخطوط : كسر . وقد نقرأ : كثير .

(٤) المخطوط : وىحلل .

منحدر ومصعّد • ومن دخله لم يتجاوزه الى غيره لطيبه ونزهته ووجود جميع ما يحتاج اليه بالعلث وبه •

ولجحظة ، فيه[٥] :

أيهـــا المالحـــان بـــالله جُـــدّا	واصلحـــا لي الشراع والسكانا
بلّغاني ، هديتمـــا ، البرَدَانا	وانزلا بي[٦] من الدنـــان دنانا
واعدلا بي الى القَبيصة[٧] فالزهر	اء ، عَلّي أفـــرّج الأحـــزانا
واذا مـــا أقمت حـــولاً تمامـــاً	فاقصـــدا بي الى كـــروم أوانا[٨]
وانزلا بي الى شـــرابٍ عتيـــق	عتّقتـــه يهـــوده أزمـــانـــا
واحططا لي الشراع بالدير بالعلـ	ـث ، لعلي أعاشـــر الرهبانـــا
[وظباء[٩] يتلون سفراً من الانـ	ـجيل ، باكرن ، سحرة قربانا]

---

(٥) معجم البلدان (٢ : ٦٨١) •

(٦) لعل الاصل : « وابزلا لي » من البزل المعروف (الدكتور مصطفى جواد) •

(٧) المخطوط : المنصيه ، وهو تصحيف • والصواب : القبيصة (بالفتح ثم الكسر) قرية قرب سامراء ، ذكرها ياقوت مع هذا البيت لجحظة (معجم البلدان ٤ : ٣٤ ــ ٣٥) •

(٨) جاء في معجم البلدان (١ : ٣٩٥) : أوانا ، بالفتح والنون : بليدة كثيرة البساتين والشجر ، نزهة ، من نواحي دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت ، وكثيراً مـــا يذكرهـــا الشعراء الخلعاء في أشعارهم •• »

وزاد صاحب المراصد (١:١٠٠ : « بينها وبين بغداد عشرة فراسخ » من فوقها ، تحاذي عكبرا ، كان بينهما الدجلة ، واستحالت عنهما» •

قلنا : ان أطلال هذه البليدة ما زالت تعرف باســـم « وانـــه » (تصحيف : أوانا) • (ري سامراء للدكتور أحمد سوسه ١ : ١٩٢ ــ ١٩٤) وهي بالقرب من تل كف الامـــام عـــلي عند الموضع المسمى تل شنيث أو تل الصخر •

(٩) الزيادة من معجم البلدان (٢ : ٦٨١) ويؤخذ من هذا البيت والبيتين اللذين بعده ، ان دير العلث كان للراهبات ، وفي عيون الانباء (١ : ١٧٣) ما يؤيد ذلك •

لابسات من المسُوح ثياباً جعل الله تحتها أغصانا
[خفِرات حتى اذا دارت الكأ س ، كشفن النُّحور والصلبانا]
وقّ حتى حسبته خدّ من أبـ دلني من وصاله هجرانا

وللمعتمد[١٠] :

يا طول ليلي بفم الصِّلح[١١] أتبعتُ خسراني بالربح
لهفي على دهر لنا قد مضى
بالقصر[١٢] والقاطول[١٣] والشلح[١٤]
بالدير بالعلث ورهبانه بين الشعانين الى الدِّنح[١٥]

---

(١٠) معجم البلدان (٣ : ٣١٤) وقافيتها فيه جيمية • ورواية الشابشتي أولى بالأخذ بها •

(١١) فم الصلح (بكسر الصاد) : بلدة على دجلة فوق واسط ، بينهما سبعة فراسخ • وفيها كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون • وفيها بنى المأمون ببوران • (معجم البلدان ٣ : ٩١٧) ، تقويم البلدان لابي الفداء (ص ٣٠٥) •

(١٢) معجم البلدان : بالعلث •

(١٣) القاطول نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر • وكان الرشيد أول من حفره • وفوق هذا القاطول ، القاطول الكسروي حفره كسرى أنوشروان ، يأخذ من جانب دجلة في الجانب الشرقي أيضاً (معجم البلدان ٤ : ١٦) • وللدكتور أحمد سوسة ، في هذا الموضوع ، تحقيقات أثرية وتاريخية مفيدة جداً في كتابه « ري سامراء » (٢ : ٢٠٤ وما بعدها) •

(١٤) معجم البلدان (٣ : ٣١٣ ــ ٣١٤) : الشلج ، بالجيم • قال : هي قرية قرب عكبراء على شاطئ دجلة ، كان فيها حانات كثيرة •

(١٥) الدنح لفظة سريانية « دنحا » معناها الظهور ، أي ظهور المسيح لبني قومه يوم معموديته • وللدنح ذكر في المراجع العربية القديمة : الآثار الباقية (ص٢٩٣) ، المخصص (١٠٣:١٣) ، الجمهرة لابن دريد (٢ : ١٢٦) المعرّب (ص ١٥٤) ، خطط المقريزي (٢ : ٢٦ ــ ٢٧ و ٣٩١ ــ ٣٩٢) •

وكان للمعتمد شعر جيد وشعر غير موزون[١٦] ، وربما قال الأبيات ، فيصح بعضها ويفسد باقيها • وكان يعطيه المغنين ، فيعملون عليه ألحانا ، فيغيب عيبه[١٧] في التقطيع والألحان ، الا على خاصة الناس •

قالت بدعة[١٨] : كان المعتمد يوجّه شعره الى عريب[١٩] لتصوغ له الألحان • فكانت تقول : ويلي ! كم أغني في حروف ألف ، با ، تا ، ثا[٢٠] ؟

قال الصُولي : أنشدني عبدالله بن المعتز من شعره الموزون :

الحمـــد لله ربـي ملكتُ مالك قلبـي

(٣٩ب) فصرتُ مولى لملـكي وصـار مولىً لحبي

ومن شعره ، لما أكثر الموفق نقله ، من مكان الى مكان :

ألفتُ التباعـدَ والغُربـه ففي كل يوم أطا تربهْ

وفي كلّ يوم أرى حادثاً يؤدي الى كبـدي كربـه

(١٦) المخطوط : وكان للمعتمد شعراً جيداً وشعراً غير موزون ، وهو وهم •

(١٧) المخطوط : عسه •

(١٨) مغنية أديبة ، جارية عريب المغنية مولاة المأمون وصاحبتها • ماتت سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) • تاريخ الطبري (٣ : ٢٢٩٣) ، صلة تاريخ الطبري (ص ٥٤) ، نشوار المحاضرة (١ : ٥٠ و ١٣٢ ، ٨ : ٢٠)، الاغاني (١٩ : ١٢٥) ، المنتظم (٦ : ١٢٩) ، الكامل لابن الاثير (٨ : ٦٧ و ٣٨٠) •

(١٩) مغنية شاعرة كانت في غاية الجمال والظرف وحسن الصوت وجودة الضرب بالعود والمعرفة بالنغم والرواية للشعر • اشتراها المأمون ، وكان مجلس انسه لا يخلو منها • ماتت سنة ٢٧٧هـ (٨٩٠م) • الاغاني (١٨ : ١٧٥ ــ ١٩٤) ، نشـوار المحاضـرة (١ : ١٣١ و ١٣٢) نهاية الارب (٥ : ٩٥ ــ ١١٢) •

(٢٠) المخطوط : الف بابابا •

أَمَرَّ الزمان لنا طعمه فما إن نرى ساعةً عذبه

وهذا شعر جيد صحيح في معناه •

ومن شعره الموزون :

بُليتُ بشادن كالبدر حسناً يعذّبني بأنواع الجفاء

ولي عينان دمعهما غزيرٌ ونومهما أقلُّ من الوفاء

وذكر الصولي ، ان المكتفي أخرج اليهم مدارج[٢١] مكتوبة بالذهب من شعر المعتمد • فكان فيها من الموزون[٢٢] :

طال والله عذابي واهتمامي واكتئابي

بغزال من بني الأصـ ـفر[٢٣] لا يعنيه ما بي

أنا مغرىً بهواهُ وهو مُغرىً باجتنابي

واذا ما قلت : صِلني كان «لا» منه جوابي

(٤٠أ) وكان فيها أيضاً :

عجّل الحبُّ بفُرقه فبقلبي منه حُرقه

مالكٌ بالحبِّ رِقي وأنا أملك رقّه

إنما يستروح الصبُّ اذا أظهر عشقه

وللمعتمد ، شعر غنت فيه شارية[٢٤] ، في طريقة الرمل :

تأنّيتُ بالحبِّ دهراً طويلا فلم أر في الحب يوماً سرورا

---

(٢١) المدارج ، واحدها : المدرج والمدرجة • الكتاب الملفوف والرقعة الملفوفة •

(٢٢) خلاصة الذهب المسبوك لعبدالرحمن الاربلي (ص١٧٢ بيروت ١٨٨٥)•

(٢٣) يريد ببني الأصفر : الروم • وفي تاج العروس (٣ : ٣٣٨) كلام طويل عليهم •

(٢٤) جارية ابراهيم بن المهدي • كانت من أحسن المغنيات في المائة الثالثة للهجرة • الأغاني (١٤ : ١٠٥ ــ ١١٠) ، نهاية الأرب (٥ : ٨٢ ــ ٨٨) •

ومما غنت فيه من شعره :

يا نفسُ ، ويحــك ما لك انــي لأُنكـــر حالــك

ولـه[٢٥] :

أصبحت لا أملك دفعاً لما أُسام من خسفٍ ومن ذلّه
تمضي أُمورالناس دوني ولا يشعر بي في ذكرهـا قِلّه
اذا اشتهيت الشيء ولّوا به عني ، وقالوا : ها هنـا علّه

قال : طلب المعتمد ثلثمائة دينار ، يصل بها عريباً ، وقـد حضرت عنده ، فلم توجد ! فطلب مائتي دينار ، فلم توجد ٠٠! فبكى ، وقال[٢٦]

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليـه ؟
(٤٠ب) وتؤخــذ باسمــه الدنيا جميعــاً
ومــا من ذاك شــيءٌ في يــديه !
اليــه تُحمل الأموال طُراً ويمنع بعض ما يجبى اليه !

وكان ، لمـا فوّض الأمور الى أخيه أبي أحمد[٢٧] ، واستروح الى كفايته للقيام بها ، وتفريغه للّهو والشرب واللعب ، وترك النظر في شيء من أمر المملكة أو المسئلة عنه ، طمع أبو أحمد ، واستبدّ بالأمر ، وغلب على المملكة ٠ ورام المعتمد بعـد ذلك تغيـير الحال ، فعزّه وأعوزه وامتنع عليه

---

(٢٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٤٥) ٠

(٢٦) تذكرة ابن حمدون في السياسة والآداب الملكية (ص ١١١) ، ذيل زهر الآداب (ص ١٢٨) ، الكامل لابن الاثير (٧ : ٣١٦) ، البداية والنهاية (١١ : ٦٥) ، تاريخ الخلفـاء (ص ٣٤٣) ، الشــذرات (٢ : ١٧٤) ٠

(٢٧) عرف بالموفق وكان له في أيام خلافة أخيه المعتمد الامر والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطـة الثغور وترتيب الوزراء والامراء (الفخري ص ٣٤١ ــ ٣٥٢) مات سنة ٣٧٨هـ (٨٩١م) ٠

وطمع الناس جميعاً فيه ، اذ رأوه مغلوباً على أمره ، ورأوا لا ضرّ ولا نفع في يده .

وذكر اسحق بن روح[٢٨] ، أن مُفلحاً[٢٩] وجّهه الى المعتمد ، وقال : قل له : قد سمعت هزاراً[٣٠] جاريـة أمـير المؤمنـين ، فأعجبتني وأحببت أن أملكها ؛ ورأيت بدراً الجلّنار فأعجبني ، فأحببت أن أملكه . فليوجه بهما أمير المؤمنين الي . فأديت الرسالة الى المعتمد بعد أن استأذنته فيها . فلما سمعها غضب وخرق ثيابه وقال : هكذا يفعل العبيد بالموالي ، يغصبونهم على حرمهم وغلمانهم ؟ وتكلم بأشياء عظيمة ، فخرجنا ، فردّنا وقد سكن ، ثم قال : مثل أبي صالح لا يُرد عن طلبته . قد أمرت بحمل هزار مع كسوتها (٤١أ) وفرشها وجواريها وجميع ما لهـا . فأمـا بدر الجلنار فقد وقع على خدمتنا وله منا موضع . فقل له يسعفنا بتركه . فعدت الى مفلح فأخبـرته بطرف من الأول وبالآخـر . وكان على الخروج الى البصرة لحرب صاحب الزنج . فقال : يا أبا اسحق ، قد حصلت هزار ، واذا رجعنا من هذه الحرب ، أخذنا بدراً الجلنار منه ، شاء أم أبى . فخـرج ، فأصابه سهم فمات .

وكان المعتمد من أسمح آل العباس ، وكان يمثّل بينه وبين المستعين ، ويقال ما ولي أسمح منهما . وكان جيد التدبير ، فهماً بالأمور . فلما قوض أمره وغُلب على رأيه ، نقصت حاله عند الناس .

قال محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان : بعث بي أبي الى المعتمد

---

(٢٨) كذا ما في المخطوط ، بحروف مهملة . ولم نقف على خبره .

(٢٩) هو مفلح الاسود الخادم ، ويكنى بأبي صالح . كان قائدا في أيـام المعتمد على الله .

(٣٠) لعله « هزار » لامتناعه عن الصرف (الدكتور مصطفى جواد) .

في شيء ، فقال لي اجلس .فاستعظمت ذاك ، فرد الأمر علي ، فاعتذرت بانه لا يجوز لي . فقال لي : يا محمد ، ان أدبك في القبول مني خير من أدبك في خلافي .

قال : ظلم بعض أسباب[٣١] موسى بن بغا[٣٢] محمد بن علي الكاتب المعروف بباذنجانة[٣٣] ، فلما مات موسى ، هجاه ، فقال :

(٤١ب) مات قسُّ الدير موسى   لعن الرحمن موسى
فلقد كان ضعيفاً   في تُقى الله خسيسا
فسروري مطلقٌ والحزنُ   قد صار حبيسا

فبلغ هذا الشعر المعتمد ، فنقضه فقال :

مات خيرُ الناس موسى   رحم الرحمن موسى
فلقد كان جليلاً   عالي القدر رئيسا
أطلق الحزن وخلّى   فرحي وقفاً حبيسا

ومن شعره المرذول ، قوله[٣٤] :

---

(٣١) الأسباب هنا بمعنى الأتباع والاعوان .

(٣٢) هو الأمير موسى بن بغا الكبير . من كبار القواد وشجعانهم في العصر العباسي . مات سنة ٢٦٤هـ (٨٧٧م) . تاريخ الطبري ، الكامل لابن الاثير (فهارسهما) .

(٣٣) من شعراء المائة الثالثة للهجرة . تاريخ الطبري (٣ : ١٥٥٧) ، طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٥٦) ، الكامل لابن الاثير (٧ : ٩٥) .

(٣٤) في هامش المخطوط ، بخط مخالف للاصل : « من الاشعار المرذولة للمعتمد العباسي » . قلنا : الأمر بالنسبة الى هذين الشعرين يحتمل فرضين : اما أن يكون الشعر الاول الجيد للمعتمد والثاني مكذوب عليه لغرض ابرازه للناس بصورة العامي الضعيف واما أن يكون الرديء له والجيد منحول . والغرض الاول هو الاقرب الى حال هذا الخليفة المتغلب عليه من أخيه وابن أخيه . (مكي السيد جاسم) .

ما لي وهذا الهوى مالي — لو أمكنني افتديته بمالي
وهذا الحبيبُ ما يواصلني — فأنا مع هجرانه في قتال
بدا لي على ما أرى في حُبه — وكنتُ والله ما بدا لي

وله من هذا الفن :

من قال إني أعشق لو صوّروا — الحب لكان رجلاً أحمق
أدور السطوحَ فلا أراه — كأنني سنّورٌ أبلق
تمنيت من شوقي اليه — أن أطلع عليه فأكون لَقلق

(٤٢أ) هَوَى الناسِ مجتمعٌ عندي
وهواهم عليهم مُفرّق

قال : فكتب الراضي بخطه ، تحت هذه الأبيات :

لم يقُل ذا الشعر إلا — جاهلٌ بالشعر أحمق
أو مصابٌ ذو جنونٍ — ضائع الفكرة أبلق

ومن شعره :

عجبتُ من هذا الحب لا — يجارى به المحبوبُ
أراك يا ظالم لا تريدني — هذا والله هوىً مقلوب
أنتَ في حسنك يوسفُ — وأنا في ضرّي يعقوب
لست أعني يعقوب الصفّار(٣٥)
أنت الصفار مصلوب

---

(٣٥) يعنى به يعقوب بن الليث الصفّار الخارجي الذي خرج على الدولة العباسية في أيام المعتمد ، وجاء بجيوشه الى العراق محاربا ، فانكسر جيشه في سنة ٢٦٢هـ (٨٧٥م) . وكانت وفاته في سنة ٢٦٥هـ (٨٧٨م) . انشأ يعقوب (الدولة الصفارية) بسجستان في سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧م) (تاريخ الطبري والكامل لابن الاثير (فهارسهما) ، مروج الذهب ٨ : ٤١ وما بعدها ، المنتظم ٥ : ٥٦ ، الوفيات ٢ : ٤٦٣ ــ ٤٨٢ ، الفخري . ص ٣٣٣ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٨) .

ولـه :

عشقتُ إنساناً بكسكر[٣٦] وجهـه كالقمر الأزهـرْ
فلما شكوت اليـه هواهُ طـأطـأ رأسـه وفكّـر
هو الذهب الابريز في حسنه وهـو اليـاقـوت الاحمر
مَن دلّني عليـه فله عندي كـل مـا تمنى وقـدّر
لمـا ظننته بيـدي حاصـلاً لا شـك تركني وشمّر

(٤٢ب) قال : ودخل يوماً الجوسق[٣٧] ، فرأى طائراً ، فصاده . فقال الموفق : ما رأيت أحسن منه ، فهبه لي يا أمير المؤمنين ، فأعطاه إياه . فلما حصل في يده ، أفلت وجعل يصفق بجناحيه ويطير ، فضحك المعتمد ضحكاً شديداً ، وقال :

دخلتُ يوماً الجوسقا فاصطدت طيراً أبلقـا
أخـذه مني الموفّقـا فحـين أخـذه صفقـا
وطـار منـه فرقـا

قال : ولما شخص أبو أحمد الى البصرة والجيش معه ، وبقي المعتمد بسرّ من رأى ، قال :

مُهمّ مُهـم مُهـم مُهـم وأمرٌ فظيـع وأمرٌ صُرُمْ
أيحسن أن تذهبوا كلّـكم أقعد في البيت كنّي[٣٨] حرم
ويمضي الأمير أبو أحمـدٍ ويضرب بالطبل كردم كدم

قال : وخرجت بثرة على قدم بدر غلامه ، فأُخبر بذلك ، فاغتم . فلما كان بعد عتمة ، خرج الى حجرته عائداً له ، وقال :

---

(٣٦) سيرد ذكر « كسكر » في فصل « عمر كسكر » .
(٣٧) من قصور سامراء .
(٣٨) كني : لفظة عامية ما زالت مستعملة بين بعض العراقيين ، بمعنى « كأني » .

عُدته بعـــد العتم | لعلةٍ حادثة على القدم
مضيتُ أمشي في الظُلم | وحدي فلا خَلقٌ عَلم

(٤٣أ) وله[٣٩] :

رمضـــان أتاك بخزم مقر | فاقعدن خلف بابكنّ وتكسر
لنيتمن ببستان سرهك فيــه | يأكل اللحم بارداً حين يشطر[٤٠]
والرثيثا والجند معه دقوقــا | والطلعلع وقشر البيض الأحمر

(٣٩) في هذه الابيات ألفاظ لم يتبين لنا وجه الصحة في قراءتها .

(٤٠) أي يؤكل كما تؤكل الاشاطير ، وهي التي تعرف في وقتنا بالسندويج.

دير العذارى

وهذا الدير أسفل الحظيرة[1] ، على شاطىء دجلة • وهو دير حسن عامر ، حوله البساتين والكروم ، وفيه جميع ما يحتاج اليه • ولا يخلو من متنزه يقصده للشرب واللعب • وهو من الديارات الحسنة ، وبقعته من البقاع المستطابة •

وانما سمي بدير العذارى ، لأن فيه جوار متبتلات عذارى ، هنّ سكانه وقطانه ، فسمي الدير بهنّ •

وذكر يموت بن المزرّع[2] ، عن الجاحظ ، قال[3] : حدثني ابن فرج الثعلبي ، ان قوماً من بني ثعلب ، أرادوا قطع الطريق على مال السلطان فأتتهم المعاينة ، فأعلمتهم ان السلطان قد نذر بهم ، فساروا ثم أزمعوا على الاستخفاء في دير العذارى ، فصاروا الى الدير ففتح لهم ، فما استقروا حتى سمعوا وقع حوافر الخيل في طلبهم • فلما أمنوا وجاوزتهم الخيل ، خلا كلُّ واحد (**٤٣**ب) منهم بجارية هي عنده عذراء ، فاذا القس قد فرغ منهن ، فقال بعضهم في ذلك[4] :

---

(١) قرية كبيرة كانت من أعمال بغداد ، من جهة تكريت ، من ناحية دجيل ، ينسج فيها الثياب الكرباس الصفيق ويحملها التجار الى البلاد • (معجم البلدان ٢ : ٢٩٢) •

(٢) أديب نحوي أخباري ، له ملح ونوادر • مات سنة ٣٠٣ وقيل ٣٠٤هـ (٩١٥ ، ٩١٦ م) • وهو ابن اخت الجاحظ • تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ٣٠٨) ، ونزهة الالباء (ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥) ، والمنتظم (٦ : ١٤٣) ، معجم الادباء (٧ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦) ، الوفيات (٢ : ٥١٠ ـ ٥١٥) ، البداية والنهاية (١١ : ١٢٧) •

(٣) عيون الاخبار (٤ : ١١٢) ، معجم البلدان (٢ : ٦٧٩ ـ ٦٨٠) ، آثار البلاد (ص ٢٤٨) ، المسالك (ص ٢٦٠ ـ ٢٦١) • وقيل في بعضها ان الجاحظ رواها في كتاب المعلمين •

(٤) عيون الاخبار (٤ : ١١٢) ، المسالك (١ : ٢٦١) ، مجمع الامثال للميداني (٢ : ١٣٧ القاهرة ١٣١٠هـ) •

وألوَط من راهبٍ يدّعي   بأن النساء عليه حرام
يحرِّم بيضاء ممكورةً[٥]   ويغنيه في البضع عنها غلام
اذا ما مشى غَضَّ من طرفه   وفي الدير بالليل منه عُرام[٦]
ودير العذارى فضوحٌ لهنّ   وعند اللصوص حديث تمام

وببغداد أيضاً دير يعرف بـ « **دير العذارى** »[٧] في قطيعة النصارى[٨] على نهر الدّجاج[٩] • وسمي بذلك لأن لهم صوم ثلاثة أيام قبل الصوم الكبير ، يسمى صوم العذارى[١٠] • فاذا انقضى الصوم اجتمعوا الى هذا الدير فتعبدوا وتقربوا • وهو دير حسن طيب •

---

(٥) الممكورة : المستديرة الساقين ، المدمجة الخلق •

(٦) العرام : الشراسة •

(٧) للراهبات في بلاد المشرق ديارات عديدة • ومما عرف منها في المراجع العربية بـ « دير العذارى » :
(١) دير العذارى : بأسفل الحظيرة •
(٢) دير العذارى : في قطيعة النصارى ببغداد • وعن هذا الدير ، راجع الذيل (١٠) •
(٣) دير العذارى : بين أرض الموصل وبين أرض باجرمي ، من أعمال الرقة •
(٤) دير العذارى : بظاهر حلب •
وقد الفينا الكتبة الاقدمين ، نسبوا ما قيل من شعر في أحدها الى الآخر •

(٨) من محال بغداد ، في الجانب الغربي (معجم البلدان ٤ : ١٤٣) • وكانت هذه المحلة خربة في زمن ابن عبدالحق (المراصد ٢ : ٤٣٤) •

(٩) المخطوط : نهر الزجاج ، وهو تحريف • ونهر الدجاج محلة ببغداد، على نهر كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربي (معجم البلدان ٤ : ٨٣٨ ـ ٨٣٩) •

(١٠) في معجم ما استعجم (ص ٣٧٦) ومعجم البلدان (٢ : ٦٧٩) والآثار الباقية للبيروني (ص ٣١٤) أقوال في السبب الذي من أجله أتخذ هذا الصوم • فلتراجع •

ولابن المعتز في دير العذارى المقدم ذكره[11] :

خليلي ُقمْ حتى نموت من السكر ... بحانة خمار مَماتاً بلا قَبرِ
ونشرب من كرخيةٍ ذهبيةٍ ... ونصفح عن ذنب الحوادث والدهر
ألا ُربّ أيام مضينَ حميدةً ... بدير العذارى والصوامع والقصر
وكم من ليال مسعدات لذي الهوى ... جسرت على اللذات فيهن بالجسر
(٤٤ أ) خليلي فلا تطلب فلاحي وخلّني
فما لي على ما لمتني فيه من صبر

ولبعضهم ، فيه :

قام عذري في ظبي دير النصارى[12] ... حين أبصرتُ عاشقيه حيارى
فتنةٌ عمّت الخلائق واستو ... ات على مسلميهم والنصارى

قال : ولما خرج عبيدالله بن عبدالله بن طاهر من بغداد الى سرّ من رأى ، وكان المعتز استدعاه ، نزل هذا الدير ، فأقام به يومين واستطابه وشرب فيه ، ثم قال هذه الأبيات :

ما ترى طيب وقتنا يا سعيدُ ... زمنٌ ضاحكٌ وروض نضيدُ
ورياضٌ كأنهنّ برودٌ ... كل يوم لهن صبغ جديد
وكأن الشقيقَ فيها عشيق ... وكأن البهار صَبٌ عميد
وكأن الغصون ميلاً قدودٌ ... وكأن النوار فيها عقود
وكأن الثمار والورق الخض ... ـر ثيابٌ من تحتهنّ نهود
فسقنيها راحاً تريح من الهـ ... ـم وتبدي سرورنا وتُعيد
واحثث الكأسَ يا سعيد فقد حثّ ... ـك نايٌ لها وجرك عود
وافترع ُعذرةً اللذاذات في دي ... ر العذارى ، فعلّها لا تعود

---

(١١) شعر عبدالله بن المعتز صنعة أبي بكر الصولى (٣ : ٤٨ ـ ٤٩ تحقيق ب. لوين . استانبول ١٩٥٠) .
(١٢) لعل الاصل : العذارى .

(٤٤ب) وعبيدالله من أحسن الناس أدباً وشعراً وتصرفاً في سائر العلوم ، مع كرم نفس وحسن خلق •

ولما وصل عبيدالله في سفرته المذكورة الى المعتز ، أمره بالمقام عنده في ذلك اليوم ، فأقام • قال عبيدالله : فأرسل المعتز الى شارية أن تخرج ، فتعالَت عليه ، فقال : عندي من يحب أن يسمعك وأحب لك وله ذلك ، ولابد من حضورك • فخرجت فجلست خلف الستارة ، ثم قالت : لولا الزائر ما جئنا • فأول صوت غنته :

غشيت المَنَازل بالانعم كمنعرج الوشم في المِعصم

ثم غنت بعده :

لقد راعني للبين صوتُ حمامةٍ على غصن بانٍ جاوبتها حمائمُ

فقال لي المعتز[١٣] : كيف تسمع ؟ قلت : أسمع شيئاً حظ العجب منه أكثر من حدّ[١٤] الطرب • فاستحسن هذا الكلام مني • ثم أسمعني زَمرَ زُنام[١٥] الزامر ، وقد ضعف وأرعش وأزمنه النقرِس[١٦] • وأراني الآلة التي عملها أحمد بن موسى المهندس[١٧] من صفر يرسل فيها

---

(١٣) الأغاني (١٥ : ١٠٨) ، والايجاز والاعجاز للثعالبي (ص ٢١) ، نهاية الارب (٥ : ٨٦) •

(١٤) في المراجع المذكورة : حظ •

(١٥) زنام (وزان : غراب) : زمار حاذق ، خدم الرشيد والمعتصم والواثق ، وهو الذي أحدث الناي في زمن المعتصم ، فيقال ناي زنامي • تاريخ الطبري (٣ : ١٣٢٣ و ١٤٥٥) ، الاغاني (٦ : ١٩١) ، ثمار القلوب (ص ١٢٢) ، الفخري (ص ٣٢٠) ، شرح مقامات الحريري (١ : ٣١٤ ــ ٣١٥) ، التاج (٨ : ٣٣٠) •

(١٦) النقرس : داء يأخذ في الرجل ، وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي ابهامها أكثر • قيل فيه انه داء أهل الترف والنعم (شفاء الغليل ص ٦٢ الوهبية) •

(١٧) كان بنو موسى الثلاثة ، محمد وأحمد والحسن ، من أشهر علماء

الماء فيسمع لها زمر السرناي[١٨] • ثم أدخلني الى شباك ، وأمر أن يُجمع بين السبع (٤٥ أ) والفيل ، فرأيتهما كيف يتواثبان • ثم قال لي : أتذكر أني أريتك اليوم أربعة أشياء طريفة • قلت : نعم يا سيدي • قال : أيهـا أظرف عندك ؟ قلت : غناء شارية • فقال لي : صدقت !

قال جحظة : دخلت على عبيدالله بن عبدالله بن طاهر يوماً ، فجاءه مشيخة ، فأمرهم بالجلوس عن يمينه • وجاء كهول ، فأمرهم بالجلوس عن شماله • ودخل أحداث فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس • فسألته عنهم ، فقال : هؤلاء بنيّ ، وأومأ الى الشيوخ ، وهؤلاء بنوهم وأومأ الى الكهول ، وهؤلاء بنوهم وأومأ الى الأحداث • قلت : بنوك لأمّ أو لأمهات شتى ؟ قال : أم جميعهم شاجي[١٩] ، وأنشد :

زرعتُ وشـاجي بيننـا في شبيبتي غـراس الهوى فاعتمّ بالثمر العذب

عصرهم في المائة الثالثة للهجرة • وقد علت منزلتهم في أيام المعتضد• قال ابن العبري (تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥) « كان أكبرهم وأجلهم أبو جعفر محمد ، وكان وافر الحظ في الهندسة والنجوم ، وكان أحمد دونه في العلم الا صناعة الحيل فانه فتح له فيها ما لم يفتح مثله لاحد • وكان الحسن ، وهو الثالث ، منفردا بالهندسة ••• » ولبنى موسى تآليف مذكورة في الفهرست (ص٢٧١) وأخبار الحكماء (ص ٣١٦) •

وقد نشر الاب لويس شيخو (المشرق ٩ [١٩٠٦] ص ٤٤٤ ـ ٤٥٨) رسالة عنوانها « الآلة التى تزمر بنفسها صنعة بنى موسى بن شاكر » • فكأن هذه الرسالة تصف الآلة التي ذكرها الشابشتي •

(١٨) السرناي ، وقيل فيهـا الزرناي والزرناية والصرنايـة : آلة طرب ينفخ فيها كالمزمار ، تشبه « الكلارنيت » • والكلمة من الدخيل • ووردت في الكامل لابن الاثير (٦ : ٣٢٨) بصورة « السرنائي » •

(١٩) كانت جارية لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر • وكانت احدى المحسنات المبرزات المتقدمات في الغناء • وفي نشوار المحاضرة (١ : ٦٣ ـ ٦٤) قصة جرت لها • وسائر أخبارهـا في الأغـاني (٨ : ٤٢ ـ ٤٣) ونهاية الارب (٥ : ٦٩ ـ ٧٠) •

فشاب بنو شاجي لظهري وأدركوا وشـاب بنوهـم وهي مالـكة قلبي

قال : وهي معي مذ سبعون سنة • وكان بعض المنجمين حكم بموته قبلها ، فماتت قبله ، فقال :

فيـا عجبـاً مني وممن رعيته بأوكد أسباب الهـوى ورعاني
وكنت أُرجّي أن أكون فداءه فلمـا أتى وقت الحمام فداني

(٤٥ب) وذكر ابن قدامة[٢٠] قال : حضرت جنازة شاجي ، فلما انصرفنا ، دخلت مع عبيدالله مساعداً له ومؤنساً ، وهو مطرق ودموعـه تجري على خديه • فلم أر باكياً أحسن منه • ثم رفع رأسه وأقبل علينا ، فقال[٢١] :

يمينـاً بأني لـو بُليت بفقـدهـا وبي نبض عِـرقٍ للحياة وللنُكس
لأوشكت قتـل النفس عنـد فراقها ولـكنهـا ماتت وقـد ذهبت نفسـي

قال : ثم حضرت معه لزيارة قبرها ، فلما هم بالانصراف ، قال :

من زار دار أحبـةٍ لحيـاتهـم ولـما يؤمّل من لقـاء يُقدَّرُ
فليأت دار أحبةٍ سكنوا البِـلى كرمـاً وحفظاً واللقـاءُ المحشر

قال : ومات ابن لعبيدالله من[٢٢] شاجي ، فزار قبره ، ثم أنشد :

أيا مجمع الأحباب بعـد تفرقٍ أراك قـريبـاً والتـلاقي شـاسعـا
فيـا عجبـاً اني أزورك مُكرَهـاً وفيك الأُلى أهوى وأجفوك طائعا

قال الصولي : لما ماتت شاجي ، جزع عليها عبيدالله الجزع الذي لم

---

(٢٠) هو جعفر بن قدامة الكاتب • كان وافر الادب حسن المعرفة • وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها • مات سنة ٣١٩هـ (٩٣١م) • (تاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٢٠٥ ، معجم الادباء ٢ : ٤١٢ ـ ٤١٥) •

(٢١) الاغاني (٨ : ٤٣) ، نهاية الارب (٥ : ٧٠) •

(٢٢) المخطوط : بن • والوجه ما في أعلاه •

يَـر مثله • فرثاها جماعة من الادباء ، ورثاها عبيدالله بعدة قصائد • فكـان أحسن ما مر بي في ذلك ، رسالة[٢٣] لعبدالله بن المعتز اليه وجوابهـا من عبيدالله بن عبدالله • وكانت نسخة التعزية :

(٤٦ أ) « اتصل[٢٤] بي ، أعزك الله ، خبر المصيبة • فوالله لقـد أشركني الهمُ بها معك ، وألمني منها ما ألمك • فصبراً يا أخي عـلى حكـم القدر ، ونهضاً من عثرة الجزع ، وثباتاً للمحنة ، وشكراً لمفيـد النعمـة بتقديم الحرم وتحصيل الأجر على حسن الصبر وان كانت :

جليلةَ حظٍ من عفاف ومن تُقىً   وقُمريّةً في ذروة الغصن تسجع
تولت ولو لم تُطعم الأرضُ غيرها   كفتها ولكن لا أرى الأرض تشبع

وقد أطال الله إمتاعك بها منذ وهبها لك ، وجعل فقدها لمثوبتك التي هي أكبر منها اذ ارتجعها منك • ومثلك ، أيدك الله ، لا يُحض على حفظ دينه ، لأنك تعلمه وترغب فيه وتسارع اليه • لكن المصائب ربما عصفت بالجازع حتى يذكر أو يذكّر ، فيراجع الرضا بحكم مَن لا يجور ، ويسبق الصبر على المصيبة مختاراً ، للسلوة التي لابد من أن يصير اليهـا اضطراراً • ورب خيرة مُرة ، وحميد في مكروه ، وهو الدهر الذى نعرفه ولا تؤتى من غرة به • هذه سجيته وبهذا تقدمت سـيرتـه كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين • ولولا علـّـة عائقـة عن لقائك ، أعزك الله ، لصرت (٤٦ب) اليك بدلاً من كل كتاب ورسول ، وقضيت بذلك حقك ورأيته من واجبك • ورب حاضر لم يحضر وده ،

---

(٢٣) لم نجدها في « رسائل ابن المعتز » جمع وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي (القاهرة سنة ١٩٤٦) •

(٢٤) في الهامش ، بخط مخالف للاصل ، قول القائل : « رسالة التعزية أرسلها ابن المعتز الى عبيدالله بن طاهر » •

وغائب لم يغب غمّه عنا • وأعظم الله أجرك ، وأجزل ثوابك ، ودل على سبيل العزاء قلبك ، وكفاك مكارهك ، ووفقك لما يوافقك ، ورحم التي توفيت ، وجعل ما اتصلت به من الآخرة خيراً مما انقطعت عنه من الدنيا ، وإن لله وإنا اليه راجعون » •

فأجابه عبيدالله بن عبدالله : « أطال الله بقاء السيد المؤمل للدنيا والدين ، وابن السادة المنعمين ، والخلفاء الراشدين ، والآباء المنتجبين ، وزاد الله السيد تشريفاً وتفضيلاً ، وأدام له العز والسعادة والكرامة والغبطة والسلامة ، وجدد له النعم الظاهرة والمنن المترادفة ، وجعلني من كل سوء ومكروه فداه ، وقدمني الى كل مرهوب ومحذور قبله •

وصل كتاب السيد ، أطال الله بقاءه ، مملوءاً بالبر والفضل والانعام والتطول وفرائد الأدب وجوامع المحاسن • فتلقيته بحقه من الاعظام والشكر والمعرفة بعلو قدره وارتفاع درجته وارتقاء رتبته في حسن التأليف واتفاق المعاني وجليل الصواب وجميل الخطاب • ولقد رفع الله الأدب والعلم ونواظر (٤٧ أ) أهلهما بالسيد ، أيده الله بعنايته[٢٥] وقدرته • فأما المشاركة فمعهودة من تفضله ، حتى لو قلت ان التعزية بهذه المصيبة التي لحقتني لو شوفه بها وعزّى عنها جرى الأمر مجراه ووضع القصد في أحق مقاصده • وأما الصبر فهو الذى لابد منه اضطراراً أو اختياراً •

اذا ما أصابت ذا حياة مصيبة فقابلها منه التحمل والصبر
فما بعُدت من أن تحوّل نعمةً يحق عليها الحمد لله والشكر

وأما الجزع ، فما أصاب وأوجع وألم وروع ، فلا محيد عنه • وإذا لم يتعدّ العين والقلب الى البدن واللسان فخطبه أسهل ، وشكر المولى المخفف للمحن والمتمم للنعم ، المفزع في النوائب والعصمة في المصائب • ولو كان

---

(٢٥) المخطوط : بعنايه •

طول الامتاع ، أعز الله السيد ، يُسلى لا يسلو عنه الا لمن ساعده[٢٦] ووهى عقده لما عمل عليه مميز نظار ، ولو كان على أشد المضض وأمرّ الغصص ولوعة الأبد ودوام الكمد ، وأقول :

أسرُّ أمور الدهر صار أغمّها وكل جديد صار بعدك باليا
فأعجبُ منْ شُهدٍ تحوّل علقماً ومن ضاحكٍ لم يعد أن ظل باكيا

وأما السلوة ، أعز الله السيد ، فليست من فعل الأحرار المخلصين لا في **(٤٧ب)** مَحيا ولا في مماتٍ ، انما هو اغتنام الاحتساب واتصال الأكساب والعياذ بالله من فقد العزاء وفقد أجره • وبالله يا سيدي ، ان الشخص لخاشع وان الطرف لدامع وان القلب لحرّان موجع • ولقد صادفت هذه الحال بدناً ما فيه عضو صحيح ، أسقام متطاولة ومصيبة موصولة بما بقي من الزمن •

وبينا الفتى يبكي ويندب شجوه ومألوفه اذ صار يُبكى ويُندب

وأما ما ذكره السيد ، جعلني الله فداه ، من أمر العلة التي لا كانت ولا سُمع لها بذكر أبداً ، فانه لولاها لكان وكان مما لا ينطلق بذكره اللسان• وأنا أُعيذه بالله العظيم الذي فضله بكل خُلق كريم من تعنيف الفعل الذي لا يجزي أدناه أقصى الشكر ففيما سلف من المخاطبة والمشاركة ما يبلغ[٢٧] أقصى منازل الشرف ، وحاول أعلى مآثر الفخر ؟ وأنا أفاوض السيد ، أطال الله بقاءه ، الشيء بعد الشيء ، مما نطق به الحزن ، وأبثّه إياه • فمن ذلك :

وقفتُ على الأحباب والتُرب دونهم بنفسي وجوهٌ تحت تلك المقابر
ومثل لي ما نال من حسنها البِلى فسبحان ربّي عالماً بالسرائر

---

(٢٦) لعل فعلا سقط قبل هذه اللفظة •
(٢٧) لعل الأصل : « بلغ » ليقابل « حاول » •

(٤٨ أ) ثم بعث اليه بعدة قصائد قالها فيها ٠

قال(٢٨) : ولما اختلت حال عبيدالله ، بعث اليه المعتضد يسـألـه أن يفسح لشاجي في زيارته ، فشق ذلك عليه ، واحتج بأنهـا عليلة ومختلة الهيئة ٠ فلح في طلبها حتى ظهر منه تهديد له ٠ فبعث بها اليه ٠ فذكر عنها انها قالت : احتقرت نفسي حين دخلت على جواريه ، لما رأيت عليهن من حليهن وحُللهن ، وحَقَّرنني هـن أيضاً حتى غنّيت وغنَّين ، فانتقـل إعظامي لهن إلي منهن ٠ فلما خرجت ، حمل معها المعتضد عشرة آلاف درهم وكسوة وطيب(٢٩) ٠ فجاءت شاجي وعبيدالله والـه ٠ فلمـا رآها سُـــري عنـه ، ثم قـال لهـا : هـل رأيت شـيئاً لم تري مثـله عنـدنا فاستحسنته(٣٠) ؟ فقالت : لا والله ، إلا عوداً من عود(٣١) ، وذلك أنـه محفور لا مبني(٣٢) ، فاستطرفته ٠ [قال جحظة : فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عوداً](٣٣) ٠

قال : وكان مما صنعته وغنته ذلك اليوم للمعتضد(٣٤)

ماذا استعار الحسن من وجهه   والغصـن النـاعـم من قـدّه
لقـــد تعاتبنـــا بأبصـــارنا   فيما جناه الخلف من وعـده

(٢٨) الأغاني (٨ : ٤٢) ، نهاية الأرب (٥ : ٦٩) ٠
(٢٩) لعل الأصل « وطيباً » بالعطف على « عشرة » المفعول الصريح ٠
(٣٠) المخطوط : فاستحسنتيه ٠ وهو خطأ ٠
(٣١) أراد بالعود الأول : آلة الطرب المعروفة ، وبالثاني : الخشب ٠
(٣٢) المخطوط : انه محفوراً لا مبنياً ٠ والصواب ما أثبتنا ٠ ومعنى قوله « محفور لا مبني » ان هذا العود صنع من قطعة واحدة محفورة ، خلاف ما نراه في الأعـواد التي تصنع في زماننـا من « اضلاع » خشب ، يحاذي بعضها بعضاً ويلصق بالغراء ٠
(٣٣) الزيادة من الأغاني ٠
(٣٤) الأبيات لخالد بن يزيد الكاتب ٠ وقـــد أورد الشابشتي الثلاثة الأولى منها في فصل « دير سمالو » ٠

حتـى تجارحنـا بتـكرارنا للّحـظ في قلبي وفي خـده
(٤٨ب) فأدرك الثأر وأدركتُـه وسرني بالصـدّ عن صَـده

وكان مما غنته أيضاً :

هو الدهر لا يعطيك إلا تَعلّةً ولا يأخـذ الموهوب إلا تغشّما
عـزاءً إذا ما فات مطلب هالكٍ وصبراً إذا كان التصبُّر أحزَما

قال أبو علي محمد بن العلاء الشجري : لما تقلد عبيد الله بن سليمان الوزارة للمعتضد ، دفـع عبيدالله بن عبدالله بن طاهـر الي رقعة ، سألني عرضها على عبيدالله بن سليمان ، فكان فيها[٣٥] :

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نُجلّ ونُعظمُ
فقلت له : نعماك فيهم أتمّها ودعْ أمرنا ، إن المهم المقدَّم

فاستحسن عبيدالله بن سليمان ما كتب به ، وقـال : أما ترى كيف تلطف لشكوى حاله ؟ ثم أخذ جميع رقاعه فوقع له فيها بجميع ما أحب .

قال : وقال أبو العيناء يوماً لعبيدالله أسكتُ أيها الأمير أم أقول ؟ قال : إن سكتَّ كفيتَ ، وإن قلت أصغي اليك ، وإنك لتقرب منـا إذا احتجنا اليك ، وتبعد عنا إذا احتجت الينا .

ومن شعره ، قوله :

(٤٩أ) لعمري لئن حـدثت نفسـي أنني
أفوتُك ان الرأي مني لعـازبُ
لأنـك مـني بالمكان المحيـط بي
من الأرض أنى استنهضتني المذاهب

(٣٥) العمدة لابن رشيق القـيرواني (٢ : ٣٣ ـ ٣٤) ، الوفيـات (١ : ٣٨٦) .

ذكر أبو علي الأوارجي [٣٦] ، ان أبا بكر محمد بن السري السرّاج النحوي [٣٧] ، كان يحب جارية من القيان ، فأنفق عليها مالاً جزيلاً . فلما ورد المكتفي من الرقة ، خرج الناس ينظرون اليه . فخرجت [٣٨] أنا وهو وأبو القاسم عبدالله الموصلي ، فجلسنا على روشن دار ابن جهشيار لنراه . فلما وافى ونظرنا اليه استحسناه كلّنا . وكان أبو بكر بن السراج واجداً على هذه الجارية ومغاضباً لها . فقال : قد حضرني شيء ، فاكتب ، فكتبت [٣٩] :

قايست بين جمالها وفعالها ... فاذا الملاحة بالخيانة لا تفي

والله لا كلمتها ولو أنها ... كالشمس أوكالبدر أو كالمكتفى

ثم مضى للحديث مدة طويلة. وكان أبو عبدالله محمد بن اسمعيل زنجي [٤٠]

---

(٣٦) هو أبو علي هارون بن عبد العزيز الاوارجي الكاتب الانباري ، المتوفى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) .

(٣٧) من أئمة النحو والادب . وله تصانيف مشهورة في النحو واللغة ، ضاع اكثرها . مات سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) . ترجمته في نزهة الالباء (ص ٣١٣ — ٣١٤) ، معجم الادباء (٧ : ٩ — ١٢) ، الوفيات (١ : ٧١٧ — ٧١٨) ، البغية (ص ٤٤ — ٤٥) ، الشذرات (٢ : ٢٧٣ — ٢٧٤) .

(٣٨) لعله سقط منه : « قال » . فالاصل : قال فخرجت .

(٣٩) شرح مقامات الحريري (١ : ١٢٦) ، معجم الادباء (٧ : ١٠) ، الوفيات (١ : ٧١٨) ، تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي . (كتاب الميم . ص ٧٣٧ تحقيق محمد عبد القدوس القاسمي) ، خلاصة الذهب المسبوك (ص ١٧٥) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٥٠) ، البغية (ص ٤٤) ، الشذرات (٢ : ٢٧٣—٢٧٤) .

(٤٠) معجم الادباء والوفيات : بن زنجي . وكان هذا الكاتب متقدماً عند بني الفرات . وقد وجدنا مؤنف تحفة الامراء ينقل عنه في مواطن عديدة .

الكاتب ، يهوى قينةً ، وهو إذ ذاك يكتب لأبي العباس ابن الفرات[٤١] فكان يحدثه بحديثه معها ولا يحتشمه ، وكان اجتماعها معه في كل يوم جمعة ، لأنه كان يوم نوبته في داره[٤٢] •

قال أبو علي : فحدثني زنجي ، قال : غدوت يوم سبت على أبي العباس (٤٩ب) ابن الفرات ، فقال لي : ما كان من خبرك أمس ؟ فحدثته باجتماعنا ، فقال لي : فما كان صوتك ؟ فقلت :

قايست بين جمالها وفعالها

فقال لي أبو العباس : لمن هذا الشعر ؟ قلت : لعبدالله بن المعتز • ثم ركب أبو العباس بن الفرات الى الوزير القاسم بن عبيدالله ، فحدثه بهذا الحديث ، وأنشده الشعر ، وسار معه الى الثريا[٤٣] ، ثم انصرف عنه فجلس في ديوانه • فلما علم انه قد قرب انصرافه ، خرج فتلقاه ، فلما لقيه ، حدثه انه أنشد المكتفي الشعر وانه سأله عن قائله ، فعرفه انه لعبيد الله بن عبدالله ابن طاهر • قال : فأمرني أن أحمل اليه ألف دينار • فقلت : إنما قلت لك ان الشعر لعبدالله بن المعتز ، فنسبته الى ابن طاهر • فقال : والله ، ما وقع

---

(٤١) هو أبو العباس أحمد بن موسى بن الفرات ، أول من ساد من بني الفرات • كان حسن الكتابة خبيراً بالحساب والاعمال • وهو أخو أبي الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات الوزير المشهور (تحفة الامراء ص ٨ و٧٢ و١٧٩) •

(٤٢) هذه كانت عطلته الاسبوعية • وراجع في هذا الباب : (العطلة الاسبوعية في الدولة العباسية) لميخائيل عواد (مجلة المجمع العلمي العربي ١٨ [١٩٤٣] ص ٥٢ ــ ٥٨) •

(٤٣) قال ياقوت (معجم البلدان ١ : ٩٢٤) : « الثريا : أبنية بناها المعتضد ، قرب التاج ، بينهما مقدار ميلين ، وعمل بينهما سرداباً تمشي فيه حظاياه من القصر الحسني • وهي الآن خراب » ثم أورد أبياتا رائعة لابن المعتز في وصفها • قلنا : كانت خلافة المعتضد سنة ٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ (٨٩٢ ــ ٩٠٢ م) • وراجع عن الثريا أيضا ، كتاب Le Strange, Baghdad (p. 250 - 251).

لي إلا أنك قلت إنه لعبيد الله . وهذا رزق رزقه الله عبيدالله ، لا حيلة لأحد فيه . قال زنجي : فلما انصرف أبو العباس ، حدثني بهذا الحديث وقال : خذ أنت الدنانير وامض[٤٤] بها الى عبيد الله وقل له : هذا رزق بعثه الله اليك من حيث لم تحتسب ! فحملت اليه الدنانير (٥٠أ) وحدثته الحديث ، فحمد الله وشكر أبا العباس ، فكان هذا من الاتفاق العجيب !

وكان[٤٥] عبيد الله يقول : من صحب السلطان وخدمه ، احتاج أن يدخل أعمى ويخرج أخرس[٤٦] .

ومن شعره ، قوله :

اذا أنت لم تفضل على ذي مودة | وكنت وإياه بمنزلة سوا
فلا تك ذا تيه عليه فانما | يعاقب بالذنب الفتى لا على الرضا

وقال أيضاً :

ألا إن قلبي منك بعد الذي مضى | لـلآن من أمرين يختلفان
هوى منك يتلوه أذى[٤٧] لك والأذى | عدو الهوى لن يوجدا بمكان

---

(٤٤) المخطوط : وامضى . وهو خطأ .

(٤٥) في هامش المخطوط ، بخط مغاير : « أقول : لا خصوصية للسلطان بل كل كبير ينبغي مصاحبته على الكمال وحفظ السر » .

(٤٦) في الايجاز والاعجاز للثعالبي (ص ٢٠) : من دخل على الملوك فليدخل أعمى وليخرج أخرس . وفي « رسوم دار الخلافة » لهلال الصابىء (ص٨٨ تحقيق ميخائيل عواد) في باب « مسايرة الخلفاء » : « ... وكن أصم عما تسمعه وأعمى عما تلحظه ... » وتجد نظائر لهذا القول في المنتظم (٧ : ٧٣) ، المنهج المسلوك في سياسة الملوك لعبدالرحمن بن عبدالله (ص ٩٨) ، أحسن ما سمعت للثعالبي ص (١٥٨) ، آثار الاول في ترتيب الدول للحسن بن عبدالله (ص ٩٨) ، محاضرات الراغب الاصفهاني (١ : ١١٧) .

(٤٧) المخطوط : اذا .

وقال أيضاً :

كفاك عن الدنيا الدنيَّة مخبراً ... غنىً بإخليها وافتقار كرامها

وان رجال النفع تحت مداسها ... وان رجال الضُرّ فوق سنامها

وقال أيضاً :

وقالوا : غداً ينأى فما أنت صانعُ ... فما هو إلا أن تفيض المدامعُ

بلى زفراتٌ بينهن تنفُّسٌ ... يقطّعن قلبي والهموم النوازع

وذل وإطراقٌ وفكر وحسرةٌ ... وأعظم منها ما تجنُّ الأضالع

(٥٠ب) قال عبدالله بن المعتز : كتبت الى عبيدالله بن عبدالله بن طاهر حين وُلي ابنه خلافة يونس[٤٨] على شرط بغداد[٤٩] :

فرحت بما أضعافه دون قدركم ... وقلت عسى قد هب من نومه الدهر

فترجع فينا دولة طاهرية ... كما بدأت والأمر من بعده الأمر

عسى[٥٠] الله ، ان الله ليس بغافلٍ ... ولابد من يسر اذا ما انتهى العسر

فأجابه عبيد الله بن عبد الله :

فنحن لكم إن مسّنا ضيمُ جفوةٍ ... ومنا على لأوائها الصبر والعذرُ

فان رجعت من نعمةِ الله دولةٌ ... الينا ، فمنّا عندها الحمد والشكر

ولعبيد الله شعر كثير وأخبار طريفة ، اخترنا منها ما يليق بغرض الكتاب ولا يخرج الى حد الاطالة .

وكانت وفاة عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ليلة السبت ، لاثنتي عشرة ليلة

---

(٤٨) كذا ما في المخطوط . ولعل الصواب « مؤنس » ، وهو صاحب الشرطة ببغداد أيام المقتدر . (انظر : تحفة الامراء ص ٢٣) .

(٤٩) ديوان ابن المعتز (ص ١٤٣ ــ ١٤٤) .

(٥٠) الديوان : خف .

خلت من شوال سنة ثلثمائة • ولما توفي ، وجهت شغب[٥١] والدة المقتدر بالله بأم موسى القهرمانة[٥٢] الى ولده وحرمه فعزتهم عنه ، وكفنته بكفن حظيري[٥٣] ، وتصدقت في جنازته بألف دينار وألف درهم ، وقامت بجميع أمورهم •

وأما أخوه محمد بن عبدالله بن طاهر ، فكان كريماً سَرياً جواداً (٥١أ) سمحاً حسن الأخلاق مع أدب وحسن معرفة وافتنان في سائر العلوم ، وضبط وسياسة وتقدم في التدبير • وكان المتوكل استدعاه من خراسان لما مات اسحق بن ابراهيم الطاهري ومحمد ابنه ، وولاه خلافته ببغداد ، فأقر أخاه طاهر بن عبدالله على خراسان ، وكان أكبر أخوته •

ذكر الشاه بن ميكال[٥٤] ، ان بعض البزازين ، عرض على محمد بن

---

(٥١) عرفت بالسيدة أم المقتدر • كانت ذات نفوذ ودهاء عظيمين ، ويد طولى في التصرف بأمور المملكة لضعف ابنها ، فتولي وتعزل وتبرز التواقيع وعليها خطها • ثم نكبت بعد مقتل ابنها أقبح نكبة على يد القاهر بالله • وماتت سنة ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) • أخبارها كثيرة في كتب التاريخ الباحثة في أخبار ذلك العصر •

(٥٢) هي أم موسى الهاشمية القهرمانة • كانت من ذوات النفوذ والسياسة والدهاء في الدولة العباسية أيام المقتدر بالله • وكانت تؤدي الرسائل من المقتدر وامه الى وزير الدولة • وأخبارها في : صلة تاريخ الطبري والكامل لابن الاثير (فهارسهما) •

(٥٣) نسبه الى الحظيرة وقد مرّ ذكرها في مطلع هذا الفصل • وفي المخطوط : خطير • والتصحيح للدكتور مصطفى جواد •

(٥٤) من القواد البارزين في النصف الثاني من المئة الثالثة للهجرة • خدم المستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي • وتوفي سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) • وقد مدحه البحتري في قصيدة لامية (ديوان البحتري ٢ : ١٥٨ ــ ١٥٩ الجوائب) وأخبار الشاه بن ميكال في : تاريخ الطبري (فهارسه) ، مروج الذهب (٨ : ١٠٧) ، تحفة الامراء (ص ٤٣) ، الكامل لابن الاثير (٨ : ٦٨ ــ ٦٩) •

عبدالله بن طاهر ثوبي وشي ، فعرفهما وعلم انهما من ثيابه ، فأحضر ابراهيم بن هارون النصراني [٥٥] قهرمانه ، فأمره أن يحضر الثوبين اللذين من صفتهما كيت وكيت ، فذكر انه لا يعرفهما ، وانه رجع الى الاحصاء [٥٦] ، فلم يجدهما فيه ، ورجع الى الديوان فوجدهما ثابتين فيـــه ، ابتيعا بألف وخمسمائة دينار . [قال] [٥٧] : فسألت عن الخبر ، فأخبرت ان الكاتب في الخزانة باعهما وأسقط من الاحصاء عددهما . فأمر بحبس الكاتب . وقال لابراهيم : ويلك ! تستكتب من يقدم هذا الاقدام ؟ فحلف انه ما وقف على مثل هذه الحال منه ولا عرف له مثل هذه الزلة . فقال : إن كان الامر كذلك فليطلق ، وأمر له بخمسمائة دينار ، وقال له : تعفف بهذه ، فاني أظن الخلة حملتك على ذلك ، ورد الثوبين على التاجر وأطلقه .

(٥١ب) قال: وكنا [٥٨] يوماً عند اسحق بن ابراهيم بن مصعب [٥٩] ، فقدمت المائدة ، وكان قد تقدم بعمل هريسة ، فقدمت اليه الهريسة ، فنظر اليها ، فرأى شعرة ، فأومأ الى بعض غلمانه بشيء لم نفهمه [٦٠] . فما لبث

---

(٥٥) أشار الطبري (٣ : ١٥١١ حوادث سنة ٢٤٩ هـ ٨٦٣ م) الى أن دار ابراهيم هذا ودار أخيه بشر ، قد نهبتا في تلك السنة ، وكانتا في الجانب الشرقي من بغداد .

(٥٦) يريد بالاحصاء « الثبت » أو ما يعرف اليوم بالقائمة أو بالسجل .

(٥٧) الزيادة من عندنا ليصح اسناد الفعل الى ابراهيم بن هارون .

(٥٨) المستطرف للابشيهي (١ : ١٦٠ بولاق ١٢٩٢ هـ) .

(٥٩) هو الأمير اسحق بن ابراهيم بن مصعب الخزاعي ، ابن أخي طاهر ابن الحسين . كان صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل . فبقي يتولاها أكثر من عشرين سنة ، وكان يسمى بصاحب الجسر ، لانه كان يتولى أمر الجسرين ببغداد . وكان صارماً سايساً حازماً . مات سنة ٢٣٥ هـ (٨٤٩ م) أخباره في : تاريخ الطبري ، الكامل لابن الأثير (فهارسهما) ، رسوم دار الخلافة (ص ٢٠ تحقيق ميخائيل عواد) ، الشذرات (٢ : ٨٤) .

(٦٠) المخطوط : لم يفهمه ، وهو تحريف . وفي المستطرف : لم نعلمه .

أن جاء بطيفورية[٦١] عليها مِكبّة ، فوضعها ورفع المكبة ، فاذا يد الطباخ بدمها في الطيفورية • فرفعنا أيدينا ، وتنغص أكلنا مما ورد علينا ، وقمنا وليس منا أحد ينتفع بنفسه •

ثم اجتمعنا بعد ذلك بدهر على مائدة محمد بن عبدالله بن طاهر ، وكان قد تقدم باصلاح لون اشتهاه ، فعمل له ، وجاء به الطباخ بنفسه حرصاً على التقرب من قلبه • فلما قرب منه ، عثر لعجلته ، فأفت الطيفورية على محمد ، فصارت ثيابه وما تحته من فُرُش آية ، فقام للوقت ، فغير ثيابه واغتسل وعاد الينا بوجه طلق لم يؤثر فيه ما جرى ، وجلس على المائدة ، ثم قال : عليّ بفلان الطباخ ، فجيء به وهو لا يشك في حلول النقمة • فقال له : أحسبنا قد رعناك ، أنت حر لوجه الله جل وعز • وفلانة الجارية لك وقد زوجتكما ، وأمر له بصلة وكسوة • فأقبلنا بالدعاء له ، وتعجبنا من فعله وذكرنا فعل اسحق[٦٢] •

---

(٦١) الطيفورية، ويقال فيها الطيفور والطوفرية (ج : الطيافير والطوافير) : ضرب من الأواني شبه الصحاف أو الاطباق يتخذ لوضع الطعام أو الفاكهة فيه • ولم ترد هذه اللفظة في معاجم اللغة القديمة ، فهي مما يستدرك عليها • ولها ذكر في بعض كتب الادب والتاريخ والبلدان •

(٦٢) ما أشبه هذه الحكاية بما ذكره الزمخشري في ربيع الابرار (مخطوط في خزانة المتحف العراقي ببغداد ، الرقم ٣٧٣ ، الورقة ٢ من المجلد الثاني) ، قال : « ابن عباس • ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة والياً •• ولقد شهدت منه مشهداً لو كان من معاوية لذكرته به : تغدينا عنده يوماً ، فأقبل الخباز بالصحفة ، فعثر بالوسادة ، فندرت الصحفة من يده ، فو الله ما ردها الا ذقنه ، وصار ما فيها في حجره • ومثل الغلام قائماً ، ما معه من روحه الا ما يقيم رجله • فقام فدخل فغير ثيابه ، وأقبل الينا تبرق أسارير وجهه ، فأقبل على الخباز فقال : يا بائس ! ما أرانا الا روعناك ! أنت وأولادك أحرار لوجه الله » اهـ •

قال : كان ابن أبي فنن[٦٣] ، ويكنّى أبا عبدالرحمن **(٥٢أ)** شاعراً مطبوعاً ، وكانت له ضيعة في قطيعـــة محمد بن عبدالله بن طاهـر • فكان الحاشر[٦٤] يصير اليه فيؤذيه ، وربما أشخصه ، فكتب الى محمد يشكو الحاشر وما يلقى منه من الاعنات[٦٥] :

أبنـي حسـين انني	أصبحت في كنف الأمــير
ولنــا معــايش في قطيـ	عتــه على المــاء النمـير
وبنيت بيتــاً وسـطه	سميتـــه بيت السرور
فــاذا جلسـت ازاءه	وشربت مـن حلب العصـير
قلت العفـــا لمــا روي	ت على الخورنق[٦٦] والسّدير[٦٧]
لـولا تـردد حاشـرٍ	كالكلب في يـوم مطـير
[غـــادٍ علي ورائـح	يصل الـرواح الى البكور][٦٨]
فاذا بـدا لي وجهـه	أخرجت صفراً من سروري
فهـل الامـير بجـوده	من قبـح طلعتـه مجيري ؟

---

(٦٣) شاعر عراقي مجود نقي اللفظ عاش في المئة الثالثة للهجرة ، أكثـر المدح للفتح بن خاقان (تاريخ بغـداد للخطيب ٤ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، معجم الادباء ٦ : ١٢٣ ، فوات الوفيات ١ : ٤٥) •

(٦٤) الحاشر ، ويجمع على الحشار والحشارين : عامل العشور والجزية التـاج ٣ : ١٤٢) وفي كتاب « قوانين الدواوين » لابن ممـاتي (ص ٣٠٦ و ٤٥٣ بتحقيق عزيز سوريال عطية) اشارة الى ما يقوم به الحاشر •

(٦٥) طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٨٨) •

(٦٦) المخطوط : الحروبى • وهو تحريف • والخورنق من أشهر قصـور الحيرة • وقد زالت معالمه• (الحيرة : المدينة والمملكة العربية ليوسف غنيمة • ص ١٩ ـ ٢٣ بغداد ١٩٣٦) •

(٦٧) السدير : من أشهر قصور الحيرة ، ولا أثر له اليوم (الحيرة : لغنيمة ص ٢٣ ـ ٢٤) •

(٦٨) الزيادة من طبقات الشعراء •

فلما قرأ محمد الأبيات ، وقّع تحتها : قد أجرناك أبا عبدالرحمن ، وأمرنا باحتمال خراجك ، وكان مبلغه ثمانية آلاف درهم(٦٩) ، ووجه اليه بألف دينار ، وحلف عليه أن يقبلها ، وكان ابن أبي فنن لا يقبل من أحد شيئاً ، وكان حسن الحال مستقلاً .

ولمحمد بن عبدالله (٥٢ب) من الأفعال الكريمة ما يطـول الشرح بذكرها ، وفيما ذكرنا كفاية .

ومن مليح شعره ، قوله (٧٠) :

قالت بناظرها أقبلْ ، فقلت لهـا	بالدمع : لبيك ياسمعي ويا بصري
حتى اذا علمت أن قد كلفتُ بهـا	أومت إلي بدمـع غـير مستتر
يا كاتمي خيفـة الواشي محبَّتـه	اني وعيشك أقراه من النظـر
قولي بطرفك ما تهـوين أعرفُـه	واستنطقي ناظري يخبـرك بالخبر

وكان مولد محمد بن عبدالله سنة تسع ومائتين ، في الليلة التي فتحت في صبيحتها كيسوم(٧١) ، وفيها ولد عبيد الله بن يحيى بن خاقان وأحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وكلهم ولي الوزارة .

ومات محمد يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعـدة ، سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، وسنة أربع وأربعون سنة . وكانت وفاتـه من بثرة خرجت في حلقه . وتوفي والقمر في الكسوف ، وكان يقول : إذا تم الكسوف وبدأ في الانجلاء متّ ، فكان كذلك . واستخلف أخـاه

---

(٦٩) طبقات الشعراء : ستة آلاف درهم .

(٧٠) كتب في الهامش : يحفظ .

(٧١) قرية من أعمال سميساط من بلاد ارمينية ، فيها حصن كبير كان لنصر ابن شبث ، تحصن فيه من المأمون حتى ظفر به عبدالله بن طاهر فأخرجه (معجم البلدان ٤ : ٣٣٣) . وسيذكر المؤلف في ترجمة عبدالله بن طاهر بن الحسين قصة فتحه لكيسوم هذه .

عبيد الله فأقرّه المعتز ، ووجه اليه بالخلع مع مفلح خليفة باكياك[٧٢] •
وكان طاهر بن محمد نازعه الأمر (٥٣أ) وأعانه مواليه والعامة حتى جاءت الرسل والخِلع ، فاستقر الأمر لعبيدالله •

ولابن الرومي ، يرثي محمد بن عبد الله بن طاهر[٧٣] :

بات الأمير وبات بــدر سمائنا هـذا يودعنا وهـذا يكسفُ
قمرٌ رأى قمراً يجود بنفسه فبكى أخاه أخٌ مؤاس منصف
فتكت بـه الأيام وهي عليمـة أن سوف يتلف منه ما لايخلف

وقال فيه :

وسألت عنه ، فقيل : بات لما به قلت : الندى لا شك مات لما به
وكأنا[٧٤] • به
فلمن أصونُ مدامعي من بعده ولمن تُرى تنهلّ[٧٥] من أسبابه
لصوابه ، لخطابـه ، لجوابه ، لشبابه ، للغُرّ من آدابـه

ولعبيدالله أخيه ، فيه •

كُسِف البـدر والأمير جميعاً فانجلى البـدر والأمير عميدُ
عـاود البـدر نوره لتجليـ ـه ونور الأمير ما لا يعـود

وقال :

ذكرت أخي من غير نسيان ذكره ولـكنها حالٌ تزيد وتنقصُ
(٥٣ ب) على حسب أخلاق الزمان وانه ليصحبني عيشٌ عليـه منغّص

---

(٧٢) المخطوط : باكياك • وفي سائر المراجع : بايكباك •
(٧٣) ما سيرد من أشعار ابن الرومي ، لا وجود له في ديوانه المطبوع •
(٧٤) ما بقي من البيت لا يقرأ في المخطوط •
(٧٥) المخطوط : نرى سهل •

ولما مات محمد بن عبد الله بن طاهر ، اشتد وجد المعتز عليه ، وكان يرى أن الأتراك يهابونه من أجله ولمكانه ، فقال فيه :

ذهبتْ بهجـــة الخلافـــة عنّـا حـــين أضحـــى محمد في القبور
عن قليـل تكون أحـــداث دهرٍ من سنا نارها يشب السَّعير[٧٦]

قال : وأما سليمان بن عبدالله بن طاهر ، فكان ابن أخيه محمد[٧٧] بن ابن طاهر ، أنفذه الى العراق في سنة خمس وخمسين ومائتين خليفة له ، فأمضى المعتز ذلك وخوله [٧٨] فأقره أياما • وخرج اليه عبيدالله فخلع عليه وولاه شرطة بغداد وعزل سليمان بن عبدالله • فدخل عبيدالله الى بغداد ومعه خلق عظيم مـــن الأولياء والقواد ، فتلقاه الناس وفرحوا بولايته • وخرج سليمان قبل وصول أخيه الى البَرد ان ، فأقام بهـا الى أن ورد موسى بن بُغا من الجبل • فرد اليه أمر الشرطة ببغداد وسر من رأى وأمْر السواد ، وعزل سليمان ، وذلك في سنة سبع وخمسين ومائتين ، فتسلّم عبيدالله الولاية في الأولى • ثم اضـطرب أمـر الطاهـرية بخراسان ودخل (٥٤ أ) يعقوب بن الليث نيسابور • فلما قرب منها ، وذلك في سنة ثمان[٧٩] ، وجه محمد بن طاهر اليه يستأذنه في تلقيه ، فلم يأذن له • فبعث بعمومته وأهل بيته ، فتلقوه ، ودخل نيسابور ونزل طرَفاً من أطرافها ، فركب اليـــه محمد بن طاهر ولقيه في مِضربه ،

---

(٧٦) المخطوط : عن سنا نارها سسب السعير • والقراءة أعلاه للدكتور مصطفى جواد •

(٧٧) كان محمد هذا ، ابن اخي سليمان بن عبدالله بن طاهر • وقـد ورد في هذا الكتاب ، ذكر غير واحد من الطاهريين •

(٧٨) هنا كلمة لا تقرأ •

(٧٩) يريد سنة ثمان وخمسين ومائتين (٨٧١ م) •

فأقبل يوبخه على تفريطه في عمله • ثم وكل به وبأهل بيته(٨٠) وكتب الى الحضرة يذكر انه على السمع والطاعة والضبط لما يتولاه ، ويطعن على محمد • فرد الموفق عليه أقبح رد ، وأعلمه انه لا يقارّه على ذلك • ثم أقبل يعقوب بن الليث الى بغداد ، وسار المعتمد نحوه ، فالتقوا وكان الموفق في المقدمة ، وموسى بن بُغا في الميمنة ، ومسرور البلخي(٨١) في الميسرة ، وذلك يوم الأحد لسبع خلون من رجب ، وكان يوم شعانين ، فقتل من الأولياء خلق كثير • واشتدت الحرب ، وكشف الموفق عن رأسه وقال : أنا الغلام الهاشمي • ثم دارت الدائرة على يعقوب ، فانهزم أقبح هزيمة، واتبعهم الموفق وموسى بن بُغا فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وأطلق عليهم الماء فغرق أكثر ممّن قُتل • وكان محمد بن طاهر معه مثقلاً بالحديد(٨٢) ، فأُطلق من حديده وخلع عليه وأُنزل دار عمه محمد بن عبدالله (٥٤ ب) ابن طاهر ، ورُد اليه عمله بخراسان وأطلق له خمسمائة ألف درهم • ورجع المعتمد الى بغداد ، وسار الموفق الى واسط، وعقد لعبيدالله على الحرمين •

وورد الخبر بموت يعقوب بن الليث(٨٣) وقيام أخيه عمرو ،

---

(٨٠) في الكامل لابن الأثير (٧ : ١٨١) ان الذين اعتقلهم يعقوب من آل طاهر كانوا نحواً من مائة وستين رجلا • وفي الوفيات (٢ : ٤٦٨) ان يعقوب « دخل نيسابور في ذي القعدة من سنة ٢٥٩ واحتاط على محمد بن طاهر [بن عبدالله بن طاهر] الخزاعي أمير خراسان وجميع الطاهرية ، ثم خرج منها في المحرم سنة ٢٦٠ ومعه محمد بن طاهر مقيداً ونيف وستون من أهله ••• » •

(٨١) توفي سنة ٢٨٠ هـ • واخباره في تاريخ الطبري بين سنة ٢٥٦ و ٢٨٠ هـ •

(٨٢) المخطوط : بالجديد •

(٨٣) مر بنا في حاشية على « دير العلث » أن وفاة يعقوب كانت في سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) •

وأخـذت البيعة عـلى عمرو وقلد خراسان وفارس وكرمان وسجستان واصبهان والسند • وكتب عمرو الى عبيدالله بن عبدالله بتوليته الشرطة خلافة له ، ووجه اليه بخلع وعمود ذهب ، وأمضى الموفق ذلك وخلع على عبيدالله أيضا •

ومات[٨٤] سليمان بن عبدالله بن طاهر ، سنة ست وستين ومائتين في المحرم • فوقف أخوه عبيدالله عـلى قبره متكئاً عـلى سيفه[٨٥] ، وقـال[٨٦] •

النفس مني ترقى في مراقيهـا ودمعة العـين تجري في مجاريها
لبقعـة مـا رأت عيني كقلتهـا[٨٧] ولا كـكثرة أحباب ثووا فيهـا

ثم استخلف صاعد بن مخلد أبا عبدالله محمد بن طاهر بن عبدالله ابن طاهر على مدينة السلام ، في سنة سبعين ومائتين ، فقبض عـلى عمه عبيدالله وحبسه • ثم استخلف المعتضد غلامه بدراً[٨٨] على مدينة السلام، وانقرض أمر الطاهرية منها ومن خراسان •

وكان لسليمان شعر (**٥٥** أ) مليح وأدب وفهم ومعرفة • وأما عبدالعزيز بن عبدالله بن طاهر ، فكان أصغر من أخويه ، وكان له أدب وفهم وشعر مليح • فمن شعره الى أخيه عبيدالله ، وكان أخواه عبدالله وسليمان حبساه •

---

(٨٤) هذا يوافق ما في تاريخ الطبـري (٣ : ١٩٣٧) • وفي الوفيـات (١ : ٣٨٨) انه توفي سنة ٢٦٥ هـ •

(٨٥) الوفيات (١ : ٣٨٨) : على قوسه •

(٨٦) الوفيات (١ : ٣٨٨) •

(٨٧) المخطوط : كمعلها ، وما في أعلاه عن الوفيات •

(٨٨) قتل في سنة ٢٨٩ هـ (٩٠١ م) • وأخباره في تاريخ الطبـري (فهارسه) ، الوفيات (٢ : ٣٤٩) ، « خزانة الرؤوس فيدار الخلافة العباسية ببغداد » لميخائيل عـواد (الرسالة • العـدد ٤٩٢ ، ص ١١٢٤) •

قد كنت أحسب اني منك إن نزلت إحدى النوائب بي آوي الى جبلِ

حتى اذا وقع الأمرُ الذي وجبت في مثله نُصرتي من غير ما فشل

أسلمتني لخطوب الدهر تلعب بي ما هكذا كان تقديري ولا أملي

لو كنتُ في بلدٍ نائي المحل لما باليتُ عشرة أيامي ومثلك لي

إني أخوك الذي قد كنتَ تألفه ما حُلت عن عهدكم يوماً ولم أزل

إني أخوك وان الله مطّلعٌ على السرائر، فاقطع بعدُ أو فصِلِ

ومن شعره أيضاً الى أخيه لما حبس ، وكان [اُتهم][89] بأنه كاتب السجستاني ، فكتب من الحبس يحلف على بطلان ذلك ، وكتب آخر الرقعة بهذه الأبيات :

تقول وقد ريعت سُليمى بمحبسي كما راع ثُكلٌ فاجعٌ أُمَّ واحد

أبى الدهر إلا أن ينوبك صرفه كعادته النكراء في كل ماجد

فقلت لها : غُضي عليك فانما تصيب الرجال صائبات الشدائد

ولا تعجبي للحبس وَيحكِ واعجبي لانكر ما حدثته في المشاهد

(55ب) حُبستُ لحرب ما شهدت كفاحها

وأصبح سجاني أخي وابن والدي

ومن مليح شعره[90] :

يا أيها القمر المنير الزاهر المشرق الحسن البهي الباهرُ

أبلغ شبيهتك السلام وهنّها بالنوم ، واعلمها بأني ساهر

وكان المعتضد يستحسن هذا الشعر ، فغنى فيه في طريقة خفيف الرمل ، وكان أحد أصواته .

---

(89) الزيادة للدكتور مصطفى جواد .

(90) من غاب عنه المطرب للثعالبي (ص 58 بيروت 1309هـ) ، المسالك (ص 261) .

ذكر أبو عبدالله بن حمدون ، ان محمد بن عبدالله بن طاهر ، كان يحجب المتوكل بسر من رأى شهرين ثم ينحدر الى بغداد فيقيم بها شهرين ويخلفه خلفاؤه[91] بسر من رأى . فقدمها قدمة أخذ فيها معه أخاه عبدالعزيز ، وكان قد اشترى جارية ، لها من قلبه محل . فاشتد عليه فراقها . [قال][92] : فسألني أن أستأذن أخاه له في الرجوع الى بغداد على أن يعطيني شِهرياً[93] كنت رأيته تحته . ففعلت ، فأذن له ، فأعطاني الشهري . ثم أنشدني هذا الشعر :

أقول لما هاج قلبي الذكرى ... واعترضت وسط السماء الشعرى

كأنها ياقوتة في مِدرَى ... ما أطول الليل بسر من را

يا ربُّ فكَّاً كفكاك الأسرى ... فان تجدْ لي بنجاةٍ أخرى

(٥٦أ) اجعل أدنى خطواتي بُصرى[94]

حتى أؤوب بالمطايا حَسرى

كأنها من الكلال سكرى ... ثم أعيش مثل عيش كسرى

ولم يدخل بغداد من ولد عبدالله بن طاهر غير هؤلاء الأربعة : محمد وعبيدالله وسليمان وعبدالعزيز . فأما عبدالله بن طاهر ، فكان من سروات الناس أدباً وفضلاً وسياسة وتدبيراً وسخاء وكرماً .

وكان المأمون تبناه ورباه . وكان مولده سنة اثنتين وثمانين ومائة . فذكر أبو أحمد عبيدالله بن عبدالله ان أباه عبدالله بن طاهر انصرف ليلة من دار المأمون وذلك بعد خروج طاهر الى خراسان ، وكان قد غلب عليه

---

(٩١) المخطوط : ويحلف حلفاوه .

(٩٢) الزيادة مما اقتضاه السياق .

(٩٣) الشهري والشهرية ، بالكسر : ضرب من البراذين . ج : الشهاري. (التاج ٣ : ٣٢١) .

(٩٤) بصري : من قرى بغداد ، قرب عكبراء (معجم البلدان ١ : ٦٥٤) .

النبيذ ، فبات في القبة الطاهرية من دار طاهر بمدينة السلام • فتعلق طرف من الخيش[٩٥] ، وقد يبس ، بالشمعة ، فاحترقت القبة ، واحتُمل عبدالله فأُخرج منها • واتصل الخبر بطاهر ، فكتب الى عبدالله يعذله ويؤنبه ويقول : لو ورد الخبر بوفاتك كان أسهل علي من وروده بفضيحتك ، وأن يبلغ بك النبيذ مبلغاً لا تحسُّ معه باحتراق موضع أنت فيه ؟ ويأمره بالتجهز والخروج اليه • فأَقلق عبدالله ذلك وكتمه عن جميع الناس وختم الكتاب (٥٦ب) وجعله تحت مصلاه وتبين الهمّ عليه • فسأله المأمون عن خبره فكتمه • ثم سأل من يخصه ، فأعلمه أن كتاباً ورد عليه لا يعلم ما فيه ، فأقسم عليه المأمون في إحضار الكتاب ، فأحضره • فكتب المأمون الى طاهر يعاتبه على ما فعل ، ويعلمه منزلته عنده وإحلاله محل الولد ، وانه لا يد لطاهر عليه إلا بحق خلافته ، فان صرفه عنها فليس له أن يزعجه عن الحضرة • فأجاب طاهر بالشكر لتطوله إذ كان هذا محله عنده • وأُعيد بناء القبة ، فلم تزل الى أن نقضت في سنة ثلاث وتسعين ومائتين •

وخرج عبدالله الى الشام في سنة تسع ومائتين ، فحارب نصر بن شبث الى أن ظفر به •

قال عبيدالله بن عبدالله : حدثني نُصير وياسر وجماعة من مشايخ موالينا ، ان أبا العباس عبدالله بن طاهر ، لما أشرف على كيسوم ، تحصن بها نصر بن شبث ، فركب من الغد وقد عبأ جيشه للّقاء ، فوافى نصراً وقد خرج من الحصن ، فصفّ بازائه وواقَفه الى الليل على غير حرب ، ثم أوقد نصر النيران ، فشاور عبدالله قواده ، فقالوا : هذا الليل ، فننصرف ونبيت في معسكرنا ، ثم نغاديه الحرب (٥٧أ) فقال : إن انصراف المحارب نكوص ،

(٩٥) الخيش (وزان : الجيش) : نسيج خشن من الكتان ، كان يتخذ لتبريد مواضع السكنى صيفا •

ولست أبرح من موضعي • فنزل ، وكان يحم حمى ربع[٩٦] ، وكان نوبتها تلك الليلة ، فوعك وعكاً شديداً ، فالتمس ما يدفئه فلم يكن معهم ، فقالوا[٩٧] : أحفروا حفيرة بأسيافهم ، وأمر أن يجمع من مخالي الدواب التبن فيلقى في الحفيرة ، ففعل ذلك ، ثم جلس فيها • وجاءت السماء بهطل ووبق[٩٨] شديد • فقال : استروني بتراسكم ، فلم نزل كذلك ليلتنا أجمع نستره حتى أصبح ، وصلينا وصلى وأعاد سلاحه وركب فرسه وتطرف ، ونحن معه ، فنظر فاذا ليس خارج الحصن أحد • فقال : خدعنا الخبيث وأوهمنا انه بازائنا ودخل حصنه ووكل به من يوقد النيران ، والساعة يخرج عليكم بحدته • فخذوا حذركم • ودعا العزيز[٩٩] فقال : اِمض في ألفي فارس فأريحوا واستريحوا ، وسمى لهم موضعاً يكونون[١٠٠] فيه ، ولا يبرح منكم أحد أو يأتيه طاهر بن ابراهيم بن مدرك برسالتي • فاذا أتاك ، فان قدرت أنت وأصحابك أن تكونوا في أجنحة الطير حتى توافوني فافعلوا ، فمضى • ولم يستتم الكلام حتى خرج نصر وحمل عليهم، فبرز اليه عبدالله يقدم أصحابه ، فلم تزل الكرات بينهم والجلاد ، وعبدالله يُفدّي أصحابه ويَعدهم ويرمي (٥٧ب) نفسه كل مرمىً ، الى أن صارت الشمس في كبد السماء ، وكلّ من معه وتبين فيهم الضعف والعجز، فأرسل طاهر الى العزيز يأمره بالاسراع ، فوافى • فلما رأى نصر ومن معه الرايات السُود والأُسُود السود ، وكان

(٩٦) أي تنتابه الحمى كل رابع يوم •

(٩٧) لعله « فقال : أحفروا حفيرة ، فحفروها » (الدكتور مصطفى جواد)•

(٩٨) لعله ودق • أي مطر •

(٩٩) المخطوط : القرير ، وهو تصحيف • والعزيز كان مولى عبدالله بن طاهر ، المذكور في تاريخ الطبري (٣ : ١١٠٢) والكامل لابن الاثير (٦ : ٢٩٣) (عن الدكتور مصطفى جواد) •

(١٠٠) المخطوط : يكونوا • والصواب ما في أعلاه •

عبدالله أول من اتخذها ، جزعوا وتبين فيهم الفشل ، وقال عبدالله للعزيز : شأنك وأصحابك نحو القوم ! فلم يكن إلا ساعة حتى انهزم نصر ولجأ الى حصنه . فدعا أبو العباس بالنقابين وأمر بنصب العرادات[101] والمجانيق والسلاليم ، واطلعوا ، فلم يروا في الحصن أحداً ، وإذا نصر قد نقب نقباً من وراء الحصن وخرج منه ؛ وأمر الرجال ففتحوا الباب ، ودخل فغنم وأصحابه جميع ما في الحصن ، وبُشر في ذلك الوقت وهنيء بالفتح . فأنشده[102] عوف بن مُحلِّم الخزاعي[103] :

أشكر لربك يوم الحصن نعمته
فقد حباك[104] بعز النصر والظفر

وهي قصيدة طويلة .

ومضى نصر ، فلجأ الى جبال لم تحصّنه ، فعاذ بالأمان . فكتب عبدالله الى المأمون يخبره ، فكتب إليه . أعطه الأمان على أن يطأ بساط أمير المؤمنين وينفذ فيه حكمه . فرضي بذلك ، ووجه به عبدالله مع محمد بن الحسن (٥٨ أ) بن مصعب الى حضرة المأمون[105] .

---

(١٠١) يقال : عرد الحجر : رماه رميا بعيدا . ومنه العرادة (بالتشديد). وهي شي أصغر من المنجنيق شبيهه . ج : العرادات (التاج مادة ع رد) . والمنجنيق آلة قذافة اتخذتها الامم القديمة في حروبها (ج : المجانيق والمنجنيقات) . وهي ضروب ، منها الكبير والصغير، ترمى منها السهام أو الحجارة أو قدور النفط أو غير ذلك .

(١٠٢) معجم البلدان (٤: ٣٣٣) .

(١٠٣) شاعر أديب ونديم ظريف . اختصه طاهر بن الحسين لمنادمته ، وبقي ثلاثين سنة لا يفارقه . فلما مات طاهر ، قربه ابنه عبدالله بن طاهر ، فظل في صحبته الى قبيل وفاته في حدود سنة ٢٢٠هـ . (معجم الأدباء ٦ : ٩٥ ـ ٩٩ ، فوات الوفيات ٢ : ١١٨ ـ ١٢٠).

(١٠٤) المخطوط : جاءك . وما في أعلاه عن معجم البلدان ، وهو الواجب وزنا (الدكتور مصطفى جواد) .

(١٠٥) في الهامش بخط مغاير : قف لما ظفر المأمون بنصر بن شبث .

قال : وكان نصر قد كبر ، فرآه المأمون وغلامان له يحملانه على السرج : فقال : نصر يحمله اثنان ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ولا ينزله مائتان !

ثم سار عبدالله بن طاهر الى مصر في سنة عشر(١٠٦) وفتحها واستأمن اليه ابن السري(١٠٧) ؛ وأقام بها الى سنة إحدى عشرة . وقدم على المأمون وقد أصلح البلد وجبى أمواله واستقامت أحواله ، فتلقاه أبو اسحق(١٠٨) والعباس بن المأمون ، وقدم معه بالمتغلبين على مصر .

قال(١٠٩) : وقال المأمون يوماً : هل تعرفون رجلاً يزيد على جميع أهل دهره نزاهة وحسن سيرة ؟ [فذكر قوم ناساً فأطروهم ، فقال : لم أُرد هؤلاء](١١٠) . فقال علي بن صالح ، صاحب المصلى : ما أعلم [يا أمير المؤمنين] أحداً له مثل هذا النعت إلا عمر بن الخطاب . فقال المأمون : اللهم غفراً ، لم أُرد قريشاً ، فأمسك القوم [جميعاً] . فقال

---

(١٠٦) في الوفيات (١ : ٣٧١) ان عبدالله بن طاهر دخل مصر سنة ٢١١هـ (٨٢٦م) وخرج منها في آخر السنة . قال : « وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب أدب الخواص ، ان البطيخ العبدلاوي الموجود بالديار المصرية ، منسوب الى عبدالله المذكور . وهذا النوع من البطيخ لم أره في شي من البلاد سوى مصر ، ولعله نسب اليه لأنه كان يستطيبه ، أو انه أول من زرعه » .

(١٠٧) هو عبيدالله بن السري . ولي امرة مصر سنة ٢٠٦هـ (٨٢١م) في أيام المأمون . ثم خرج عن طاعته . فجرد اليه المأمون حملة بقيادة عبدالله بن طاهر ، فانهزم ابن السري أقبح هزيمة سنة ٢١١هـ (٨٢٦م) . ثم عزل عن منصبه في تلك السنة . (الولاة والقضاة للكندي ص ١٧٣ـ١٧٩ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٨١ـ١٩١) .

(١٠٨) هو المعتصم بن هرون الرشيد .

(١٠٩) بغداد لطيفور (٦ : ١٦٦ـ١٦٧) .

(١١٠) الزيادة من كتاب طيفور .

المأمون : ذاك عبدالله بن طاهر ، ولّيته مصر وأموالها جمة ، فوجد[١١١] لعبيدالله بن السري [من الأموال] ما تقصر عنه الصفة ، فما تعرّض منه لدينار ولا لدرهم ، ولم يخرج من مصر إلا بعشرة آلاف دينار وثلاثة أفراس وحمارين ؟ ولكنه غرس يدي وخريج أدبي . ولأنشدنكم أبياتاً في صفته ، ثم أنشد[١١٢] :

(٥٨ب) حليمٌ مع التقوى ، شجاعٌ مع الرّدى
ندٍ حين لا ينـدى السحاب سكوبُ

شديد مناط القلب في الموقف الذي ... بـه لقلـوب العالمينَ وجيب

فتىً هو من غير التخلق ماجـدٌ ... وعن غير تأديب الرجال أديب

فأقام قِبل المأمون سنة ، ثم سيّره الى بابك[١١٣] ، وقد كان ظهر وعظمت شوكته ، فأقام بازائه سنة ، وكان شرط على المأمون أنه إن ظفر ببابك رجع الى الباب . فيكون مقامه بحضرة المأمون ويختار لخلافته على خراسان مَن أحب من أخوته . فأقام بالدينور تسعة أشهر يستعد لقتال بابك . فبينا هو كذلك ، إذ ورد على المأمون كتاب صاحب نيسابور يذكر ان المارقة أغارت على قرية منها يقال لها الحمراء[١١٤] على طريق الجادة ، وأنهم أحرقوا وسبوا وقتلوا النساء والأطفال . فعظم ذلك على المأمون ، ودعا اسحق بن ابراهيم وهو خليفة عبدالله بن طاهر على الشرط ، ويحيى

---

(١١١) في كتاب بغداد : فعرض عليه عبيدالله .
(١١٢) بغداد لطيفور (٦ : ١٦٧) .
(١١٣) هو بابك الخرمي . وقد ظهر في الجبال بناحية أذربيجان ، وصار له أتباع عرفوا بالخرمية ، استباحوا المحرمات وعاثوا في البلاد . وقد جرد اليهم خلفاء بني العباس حملات لقمعهم ، خلال عشرين سنة . انتهت بأخذ بابك وصلبه في سامراء في أيام المعتصم ، سنة ٢٢٣هـ (٨٣٨م) .
(١١٤) لم يذكرها ياقوت في معجم البلدان . وقد أشار اليها ابن الاثير (الكامل ٦ : ٢٩٢) ، ابن خلكان (الوفيات ١ : ٣٦٩) .

بن أكثم ، وبعث بهما إلى عبدالله وكتب معهما كتاباً بخطه إلى عبدالله يُقسم عليه أن يحول مضربه من وجه بابك الى وجه خراسان ، فان خراسان أهم من المملكة كلها بعد الحضرة(١١٥) ، وأن يشير عليه بمن يبعث به إلى بابك، فامتثل ما أمره به ، (٩٥ أ) وأشار بعلي بن هشام ، وكاتَبَ من بخراسان بما أحب وقدّم أخاه محمد بن طاهر على مقدمته ووافاه علي بن هشام فوافقه على الطريق في محاربة بابك ، ومضى لوجهه إلى خراسان ، حتى وافى نيسابور وكتب إلىالمأمون ان امير المؤمنين انهضني إلى هذا الثغر بسبب ما قد غلب عليه من أمر الحمراء ، وما أحدثه المارقة بها • واني وافيت نيسابور فوجدت ما حولها عُش المارقة ، ووجدتها أهم الكوَر ، والمهم أبدى وآدى(١١٦) • قال : فأعجب المأمون من الكتاب بهذه اللفظة ، ولم يزل الكتّاب يتذاكرونها بينهم•وكان مقامه بخراسان ، إلى أن توفي بها ، خمس عشرة سنة •

وذكر ابن جدان عن الجلودي(١١٧) ، قال : جلس عبدالله يوماً بخراسان انصف فيه من وجوه القواد وامراء الاجناد ، وضرب الاعناق وقطع الأيدي والأرجل وعقد العقود • فلما زالت الشمس ، دخل داره • قال الجلودي : وكنت أقرب من قلبه وأدل عليه • فتلقاه الخدم ، فأخذ هذا قباءه ، وأخذ آخر خفه ، وآخر رانه(١١٨) ، وبقي في غلالة وسراويل•

---

(١١٥) يريد بها العاصمة ، أو دار الخلافة •

(١١٦) المخطوط : ابدا وادي •

(١١٧) هو عيسى بن يزيد الجلودي • ولي مصر بعد عبدالله بن طاهر • وانتهت ولايته في سنة ٢١٤هـ (الولاة والقضاة للكندي ص ١٨٤ـ ١٨٥ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٠٤ـ٢١٢) •

(١١٨) الران : كالخف الا أنه لا قدم له ، وهو أطول من الخف ••• على هامشه خرقة تعمل كالخف ، محشوة قطنا ، تلبس للبرد • (التاج ٩ : ٢٢٣) •

فرفع الغلالة على كتفه وجعل يقول :

النشر مسك والوجوه دَنَا نِـير واطراف البنيان عنـم

(٥٩ب) : قال : فأغلظت عليه ، ونزعت ثوبه عن عاتقه ورددته إلى حاله وقلتُ له : تجلس اليوم مجلس الاسكندر ودارا بن دارا ، وتفعل الساعة فعل علويه[١١٩] ومخارق[١٢٠] ؟ قال : فنظر إلي نظر الصؤول ، وردّ ثوبه على كتفه وقال[١٢١] .

لابدّ للنفس إذ كانت مصرَّفة[١٢٢] من التنقـل من حـال إلى حـال

ولما مات المأمون ، أقر المعتصم عبدالله بن طاهر على خراسان واسحق بن ابراهيم على خلافته ببغداد وكان سيىء الرأي فيه ، فكتب اليه : أما بعد : عافانا الله معاً . فقد كانت في نفسي عليك حزازات غيّرهـا بقاء الانتقـام عليك لك . وقد بقيت منها هنات أخاف منها عليك ، فلا تقدم ، وحسبك مما أنا منطو عليه لك إظهاري إياك على ما في ضميري . والسلام .

قال الفضل بن مروان[١٢٣] : ذكر المعتصم يوماً عبدالله بن طاهر ،

---

(١١٩) مغن حاذق خفيف الروح مع طيب مجالسة . وكان ابراهيم الموصلي علمه وخرجه وعني به جداً فبرع . غنى للامين ، وعاش الى أيام المتوكل ومات بعد اسحاق الموصلي بمديدة يسيرة . (الأغاني ١٠ : ١١٥) .

(١٢٠) مغن مطرب . كان امام عصره في فن الغنـاء . غنى للرشـيد ، ثم اتصل بالمأمون . وتوفي في سامراء سنة ٢٣١هـ (٨٤٥م) (الأغاني ٢١ : ١٤٣ـ١٥٩ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦٠) .

(١٢١) البيت لأبي العتاهية (ديوانه . ص ٢٢٣) . وانظره في تاريـخ الطبري (٣ : ١١٥٣) .

(١٢٢) روايـة الشطـر في تاريخ الطبري : « لا يصلـح النفس اذ كانت مقسمة » . وفي ديوان أبي العتاهية : « لن يصلح النفس ان كانت مدبرة » .

(١٢٣) وزير المعتصم ، مـات سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤م) في أيام المستعـين . وأخبـاره في تاريـخ الطبـري ، الوزراء والـكتـاب للجهشـياري (فهارسهما) ، الفخري (ص ٣٢٠ـ٣٢١) ، الشذرات (١٣٢ ـ ١٢٣) .

نال منه ، وتابعته الجماعة ووصفوه بسوء الطاعـة وأنا حاضـر • فقمت وقلت : اكتب اليه في القدوم ، فانه لا يمسي حتى يشخص • فقال : اجلس واكتب اليه بالخبر •

فكتب إلى المعتصم كتاباً ، أنفذه درج (٩٥ أ) كتابي اليه • وسألني أن اوصله من يدي إلى يده ، ففعلت • فقرأه المعتصم وأقبل يسألني عن الحرف بعد الحرف ، فأفصح عليه : فاذا هو قد كتب يحلف ان الكتاب لو ورد عليه بالشخوص لما أمسى حتى يشخص •

قال أبو العميثل[١٢٤] : دخلت على عبدالله بن طاهر ، فقال : انك لنازح الأدؤر قليلا ما ترى ، ومد يده إلي فقبلتها ، فقال[١٢٥] : ما عققتني به أكثر مما بررتني • قلت : بماذا ؟ قال : بخشونـة شـاربك • قلت : ان شوك القنفذ لا يضر برثن الأسد • قال : هذا والله أحب الي من مدح مائة قافية ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم •

وكانت وفاة عبدالله بن طاهر في سنة ثلاثين ومائتين ، في أيام الواثق•

وذكر أحمـد بن أبي دواد[١٢٦] ، ان محمد بن عبدالملك[١٢١] ،

---

(١٢٤) هو عبدالله بن خليد ، كاتب عبدالله بن طاهر وكاتب أبيـه طاهر من قبله• كان شاعراً لغوياً• صنف كتباً مختلفة ومات سنة٢٤٠هـ (٨٥٤م) • وترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز (١٣٥ ـ ١٣٦) ، الوفيات (١ : ٣٧١ ـ ٣٧٢) •

(١٢٥) الوفيات (١ : ٣٧٢) •

(١٢٦) هو قاضي القضاة أحمد بن أبي دواد أبو عبدالله الايادي • ولي القضاء للمعتصم والواثق • وكان مصرحاً بمذهب الجهمية داعية الى القول بخلق القرآن • وكان موصوفاً بالسخاء والعلم وغزارة الأدب • مات سنة ٢٤٠هـ (٨٥٤م) في خلافة المتوكل • وأخباره في تاريخ الطبري (فهارسه) ، الفهرست لابن النديم (ص ٣ـ٤ من التكملة بآخر الطبعة المصرية) ، تاريخ بغداد (٤ : ١٤١ ـ ١٥٦) ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١ : ٢٠٦) ، الوفيات

أشار على الواثق ، لما ورد الخبر بوفاة عبدالله ابن طاهر ، أن يخرج اسحق بن ابراهيم بن مُصعب الى خراسان، مكان عبدالله، فأجابه الى ذلك ، وأمره أن يكتب كتبه وينظر تجهيزه • [قال](١٢٨) : ووجــه الي الواثق فحضرت الدار ، فرأيت محمد بن عبدالملك واسحق بن ابراهيم جالسين ، ومحمد يكتب الكتاب • فلما رآني ، قَلَبَهُ • فتفاءلت (٦٠ب) ان الذي هما فيـه سينقلب • ودخلت الى الواثق ، فذكر لي خبر وفـاة عبدالله بن طاهر ، وانه قد عمل على إخراج اسحق الى خراسان ، وأن يضـم اليـه خمسة آلاف رجل من الجند ويطلق أرزاقهم ، وأن يطلق لاسحق خمسة آلاف [ألف]درهم معونة • فقلت : يا أمير المؤمنين ، اسحق رهينة القوم عندك ، فانأخرجته لميكن فييدك منالقوم شي، ؟ والجند، فأنت محتاج الى الزيادة فيهم ، فكيف تفرقهم ، لا سيما مع ما ينفَق فيهم ، وإخراج هذه الأموال لا وجه له(١٢٩) • وهاهنا ما هو خير من ذلك • قال : وما هو ؟ قلت : طُومار(١٣٠) بدرهمين تكتب فيه الى طاهر بن عبدالله بالتعزية عن أبيه وبتجديد الولاية له ، وتربح ما تنفقه ، وتكون قد أتممت الصنيعة عند عبدالله وولده وأحسنت الخلافة فيه • فقال : الصواب ما قلت ! وأمر محمد بن عبدالملك بذلك والاضراب عما كان عمل عليه •

وكانت مدة حياة عبدالله بن طاهر ، ثمانياً وأربعين سنه(١٣١) •

(١ : ٣١ــ٣٦) ، النجوم الزاهرة (٢ : ٣٠٢ــ٣٠٣) ، الشذرات (٢ : ٩٣) •

(١٢٧) هو محمد بن عبدالملك الزيات •

(١٢٨) الزيادة مما اقتضاه سياق الحديث •

(١٢٩) المخطوط : لها • والوجه ما أثبتناه في المتن •

(١٣٠) الطومار : الصحيفة أو الورقة • وهي لفظ دخيل •

(١٣١) المخطوط : ثمنية واربعون سنة • والأصح ما في أعلاه •

فأما طاهر بن الحسين ، فكان من سروات الناس ، وذوي الرأي والبأس ، سماه المأمون بذي اليمينين(١٣٢) ، فكان يكتب ويكاتب بها •

(٦١ أ) وسأل المعتصم جماعة من خواصه عن معنى تسمية طاهر بذي اليمينين فلم يعرفوه • فقال محمد بن عبدالملك : معناه : ذو الاستحقاقين ، استحقاق بجَدّه ودنو في الدولة ، وكان أحد النقباء ؛ واستحقاق بما لَهُ في دولة المأمون • قال الله تعالى : « لأخذنا منه باليمين »(١٣٣) أي بالاستحقاق • وقال الشاعر(١٣٤) :

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ تلقّاها عرابةُ(١٣٥) باليمين

ذكر جبهان الشيعي ، قال : كان الحسين بن مصعب جيد الرأي حسن الاصابة بالظن • قال : كنت يوماً في دار علي بن عيسى بن ماهان(١٣٦) وقد أمر بطاهر بن الحسين ، فشُد بحبل الى سارية ، فقال

---

(١٣٢) بهامش المخطوط : تسمية طاهر بذي اليمينين •

(١٣٣) سورة الحاقة • الآية ٤٥ •

(١٣٤) البيت للشماخ بن ضرار الصحابي الغطفاني (ديوان الشماخ • القاهرة ١٣٢٧هـ ؛ ص ٩٧) وقد ورد أيضاً في : طبقات ابن سعد (٤ ب ، ص ٤٨) ، الكامل للمبرد (١ : ٧٦) ، الجمهرة (١ : ٢٦٧) ، الصحاح (١ : ٨٠ وقد نسب البيت للحطيئة) ، اللسان (٢ : ٨٣) ، الاصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني (٢ : ٤٦٦) ، التاج (١ : ٣٧٦) •

(١٣٥) عرابة ، كسحابة : رجل من الأنصار • ترجمته في : طبقات ابن سعد (٤ ب ، ص ٨٤) ، الاصابة (٢ : ٤٦٦) •

(١٣٦) تولى علي بن عيسى بن ماهان ، ديوان الجند في أيام الهادي ، الى ما كان يتولاه من حجابته • وقلده الرشيد ولاية خراسان • ثم قلده خراج فارس وضياعها • وكان ابن ماهان على رأس جيش كثيف بعث به الأمين لمنازلة جيش المأمون الذي بقيادة طاهر بن الحسين • فدارت الدائرة على جيش الأمين ، على ما هو مشهور معلوم في كتب التاريخ • وقتل ابن ماهان في تلك الواقعة سنة ١٩٥هـ (٨١٠م) • وأخباره في : تاريخ الطبري والكامل والوزراء والكتاب (فهارسها) ، الفخري (ص ٢٩٤ ــ ٢٩٦) ، الشذرات (١ : ٣٤٢) •

لي الحسين : أما ترى هذا المشدود ، يعني ابنه ، ليقتلن صاحب هذا القصر • فجرى هذا القول عندي مجرى الهزل • ثم كان من أمرهما ما كان ، فعجبت من قول الحسين •

قال : ولما أنفذ الأمين علي بن عيسى بن ماهان في الجيوش الى خراسان ، لأخذ المأمون وإنفاذه اليه ، عقد المأمون لطاهر بن الحسين على أربعة آلاف ، ووجهه الى الري لحرب علي بن عيسى • فكتب اليه علي بن عيسى أن يقيم له الميرة (٦١ ب) ولم يكن يظن أنه يحاربه •

قال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر : فحدثني عبدالرحمن بن فهم ، عن عمه ، قال : شخصت أريد المأمون ، فدفعت الى عسكر طاهر يوم الوقعة ، فرأيته يعبىء الصفوف ، ويذهب ويجيء ، وبيده كِسر من خبز • ومع غلام له كوز من رصاص[١٣٧] فيه ماء • فقلت : أيها الأمير ، ليس هذا وقت أكل ! قال : معذرة اليك والى من لا يعرف خبري • ما دخل جوفي طعام منذ ثلاث ، لشغلي بهذا الأمر ، وتخوفت أن أحتاج الى نفسي فتخونني في هذا الوقت • ففعلت ما رأيت • فقلت : الأمير أخبر بما يعاني •

قال عبيدالله : وحدثني جماعة من شيوخنا ، قال : لما أقبل جيش علي، كان صاحب عَلَمهم حاتم الطائي ، وكان قد ضُرب ثمانمائة سوط حتى ذهب لحم إليتيه • وكان عظيم الخلق شديد البأس ، وكان له أربعة غلمان يحملونه حتى يقعد في سرجه ، فاذا استوى في سرجه عُد بألف فارس • قال طاهر : فجعلتُه وكْدي[١٣٨] وحملت عليه • فلما دنوت منه ، إذا به مكفّراً في الحديد لا تخلص اليه الضربة • فرأيت أمراً هالني • فقلت :

---

(١٣٧) في رسالة الغفران للمعري (ص ١٧٥ بتصحيح ابراهيم اليازجي • القاهرة ١٩٠٣) ذكر لأباريق الرصاص •

(١٣٨) الوكد : المراد والقصد •

ليس إلا أن أضربه على البيضة[١٣٩] ، فان عمل (٦٢ أ) السيف فيها ، وإلا فهو التلف . فجمعت يديّ ثم ضربته على رأسه . فقددت البيضة والرأس ، حتى نشب السيف بين ثناياه . قال : فلما قُتل حاتم ، اضطرب القوم . وكان علي بن عيسى راكباً في قبة ، فنزل عنها وقُدّم اليه شهريّ أصدأ"[١٤٠] أرجَل ليركبه ، فطعنه داود سياه[١٤١] قبل أن يتمكن في سرجه فقتله وهو لا يعرفه . وصار الى طاهر فقال : قد قتلت قاضي العسكر ، ثم أتى برأسه . فنادى منادي طاهر : من أخذ شيئاً فهو له ، وبرئت الذمة ممن سفك الدماء . وكتب الى المأمون[١٤٢] وذي الرئاستين : « كتابي ، ورأس علي بن عيسى بين يدي ، وخاتمه في إصبعي ، والسلام » .

ثم سار طاهر الى بغداد ، فكان من أمره ما كان .

قال[١٤٣] : وكان المأمون عند دخوله الى بغداد قد سخط على محمد بن أبي العباس الطوسي ، فاستعاذ بطاهر بن الحسين ، وكان له صديقاً[١٤٤] ، وسأله سؤال المأمون في الصفح عنه [[١٤٥] وكان يحجبه

---

(١٣٩) البيضة : آلة من حديد توضع على الرأس لوقايته من الضرب ونحوه وليس فيها ما يرسل على القفا والاذان . وربما كان ذلك من زرد (صبح الاعشى ٢ : ١٣٥) .

(١٤٠) المخطوط : أصدى . والاصدأ من الدواب ما أشبه لونه لون الصدأ، أي ما كان بين الحمرة والشقرة . أما الارجل منها فذو الترجيل ، وهو بياض احدى رجلي الدابة .

(١٤١) تفصيل الحادثة في تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٩٥هـ) .

(١٤٢) ما في الفخري (ص ٢٩٥) : « أما بعد . فهذا كتابي الى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، ورأس علي بن عيسى بين يدي ، وخاتمه في يدي ، وجنده تحت أمري . والسلام » . والرسالة هذه ، وردت بتغيير طفيف في مراجع اخرى : تاريخ الطبري (٣ : ١٤٢) ، مروج الذهب (٦ : ٤٢٤) ، المثل السائر لابن الاثير (ص ٣٣٩) .

(١٤٣) بغداد لطيفور (٦ : ٢٩ ـ ٣٢) ، تاريخ الطبري (٣ : ١٠٤١ ـ ١٠٤٢) .

(١٤٤) طيفور والطبري : ومضى الى طاهر بن الحسين وكان زوج اخته .

(١٤٥) الزيادات من كتاب بغداد لطيفور .

على النبيذ فتْح الخادم ، وياسر يتولى الخلع ، وحسين يسقي ، وأبو مريم غلام سعيد الجوهري يختلف في الحوائج . فركب طاهر الى الدار ، فدخل فتح ، فقال : طاهر بالباب ! فقال : انه ليس من أوقاته ، إيذن له]. فدخل طاهر الى المأمون وهو يشرب . فسقاه رطلاً وأمره بالجلوس . فقال : [يا أمير المؤمنين] ليس لصاحب الشُرط أن يجلس بين يدي سيده . فقال المأمون : ذاك في مجلس العامة ، فأما في مجلس الخاصة فالجلوس له مطلق ثم سقاه رطلين آخرين [وبكى المأمون] وتغرغرت (٦٣ب) عيناه . فقال له طاهر لِمَ تبكي[١٤٦] يا أمير المؤمنين ، لا أبكى الله عينك ، وقد دانت لك البلاد وأذعن لك العباد ، وصرت الى المحبة في كل أمورك ؟ فقال : [أبكي] لأمر في ذكره ذلّ وفي ستره حزن . وما يخلو أحد من شجو . فتكلم بحاجة إن كانت لك ! فقال : يا أمير المؤمنين، محمد بن أبي العباس أخطأ ، فأقلْه [عثرته] وارض عنه . قال : قد رضيت عنه وأمرت بصلته وردِّ مرتبته ، ولولا أنه ليس من أهل الأنس لأحضرته ! فشكر ذلك ، ودعا للمأمون وانصرف ، وقد شغل قلبه بكاؤه. فقال لمروان بن جبغويه[١٤٧] كاتبه : ان للكتّاب لطافة ، وأهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض . فخذ معك ثلاثمائة ألف درهم ، فأعط الحسين الخادم مائتي ألف ، و [أعط] كاتبه محمد بن هرون مائة ألف ، وتسأله أن يسأل أمير المؤمنين لِمَ بكى ؟ [قال :] ففعل ذلك . فلما خلا الحسين بالمأمون من غد ، وطابت نفسه ، سأله عن سبب بكائه . فقال له : ولِمَ سألت عن ذلك ؟ فقال : لغمّي به وتنغُّصي من أجله . فقال : [يا حسين] هو شيء إن خرج من رأسك قتلتك ! فقال : يا سيدي ، ومتى أخرجت

---

(١٤٦) المخطوط : تبك .

(١٤٧) المخطوط : حسعو ٥ ، بحروف مهملة . والقراءة أعلاه من كتاب بغداد . وفي تاريخ الطبري : هارون بن جيغويه .

[لك] سراً ؟ فقال :لما رأيت طاهراً ، ذكرت [محمداً] أخي وما ناله من الذلة ، فخنقتني العبرة فاسترحت (٦٣ أ) الى الافاضة ، ولن يفوت طاهراً مني ما يكره • [قال:] فأخبر محمد بن هرون[١٤٨] طاهراً بذلك• فركب طاهر الى أحمد بن أبي خالد وهو الوزير فقال [له] : ان المعروف عندي غير ضائع والثناء مني ليس برخيص • فغيّبني عن أمير المؤمنين • فقال له : بكّر إلي غداً فني سأفعل • فغدا عليه وغدا ابن أبي خالد على المأمون • فلما وصل اليه قال : إني ما نمت البارحة ! قال : ولِم ويحك ؟ قال ! لأنك ولّيت غسان بن عباد خراسان ، وهو ومن معه أكلة رأس • فأخاف أن يخرج عليه خارجي فيصطلمه[١٤٩] • قال : لقد فكرت فيما فكرت فيه • فمن ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين • قال : [ويلك] يا أحمد ، هو والله خالع • [قال : أنا الضامن له] • فلم يزل به حتى أجابه ، ودعا بطاهر من ساعته ، فعقد له وشخص من يومه • فنزل بستان خليل بن هشام[١٥٠] ، وذلك يوم الجمعة لليلة بقيت من ذي القعدة سنة خمس ومائتين •

فلما حصل طاهر بن الحسين بخراسان ، وكانت الشُراة[١٥١] قد كثرت هناك واشتد أمرهم ، فكتب اليه المأمون كتباً كثيرة يحثه على مناهضتهم وينكر عليه تضجعه في أمرهم • فكتب طاهر يذكر غِلظَ أمرهم وقوة شوكتهم ، وانه يحتاج (٦٣ب) الى زيادة عدة في رجاله ليلقاهم • فأحفظ ذلك المأمون ، فكتب اليه يُغلظ له ويقول : لهممت أن

---

(١٤٨) طيفور والطبري : فأخبر حسين طاهراً •

(١٤٩) طيفور : فأخاف أن يخرج عليك خارجة من الترك فتصطلمه • واصطلم الشيء استأصله •

(١٥٠) طيفور والطبري : خليل بن هاشم •

(١٥١) الشراة : الخوارج •

اردك الى حيث[١٥٢] ابيكَ . فذكر [١٥٣] كلثوم بن ثابت بن ابي سعد [وكان يكنى أبا سعدة][١٥٤] ، وكان يتقلد البريد على طاهر بن الحسين بخراسان ، انه جلس [يوم الجمعة] بالقرب من المنبر لما تبيَّن ما حدث من طاهر عند ورود ما ورد عليه . [فصعد طاهر المنبر] فخطب، فلما بلغ الى ذكر الخليفة [امسك عن الدعاء له و] قال: اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك ، واكفها مؤونة من بغى فيها وحشد عليها [مِن] لَمّ الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين . [قال] : فعلمت أني أول مقتول ، لأنني لم اكن أقدر على ستر الخبر ولم يكن يستتر كتابي عن طاهر . [فانصرفت واغتسلت بغسل الموتى ، وائتزرت بازار ، ولبست قميصاً وارتديت رداء وطرحت السواد] فحملت نفسي على أن كتبت [الى المأمون] ، فأتى الله من صنعه بقرب وفاة طاهر بما لم أحتسبه[١٥٥] .

ولما ورد الخبر على المأمون بذلك ، شق عليه ، ودعا أحمد بن أبي خالد وقال له : قد كنت قلت لك في طاهر لما أشرت بتقليده خراسان ما كنت أعلم به ، فضمنتَ ما يكون . وبالله ، لئن لم تتلطف لاصلاح أمره كما كنت [ضمنت] فساده ، لأضربنَّ عنقك ، فأهدى ابن أبي خالد الى طاهر هدايا وألطافاً[١٥٦] ، وفيها كامخ[١٥٧] أبيض مسموم لعلمه باعجابه به . فلما

---

(١٥٢) في الكلمة تصحيف . ولعل الأصل « الى خبث أبيك » اشارة الى ان أباه حداد من عامة الناس . ولو كانت الكلمة « حيث » غير محرفة لقيل « حيث أبوك » ، لأن « حيث » تضاف الى الجمل لا الى المفرد . ثم ان رده الى حيث أبوه ليس له معنى (الدكتور مصطفى جواد) .

(١٥٣) كتاب بغداد لطيفور (٦ : ١٣٠ ــ ١٣١) .

(١٥٤) الزيادة من كتاب بغداد لطيفور .

(١٥٥) طيفور : فلما صليت العصر دعاني [طاهر] وحدث به حادث في جفن عينيه وفي مآقيه ، فسقط ميتاً .

(١٥٦) المخطوط : وألطاف . والصواب ما في أعلاه .

(١٥٧) الكامخ ادام يؤتدم به .

وصلت الهدايا الى طاهر ، أكل من الكامخ بتدارج[158] مشوية ، فمات (٦٤ أ) بعد يومين •

وكان مولد طاهر بن الحسين في المحرم ، سنة تسع وخمسين ومائة • ووفاته سنة سبع ومائتين •

ولما مات ، شغب الجند بخراسان ، وانتهبوا خزائن طاهر • فقلد المأمون مكانه طلحة ابنه ، ووجه بأحمد بن أبي خالد الى خراسان ليعاونه في اصلاح[159] الأمر • فصار الى هناك ، وأصلح الأمور ، وسكن اضطرابها • ووجه اليه طلحة بثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألفي ألف درهم ، ووهب لابراهيم بن العباس كاتبه خمسة آلاف درهم •

---

(١٥٨) التدارج ، واحدها التدرج (Pheasant) طائر حسن الصورة ، أرقش ، شبيه بالدراج الا انه أفضل منه لحماً (معجم الحيوان ص ١٨٧) •

(١٥٩) المخطوط : صلاح •

دير السوسي[1]

وهذا الدير لطيف على شاطىء دجلة، بقادسية[2] سر من رأى • وبين القادسية وسر من رأى أربعة فراسخ ، والمطيرة[3] بينهما • وهذه النواحي كلها متنزهات وبساتين وكروم • والناس يقصدون هذا الدير ويشربون في بساتينه • وهو من مواطن السرور ومواضع القصف واللعب •

ولابن المعتز ، فيه[4] :

يا ليالي بالمطيرة والكر
خ ودير السّوسي بالله عودي

---

(١) قال ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦٧٢) : « قال البلاذري : هو دير مريم ، بناه رجل من أهل السوس وسكنه هو ورهبان معه ، فسمي به • وهو بنواحي سر من رأى ، بالجانب الغربي » • وقال ابن فضل الله العمري (المسالك • ص ٢٦٢) : « هو في الجانب الغربي بسر من رأى ، ومنه أرضها ، فابتاعها المعتصم من أهله » •

(٢) قرية كبيرة من نواحي دجيل ، بين حربى وسامراء ، يعمل بها الزجاج (معجم البلدان ٤ : ٩) • وفي كتاب « سامراء » لمديرية الآثار العراقية (ص ٧٢ ـ ٧٣ بغداد ١٩٤٠) وصف موجز لبقايا القادسية، يؤخذ منه انها سور عظيم يحيط بساحة مثمنة الشكل ، طول كل ضلع من أضلاعها نحو من ٦٣٠ متراً • وهذا السور من اللبن ، مدعوم بمائة وأربعين برجاً وداخل ضلعها الجنوبية سلسلة غرف ، وفي وسطها بنايات •

وراجع « ري سامراء » للدكتور احمد سوسة (١:٢٤١ـ٢٦٩)•

(٣) قرية من نواحي سامراء • كانت من متنزهات بغداد وسامراء ، بنيت في آخر خلافة المأمون • بناها مطير بن فزارة الشيباني ، فنسبت اليه (معجم البلدان ٤ : ٥٦٨ ، المراصد ٣ : ١١٧) •

(٤) شعر عبدالله بن المعتز (٣ [استانبول ١٩٥٠] ص ٤٥) ، أشعار أولاد الخلفاء للصولي (ص ١٨٧) ، معجم ما استعجم (ص ٣٧٨) ، معجم البلدان (٢ : ٦٧٢) ، المسالك (ص ٢٦٣) •

(٦٤ ب) كنتِ عندي أنموذجات منالجنَّـ
ــــة ، لـكنها بغـير خُلود

والقادسية ، من أحسن المواضع وأنزهها ، وهي من معادن الشراب ومناخات المتطربين ، جامعة لما يطلب أهل البطالة والخسارة . وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف ببركوار[٥] ، ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز ، وجعل اعذاره فيه . وكان من أحسن أبنية المتوكل وأجلها . وبلغت النفقة عليه عشرين ألف ألف درهم .

قال[٦] : ولما صح عزمه على اعذار أبي عبدالله المعتز ، أمر الفتح بن خاقان بالتأهب له[٧] ، وأن يلتمس في خزائن الفرش بساطا للايوانفي عرضه وطوله ، وكان طوله مائة ذراع ، وعرضه خمسون ذراعاً . فلم يوجد الا فيما قُبض عن بني أمية ، فانه وجد في أمتعة هشام بن عبدالملك على طول الايوان وعرضه . وكان بساطاً[٨] ابريسماً غرز مذهب مفروز مبطّن ؛ فلما رآه المتوكل ، أُعجب به وأراد أن يعرف قيمته . فجمع عليه التجار، فذكر أنه قُوّم علىأوسط القيم عشرةآلاف دينار . فبسطفي الايوان ، وبُسط للخليفة في صدر الايوان (٦٥ أ) سرير ، ومُدّ بين

(٥) لنا كلام عليه فى الذيل (١١) الموســوم ب « قصور المتوكل فى سامراء » .

(٦) الحكاية وردت بكمالها فى كتاب « مطالع البدور فى منازل السرور » للغزولي (١ : ٥٨ ــ ٥٩) نقلا من كتاب « العجائب والطرف والهدايا والتحف» (تحقيق محمد حميدالله . الكويت ١٩٥٩ ص١١٣ــ١١٩). والتحفُ للقاضي الرشيد بن الزبير وقد طُبع بعنوان « الذخائر

(٧) وصفت هذه الحفلة فى « لطائف المعارف » للثعالبى (ص ٧٤ ــ ٧٥ ليدن ١٨٦٧) وثمار القلوب (ص ١٣١) .

(٨) وصف هذا البساط فى مروج الذهب (٧ : ٢٩٠ ــ ٢٩٤) .

يديه أربعة آلاف مرفع[٩] ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العنبر والند والكافور [[١٠] المعمول على مثل الصوَر ، منها ما هو مرصع بالجوهر مفرداً، ومنها ماعليه ذهب وجوهر] وجعلت بساطاً ممدوداً، وتغدّى المتوكل والناس ، وجلس على السرير ، وأحضر الأمراء والقواد والندماء [وأصحاب المراتب] فأُجلسوا على مراتبهم ، وجعل بين صوانيهم والسماط فرجة • وجاء الفراشون بزُبل[١١] قد غشيت بأدم مملوءة دنانير ودراهم نصفين ، فصبّت في تلك الفُرَج حتى ارتفعت • وقام الغلمان فوقها ، وأمروا الناس عن الخليفة بالشرب ، وأن ينتقل كل من يشرب بثلاث حفنات ما حملت يداه من ذلك المال • فكان اذا أثقل الواحد منهم ما اجتمع في كمه أخرجه الى غلمانه فدفعه اليهم وعاد الى مجلسه • وكلما فرغ موضع أتى الفراشون بما يملأونه [به] حتى يعود الى حاله • وخلع على سائر من حضر ثلاث خلع كل واحد ، [وأقاموا الى أن صُليت العصر والمغرب] وحُملوا عند انصرافهم على الأفراس والشهاري • وأعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد ، وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة أثواب • وكان في صحن الدار بين يدي الايــوان أربعمائة بُلّيــة[١٢] عليهن أنــواع الثياب ، وبين

(٩) المرفع كمنبر : ما رفع به وكمقعد : الكرسى ، يمانية (التاج ٥ : ٣٥٩) ج : المرافع • وانظر : رحلة ابن بطوطــة (٣ : ٣٧٨) ، تكملة المعجمات العربية لدوزى (١ : ٥٤٣) •

(١٠) الزيادة من مطالع البدور •

(١١) الزبل ، واحدها : الزبيل • وعاء ينسج من خوص النخل • والزبيل معروف الى اليوم عند العراقيين ويسمونه (زنبيل) • ويســميه بعضهم « كوشر » (كاظم الدجيلي) •

(١٢) البلية والجمع البليات : تخفيف الأبلية التى تجمع على الأبليات • نسبة الى مدينة « الأبلة » التى كانت قريبة من البصرة (معجــم البلدان ١ : ٩٧) • قال القلقشندى (صبح الاعشى ١٤ : ٣٦٣) نقلا عن رسالة لابى اسحق الصابىء : « وأمره أن ينصب الارصاد

يديهن[١٣] ألف نبيجة[١٤] خيزران، فيها أنواع الفواكه من الأترج والنارنج على قلته (٦٥ ب) كان في ذلك الوقت والتفاح الشامي والليموه[١٥] وخمسة آلاف باقة نرجس وعشرة آلاف باقة بنفسج . وتقـدم الى[١٦] الفتح بأن ينثر[١٧] على البلّيات وخدم الدار والحاشية ما كان أعده لهم وهو عشرون ألف ألف درهم[١٨] ، فلم يُقدِم أحد على التقاط شيء ، فأخذ الفتح درهماً ، فأكبت الجماعة على المال فنُهب . وكانت قبيحة[١٩] قـد تقدمت بأن تُضرب دراهم ، عليهـا : « بركة من الله ، لاعذار أبي

على منازل المغنيات والمغنين ومواطن الابليات والمخنثين » .

وفى كتاب « الموشـى » للوشـاء (ص ١٧٣ طبعة ليدن) : « ورأيت جارية أبلية لبعض المخنثين وقد علقت طبلا فى عنقها بزنار » .

وفى « حكاية أبى القاسم البغدادى » (ص ٥٠ طبعة متز . هيدلبرج ١٩٠٢) اشارة الى رقاصة أبلية .

وكأن هذه اللفظة تحرفت على مر الايام الى « العبلة » . قال كامل الغزى (نهر الذهب فى تاريخ حلب ١ : ٢٤٩) : « ومنهم [الكلام على الاحتفال بختان الولد فى حلب ، فى عصرنا] مدرعون مشاة وفرسان معتقلون رماحا ، ووراءهم رجل يقود بعيرا على ظهره منصة مهندمة يقوم فيها رجل قد ألبس كسوة نسوة العرب ، وفى يده صنوج . فيرقص ويتخلع حتى يصل هذا الموكب الى البيت . وهذا الرجل الرقاص يسمونه عبلة . وكثيرا ما يجرون هذا الموكب فى غير حفلة الختان » .

فالبلية أو الابلية ، يراد بها المرأة المغنية الراقصة فى الحفلات .

(١٣) الوجه ان يقال : أيديهن .

(١٤) النبيجة السفرة والطبق من الخوص أو الخيزران .

(١٥) يريد : الليمون .

(١٦) تقدم الى فلان بكذا ، أمره به .

(١٧) المخطوط : ينثر .

(١٨) مطالع البدور : ألف ألف درهم .

(١٩) هى أم الخليفة المعتز بالله العباسى . كانت رومية فائقة الجمـال ، فسميت قبيحة من أسماء الاضداد . توفيت فى سامراء سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٧ م) .

عبدالله المعتز بالله » . فضرب لها ألف ألف درهم نثرت على المزيّن ومن في حيزه والغلمان والشاكرية[٢٠] وقهارمة الدار والخدم الخاصة مـــن البيضان والسودان .

وكان ممن حضـر المجلس ذلك اليوم ، محمد بن المنتصر[٢١] ، وأبو أحمد وأبو سليمان ابنا الرشيد ، وأحمد والعباس[٢٢] ابنا المعتصم ، وموســى بن المأمون ، وابنـا حمدون النـديم ، وأحمد بن أبي رؤيم ، والحسين بن الضحاك ، وعلــي بن الجهم ، وعلــي بن يحيى المنجـم ، وأخوه [أحمد] .

ومن المغنين[٢٣] : عمرو بن بانة ، أحمد بن أبي العلاء[٢٤] ، ابن الحفصـــي[٢٥] ، ابـــن المكـــي[٢٦] ، (٦٦ أ) ســـلمك

---

(٢٠) الشاكرية فرقة من الجند ظهرت في أيام المهتدى واستفحل أمرها في أيام المستعين .

(٢١) الصواب « محمد المنتصر » وهو كذلك في مطالع البدور .

(٢٢) مطالع البدور : وأبو العباس .

(٢٣) المخطوط : المغنين . قلنا : ومن هؤلاء المغنين والمغنيات من قد سبقت الاشارة اليه . ومنهم من سيأتي ذكره .

(٢٤) أحد المغنين في المئة الثالثة للهجرة أيام العباسيين (الأغاني ٥ : ٦٥ ، ٨ : ٤٢ و ٨٥ ، ٩ : ٣٣ ، ٢٠ : ١١٤) .

(٢٥) مغن عراقي في المئة الثالثة للهجرة (تاريخ الطبري ٣ : ١٤٥٥ — ١٤٥٧) .

(٢٦) هم ثلاثة اشتهروا في الغناء ، في المئتين الثانية والثالثة للهجرة :

الاول يحيى بن مرزوق المكي : عمر مئة وعشرين سنة ، وأصاب بالغناء ما لم يصبه أحد من نظرائه ، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قد قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدى فـــي أول خلافته ، فخرج أكثرهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يخدمون الخلفاء الى ان انقرضوا (الاغاني ٦ : ١٥ — ٢٣) .

الثاني : ابنه أحمد بن يحيى : أحد المحسنين المبرزين الرواة للغناء المحكمي الصنعة . وكان اسحق الموصلي يقدمه ويؤثره ويشيد

[الرازي][27] ، عثعث[28] ، سليمان الطبّـال ، المسدود[29] ؛ ابو حشيشة ، ابن القصار[30] ، صالح الدفاف ، زنام الزامر ، تفاح الزامر .

ومن المغنيات : عريب ، بدعة جاريتها ، سراب ، شارية وجواريها ، ندمان ، منعم ، نجلة ، تركية[31] ، فريدة ، عرفان .

قال ابراهيم بن المدبر : لما طُهِّـر المعتز ، اجتمع مشايخ الكتاب بين

بذكره ويجهر بتفضيله . وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته ، أحد الضراب الموصوفين المتقدمين (الاغانى ١٥ : ٦٢ ــ ٦٧) .

الثالث : محمد بن أحمد بن يحيى المكى . كان يغنى مرتجلا ويحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضيب على دواة ، أى انه يضبط وزن الغناء بضرب قضيب على دواة ، وكلاهما من المعدن . ولعل الذى حضر حفلة المتوكل كان الثانى أو الثالث .

(٢٧) لم نقف على ترجمته . وفى الأغانى (١ : ١٤٦)اشارة اليه .

(٢٨) من المغنين فى المئة الثالثة للهجرة . تعلم الغناء فبرع فيه . تاريخ الطبرى (٣ : ١٤٥٥ ، ١٤٥٩ ــ ١٤٦١) ، الأغانى (١٣ : ٢٨ ــ ٣١) ، الكامل لابن الأثير (٧ : ٦٣) .

(٢٩) مغن طنبورى من أهل بغداد فى المئة الثالثة للهجرة . كان مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر . وكان يقول : لو كان منخرى الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائى أهل الحلوم وذوى الالباب . قال جحظة : وكان أشجى الناس صوتا وأحضره نادرة . ولم يكتسب أحد من المغنين بطنبور ما كسبه . وكانت له صنعة عجيبة أكثرها الاهزاج . وقد غضب عليه الواثق فنفاه الى عمان سنة (تاريخ الطبرى ٣ : ١٤٩٧ ، الأغانى ٢١ : ١٦٤ ــ ١٦٦) .

(٣٠) من المغنين فى المئة الثالثة للهجرة . ذكره جحظة البرمكى فى كتاب الطنبوريين ومدح صنعته . (الاغانى ١٢ : ١٦٠ ــ ١٦١) .

(٣١) ذكرها الجاحظ فى « رسالة القيان » (طبعة فنكل ، ضمن مجموع « ثلاث رسائل للجاحظ » ، ص ٦١) وقال انها كانت جارية أم جعفر المتوكل .

يدي المتوكل • وكان فيهم يحيى بن خـاقان[٣٢] وابنـه عبيد الله إذ ذاك الوزير وهو واقف موقف الخـدم بقباء ومنطقـة[٣٣] • وكان يحيى لا يشرب النبيذ • فقال المتوكل لعبيد الله : خـذ قدحاً من تلك الأقداح واصبب فيه نبيذاً وصيِّر على كتفك منديلاً وامض الى أبيك يحيى فضعه في كفه • قال : ففعل • فرفع يحيى رأسه الى ابنه ، فقال المتوكل[٣٤] : يا يحيى ، لا تردُّه • قال : لا يا امير المؤمنين ، ثم شربه وقال : قد جلّت نعمتك عندنا يا امير المؤمنين ، فهنأك الله النعمة ولا سلبنا ما أنعم بـه علينا منك • فقال : يا يحيى ، إنما أردت ان يخدمك وزير بين يدي خليفة في طهور ولي عهد !

(٦٦ ب) وقال[٣٥] ابراهيـم بن العباس : سـألت أبا حرملـة المزيِّن[٣٦] في هذا اليوم ، فقلت : كم حصل لك الى أن وُضع الطعام ؟

---

(٣٢) من كتاب الدولة العباسية فى المئة الثالثة للهجرة • وصفه الجاحظ بالذل والفاقة (ذم أخلاق الكتاب ص٤٥) • ولاه المتوكل سنة ٢٣٤هـ (٨٤٨ م) ديوان الخراج (تاريخ الطبرى ٣ : ١٣٧٩) • وقد تقدمت ترجمة ابنه عبيدالله •

(٣٣) ظاهر كلامه يدل على ان القباء والمنطقة كانا من لبسة الخدم • وفى نصوص أخرى ما يدل على انهما من لباس صغار الصبيان (الاغانى ٩ : ٨٣) أو من لبـاس الوزراء والكتاب (نشـوار المحاضـرة ٨ : ١١ ــ ١٢) أو من لباس بعض الخطباء فى العراق وخوزستان فـى المئة الرابعة للهجرة (أحسن التقاسيم للبشارى المقدسى • ص ١٢٩ و ٤١٦) •

(٣٤) فى الهامش ، بخط يخالف خط المتن : « فى ختان المعتز أمر المتوكل الفتح [كذا] بن يحيى بن خاقان أن يضع قدحا مملؤا نبيذا فى كف والده يحيى وكان لم يشربها مطلقا » •

(٣٥) مطالع البدور (١ : ٥٩) •

(٣٦) ذكره الطبرى فى تاريخه (٣ : ١٨٠٩ حوادث سنة ٢٥٦ هـ ٨٦٩ م) واسمه هناك أبو حرملة الحجاج [صوابه : الحجام] • وسيذكره الشابشتي فى كلامه على « دير الشياطين » ويؤخذ من ذلك انه كان مزينا للخليفة •

فقال : نيف وثمانون ألف دينار ، سوى الصياغات والخواتيم والجواهر العتيدات .

قال : وأقام المتوكل ببركوارا ثلاثة ايام ، ثم أُصعد الى قصره الجعفري[٣٧] . وتقدم باحضار ابراهيم بن العباس ، وأمره ان يعمل له عملاً[٣٨] بما أنفق في هذا الاعذار ، ويعرضه عليه . ففعل ذلك . فاشتمل العمل على ستة وثمانين ألف ألف درهم .

وكان الناس يستكثرون ما أنفقه الحسن بن سهل في عرس ابنته بوران ، حتى أُرخ ذلك في الكتب ، وسميت دعوة الاسلام . ثم أتى من دعوة المتوكل ما أنسى ذلك .

وكانت الدعوات المشهورة في الاسلام ، ثلاثاً لم يكن مثلها . فمنها : دعوة المعتز هذه المذكورة . ومنها عرس زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر . فان المهدي ، زوج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة اخيه ، فاستعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلة وصناديق الجوهر والحلي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة . واعطاها بَدَنة[٣٩] عبدة[٤٠] (٦٧ أ) ابنة عبدالله بن يزيد بن معاوية إمرأة هشام ، ولم يُرَ في الاسلام مثلها ومثل الحَب الذي كان فيها . وكان في ظهرها وصدرها خطان ياقوت احمر وباقيها من الدر الكبار الذي ليس مثله . ودخل بها

---

(٣٧) راجع الذيل (١١) .

(٣٨) معنى « عمل عملا » في هذه العبارة ، كتب ثبتا او احصاء بما أنفق .

(٣٩) البدنة : ما يلبس من الثياب على البدن . والمراد بها هاهنا ضرب من القمصان تلبسه النساء .

(٤٠) ذكرها ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (ص ١٠٤ القاهرة ١٩٤٨) وكتاب بغداد لطيفور (٦ : ١١٥ طبعة القاهرة) .

الرشيد في المحرم سنة خمس وستين ومائة، في قصره المعروف بالخلْد[٤١] .
وحشر الناس من الآفاق وفرق فيهم من الأموال امر عظيم . فكانت الدنانير
تجعل في جامات[٤٢] فضة ، والدراهم في جامات ذهب ، ونوافج[٤٣]
المسك وجماجم[٤٤] العنبر والغالية في بواطي زجاج ، ويفرّق ذلك على
الناس ، ويخلع عليهم خلع الوشي المنسوجة ، وأُوقد بين يديه في تلك
الليلة شمع العنبر في أتوار[٤٥] الذهب . وأحضر نساء بني هاشم ، وكان
يدفع الى كل واحدة منهن كيس فيه دنانير وكيس فيه دراهم وصينية كبيرة
فضة فيها طيب ، ويخلع عليها خلعة وشي مُثقَل . فلم يُرَ في الاسلام
مثلها . وبلغت النفقة في هذا العرس من بيت مال الخاصة ، سوى ما أنفقه
الرشيد من ماله ، خمسين ألف ألف درهم .

واسم زبيدة امة العزيز . وزبيدة لقب . وكان ابو جعفر
يرقّصها[٤٦] وهي صغيرة ، وكانت سمينة ، ويقول : (**٦٧** ب) ما أنتِ
إلا زبيدة ، ما انت الا زبيدة . فمضى عليها هذا الاسم .

ومنها عرس[٤٧] المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل ، بفم

---

(٤١) الخلد : قصر بناه المنصور ببغداد، بعد فراغه من مدينته ، على شاطىء دجلة ، في سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) « معجم البلدان ٢ ٤٥٩ والمراصد ١ : ٣٦٢ » .

(٤٢) الجامات ، واحدها الجام : بمعنى الكأس .

(٤٣) النوافج ، واحدتها النافجة : وعاء المسك .

(٤٤) الجماجم ، واحدتها الجمجمة : قدح من خشب (النهاية لابن الاثير ١ : ١٧٨) .

(٤٥) الاتوار ، واحدها التور (بالتاء المثناة من فوقها) : اناء كالاجانة . يصنع من صفر أو حجارة (النهاية لابن الاثير ١ : ١٢٠) .

(٤٦) الاغاني (٩ : ٩٧) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٤ : ٤٣٣) ، زهر الآداب (٢ : ٢٣٦) ، الشريشي (٢ : ٢٤٥) .

(٤٧) اشتهر خبر هذا العرس كثيرا في كتب الادب والتاريخ (تاريخ الطبري

الصلح • وكانت النفقة عليه امراً عظيماً[٤٨] • وسأل المأمون زبيدة عن تقـدير النفقة في العرس ، فقالت : مابين خمسـة وثلاثين ألف ألف الى سعة وثلاثين ألف ألف • فبلغ الحسن بن سهل ، فقال : كأن النفقة على يـد زبيـدة ! أنفقنا خمسـة وثلاثين ألف ألف ، وكان يجري في جملة الجرايات في كل يوم على نيف وثلاثين ألف ملاح •

وكان دخولها في المدينة التي بناها بفم الصلح عـلى شاطىء دجلة ، لثمان خلون من شهر رمضان سنة عشر ومائتين[٤٩] •

قال : وأمهر المأمون بوران مائة ألف دينار وخمسـة آلاف ألف درهم ، واوقـد بين يديه تلك الليلة ثلاث شمعات عنبر وكثر دخانهـا • فقالت زبيدة : إن فيما ظهر من المروءة لكفاية ، ارفعوا هذا الشمع العنبر وهاتوا الشمع •

قال : ولما جليت بوران على المأمون ، نثر[٥٠] عليها َحباً كباراً كان في كمه ، فوقع عـلى حصير ذهب كان تحته • فقال : لله در الحسن بن هانيء[٥١]،ما أعظمه من شاعر فصيح حيث يقول[٥٢] :

---

٣ : ١٠٨١ ــ ١٠٨٤ ، نشوار المحاضرة ١ ١٤٧ ، ثمار القلوب • ص ١٣٠ ــ ١٣١ ، لطائف المعارف • ص ٧٣ ، تاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٣٢١ ، الوفيات ١ : ١٣٠ ــ ١٣٢ ، والبداية والنهاية ١١ : ٤٦ ــ ٥٠ ، مقدمة ابن خلدون ١ : ٣١١ طبعة باريس ، الصبوح والغبوق • ص ٩٩ ــ ١٠٠) •

(٤٨) المخطوط : أمر عظيم • وليس بصحيح •

(٤٩) يوافقه ٢٣ كانون الاول سنة ٨٢٥ م •

(٥٠) في المحاسن والمساوىء للبيهقي (٢ : ٢٣٠ القاهرة) : « قيل لاشعب : أي شيء بلغ من طمعك ؟ قال : ناديت بصبيان ولعوا بي ، فقلت لهم لا نحيهم عن نفسي : ان في دار بني فلان عرسا ، وهنـاك نثار • فولوا عني مبادرين ، وجعلت اشتد معهم طمعا في النثار » •

(٥١) هو أبو نواس •

(٥٢) ديوان أبي نواس (ص ٢٤٣ طبعه آصاف) • وقد تناقل هذا البيت

(٦٨ أ) كأن صُغرى وكبرى من فواقعها
حصباء درٌ على أرض من الذهب

قال : وامتنع من كان حاضراً أن يلتقط شيئاً . فقال المأمون : أكرمنها ! فمدّت زبيدة يدها فأخذت حبة ، فالتقط من حضر الباقي .

وكان اسم بوران[٥٣] ، خديجة . وكانت وفاتها في سنة إحدى وسبعين ومائتين[٥٤] ، في أيام المعتمد ، ولها ثمانون سنة .

ولبوران ، ترثي المأمون :

أسعداني على البكا مقلتيَّا صرتُ بعد الامام للهمّ فيَّا
كنت أسطو على الزمان فلما مات ، صار الزمان يسطو عليَّا

ذكر ابن خُرداذبه : ان المتوكل ، أنفق على الأبنية التي بناها ، وهي[٥٥] : بركوارا ، والشاة ، والعرُوس ، والبركة ، والجوسق ، والمختار ، والجعفري ، والغَريب ، والبديع ، والصبيح ، والمليح ، والسندان ، والقصر ، والجامع ، والقلاية ، والبرج ، وقصر المتوكلية ، والبهو ، واللؤلؤة : مائتي ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم . ومن العين[٥٦] مائة ألف ألف دينار . تكون قيمة الورِق[٥٧] عيناً بصرف

كثير من كتب التاريخ والأدب : أمالي المرتضى (٤ : ٣٩) ، حكاية أبى القاسم البغدادى (ص ٤٦) ، لطائف المعارف (ص ٧٣) ، محاضرات الراغب (١ : ٣٢٩) ، الوفيات (١ : ١٣١) ، الفخرى (ص ٢٦٧) ، الوافى بالوفيات (١ : ٢ حاشية ١) ، مقدمة ابن خلدون (١ : ٣١١) .

(٥٣) نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري (تحقيق ميخائيل عواد . بيروت ١٩٦٥ ص ٥٤) . وجاء فى مجلة لغة العرب (٤ [١٩٢٦] ص ٥٠٤) ان « بوران : اسم امرأة ، فارسى ، أي حسنة الذكرى » .

(٥٤) يقابلها سنة ٨٨٤ م .

(٥٥) راجع الذيل (١١) .

(٥٦) العين : الذهب المضروب ، وهو الدنانير .

(٥٧) الورق : الدراهم المضروبة من الفضة .

الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار .

(٦٨ ب) قال : شرب المتوكل يوماً في بركوارا ، فقال لندمائه : أرأيتم إن لم يكن ايام الورد لا نعمل نحن شاذكلاه[٥٨] ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، لا يكون الشاذكلاه إلا بالورد . فقال : بلى . أدعوا لي عبيدالله بن يحيى . فحضر ، فقال : تقدمْ بأن تضرب لي دراهم ، في كل درهم حبتان . قال : كم المقدار يا أمير المؤمنين ؟ قال : خمسة آلاف الف درهم . فتقدم عبيدالله في ضربها ، فضُربت ، وعرّفه الخبر . فقال : اصبغ منها بالحمرة والصفرة والسواد ، واترك بعضها على حاله . ففعل . ثم تقدم الى الخدم والحواشي ، وكانوا سبعمائة ، أن يُعدّ كل واحد منهم قباء جديداً وقلنسوة على خلاف لون قباء الآخر وقلنسوته ، ففعلوا . ثم عمد الى يوم تحركت فيه الريح ، فنصبت له قبة لها أربعون باباً ، فاصطبح فيها ، والندماء حوله . ولبس الخدم الكسوة التي أعدها ، وامر بنثر الدراهم كما يُنثر الورد . فنثرت أولا اولاً ، فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والأرض كما يقف الورد . فكان من أحسن ايام المتوكل واظرفه .

وكان البرج من أحسن ابنيته . فجعل فيه صوراً عظاماً من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة جعل فرشها (٦٩ أ) ظاهرَها وباطنها صفائح

---

(٥٨) الشاذكلاه ، ويقال فيها الشاذكلي : لفظة فارسية ، تتألف من : (شاذ = فرح) و (كل = ورد) و (اه = عظيم) فيكون معناه « يوم الفرح العظيم بالورد » . وعربيتها « النثار » . كانت لفظة الشاذكلاه معروفة في العصر العباسي ، فقد ذكرها التنوخي في نشوار المحاضرة (١ : ١٤٧ و ٢٣٤) . وراجع في تفسيرها ما كتبه احمد تيمور (مجلة المجمع العلمي العربي ٣ [١٩٢٣] ص ١٣٧) ، الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي (ص ٦٩ تحقيق عبدالله مخلص . القاهرة ١٩٢٥) .

الفضة ، وجعل عليها شجرة ذهب ، فيها كل طائر يصوّت ويصفر(٥٩) ، مكللة بالجوهر ، وسماها ُطوبى(٦٠) . وُعمل له سرير من الذهب كبير ، عليه صورتا سبعين عظيمين ، ودرج عليها ُصوَر السباع والنسور وغير ذلك ، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما السلام . وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبَّسة بالفسيفساء والرخام المذْهب . فبلغت النفقة على هذا القصر الف الف وسبعمائة الف دينار . وجلس فيه على السرير الذهب ، وعليه ثياب الوشي المثقلة . وأمر ألا يدخل عليه أحد إلا في ثياب وشي منسوجة او ديباج(٦١) ظاهره . وكان جلوسه فيه في سنة تسع وثلاثين ومائتين(٦٢) . ثم دعا بالطعام ، وحضر الندماء وسائر المغنين والملهين(٦٣) ، واكل الناس . ورام النوم فما تهيأ له . فقال له الفتح : يا مولاي ، ليس هذا يوم نوم . فجلس للشرب . فلما كان الليل ، رام النوم ، فما أمكنه ، فدعا بدهن بنفسج ، فجعل منه شيئاً(٦٤) على رأسه وتنشَّقه فلم ينفعه . فمكث ثلاثة ايام بلياليها لم ينمْ . ثم ُحمَّ حُمّى حادة . فانتقل الى الهاروني(٦٥) قصر أخيه (٦٩ب) الواثق ، فاقام

---

(٥٩) شبيه بهذه الشجرة تلك التى كانت فى دار الشجرة ببغداد ، وهى دار من أبنية المقتدر بالله الخليفة العباسى وقد ورد وصفها فى : المقدمة الخططية للخطيب البغدادى (ص ٥٢) ، المنتظم (٦ : ١٤٤) ، معجم البلدان (٢ : ٥٢٠ ـ ٥٢١) .

(٦٠) الطوبى : لفظة سريانية بمعنى الغبطة والسعادة .

(٦١) الديباج ، ضرب من الثياب الفاخرة ، ملون ألوانا . وهو المعروف اليوم عند العراقيين بـ « القنويز » .

(٦٢) ٨٥٣ م .

(٦٣) المخطوط : المغنيين والملهيين . وهو تحريف .

(٦٤) المخطوط : شيء . والصواب ما فى أعلاه .

(٦٥) من قصور العباسيين فى سامراء . بناه هارون الواثق بالله على دجلة ، بينه وبين سامراء ميل وبازائه بالجانب الغربى المعشوق (معجم البلدان ٤ : ٩٤٦) .

به ستة اشهر عليلاً ، وامر بهدم البرج وضرب تلك الحلي عيناً[٦٦] •

(٦٦) بهذا ينتهي كلام الشابشتي على « دير السوسي » وفي معجم الادباء (١ : ١٥٧) حكاية نقلها ياقوت عن الخالدي ، عن جحظة ، يصف فيها زيارة أحمد بن أبي طاهر لدير السوسي وما لقيه هنالك من لطف أصحابه • والحكاية نفسها وردت بشيء من الاقتضاب في المسالك (ص ١٥٧) •

دير مرمار[1]

وهذا[2] الدير بسر من رأى ، عند قنطرة وصيف[3] • وهو دير عامر كثير الرهبان • حوله كروم وشجر • وهو من المواضع النزهة والبقاع الطيبة الحسنة •

وللفضل[4] بن العباس بن المأمون ، فيه[5] :

أَنضيتُ في سرمنرى خيلَ لذاتي ... ونلتُ فيها مُنى نفسي وشهواتي
عمّرت فيها بقاع اللّهو منغمساً ... في القصف ما بين أنهارٍ وجنّات
بدير مَر مار اذ نحيي الصبوحَ به ... ونُعمل الكاسَ فيه بالعشيات

---

(١) صوابها « دير مر ماري » وبهذا الوجه ورد في معجم البلدان (٢ : ٧٠٠) وماري هذا من أقدم جثالقة المشرق • جعل مقامه في سلوقية ، وبنى كنيسة في دير قنى بالقرب من المدائن • وفيها توفي سنة ٨٢ م • وسيأتي في هذا الكتاب خبر مر ماري بدير قنى • وترجمة ماري في : المجدل لعمرو بن متى (ص ١ـ٢ ، رومية ١٨٩٦) والمجدل لماري ابن سليمان (ص ٣ ــ ٥ ، رومية ١٨٩٩) • وسيرة أشهر شهداء المشرق (١ : ١٤ ــ ٤٠) وتاريخ كلدو واثور (٢ : ٢ ــ ٨) •

(٢) تصحف اسم هذا الدير في « ديوان ابن النبيه » (ص ٥٢ القاهرة ١٣١٣ هـ) الى « دير مزمار » •

(٣) قال ابن سرابيون (ص ١٩ ــ ٢٠ طبعة لسترنج) : « ويحمل منه [من نهر دجلة] الثلاثة القواطيل • أوائلها كلها موضع واحد أسفل مدينة سر من رأى بفرسخين ، بين المطيرة وبركوارا • ويسمى الأعلى منها اليهودي ، وعليه قنطرة وصيف » • فيكون دير مر ماري في جنوب سامراء بقليل •

(٤) من أولاد الخلفاء • له مكان في الأدب والشعر • كان عاملا على المدينة سنة ٢٦٩ هـ (٨٨٢ م) تاريخ الطبري (٣ : ٢٠٣٩) وبعض أخباره في الأغاني (١٨ : ١٨٨ ، ١٩ : ١٢١ و ١٣٩)

(٥) معجم البلدان (٢ : ٧٠٠) ، المسالك (ص ٢٨٣) •

بين النواقيس والتقديس آونةً وتارةً بين عيدان ونايات
وكم به من غزالٍ أغيدٍ غَزِلٍ يصيدنا باللحاظ البابليات

وذكر[٦] الفضل هذا ، انه خرج ذات يوم مع المعتز للصيد . قال : فانقطعنا عن الموكب أنا وهو ويونس بن بُغا[٧] . فشكا المعتز العطش . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ان في هذا الدير راهباً أعرفه له مودة حسنة [خفيف الروح][٨] . وفيه[٩] آلات جميلة . فهل لأمير المؤمنين أن نعدل اليه ؟ قال : (٧٠ أ) افعل . فصرنا الى الدّيراني[١٠] ، فرحب بنا وتلقانا أجمل لقاء ، وجاءنا بماء بارد فشربنا . وعرض علينا النزول عنده وقال : تبتردون عندنا ونحضركم ما تيسر في ديرنا فتنالون منه ؟ فاستظرفه المعتز وقال انزل بنا اليه . فنزلنا . فسألني الديراني عن المعتز ويونس بن بغا . فقلت هما [فتيان] من أبناء الجند . فقال : بل مفلتان من أزواج الحور ! فقلت : هذا ليس من دينك ولا اعتقادك ! قال : هو الآن من ديني واعتقادي ! فضحك المعتز . ثم جاءنا بخبز وأشاطير[١١] ومايكون مثله في الديارات ، فكان من أنظف طعام وأطيبه وأحسن آنية . فأكلنا وغسلنا أيدينا . فقال لي المعتز : قل له بينك وبينه : من تحب ان

---

(٦) الحكاية وردت في الأغاني (٨ : ١٧٩) والمسالك (ص ٢٨٣) وهذا الأخير نقلها عن الشابشتي .

(٧) عرف اثنان باسم بغا : الاول بغا الكبير أبو موسى . وكان مقدم قواد المتوكل . توفي سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ م) . والثاني بغا الصغير الشرابي كان في أيام المعتز . قتل سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨م) . والمذكور فى المتن هو يونس ابن بغا الصغير .

(٨) الزيادة من الأغاني .

(٩) الضمير يعود الى الدير .

(١٠) نسبة الى الدير على غير قياس . والمراد به الراهب القائم بأمور الدين . وهي من السريانية ديرنايا .

(١١) الاشاطير ، هي ما يعرف اليوم بـ « السندويج » .

يكون معك من هذين ولا يفارقك ؟ قال : فقلت له ، فقال : كلاهما وتمراً[١٢] فضحك المعتز حتى مال [عـلى حائط الدير] من الضحـك • فقلت : للديراني : لابد من ان تختار • فقال : الاختيار في هذا دمار ! ما خلق الله عقلاً يميز بين هؤلاء • ثم لحقنا الموكب ، فارتاع الديراني • فقال لـه المعتز : بحياتي ، لا تنقطع عما كنا فيه ، فاني لمن ثم مولىً ولمن هاهنا صديق • فجلسنا ساعة ، وأمر له المعتز بخمسين الف[١٣] درهم • فقال : والله لا قبلتها (٧٠ ب) الا على شـرط • قال : وما هـو ؟ قال : يكون أمير المؤمنين في دعوتي مع من أَحب • قال : ذاك اليك • فاتفقنا ليوم جئناه فيه على ما أَحب • فلم يُبق غاية ، وأقام بمـن كان معه ، وجاء بأولاد النصارى فخدمونا أحسن خدمة • فسر المعتز سروراً ما رأيته سُر مثله • ووصله في ذلك اليوم بمال كثير ، ولم يزل يطرقه اذا اجتاز به ويأكل عنده ويشرب مدة حياته •

قال : وكان المعتز سمح الأخلاق ، واسع النفس ، له أدب وفهم ، ويقول شعراً صالحاً • وكان يحب يونس بن بغا ولا يصبر عنه • وكـان هو ويونس بن بغا من أحسن الناس وجهاً وأجملهم ، ولم يكن في خلفاء بني العباس أحسن وجهاً من الأمين والمعتز[١٤] ، وكان يضرب بهما المثل في الحسن والجمال •

قالت عريب : كنت لمحمد الأمين وصيفة في عداد الوصائف ، ألبس قباء ومنطقة وأقوم على رأسه وربما سقيته•وسني اِذ ذاك سبع عشرة سنة •

---

(١٢) مثل عربي قديم (مجمع الامثال للميداني ٢ : ٦٥) •
(١٣) الاغاني : بخمسمائة ألف درهم • وكأنه من شطط النساخ •
(١٤) ذكر الشابشتي في كلامه على « دير العذارى » ان المكتفي كان جميلا مستشهداً بقول الشاعر :

والله لا كلمتهـــا ولو انهـــا　　　كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

وكان أحسن خلق الله ، لم نر ذكراً ولا أنثى مثله جمالاً وحسناً مع حسن خُلق . قال احمد بن عبدالله بن اسماعيل المراكبي ، وهو ابن مولاها: (٧١ أ)أين كان المعتز منه ؟ فقد رأيناه ولم نرَ الأمين[١٥] .
قالت : كان المعتز فيه لمحة منه[١٦] ، وأما مثله فلم يكن .

قال : وكان إلف المعتز ليونس بن بغا إلف الصبا . فلم يكن يفارقه، ولا يصبر عنه . وله فيه أشعار كثيرة ، فمن ذلك :

إني عرفت دواء الطب من وجعي ... وما عرفتُ دواء المكر والخدَع
جزعت للحب والحمّى صبرتُ لها ... إني لأعجب من صبري ومن جزعي
من كان يشغله عن إلفه وجعٌ ... فليس يشغلني عن حبكم وجعي

وكان[١٧] المعتز يشرب على بستان مملوء بالنمّام[١٨] ، وبين النمام شقائق [النعمان][١٩] ، فأقبل يونس بن بغا وعليه قباء أخضر ، فقال المعتز :

شبّهتُ حمرةَ خده في ثوبه ... بشقائق النعمان في النمام

---

(١٥) خلافة الأمين ١٩٣ ـ ١٩٨ هـ (٨٠٩ ـ ٨٢٣ م) . وخلافة المعتز ٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ (٨٦٦ ـ ٨٦٩ م) .

(١٦) قال ابن الاثير (الكامل ٧ : ١٣٢) في وصف المعتز ، انه « كان أبيض ، أسود الشعر كثيفه ، حسن العينين والوجه ، أحمر الوجنتين، حسن الجسم ، طويلا » . وقال عبدالرحمن الاربلي (خلاصة الذهب المسبوك ص ١٦٨) انه « كان طويلا جسيماً وسيماً ، أبيض مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، أقنى الانف ، حسن الوجه ، جعد الشعر ، كث اللحية » .

(١٧) الأغاني (٨ : ١٧٨) ، وبدائع البدائه (ص ٥١) ، والصبوح والغبوق (ص ٦٨) .

(١٨) النمام : نبت عطري قوي الرائحة ، سمي بذلك لسطوع رائحته .

(١٩) الزيادة من الاغاني .

ثم قال : أجيزوا . فبدر بنان[٢٠] المغني ، فقال :

والقــدّ منـه إذا بـدا متثنّيا ... بالغصن في لين وحسن قـوام

فقال : غنّ فيه الآن . فعمل فيه لحناً وغناه إياه .

قال[٢١] : وشرب المعتز يوماً [ويونس بن بغا بين يديه يسقيه][٢٢] والجلساء [والمغنون] بين يديه . وقد أعد الخلع والجوائز ، فدخل بغا ، فقال : يا سيدي ، والدة عبدك يونس في الموت ، وهي تشتهي أن تراه (٧١ ب) فأذن له ، فخرج . وفتر المعتز وتغير ثم نعس فنام ، ونـام[٢٣] الجلساء [وتفرق المغنون] . فلما كان وقت المغرب [وعـاد المعتز الى مجلسه] عـاد يونس وبين يديه الشمع . فلما رآه المعتز دعـا برطل فشربه وسقاه مثله . ثم عاد الندماء [وغناه المغنون] ورجع المجلس الى احسن مما كان فيه ، فقال المعتز :

تَغيبُ فـلا أفــرح ... فليتـك لا تبــرح
وإن كنتَ عـذّبتني ... بأنـك لا تَسـمح
فأصبحتَ ما بـينَ ذَيْـ ... ـن لي كبـدٌ تُجــرح
عـلى ذاك يا سيدي ... دُنـوُّك لي أصلـح

ثم قال : غنُّوا فيه فجعلوا يفكرون . فقال [المعتز] لـ [سليمان] بن القصار [الطنبوري] : ويلك ! ألحـان الطنبور أصلح وأخفُّ ،

---

(٢٠) المخطوط : فيهر ببان . وهو تحريف ظاهر ، وبنان هذا أحد المغنين في المئة الثالثةللهجرة . غنى للمتوكل والمنتصر والمعتز ، وكـان منقطع النظير فى الضرب على العود . (ثمار القلـوب ص ١٢٢ ، ديوان البحترى ١ : ٦) .

(٢١) الاغانى (٨ : ١٧٨) .

(٢٢) الزيادة من الاغانى .

(٢٣) الاغانى : وقام ، وهى أصلح فى هذا المقام .

فغنّ فيه [أنت] ، فغناه [فيه لحناً] ، فدفع اليه دنانير الخريطة[٢٤]
وهي مائة دينار [مكية] فيها مائتان ، مكتوب على كل دينار منها :
« ضُرب هذا الدينار بالجوسق[٢٥] لخريطة أمير المؤمنين المعتز بالله » .
ثم دعا بالخلع والجواهر لسائر الناس .

قال[٢٦] : واصطبح المعتز يوماً ويونس بن بغا . وما رُئي وجهان قط مثلهما حسناً . فما مضت ثلاث ساعات حتى سكرا ، فقال المعتز[٢٧] :

ما إن ترى منظراً إن شئته حسناً
إلا صريعاً تهاوى بين سُكرين
سكر الشباب[٢٨] وسكرٍ من هوى رشا
تخاله والذي يهواه غُصنين

[ثم أمر فتغنى فيه بعض المغنين] .

(٧٢ أ) ومن شعره في يونس ، وفيه لحن في طريقة الرمل :

علّموني كيف أجفو ك على رغم من انفي
وجفائي لك يا يُو نس مقرونٌ بحتفي
غير ان الله قد يعـ لم ما أُبدي وأُخفي
فوقاني الله فيك الدهـ ر أن يأتي بصرف

قال هرون[٢٩] بن عبدالعزيز بن المعتمد : حدثني سعيد بن يوسف كاتب أبي ، قال : كنت أتقلد خزائن الكسوة ، وكان إذا أمر المعتز ليونس

---

(٢٤) الخريطة : كيس من أدم أو نسيج ، يشرج على ما فيه . ج : الخرائط .
(٢٥) الجوسق من قصور سامراء .
(٢٦) الاغاني (٨ : ١٧٨) .
(٢٧) الاغاني (٨ : ١٧٩) ، الصبوح (ص ٦٨ ـ ٦٩) .
(٢٨) الاغاني : الشراب .
(٢٩) صلة تاريخ الطبرى (ص ١٧٨ و ١٨٣) حوادث سنة ٣٢٠ هـ .

بشيء أخذت له أجل ما في الخزائن وأحسنه . وكان يبرّني فلا أقبل برّه . وربما دخل الخزانة فنجرته[٣٠] ومازحته . فقلت له يوماً : يا سيدي ، أنا عبدك وموفر لمالك ، وأنت تشرّف مسرور المعتصمي بالتحية الحسنة مما يكون بين يدي أمير المؤمنين ، وأنا فلا تشرفني بمثل ذلك . فقال : الليلة نوبتك ! فلما كان في الليل ، بعث الي بوصيف الخادم ومعه صينية ذهب فيها خوخ . فقلتُ في نفسي ثم كبر إذ كان من مجلس الخليفة . فأخذت واحدة فنظرتها ، فاذا هي قد شُقت ، وأُخرج ما فيها وجعل مكانه نَدّ[٣١] معجون على مقدار (٧٢ ب) ما كان فيها . فأخرجتُ ما في جميعه ، فكان شيئاً كثيراً .

وللمعتز في يونس وقد خرج وعاد[٣٢] :

الله يعلم يا حبيبي انني   مذ غبتَ عني هائمٌ مكروب
يدنو السرور إذا دنا لك منزلٌ   ويغيب صفو العيش حين تغيب

وكانت البيعة للمعتز ، يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وخلع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين[٣٣] . وقتل بعد الخلع بخمسة أيام[٣٤] ، وسنه أربع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوماً .

قال : وكانت قبيحة حرّضت المعتز على الأتراك ، وقالت : يا بني ، أُقتلهم في كل مكان . وأخرجت[٣٥] اليه قميص أبيه المتوكل مخضّباً

---

(٣٠) المخطوط : فحرنه . يقال : نجر الرجل ، دفعه ضربا .
(٣١) الند (بالفتح ، ويكسر) هو العود المطرى بالمسك والعنبر والبان (التاج ٢ : ٥١٣) .
(٣٢) خلاصة الذهب المسبوك (ص ١٦٩) .
(٣٣) هذا يوافق ١٢ تموز ٨٦٩ م
(٣٤) تاريخ الطبرى ٣ : ١٧١١ .
(٣٥) الايجاز والاعجاز للثعالبى (ص ٢١) .

بدمائه . فقال : يا أُماه ! إرفعيه وإلا صار القميص قميصين[٣٦] .

وذكر أحمد بن حمدون ، قال : بنى المعتز في الجوسق في الصحن الكامل بيتاً قدّرته له أُمُّــه ومثلت حيطـانه وسقوفه ، فكان أحسن بيت رئي . قال : فدعانا المعتز اليه ، فكنا في أحسن يوم رئي سروراً . وخلف الستارة مغنيــة تغني أحسن غنــاء ليس لي بها عهد . (٧٣ أ) قال : فنحن في ذاك ، إذ دخل علينا خادم في يده طبق عليه مِكبّة . فوضعه في وسط البيت ، وكان في يد المعتز قدح فشربه وشربنا ، ثم قال للخادم : إرفع المكبة ، فاذا رأس المستعين[٣٧] في الطبق[٣٨] . فلما رأيته شهقت وبكيت . فقال لي المعتز : يا ابن الفاعلة ، ما هذا ؟ كأنك داخلتك له رقة . فثـاب الي عقلي وتماسكت وقلت : ما كان لرقة ، ولكنني ذكرت المـوت ! فأمر الغلام برد المكبة ورفع الطبق . فرفعه . وكأن المعتز داخلته فترة ، وكذلك جميع من حضر ، وافترقنا عن الحال التي كنا عليها من السرور . قــال : فنحن كذلك ، إذ سمعنا وراء الستر ضجــة أفزعتنا ، فاذا إمرأة تصيح وإمرأة أخـــرى تشتم الصائحة ، والصائحة تقـــول : يا قوم ، أخذتموني غصباً ثم تجيئوني برأس مولاي فتضعونه بين يديّ . فسمعنا صوت العود قـــد ضرب به رأسها . قال : وكان الشاتم لهــا والضارب قبيحة ، وكانت الجارية من جواري المستعين . قال : فانصرفنا عن المجلس أقبح انصراف وقد تنغّص علينا ما كنا فيــــه . ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى وثب الأتراك على المعتز فقتلوه ، ثم دعى بنا (٧٣ ب) لننظر اليه ، فدخلنا عليه في ذلك البيت ، فاذا هو ممدود في وسطه ميتاً .

---

(٣٦) المخطوط : قميصان . والوجه ما أثبتنا .

(٣٧) هو ثاني عشر خلفاء بني العباس . تولى الخلافة من سنة ٢٤٨ الى ٢٥٢ هـ (٨٦٢ ــ ٨٦٦ م) .

(٣٨) قال الطبري (٣ : ١٦٧١) : « وأتي برأس المستعين ، وهو يلعب بالشطرنج ، فقيل هذا رأس المخلوع . فقال : ضعوه هنالك ، ثـــم فرغ من لعبه ، ودعا به فنظر اليه ، ثم أمر بدفنه » .

دير مريحنا

وهذا الدير الى جانب تكريب ، على دجلة . وهو كبير عامر كثير القلايات[1] والرهبان ، مطروق مقصود ، لا يخلو من المتطربين والمتنزهين ولا من مسافر ينزله . ولكل من طرقه من الناس ضيافة قائمة على قدر المضاف لا يُخِلون بها . وله مزارع وغلات كثيرة وبساتين وكروم . وهو للنسطور[2] . وعلى بابه صومعة عبدون الراهب ، رجل من الملّكية[3] ، بنى الصومعة ونزلها فصارت تُعرف به . وهو الآن المستولي على الدير والقيّم به وبمن فيه . وقد بنى الى جانبه بناء ينزله المجتازون ، فيقيم لهم الضيافة ويحسن لهم القرى . وقد قيل في هذا الدير أشعار

---

(١) القلايات واحدتها القلاية : (Cell) الصومعة ينفرد فيها الراهب

(٢) يريد انه للنساطرة . والنساطرة فرقة من النصارى عرفت باسم مؤسسها نسطور ، وقد صار بطريركا على القسطنطينية سنة ٤٢٨ م ، ثم زاغ في آرائه الدينية عما هو ثابت لدى أئمة الكنيسة . وفي سنة ٤٣١ م عقد مجمع ديني في افسس حرم نسطور وتعليمه وأنزله عن كرسيه البطريركي . وقد انتشرت بدعته بين كثير من نصارى المشرق من بعده وما زالت بقاياها الى الآن بين الكلدان النساطرة . مات نسطور في صحراء ليبيا نحو سنة ٤٤٠ م .

(٣) الملكية ، ويسمون بالملكائيين والملكانيين ، والواحد منهم ملكي وملكاني : « هم المسيحيون الشرقيون المنتمون الى الكرسي الانطاكي ، الخاضعون لملوك الروم . المعتقدون بتقرير المجمع الخلقيدوني ، التابعون للكرسي الروماني . واسم الملكي أطلقه عليهم السريان منذ أواسط القرن الخامس للميلاد ، وأسموهم روما وخلقيدونيين ويونانيين . لانهم قالوا بمقالة مرقيان ملك الروم (٤٥٠ ـ ٤٥٧ م) واتبعوا معتقد المجمع الخلقيدوني المنعقد عام ٤٥١ م ، وتركوا بمرور الزمان طقسهم الانطاكي السرياني القديم وبدلوا الطقس البوزنطي اليوناني » . (المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ص ٣٧) .

ووُصف طيبه ونزهته • فمن ذلك قول عمرو[٤] بن عبدالملك الوراق[٥]:

أرى قلبي قــد َحنَّــا الى ديـــر مرُيحنَا
الى غيطانـــه الفيـح الى بركتـــه الغنـــا
(٧٤أ) الى ظبـي مــن الأنس يصيد الأنس والجنـــا
الى غصنٍ من البــانِ بـه قلبي قــد َجنّــا
الى أحسن خلق الله إن قـدّس أو َغنّــا
فلمـا انبلج الصُبح بزلنـــا بيننـا َدنّـا
فلما دارتِ الـكأسُ أدَرنا بيننـا لحنـــا
ولمـا هجـــع السمَّا رُ نِمنـا وتعانقنـــا

وكان عمرو هذا من الخلعاء المجّان ، المنهمكين في البطالة والخسارة والاستهتار بالمرد والتطرح في الديارات : ولـه شعر كثـــير في المجون ووصف الخمر • وقد ذكرنا منه ما يليق بالكتاب • فمن شعره قوله :

وحظيّــة فيهـا العَطبْ غـاليت فيهـــا بالعَطبْ
أتلفت فيهـــا ما كسب ت وما جمعت من النشب
ما زلت حتى نلتُهـــا في بيت مضطرب الخشب
ومُدامــةٍ كرخيـــةٍ حمراء مــن ماء العنب
عاقرتهـــا في ِفتيـــةٍ ليسوا عـلى دين العرب
(٧٤ب) في معشـر َمهروا المجا نة في اللذاذة والطـرب
جعلوا المجانـة سترةً للعاذلين عـلى الرُتب

---

(٤) شاعر ماجن خليع ، عاش فى أوائل الدولة العباسية ، وله شـــعر كثير في حرب الامين والمأمون روى الطبري جانبا منـه فى تاريخـه في حوادث السنين ١٩٧ ــ ١٩٨ هـ • وله مع ابي نواس أخبـار • وترجمته في معجم الشعراء للمرزباني (ص ٢١٨) •

(٥) معجم البلدان (٢ : ٧٠١) ، المسالك (ص ٣٠٩) •

تمضي الصلاة عليهم والسكر منهم في العصب
فاذا تنبه من تنبّـ ـه كان منهـا في الطلب
واذا مضت صلواتهم صلوا جمادى في رجب

ومن شعره في المجون أيضا[٦] :

أيهـا السائل عنـي لستُ من أهل الصلاح
أنـا إنسانٌ مريبٌ اشتهي نيكَ المِـلاح
قد قسمت الدهر يو مين . لفسق ولِراَح
لا أُبالي من لَحاني لا أطيع الدهرَ لاح

ومن مجونه أيضاً :

إذا أنت لم تشـرب ُعقـاراً ولم َتلُط
فأنت لعمـري والحمـار سـواءُ
ولم تمـلْ بيتاً من قحابٍ ولم يَبت فِـراشُك أرضاً ما عليـه غطـاء
ولم تك بالشطرنج عبداً مقامراً[٧] وفي النرد عند الخصل[٨] منك وفاء
ولم تكُ في لعب النـوى متماحكاً فتسلب مـالاً أو يكون تـواء[٩]
(١٧٥أ) ولم تتخـذ كلبـاً وقوساً وبُندُقاً
وبـرج حمـام لم يُصبكَ رخـاء
ولـم تـدر ما عيش ولم تلق لذة فأنت حمـارٌ ليس فيـك مِـراء

(٦) المسالك (ص ٣٠٩) .
(٧) المخطوط : عبد مقامر . والصواب ما في أعلاه .
(٨) الخصل والجمع الخصول : ما يتقامر عليه . يقال أحرز خصلـة وأصاب أي غلب .
(٩) الصواب : « بواء » أي تساوى اللاعبين فى النتيجة . ويسمونه اليوم « باك » الدكتور مصطفى جواد) .

فإن أنت لم تفطن لعيش جهلتــــه فدونكه ما دامَ فيــك بقـاء[10]

وإياك أن تنفك من سكــرٍ طافح مساؤك صـبحاً والصــباح مسـاء

ونكمن لقيت الدّهر منهم ولا يكن عليـك إذا أعطوك منـك إبــــاء

(١٠) كتب فى هامش المخطوط : ويروى ذماء .

دير صباعي[1]

وهذا الدير شرقي تكريت ، مقابل لها[2] ، مشرف على دجلة . وهو نزه عامر ، له ظاهر عجيب فسيح ومزارع حوله على نهر يصب من دجلة الى الاسحاقي[3] ، وهو خليج كبير . فيقصد هذا الدير من قرب منه في أعياده[4] وأيام الربيع وهو إذ ذاك منظر حسن ، فيه خلق كثير من رهبانه وقسانه .

ولبعض الشعراء ، فيه[5] :

حنّ الفؤاد الى دير بتكريت   بين صبّاعي[6] وقس الدير عفريت

---

(١) عن هذا الدير ، راجع الذيل (١٢) .

(٢) قال في المسالك (ص ٣٠٥) انه « فوق تكريت بقليل » . ويقصد بلفظة فوق : شمال .

(٣) الاسحاقي نهر يحمل من دجلة من غربيها أسفل من تكريت ويصب في دجلة بازاء المطيرة (ابن سرابيون . ص ١٨–١٩ طبعة لسترنج) .

(٤) يقع عيد شمعون بر صباعي ورفاقه الشهداء في يوم الجمعة العظيمة من كل سنة . ولكن الكنيسة الكلدانية حولته الى يوم الجمعة التي بعدها ، أي الجمعة الاولى التي تلي أحد القيامة ، ويسمى بعيد جميع المعترفين (ذخيرة الاذهان ٢ : ٨٢) ، شهداء المشرق (١ : ٢٣٤) ، تاريخ كلدو واثور (٢ : ٧٠) .

(٥) معجم البلدان (٢ : ٦٧٤) .

(٦) معجم البلدان : الى صباعى .

دير الاعلى

هذا الدير بالموصل [في أعلاها][1] ، يطل على دجلة والعُرُوب[2] .
وهو دير كبير (٧٥ ب) عامر ، [يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف . ويقال انه ليس للنصارى دير مثله ، لما فيه من أناجيلهم ومتعبداتهم] . فيه قلايات كثيرة لرهبانه . وله درجة منقورة في الجبل يفضي الى دجلة نحو المائة مرقاة ، وعليها يُستقى الماء من دجلة . وتحت الدير عين كبيرة[3] تصب الى دجلة ، ولها وقت من السنة يقصدها الناس[4] فيستحمون منها[5] ، ويذكرون انها تُبرىء من الجرب والحكة وتنفع المقرعين[6] والزمنى .

والشعانين في هذا الدير حسن ، يخرج اليه الناس فيقيمون فيه الأيام يشربون . ومن اجتاز بالموصل من الولاة نزله . وقد قالت الشعراء في هذا الدير ، ووصفت حسنه ونزهته .

وللشرواني[7] ، فيه :

---

(١) الزيادة من معجم البلدان (٢ : ٦٤٤) .

(٢) المخطوط : الغروب ، وهو تصحيف . والعروب ، على ما مر ذكره في فصل « دير مرجرجس » ، ضرب من الطواحين المائية .

(٣) تعرف هذه العين اليوم بعين الكبريت . قال فيها ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦٤٤) انها ظهرت تحت الدير الاعلى في سنة ٣٠١ هـ (٩١٣ م) وان فيها عدة معادن كبريتية ومرقشيثا وقلفطار قلنا : ماء هذه العين بارد في جميع فصول السنة . ويقصدها الناس صيفا ليستحموا بمائها الذي ينفع المصابين منهم ببعض امراض الجلد . ومنهم من يشرب شيئا من مائها تخفيفا من حرارة معدهم .

(٤) لعله سقط منه « فيه » أي في الوقت .

(٥) لعل الاصل « بها » او « فيها » (الدكتور مصطفى جواد) .

(٦) معجم البلدان « المقعدين » . ولكل من الروايتين وجه .

(٧) هـو محمد بن عبدالرحمن . ذكره المؤلف في « دير أشموني » . وسيذكره في « دير ابن مزعوق » ويورد طرفا من أشعاره وأخباره .

إِسقني الـراح صباحاً	قهـوة صهبـاء راحاً
واصطبح في الدير الاعلى	**في الشعـانين اصطباحـا**
ان من لم يصطبحها اليو	م ، لـم يلقَ نجـاحا
ثـم قلّدني من الزيـ	تون والخوص[8] وشاحا
في الشعانين وإن لا	قيت في ذاك افتضاحا
عظّم الاعلام[9] والرهـ	بان والصُلب الملاحـا
واجعل البيعـة والقصـ	ـر جميعـاً مستراحـا
(١٧٦أ) لا كمن يمزح[10] بالشهر	ة والخلع مزاحـــا
أو دعَ الشـهرة والزم	كل من يهوى الصلاحـا
والزم الجمعة والبكـ	رة فيهـا والرواحـا

وكان المأمون ، اجتاز بهذا الدير في خروجه الى دمشق ، فأقام بـه أياماً • ووافق نزوله عيد الشعانين • فذكر أحمد بن صدقة، قال : خرجنا مع المأمون ، فنزلنا الدير الأعـلى بالموصل لطيبه ونزاهته ؛ وجـاء عيد الشعانين ، فجلس المأمون فيموضع منه حسن مشرف على دجلة والصحراء والبساتين ، ويشاهد منه من يدخل الدير • وزُين الدير في ذلك اليوم بأحسن زي • وخرج رهبانه وقسانه الى المذبح ، وحولهم فتيانهم بأيديهم المجامر قد تقلدوا الصلبان وتوشّحوا بالمناديل المنقوشـة • فرأى المأمون ذلك ، فاستحسنه • ثم انصـرف القوم الى قلاليهم وقربانهم ، وعطف الى

(٨) في هذا اشارة الى ما يحمله النصارى من سعف النخل أو اغصـان الزيتون في عيد الشعانين ، اتباعاً لما ورد في انجيل يوحنا (١٢ : ١٢ ــ ١٣) •

(٩) ورد في الهامش : « ويروى : الاحبـار » • وهي رواية وجيهـة • والاحبار واحـدها الحبـر ، العـالم ، ثم خصّت بكبير النصارى ، واستعملت ايضاً لغيرهم •

(١٠) المخطوط : يمرح ، بالراء المهملة •

المأمون من كان معهم من الجواري والغلمان ، بيد كل واحد منهم تحفة من رياحين وقتهم ، وبأيدي جماعة منهم كؤوس فيها أنواع الشراب . فأدناهم ، وجعل يأخذ من هذا ومن هذه تحية ، وقد شغف بما رآه منهم ، (٧٦ ب) وما فينا إلاّ مَن هذه حاله . وهو في خلال ذلك يشرب والغناء يعمل . ثم أمر باخراج من معه من وصائفه المزنَّرات ، فأخرج اليه عشرون وصيفة كأنهنَّ البدور ، عليهن الديباج ، وفي أعناقهن صلبان الذهب ، بأيديهن الخوص والزيتون . فقال : يا أحمد ، قد قلت في هؤلاء أبياتاً ، فغنني[11] بها ، وهي[12] :

ظبــاء كالدنانــير ِملاحٌ في المقاصير
جــلاهنَّ الشعانينُ علينــا في الزنانــير
وقد زَرفنَّ[13] أصداغاً كأذنـــاب الزرازير
وأقبلنَ بأوســـاط كأوساط[14] الزنابير

ثم أخرج ِنعمَ جاريته ، وكانت وصيفة ، فغنت[15] :

وزعمتِ اني ظالم فهجرتني ورميت في كبــدي بسهم نافذ
فنعم ظلمتُك فاصفحي وتجاوزي هــذا مقام المستجير العائذ

وطرب وشرب واستعاد الصوت دفعات ، ثم قال ليزيدي[16] :

---

(١١) المخطوط : فغنيني .

(١٢) الاغاني (١٩ : ١٣٨ ـ ١٣٩) ، نهاية الارب (٥ : ٣٥) .

(١٣) المخطوط : ردفن . وزرفن شعر صدغيه جعلها كالزرافين وهي الحلق ، واحدها زرفين ، بضم أوله أو بكسره .

(١٤) المخطوط : كأوسط .

(١٥) الاغاني (٥ : ٣٠) ، الوفيات (٢ : ٣٤٢) ، الصبوح (ص ٥٣) ، حديقة الافراح للشرواني (ص ٥٠ بولاق ١٢٨٢ هـ) .

(١٦) القصة وردت بأكمل من هذا الوجه فيحديقة الافراح (ص ٥٠ـ٥١).

أرأيت أحسن مما نحو فيه ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أن تشكر من خوّلك فيزيدك منه ويحفظه عليك . قال : بارك الله عليك (٧٧ أ) فلقد ذكّرت في موضع الذكرى . ثم أمر بثلاثين ألف درهم[١٧] ، فتصدّق بها للوقت .

والى جانب هذا الدير ، مشهد عمرو بن الحَمِق الخزاعي[١٨] ، ومسجد[١٩] بنتْه بنو حمدان يتصل بالقبر . ولعمرو بن الحمق صحبة ، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وشهد معه مشاهده كلها . وكان معاوية طلبه دهراً ، وهو ينتقل من مكان الى مكان ، ثم ظفر به بالموصل[٢٠] ، وكان قد سُقي[٢١] بطنه واشتدت علته ، فدل عليه عبدالرحمن بن أم الحكم الثقفي وهو ابن أخت معاوية ، فكبسه في غار بالموصل وقتله ، وحمل رأسه الى معاوية ، وهو أول رأس حُمل في الاسلام من بلد الى بلد ، ودفنت جثته في هذا الموضع .

وكانت إمرأته آمنة بنت الشريد بدمشق ، فحبسها معاوية حبساً طويلاً . فلما حمل رأس عمرو اليه ، وجّه به الى آمنة الى السجن ، وقال للرسول[٢٢] : ألقه في حجرها واحفظ ما تقول . فلما أتاها ،

---

(١٧) الوفيات والحديقة : بمائة ألف درهم .
(١٨) أخباره وترجمته في كثير من المراجع القديمة : تاريخ الطبري ، الكامل لابن الاثير (فهارسهما) ، بلاغات النساء لطيفور (ص ٦٤ ــ ٦٦ القاهرة ١٩٠٨) ، طبقات ابن سعد (٦ : ١٥) ، الاستيعاب في أسماء الاصحاب لابن عبدالبر القرطبي (٢ : ٥١٦ ــ ٥١٧ بهامش الاصابة) ، الاصابة (٥ : ٥٢٦ الرقم ٥٨٢٠) ، المعارف لابن قتيبة (ص ٢٧٤ طبعة وستنفلد) ، طبقات السبكي (٦ : ١٣٩ ــ ١٤٠) ، تاريخ الاسلام للذهبي (٢ : ٢٣٤ ــ ٢٣٥) ، معرفة أخبار الرجال للكشي (ص ٣١ ــ ٣٥) .
(١٩) المخطوط : ومسجداً .
(٢٠) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦ : ١٣٩ ــ ١٤٠) .
(٢١) أي أصيب بعلة الاستسقاء .
(٢٢) الحوار بين معاوية وآمنة بنت الشريد ، ورد بوجه أكمل في « بلاغات النساء » (ص ٦٤ ــ ٦٦) .

ارتاعت له وأكبت تقبله • ثم قالت : واضيعتا في دار هوان، نفيتموه طويلاً وأهديتموه الي قتيلاً • فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية[٢٣] ، وأنا له غير ناسية • قل لمعاويـة : أيتم الله ولدك ، وأوحش (٧٧ ب) منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك ! فعاد الرسول بما قالت ، فأمر بها ، فأُحضرت، وعنده جماعة فيهم اياس بن شرحبيل وكان في شدقيه نتوء لعظم لسانه • فقال معاوية لها : يا عدوة الله ! أنت صاحبة الكلام ؟ قالت . نعم ، غـير نازعة [عنه][٢٤] ولا معتذرة منـه [ولا منكرة له] • وقد ، لعمري ، اجتهدت في الدعاء وأنا اجتهد إن شاء الله ، والله من وراء العباد [وان الله بالنقمة من ورائك] • فأمسك معاوية • فقال اياس : اقتل هذه ، فما كان زوجها بأحق بالقتل منها • فقالت : ما لك ، ويلك ، بين شدقيك جُثمان الضفدع ، وأنت تأمره بقتلي كما قتل بعلي [بالأمس] « إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين »[٢٥] • فضحك معاوية والجماعة وبان الخجل في اياس ، ثم قال لهـا معاوية : أخرجي عني فلا أسمع بك في شيء من الشام ! قالت : سأخرج عنك ، فما الشام لي بوطن ، ولا أعرج فيه على حميم ولا سكن • ولقد عظمت فيه مصيبتي، وما قرّت بـه عيني ، وما أنـا اليك بعائدة ولا لك حيث كنت حامدة • فأشار اليها بيده أن أُخرجي ! فقالت : عجباً لمعاوية يبسط عـلي غَرْب لسانه ويشير الي ببنانه • فلما خرجت قال (٧٨ أ) معاويـة : يُحمل اليها ما يُقطع به لسانها عني ويخف به الى بلدها • فقبضت ما أمر لها به ، وخرجت تريد الكوفة ، فلما وصلت الى حمص توفيت بها[٢٦] •

---

(٢٣) القالية : الكارهة •
(٢٤) الزيادة من بلاغات النساء •
(٢٥) سورة القصص • الآية ١٨ •
(٢٦) بهذا ينتهي كلام الشابشتي على « الدير الأعلى » • وعندنا أنبـاء أخرى عن هذا الدير ، راجع الذيل (١٣) •

دير يونس بن متى

وهذا الدير ينسب الى يونس بن متّى النبي صلى الله عليه ، وعلى اسمه بني . وهو في الجانب الشرقي من الموصل ، بينه وبين دجلة فرسخان . وموضعه يعرف بنينوى ، ونينوى هي مدينة يونس[١] عليه السلام . وأرضه كلها نُوّار وشقائق . وله في أيام الربيع ظاهر حسن مونق ، وهو مقصود .

وتحت الدير ، عين تعرف بعين يونس[٢] . فالناس يقصدون هذا الموضع لخلال : منها التنزه واللعب ، ومنها التبرك بموضعه ، ومنها الاغتسال من العين التي تحته .

وكان اليهود ، فيأيام الحسين بن عبدالله بن حمدان ، دسّوا واحداً منهم فدخل الهيكل وأحدث فيه ، واتصل الخبر الى ابن حمدان ، فجمع كل يهودي بالموصل ، فصادرهم على مال كثير أخذه منهم .

ولأبي شاس منير[٣] ، فيه[٤] :

---

(١) المخطوط : وموضعه يعرف بنينونى وبينونى هو يونس . والوجه ما في أعلاه عن معجم البلدان .

(٢) ذكر ابن جبير هذه العين في رحلته (ص ٢٣٦ طبعة دي غوية) في كلامه على تل التوبة ، وهو تل النبي يونس ، ومثل ذلك ما في رحلة ابن بطوطة (٢ : ١٣٧) وما زالت هذه العين معروفة الى يومنا هذا ، وتسمى « دملاماجه » . وهي ترى بين السورين الداخلي والخارجي لأطلال نينوى ، من جهة الشرق .

(٣) لم نقف على اخبار هذا الشاعر . على أن في تاريخ الطبري (٣:١٢٨٢) كلاماً على « أبي شاس الشاعر » وهو الغطريف بن حصين بن حنش ، فتى من أهل العراق ، ربي بخراسان . كان أديباً فهماً . وقد ساق الطبري خبره في حوادث سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٨ م) . فلعل هذا هو صاحب الشعر في دير يونس .

(٤) معجم البلدان (٢ : ٧١٠) .

٧٨ ب) يا دير يونسَ ، جادت صوبك الدِّيم ُ

حتـــى تُــرَى نـاضـراً بالنــور تبتسـم ُ

لم يشف ِ في ناجر ماءٌ علـى ظمأ   كما شفى َحرَّ قلبي ماؤك الشـَبِم (٥)

ولم يحلك (٦) محزونٌ به سَقَمٌ   اِلا تحلل عنـــه ذلك الســقم

استغفر الله من فتك (٧) بذي غنج   جرى علي به في رَبعـك القلم

وكان أبو شاس هذا ، من أطبع الناس ، مليح الشعر ، كثير الوصف للخمر ، ملازماً للديارات ، متطرحاً بها ، مفتوناً برهبانها ، و َمن فيهـا . فمن شعره الذي وصف فيه الخمر وملّح ، قوله :

أعارك َ الحلم ُ والوقار ُ   ثوباً من الصمت لا يعار ُ

فقم الى الخمر فامتحنْها   اِذا استقرَّت بك الديار

وغنّت ِ الطير في رياض ٍ   زيَّن اعيدانها اخضرار

من التي صانهـا ملوكٌ   همُ همُ السادة الكبار

اِذا بدت والدُجى مقيمٌ   صار مكان الدجى نهـار

كأنهم والمدام رَكبٌ   يؤمّهم في الظلام نار

ومن مليح شعره : قوله (٨) :

لا تعدلنَّ عن ابنـة الـكرْم   بأبي ، ففيهـا صحة الجسـم

واعلم بأنك إن لهجت بغيرهـا   هطلت عليـك سـحائب الهمّ

وإذا شربت فكن لهـا متيقظاً   حتـى تبـين طيبـة الطعم

لو لم يكن في شربها من راحة ٍ   اِلا التخلّص مـن يـد الغم

---

(٥) شبم الماء : برد .

(٦) معجم البلدان : ولم يحلل ، بصيغة المجهول . وهي أقوم .

(٧) معجم البلدان : من فتكي .

(٨) وزن البيت الاولى يختلف عما يليه . فكأن الأبيات من بحور مختلفة . (كاظم الدجيلي وعبود الشالجي) .

وقال أيضاً :

أعـاذل ، ما عـلى مثلي سبيلُ　　وعذلُك في المدامـة مستحيلُ
أعـاذل ، لا تلمنـا في هواها　　فان عتابنـا فيهـا طويـل
كلانـا يدعي في الخمر علمـاً　　فدعنـي لا أقول ولا تقـول
أليس مطيتي حقوي غُـلام　　ووصل أناملي كأسٌ شَمُول
اذا كانت بنات الـكرم شربي　　ونُقلي وجهه الحسن الجميل
أمنت بذَين عاقبـة الليـالي　　وهان علي ما قال العـذول
ومعتـذرٍ الي بشـطر عينٍ　　لـه من كسـر ناظرها رسول
صرفت الكأس عنه حين غنّى　　وان لسانه منهـا ثقيـل
أرحْني قـد ترفعت[٩] الثريّا　　وغالت كلّ ليلي عنـك غول

(٩) المخطوط : ترفعت . وقد تكون : تربعت .

دير الشياطين

وهذا الدير غربي دجلة ، من أعمال بلد[١] ، بين جبلين ، في فم الوادي ، (٧٩ ب) . له منظر حسن وموقع جليل . [وهواؤه رقيق لطيف ، وقلاليه عامرة كثيرة الأشجار ، وأرضه كثيرة الرياض . ولـه سور يحيط به ، ومشترف على سطح هيكله يشرف على دجلة والجبل][٢]. والناس يطرقونه للشرب فيه ، وهو من مطارح أهل البطالة ومواطن ذوي الخلاعة .

وللخباز البلدي[٣] ، فيه[٤] :

رهبان دير سقوني الخمر صافية مثـل الشياطين في ديـر الشياطين

---

(١) تعرف بقاياها اليوم ب « أسكي موصل » على نحو ٤٠ كيلومتراً من شمال غربي مدينة الموصل ، على ضفة دجلة اليمنى وكانت تسمى قديماً « بلد » . وهي من المدن القديمة التي ترقى أخبارها الى أيام الدولة الاشورية . راجع كتاب « العراق في القرن السابع عشـر » لبشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ناشر هذا الكتاب (بغداد ١٩٤٥ ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩) .

(٢) الزيادة من المسالك .

(٣) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي الشاعر، وشعره كله ملح وتحف . قال ابن النديم : وقد عمل الخالديان شعره بالموصل نحو ثلثمائة ورقة ، وكان مجوداً . ولا تعلم سنة وفاته . ولعله من شعراء المئة الرابعة للهجرة . وبعض أخباره وأشعاره في : اليتيمة (٢ : ١٨٩ ـ ١٩٣) ، الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) ، المثل السائر لابن الأثير (٢ : ٢٧٦ ـ ٢٧٧ طبعة البابي الحلبي) ، نهاية الأرب (٣ : ١٠٤) .

(٤) البيت الثاني ورد ضمن قصيدة قالها السري الرفاء الموصلي في هذا الدير (ديوان السري الرفاء . ص ٢٧٤ القاهرة ١٩٣٦) .

مشوا الى الراح مشـي الرُخ وانصـرفوا

والراح تمشـي بهم مشـي الفـرازين[٥]

وكان عبّادة[٦] ، لما نفاه المتوكل الى الموصـــل ، يمضي الى دير الشياطين فيشرب فيه ، ولم يكن يفارقه . فهوي غلاماً من الرهبان بالدير، وكان من أحسن الناس وجهاً وقداً ، فهام به وجُنّ عليه ولزم الدير من أجله ، ولم يزل يخدعه ويلاطفه ويعطيه الى أن سلخ الراهب من الدير وخرج معـه . وفطن رهبان الدير بعبادة وما فعـل من إفساده الغلام ، فأرادوا قتله بأن يرموه من أعلى الدير الى الوادي . ففطن بهم وهرب ، فلم يعد الى الموضع .

وكان عبادة ، من أطيب الناس وأخفهم روحاً وأحضرهم نادرة . وكان أبوه من طباخي المأمون ، وكان معه ، فخرج حـاذقاً بالطبيخ . ثم مات أبوه ، فتخنّث وصار رأساً في العبارة والخلاعة . فوُصف للمأمون ، وهو إذ ذاك حدث ، فاستحضره . فلما وقف بين يديه تنادر (٨٠ أ) وحاكى ومازح ، فاستطابه المأمون . فقال : أمضوا بــه الى زبيدة لتراه وتضحك منه ، فمضوا بـه اليها . فلما دخل عليها وجدها عــلى برذعة تاختج[٧] وعـلى رأسها جارية تذب بمذبة[٨] خوص . فقـال عبادة :

---

(٥) الرخ : قطعة من قطع الشطرنج . والفرازين ، واحدها الفرزان ، وهو الوزير في لعبة الشطرنج . (عبود الشالجي) .

(٦) اشتهر بعبادة المخنث . وسيأتي طرف من أخباره في هذا الفصل من الكتاب . وأورد ابن شاكر الكتبي (فوات الوفيات ١ : ٢٠١ ـ ٢٠٢) شيئاً من أخباره وقال انه توفي في حدود ٢٥٠ هـ (نحو ٨٦٤ م) . وفي الأغاني (١٨ : ٩٠) والكامل لابن الأثير (٧ : ٣٦ ـ ٣٧) شيء عنه .

(٧) المخطوط : باختج . والتاختج لفظ فارسي يراد به ضرب من النسيج كان يصنع في نيسابور .

(٨) المخطوط : بمـــذبة . والمـــذبة ، وجمعها المـــذاب ، ما يـــذب

يا ستي ، كأنك من ناطف[٩] البركة . فضحكت منه واستطابته ، فأقام عندها أياماً ، فوصلته وكسته وكانت لا تكاد تصبر عنه .

قال جلس المأمون في بعض الأيام ، وأمر بأن تحضر اللحوم والحيوان وما يحتاج اليه من آلة الطبخ وقال للندماء : ليطبخ كل واحد منكم قدراً[١٠] . وطبخ هو أيضاً قدراً وطبخ أخوه أبو اسحق قدراً ، ففاحت لها روائح غلبت على روائح قدورهم طيباً وعطرية . فعجبوا من ذلك ، وعبادة حاضر ، فحسده . فقال : إن أردت أن تزيد في طيب قدرك ، فصبّ فيها سُكرّجة[١١] كامخ . فأخذ سكرّجة كامخ كَبَر[١٢] وصبها في القدر ، فساعة صب السكرجة ، فاحت لها روائح منتنة . فقال المأمون : ويلكم ! ما هذه الرائحة المنتنة ؟ قال عبادة : رائحة قدر أخيك الطباخ ! قال ماذا طرحت فيها حتى عادت بعد الطيب الى هذه الرائحة ؟ فقال سكرجة كامخ كَبر أشار بها عبادة . فقال (٨٠ ب) أما علمت أنك اذا أدخلت جسماً ميتاً على جسم حي أفسده ؟ فحقدها المعتصم على عبادة . فلما ولي المعتصم ، أمر بقتله ، ثم قال : ما لهذا الكلب من القدر ما يُقتل

به الذباب ، وهي غير المروحة . وقد كانت المذاب من الآلات الملوكية القديمة ، ولها ناس مختصون بحملها في المواكب .

(٩) الناطف ضرب من الحلواء .

(١٠) قال كشاجم (أدب النديم ص ١١ ـ ١٢) : « ويستظرف من النديم ، أن يصف اللون الغريب من الطبيخ ، والصوت البديع ، والشعر الشجي ، واللحن من الغناء . ورأيت الملاح من أهل هذه الطبقة يقولون : ان من لم ينشد عشرة أصوات ، ويحكم من غرائب الطبيخ عشرة ألوان ، لم يكن عندهم ظريفاً كاملا ولا نديماً جامعاً » .

(١١) السكرجة ، ووردت بصورة « أسكرجة » : كلمة فارسية معربة معناها الاناء الصغير ، توضع فيه الكوامخ وأشباهها على الموائد حول الأطعمة للتشهي والهضم . وتجمع على سكرجات واسكرجات .

(١٢) الكبر ، وزان سبب : ضرب من الخردل .

[به](13) ، ولكن أنفوه . فنفي . فلما ولي الواثق رده ، فكان معه ثم مع المتوكل بعده . ثم غضب عليه المتوكل فنفاه الى الموصل .

قال أبو حازم الفقيه ، وقد جرى ذكر عبادة : ما كان أظرفه . قيل: وكيف ؟ قال : كان المتوكل نفاه ، فلما حصل بالموصل ، تبعه غرماؤه وطالبوه ، وقدّموه الى علي بن ابراهيم الغمري وهو قاضي الموصل ، فحلف لواحد ثم لآخر ثم لآخر . فقال علي بن ابراهيم : ويحك! ترى هؤلاء أجمعوا على ظلمك ؟ فاتق الله وارجع الى نفسك . فان كانت عُسرة كان بازائها نظرة . قال : صدقت ، فديتك ! ليس كلهم ادّعى الكذب ولا كلهم ادّعى الصدق ، وانما دفعت بالله ما لا أطيق .

ثم رده المتوكل . وكان من أحضر الناس نادرة وأسرعهم جواباً .

وقال المتوكل لعبادة ذات يوم : دع التخنث(14) حتى أزوّجك .

قال : أنت خليفة أو دلالة ؟

وقال له ابن حمدون : يا عبادة ، لو حججتَ لاكتسبت أجراً ورآك الناس في مثل هذا الوجه (٨١ أ) المبارك . فقال : اسمعوا ، ويلكم ، الى هذا العيّار : يريد أن ينفيني من سامراء على جمل !

وقال له دِعبل(15) يوماً : والله لأهجونّك ! قال : والله لئن فعلت

---

(13) زيادة يقتضيها السياق .

(14) المخطوط : النحيب . والوجه ما أثبتنا .

(15) هو أبو علي دعبل بن علي الخزاعي، المتوفى سنة ٢٤٦هـ (٨٦٠م) . أصله من الكوفة ، وقيل من قرقيسيا ، وأقام ببغداد . كان شاعراً مجيداً ، بذيء اللسان ، مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس . وهجا الخلفاء ومن دونهم . وله ديوان مطبوع . أخباره في طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٢٤ ـ ١٢٧) ، الأغاني (١٨ : ٢٩ ـ ٦١) ، الفهرست لابن النديم (ص ١٦١) ، تاريخ بغداد للخطيب (٨ : ٣٨٢ ـ ٣٨٥) ، الوفيات (١ : ٢٥١ ـ ٢٥٣) ، نهاية الأرب

لأخرجنَّ أُمك(١٦) في الخيال(١٧) !

قال سعد بن ابراهيم الكاتب : قلت له يوماً : يكون مخنث بغير بغّاء ؟
قال : نعم ، ولكن لا يكون مليح ، يكون مثل قاضي بلا دَنِّية(١٨) !

(٣ : ٨٨) ، العمدة لابن رشيق (١ : ٥٦ وما يليها) ، مرآة الجنان لليافعي (٢ : ١٤٥) ، الشذرات (٢ : ١١١ - ١١٢) . ومن الدراسات الحديثة عنه : « مقدمة » ديوان دعبل : لعبد الصاحب الدجيلي (النجف ١٩٦٢) و «دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت» للدكتور عبدالكريم الأشتر (دمشق ١٩٦٤) .

(١٦) في كتاب « الأجوبة المسكتة » (الورقة ٣١ ب . مخطوط في خزانة المتحف العراقي . الرقم ٧٤٤) ما يشبه هذه النادرة، قال : «أنشد جرير شعراً . فقال له مخنث : ويل لي يا يابا . فقالوا له : أسكت، ويلك ! هذا جرير . قال وأي شيء يقدر يعمل لي ؟ ان هجاني أخرجت أمه في الحكاية » .

(١٧) يريد به طيف الخيال ، أو ما يسمى بخيال الظل . والخيال ضرب من التمثيل المسرحي يقوم به المخايل من وراء ستارة . واشارة الشابشتي الى هذا الفن من أقدم النصوص العربية التي وقفنا عليها . وكنا قد أشرنا الى ذلك في مجلة « الثقافة » (العدد ٢١٦ [١٦ فبراير ١٩٤٣] ص ١٥ - ١٦) . ولمحمد بن دانيال الموصلي ، المتوفى سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) كتاب « طيف الخيال » وهو كتاب غريب في بابه وقد طبع . انتشر « الخيال » في كثير من الأقطار الاسلامية ، وأشار اليه جماعة من المؤرخين كابن شاكر الكتبي والغزولي والمقريزي وابن اياس وابن حجة الحموي وغيرهم . وعرف هذا الفن بين الترك ، أيام الدولة العثمانية ، وكانوا يسمونه « قره كوز » ولهم فيه دراسات .

(١٨) الدنية ، وتجمع على الدنيات : قلنسوة بشكل الدن ، محددة الاطراف ، طولها نحو شبرين ، تتخذ من ورق وفضة على قصب (عيدان) تغشى بالسواد ، وتزين أحياناً بشقائق صفر طوال تتدلى على الصدر . كان يلبسها القضاة عامة في العصور الاسلامية السالفة ، كما كان يلبسها الخطباء والاكابر أحياناً . راجع : « دنية القاضي في العصر العباسي » لميخائيل عواد (الرسالة ١٠ [١٩٤٢] العدد ٤٨٥ ص ٩٧٩ - ٩٨١ ، العدد ٤٨٦ ص ١٠٠٦ - ١٠٠٧) .

وقال يوماً لأبي حرملة المزيّن : حذّفني • قال : يا مخنث ، أضع يدي على وجهك وأنا أضعها على وجه أمير المؤمنين ؟ قال : فأنت أيضا تضعها على باب أستك كل يوم خمس مرات !

قال : دخل عبادة يوماًالحمام بغير مئزر متبذلاً غير محتشم ، وفي الحمام شيخ جليل • فقال : ويحك ! أما تستحي ؟ استتر بيدك ! فقال : أيش أستر ؟ إنما هي هدية مكة : مقلتان ومسواك !

قال علي بن يحيى المنجم : قال عبادة يوماً للمتوكل ، ويحيى بن أكثم القاضي حاضر : يا أمير المؤمنين ، قل ليحيى يعلمني فرائض الصُلب • فقال المتوكل ليحيى : هوَذا تسمع • فقال ، وقد علم أن المتوكل غمز عليه عبادة ليتنادر به : سأل محالاً يا أمير المؤمنين • قال : وكيف ؟ قال : لأن الشاعر يقول[19] :

(٨١ب) وإن من أدبته في الصبى كالعود يسقى الماء في غرسه

وهذا شيخ لا ينجع فيه التعليم • ولكن إن كان له ابن حدث ذكر فليأتني به ، أعلمه • فنظر اليه عبادة وقال : يا قاض[20] ، لو كنتَ من أهل صناعتنا ، ما قوي بك أحد • فقال : لست من أهل صناعتك وما بأحد علي قوة •

قال : وخرج عبادة يوماً في السحر الى الحمام ، فلقي غلاماً من أولاد الأتراك ، فأعطاه عشرة دراهم وقال : إقطع أمرَ عمك ! فبينا الغلام فوقه خلف الدرب ، إذ أشرفت عجوز من غرفة لها ، فرأتهما ، فصاحت : اللصوص ! فقال عبادة : يا عجوز السوء ! النقب في استي ، صياحك أنت من أيش ؟

---

(١٩) المحاسن والمساوىء للبيهقي (١ : ٨) •
(٢٠) المخطوط : يا قاضي •

وذكر أبو حازم القاضي ، قال كنت مقيماً بدمشق مع ابن‌مدبر(٢١)، وكان لا يرد عليه كتاب إلا أقرأنيه • فورد عليه كتاب سعيد الرسح(٢٢) خليفة له بسر من رأى ، فقرأه وتبسم ولم يدفعه إلي • فسألته عمّا فيه ؟ قال : كتب الي سعيد يذكر انه كان واقفاً بباب المتوكل ، إذ خرج موسى بن عبدالملك(٢٣) وهو متغير الوجه ، فقال لغلامه : احمل الى عبادة ألف درهم وقل : لا تعاود أن تكثر فضولك • فسألت عن الخبر ، فقيل : دخل موسى على المتوكل وهو جالس على بركة (٨٢ أ) السباع(٢٤) ، وعبادة بين يديه يتكلم ويعبث • فقال المتوكل : يا موسى ، قد صدع رأسي عبادة ، فما تريحني منه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إطرحه في بركة الأسد ! فقال عبادة : نعم ، إطرحني أنا في بركة الأسد ، واحمله هو الى أسد دمشق حتى يستخرج لك الأموال منه • فتغير موسى وقامت عليه القيامة ، وبعث الى عبادة بمال أسكته به •

---

(٢١) هو أحمد بن محمد بن عبيدالله الضبي الدستميساني المعروف بابن المدبر الكاتب الاديب الشاعر ، تولى المساحة وغيرها بدمشق في أيام المتوكل سنة ٢٤١ هـ وتوفي ابن المدبر في حبس ابن طولون سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) •

(٢٢) كذا ما في المخطوط •

(٢٣) كان على ديوان الخراج في أيام المتوكل • مات سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩م) • تاريخ الطبري (٣ : ١٤٤٦ ـ ١٤٤٧) ، ذم أخلاق الكتاب للجاحظ (ص ٤٥) •

(٢٤) تعرف اليوم ب « هاوية السباع » ، على مقربة من شرقي أطلال دار الخليفة في سامراء • وهي سرداب • يتألف من حفرة مربعة منقورة في الصخر ، عمقها نيف وعشرة أمتار ، وطول ضلعها نحو واحد وعشرين متراً • ويتوسط هذه الحفرة بركة كبيرة مستديرة • وقد نقر في كل ضلع من أضلاع الحفرة الاربع ، ثلاثة أواوين نقشت جدرانها بنقوش جصية جميلة • وهذه الأواوين كلها يطل على البركة التي في وسط السرداب • (ري سامراء للدكتور أحمد سوسة ١ : ٧٠ و ٢٨٠) •

عمر[1] الزعفران

هذا العُمر بنصيبين ، مما يلي الجانب الشرقي منها ، في الجبل ، والجبل مشرف على البلد • وهو من الديارات الموصوفة والمواقع المذكورة بالطيب والحسن • وحوله الشجر والكروم ، وفيه عيون تتدفق • وهو كثير القلايات والرهبان • وشرابه موصوف ، يحمل الى نصيبين وغيرها • وليس يخلو من أهل القصف واللعب ، فهو وسائر بقاعه[2] معمورة بمن يطرقها •

وبهذا الجبل ثلاثة[3] ديارات أخر ، في صف واحد ، أحسن شيء منظراً وأجلّه موقعاً ، وهي : عُمر الزعفران ، ومر أوجين[4] ، ومر يوحناه والعمر الكبير بالموضع أحد متنزهات الدنيا • وأسفل (٨٢ ب) الجبل الهرماس ، وهو نهر نصيبين ، وعيون تتدفق من أصل الجبل ، ويعرف الموضع برأس الماء • وهذا الجبل أول طور عبدين ، وهو على ثلاثة فراسخ من نصيبين • ويجري هـذا النهر بين جبلين • وعـلى حافته الكروم والشجر ، فاذا وصل الى نصيبين افترق فرقتين ، فمنه ما يجتاز بباب سنجار ، فيسقي ما هناك من البساتين ويصب في الخابور ، ومنه ما يعدل الى شرقي البلد فيدير أرحية هناك ويسقي البساتين أيضا وما هناك •

---

(١) العمر : بضم اوله وسكون ثانيه ، لفظة سريانية (عمرا) بمعنى البيت والمنزل • والمراد به ها هنا : الدير (ج : أعمار) •

(٢) المخطوط : بقاعه ، بالرفع •

(٣) المخطوط : ثلث •

(٤) يريد به : دير مار أوجين St. Eugene • وعن هذا الدير ، أنظر الذيل (١٤) •

ولمصعب الكاتب ، في دير عمر[٥] الزعفران[٦] :

عُمرتْ بقاعُ عُمر الزعفران بفتيان غطارفةٍ هجانِ
بكل فتىً يحن الى التصابي ويهوى شربَ عاتقة الدنان
بكل فتىً يميل الى الملاهي وأصوات المثالث والمثاني
ظللنا نُعمل الكاساتِ فيه على روض كنقش[٧] الخُسرواني
وأغصان تميلُ بها ثمارٌ قريبات من الجاني دواني
تثنّيها الرياح كما تَثنّى بحسن قوامه آوي جناني
وأنهارٍ تسلسل جاريات يلوح بياضها كاللؤلؤان[٨]
وأطيار اذا غنّتك أغنتْ عن ابن المارقي[٩] وعن بنان[١٠]
(٨٣ أ) تجاوبها اذا ناحت بشجو
بقهقهة القَواقز والقناني
وغزلان مراتعها فؤادي[١١] شجاني منهم ما قد شجاني
وبنوهم ويوَحنّا وَشعيا ذوو الاحسان والصور الحسان

---

(٥) كذا ، باثبات لفظة « عمر » بعد « دير » · وفي احداهما كفاية ·

(٦) معجم البلدان (٢ : ٦٦٣ ـ ٦٦٤) ·

(٧) المخطوط : كنفس ·

(٨) يقال في اللغة : لون لؤلؤان ، أي لؤلؤي ، أى يشبه اللؤلؤ في لونه (مكي السيد جاسم) ·

(٩) مغن في المئة الثالثة للهجرة · كان يُغني للمتوكل · وبعض أخباره في الاغاني (٦ : ١٨ و ١٩ ، ١٣ : ٢٩) · ·

(١٠) مغن بارع اشتهر بالضرب على العود ، في أيام المتوكل · كان منقطع النظير في طبقته · وكان هو وزنام الزامر اذا اجتمعا على الضرب والزمر أحسنا وفتنا وأعجبا · وكان المتوكل لا يشرب الا على سماعهما · ثمار القلوب للثعالبي (ص ١٢٢) ، ديوان البحتري (١ : ٦) ·

(١١) المخطوط : فرادى · وما في أعلاه عن معجم البلدان ·

رضيتُ بهم من الدنيا نصيبي	غنيت بهم عن البيض الغواني
أُقبل ذا وألثم خد هذا	وهذا مُسعد سَلسُ العنان
فهذا العيشُ لا حوضٌ ونوى[١٢]	ولا وصف المعالم والمغاني[١٣]

وكان مصعب هذا ، من أشد الناس تهتكاً ، وأكثرهم خلاعة ومجوناً واستهتاراً بالمُرد ، وتطرحاً في الحانات والديارات . وأشعاره كلها في الغلمان ، لا تعدو هذا المعنى الى غيره . ونحن نورد من ذلك ما يستطرف[١٤] ويستملح من معانيه .

ومن شعره ، قوله :

أنا الماجنُ اللُّوطي ديني واحد	واني في كسب المعاصي لراغبُ
ألوط ولا أزني فمن كان لائطاً	فاني له حتى القيامة صاحب
أدين بدين الشيخ يحيى بن أكثم	واني عن دين الزناة لناكب
ومثل قضيب البان في زي شاطرٍ	اذا ما بدا للطرف فالعقل عازب
له نخوةٌ ، إن قلت : صلني بزَورة	تشيب لها يا ابن الكرام الذوائب
(٨٣ ب) دعوت له من قوم لُوطٍ عصابةً	تذل لهم في النائبات المصاعب
فقال ، وقد غصَّ الزيار[١٥] بحلقه	مقالةَ من أعيت عليه المذاهب
كريمٌ أصابته من الدهر نَبوةٌ	وأي كريم لم تصبه النوائب

---

(١٢) الشطر في معجم البلدان : فهذا العيش لا حرض ولا نوى .

(١٣) بهذا ينتهي كلام الشابشتي على « دير الزعفران » وما تبقى من الفصل مختارات من شعر مصعب الكاتب ، لا تتصل بشيء من أمر هذا الدير الجليل وقد جمعنا مما بيدنا من مراجع ، نبذة في هذا الدير (انظر الذيل ١٥) .

(١٤) لعلها : يستظرف .

(١٥) الزيار خشبتان يضغط بهما البيطار شفتي الفرس فيذل ، فيتمكن من بيطرته . وقد أوردها الشاعر ها هنا على سبيل المجاز .

ومن شعره أيضاً[١٦] :

نصيحةُ من حوى أُذناً وطرْفاً أتتك ، وسوف تسعد إن فعلتما
عليك إذا لقيتَ بحُسن بشر وكن من أكثر[١٧] الثقلين سمتا
ولا تُخلِ الأصابع من عُقودٍ وغُتّ الناس بالآثار غتّا
وعِظهم وانهَهم عن منكرات ولا تدع البكاء إذا وعظتا
وواخِ أبا الذي تهواه كيما يقال أخو أبيه وقد ظفرتا
وإن أبصرت شرطك بين قوم ولم تصبر ، فسارِق إن نظرتا
وإن فطنوا ، فأطرق ثم فكّر كأنك لم تكن نظراً أردتا
ودارِ المردَ منك بحسن لطفٍ ولا تدعِ الدبيب إذا سكرتا
وصاتي ، يا سعيد ، فلا تدعها فأنت من الفلاسف ، إن قبلتا

وقال أيضاً :

هجرت مجوني فاسترحت من العذل وكنت وما لي في التمادي من مثل
(٨٤ أ) فيا ابن يمان[١٨] هل سمعت بعاشق
يُعدّ من النساك في من مضى قبلي
ألم ترَ اني حين أغدو مسبحاً بسمت أبي ذَرّ ٍ وفسق أبي جهل
وأخشع في مشيي وأصرف ناظري
وسجادتي في الوجه كالدرهم البغلي[١٩]
وآمر بالمعروف لا من تقية وكيف وقولي لا يصدّقه فعلي

---

(١٦) كتب في الهامش : قف على وصية مصعب الكاتب .
(١٧) كتب فوق هذه اللفظة : أحسن .
(١٨) المخطوط : يمان . وسيخاطبه الشاعر في بعض ما يأتي من شعره .
(١٩) الدرهم البغلي ، منسوب الى ضراب مشهور باسم (رأس البغل) . وقدرت سعته بسعة الراحة ، وبعقد الابهام . (النقود العربية وعلم النميات : للاب أنستاس ماري الكرملي . ص ٢٢ الحاشية ١) .

أقول إذا لاقيتُ قوماً ألا اتّقوا ولو عرفوا حالي لحلّ لهم قتلي

ومحبرتي رأس الرياء ودفتري ونعلي بالأسحار أو رائحاً رجلي

أؤمُّ فقيهاً ليس همي فقهه ولكن لديه المرد مجتمعي الشمل

فيا رُبَّ مغرور غررتُ بدفتري فلما ثناه[20] الحزم عارضه فعلي

وكم أمرد قد قال والده له : عليك بهذا انه من ذوي العقل

يفرّ به من أن يعاشر شاطراً كمن فرَّ من حر الجراح الى القتل

فأوسعته نيكاً ولم ألفَ عاجزاً وكنت له في الخفض واللين كالبعل

ولينته بالرفق من بعد عزة كما لين الرواض مستصعب الابل

وقال أيضاً :

وقائلة ، ترجو صلاحي ، الى متى ؟ فقلت لها : ما دام في الأرض أمردُ

فقالت: لقد أنضيتَ في الغيّ جاهداً ركائب فسق أنت فيها تردّد

(٨٤ ب) أتبكي لنشءٍ بعد نشءٍ فما أرى بكاءك حتى ينفد الدهرُ ينفد

أعاذل ، لولا المرد أصبحتُ عابداً هم أهلكوا ديني عليَّ وأفسدوا

دعاني أناسٌ زاهداً حين أبصرُوا خشوعي ألا في الزهد أصبحت أزهد

نصبت لهم تحت الخشوع مكايدي وللرفق أحياناً عواقبُ تحمد

تشبّهت بالزّهاد والحرب خدعة[21] وراءيت بالتسبيح والكفُّ تعقد

وقال أيضاً :

كل حياةٍ بلا دين ففاسدةٌ والمرد يا ابن يمان أفسدوا ديني

كم توبةٍ بعدها أخرى استُتبتُ بها فليس دهري على ديني بمأمون

---

(٢٠) المخطوط ىاه .

(٢١) « الحرب خدعة» حديث نبوي جرى مجرى الأمثال . (سيرة ابن هشام ٣ : ٢٤٧ ، تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨٦ ، النهاية لابن الأثير ١ : ٢٨٣) .

لو امتنني الذي نفسي تخوّفه ... منهم ببغداد يوماً عذت بالصين
وقد سألت خبيراً من تجارهم ... فظلّ منه بحسن الوصف ينبيني
فقال : بالصين ألوانٌ تلين لهـا ... صلبُ القلوب وأمرٌ ليس بالدون
وقائل : عذ ببيت الله ، قلت له : ... مَن لي من المرد في الاحرام ينجيني
إذا بدت كثُبٌ ليثت[٢٢] بها أزرٌ ... وقفتُ نصباً لمن باللحظ يرميني
من لي اذا زاحموني في طوافهم ... هناك يبدي ضميري كل مكنون
ما لي من المرد إلا الله يعصمني ... ربُّ المثاني وطه والطواسين
(٨٥ أ) قد كنت في النسك قبل اليوم منغمساً
يشوب حبي لهم سمت ابن سيرين[٢٣]
أدنو بعين تقي حشو مقلتها ... حبٌّ لكل نقي الخد ذي لين
فالآن تبتُ ، فحسبي منهم نظري ... استغفر الله ، والتقبيل في الحين

وقال أيضاً :

إني بكيت لجسمي في تنقّصه ... لم أبك رسماً ولا ربعاً ولا دارا
وشاطر ذي اختيال في تكرّهه ... كالغصن يألف فسّاقاً وشُطارا
ما زلت عنه بمكري والخداع الى ... ان صار عرفانه للحق إنكارا
فاتلتُ عقل الفتى بالكأس أقرعها ... بالخمر أتبعها شعراً وأسمارا
حتى اذا ما استعار الليل مهجته ... وقبض النوم أسماعاً وأبصارا
دببت أمشي على الكفين ألمسه ... كمشي مسترقٍ للسمع أسرارا
وكرّ يمشق في قرطاسه قلمي ... والليل ملق على الآفاق أستارا
فقال لما انجلى عن عينه وَسَنٌ ... وقد رأى تكة حلت وآثارا :

---

(٢٢) لاث الازار يلوثه : بمعنى لبسه واتتزر به .

(٢٣) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري . من أقدم المؤلفين في العربية . مات بالبصرة سنة ١١٠هـ (٧٢٨م).اشتهر بكتابه « تعبير الرؤيا » وقد طبع مراراً . ترجمته في : المعارف لابن قتيبة (ص ٢٢٦) ، طبقات ابن سعد (٧ : ١٤٠ ـ ١٥٠) ، الوفيات (١ : ٦٤٥ ـ ٦٤٦) .

« يا راقــد الليل مسـروراً بأوله ان الحوادث قديطرقن أسحارا »[٢٤]

وله أيضاً :

وُمغفٍ على الكأس من سـكره تبذّلت ما صـان مـن ظهـره

(٨٥ ب) وقبلتـه مائتـي قبلـة ولـم أرضَ إلا عـلى ثغـره

وأعـزِزْ علي بمـا سـرني من الاقتـدار عـلى أمـره

فلما تنبّـه أبصـرته مـن الغيظ يخـرج مـن قشـره

وقـد كان في سـقيه كادنـي ولكنـه رُد فـي نحـره

وله أيضاً :

يا أيهـا المرد قد نصحتُ لكـم خافوا من الله فضلَ نقمتـه

إذا سـطا أمـرد وتاه عـلى عاشـقه كـان غِبٌ سـطوته

ان يبعـث الله في محاسـنه شـعراً فيطفي ضيـاء بهجتـه

عقـوبة الأمـرد الذي كثـرت ذنوبه فـي خـروج لحيتـه

ينكـره النـاس بعـد معـرفةٍ وقـد تواصوا بطـول جفـوته

هـذا نبـيُّ[٢٥] الالـه قبلـكم قد أنكـرته عُيـون اخوتـه

وبعـده ابن حسن وَجهِ أبـي بكـر وألحاظـه بفتنتـه

قد عقرب الصدغُ فوق وجنتـه على بياضٍ من تحت حمرتـه

صار على الناس بعـد عزتـه مثـل قعيس ببـاب عمتـه[٢٦]

---

(٢٤) هذا البيت لابن الرومي ٠

(٢٥) يقصد يوسف الصدّيق ٠

(٢٦) أصل هذا المثل : « أهون من قعيس على عمته » ٠ وقعيس رجل من أهل الكوفة دخل دار عمته ، فأصابهم مطر وقر ، وكان بيتها ضيقاً ، فأدخلت كلبهـا البيت وأبرزت قعيساً الى المطر ، فمات من البرد ٠ وقيل ان قعيساً مات أبوه ، فحملته عمته الى صاحب بر ، فرهنته على طعام ولم تفكه » فاستعبده الحناط ٠ (جمهرة الامثال للعسكري : بهامش الميداني ٢ : ٢٦٣ ، مجمع الامثال ٢ : ٢٤٤ ، اللسان ٨ : ٦١ ، التاج ٤ : ٢٢٠) ٠

(٨٦ أ) عمر أحويشا

وتفسير أحويشا[١] بالسريانية الحبيس[٢] . وهذا العمر بسعرت[٣] ، وسعرت مدينة كبيرة من ديار بكر ، بقرب أرزَن ، والعمر مطل على أرزن . وهو كبير عظيم ، فيه أربعمائة راهب في قلالي . وحوله بساتين وكروم . وهو في نهاية العمارة وحسن الموقع وكثرة الفواكه والخمور . ويُحمل منه الخمر الى المدن المذكورة . وبقربه عين عظيمة تدير ثلاث أرحاء . والى جانبه نهر يعرف بنهر الروم . وهذا العمر مقصود من كل موضع للتنزه فيه والشرب . والخلعاء والمتطربون أغلب عليه من اهله .

وللنُّبادي[٤] الشاعر ، فيه[٥] :

وفتيان كهمّك[٦] من أُناس ... خفافٍ في الغُدو وفي الرواحِ

---

(١) تصحفت هذه اللفظة في المسالك (ص ٣١٠) الى « آخويشا » بالخاء المعجمة .

(٢) الحبيس (Anchorite) هو الراهب المحبوس في سبيل الله ، أي الذي يقيم في محبسه ، أي صومعته ، لا يبارحها ، ودأبه فيها الصلاة وعبادة الله . (ج : الحبساء) .

(٣) المخطوط : « بسعوب » وهو تصحيف ، والوجه ما أثبتناه . وقد اختلف المؤلفون في كتابة اسم هذه المدينة ، فقالوا فيها : اسعرت ، وسعرت ، واسعرد ، وسعرد . وقد أفادني الدكتور ألفونس جميل شوريز ، ان سعرد ــ فيما قيل ــ لفظة كردية مركبة من (سي) بمعنى ثلاثة ، و (عرد) بمعنى الارض أو المبني . لادعاء البعض انالمدينة خربت مرتين ثم بنيت ثالثة ، فكان اسمها كذلك. ولفظة (عرد) ترد بالافرنجية بصورة Kert أو Cert أو Gert,

(٤) سيأتي شيء من أخباره في هذا الفصل . وفي وفيات الأعيان (٢ : ٢٢٩) حكاية تتصل به .

(٥) معجم البلدان (٢ : ٦٤٢) ، المسالك (ص ٣١٠) .

(٦) معجم البلدان : كهمل .

نهضت بهم ، وستر الليل ملقى   وضوء الصبح مقصوص الجناح
نؤم بدير أحويشا غزالا   غريب الحسن كالقمر اللياح
وكابدنا السُّرى شوقاً اليه   فوافينا الصباح مع الصباح
نزلنا منزلاً حسناً أنيقاً   بما نهواه معمور النواحي
قسمنا الوقت فيه لاغتباق   على الوجه المليح ولاصطباح
(٨٦ب) وظللنا بين ريحان وراح   وأوتار تساعدنا فصاح
وساعفنا الزمان بما أردنا   فأبنا بالفلاح وبالنجاح

وكان هذا اللبادي يكنى أبا بكر أحمد بن محمد ، من طياب الناس وملاحهم ، وذوي المجانة والخلاعة . وسمي اللبادي ، لأنه كان يلبس أبداً على ثيابه لُباداً أحمر .

ذكر أبو علي الأوارجي ، انه كان يتقلد أردبيل[٧] . قال : فقسَّطت في وقت من الأوقات عشرين ألف دينار بالعدل فيهم على قدر أحوالهم . فكان في من لحقه التقسيط اللبادي هذا . فكُتب باسمه عشرون ديناراً . قال : فبينا أنا جالس في الديوان استخرج[٨] ، إذ دخل علي رجل قد طيّن وجهه بطين[٩] أحمر ، وعليه لباد أحمر وعمامة حمراء وبيده عكاز أحمر وفي رجليه خُفان أحمران . فسلم ووقف ، وبدأ ينشد في قصيدة عملها ، وقال فيها :

---

(٧) من أشهر مدن اذربيجان ، بينها وبين بحر الخزر (بحر قزوين) مسيرة يومين (معجم البلدان ١ : ١٩٧) .

(٨) استخرج هنا ، بمعنى أخذ الخراج .

(٩) جاء في المحاسن والمساوىء للبيهقي (٢ : ٢٢٠) : « ومنهم [من المكادي] المطين ، وهو الذي يطين نفسه من قرنه الى قدمه » . وفي مقامات الهمذاني (ص ٩٧ المقامة الساسانية . بيروت ١٩٢٤ بشرح محمد عبده) قوله : « قد لفوا رؤوسهم وطلوا بالمغرة لبوسهم » . والمغرة ، بفتح الميم ، طين أحمر يصبغ به .

لئن كان الأمير به افتقارٌ الى الشعراء في كرَم النِصابِ
لقد أودت به الأيام حتى لقد رام العُراق من الكلاب

فقلتُ : من هذا ؟ قالوا : هذا أبو بكر اللُبّادي الشاعر . فرفعته ثم سألته (٨٧ أ) عن قصيدته في أحمد بن الحسن المادرائي وخبره معه . فقال لي : قصدته ، فوجدته سائراً نحو قزوين ، فوقفت له على طريقه خلف حجر ، بهذا الزي الذي تراه عليّ . فلما أن دنا مني خرجت اليه . فقلت : « كما ترى صيَّرني » . فقال : ماذا ؟ فقلت :

. . . . قطعي قفار الدّمن[١٠]
أقطعها طوراً وطو راً بالسُرى تقطعني
أسري على سبّاقة في سيرها لم تخن
لا تعرف الذلّ ولا قيدت بثني الرَسن
أسعى بها معتسفاً اليك يا ابن الحسن
مُستعدياً فأعدِني على صروف الزمن
فقد ، وربّ الرُكن أوهى لي مشيي ركني
كم جرعة جرّعني وغصةٍ غصّصني
كأنما يطلبني في مرّه بالاحن
فالحمد لله الذي أدال من دهري الدّني
يا ذا الذي منه ثما رَ الجود يجني المجتني
جودك من أعلى الذرى يدعو بصوتٍ مُعلن
(٨٧ ب) حيّ على ابن الحسن
حيّ على البدر السني

(١٠) البيت ناقص في المخطوط على ما ترى وكأن قوله «كما ترى صيرني» شطر البيت .

حـي عـلى من جـوده كصـوب مـاء المـزن
فجئـت أسـعى والـذي مـن عرشـه وفقني
لحـب آل المصطفـى وحبهـم أنقـذني
دونكهـا قوافيـا . أجلت فيهـا فطنـي
لبسـكهـا أحسـن من لبس نسيج عـدني[١١]

قال : فأمر لي بعشـرة آلاف درهم ، وحملني على دابة بسـرجه ولجامه . قال أبو علي : فوقعت الى المستخرج باعطائـه براءة[١٢] بمـا قسط عليه ، فأخذ البراءة[١٢] وشكرني وانصرف .

ومدح اللبادي أبا القاسم يوسف بن ديوداذ[١٣] بن أبي الساج[١٤] ، فصار الى داره . فلما دخل الدهليز ، قال له الحاجب ، وأنكر زيه ولباده : أي شيء أنت ؟ قال : شاعر ، وقد مدحت الأمير . فقال لبعض من بين يديه : زبطره[١٥] ! فزبطره ، وانصرف ، وكتب الى أبي بكر محمد

---

(١١) اشتهرت مدينة عدن بهذا النسيج ، كما اشتهرت بالعمائم العدنيـة والنعال العدنية . وقد أشار بعض الكتاب الى النسيج العـدني : (الفهرست ص ١٩٨ ، الوفيـات ١ : ٦٢٧ ، تاريخ الطبـري ١ : ١٢٠٤) .

(١٢) المخطوط : براه .

(١٣) المخطوط : دىوداد . والقراءة أعلاه عن تجارب الامم (٥ : ١٧٢ طبعة آمدروز) .

(١٤) من الامراء القـواد في أيام المقتـدر العباسي قتـل سنة ٣١٥ هـ (٩٢٧ م) . (تجارب الأمم ٥ : ١٧٢ ـ ١٧٨ ، صلة تاريخ الطبري ص ١٣٠ـ١٣٣ ، المنتظم ٦ : ٢٠٨ـ٢١٠ ، الكامل ٨ : ١٢٤ـ١٢٨) .

(١٥) « زبطره » معناه عندي انه عبث به عبثاً شديداً وأهانه وضربه وما الى ذلك من التحقير والامتهان والاذلال . وهو مشتق من « زبطرة » البلد الذي خرج اليه ملك الروم سنة ٢٢٣ هـ وفعل بأهله الأفاعيل ، على ما هو مذكور في الكامل لابن الأثير (٦ : ٣٣٩) وغيره من كتب الحوادث (الدكتور مصطفى جواد) .

بن أحمد كاتب الأفشين :

مدحت الأمير أبا قاسم ونفسي لجدواه مستنظره

(٨٨ أ) بمدح كوشي رياض الربيع

غلّسه الطلّ إذ باكره

وقالوا : همام جزيل البناء جزيل الأيادي ولما أره

فلما انتهيت الى داره جزيت على مدحه زبطره

فأنكرتُ جائزتي منهمُ وكانت ، لعمر أبي ، منكره

وأمكنت نفسي من الحادثات وأيقنت اني صريع الشره

فبكّ على الشعر والمكرما ت وناد بهنّ من المقبره

فقد أسخن الله عين امرىء يقال له اليوم ما أشعره

فهل ، يا محمد ، من نائل يبُل اللّهاة أو الحنجره[١٦]

فمن يفعل الخير خيراً يَرَه ومن يفعل الشرّ شراً يره

فقال أبو بكر : أي والله وكرامة ! ووجّه اليه توقيعاً بخمسين ديناراً الى الجهبذ[١٧] • فأبى الجهبذ أن يقبض التوقيع اِلا أن يقيم عنده ، فأقام

---

(١٦) في هامش المخطوط ، فيما يحاذي هذا البيت والأبيات الثلاثة التي سبقته ، خمسة أبيات نونية ، شطب ثانيها ، كتبت بما يخالف خط المخطوط ، والاربعة الباقية ، هي :

وقد أبى لي معدني بأن لا أكون مع دني

والعرق من يدي دني يأنف منه ديدني

ولست ممن غره في الناس خضر الدمن

أموت ظمآنا ولا أشرب ماء الحقن

وكأن هذه الابيات من جملة القصيدة النونية التي أوردها الشابشتي للبادي قبيل هذا •

(١٧) الجهبذ ، بفتح الجيم أو بكسرها : هو الذي يفحص قطع النقود ليفصل الصالحة من الرديئة • فهو الممتحن النقاد الصيرفي •

عنده ودفع اليه الخمسين ديناراً[18] وخمسة من عنده ، ثم أوصله أبو[19] بكر الى أبي القاسم يوسف ، وحدثه حديثه . فضحك منه وسمع شعره ، وأعطاه وحمله وكساه[20] .

(١٨) المخطوط : دينار .
(١٩) المخطوط : « الى » . وسياق المعنى يقتضي ما أثبتنا .
(٢٠) في سائر المراجع ، فوائد عن « دير أحويشا » رأينا تلخيصها في الذيل (١٦) .

دير فيق

(٨٨ ب) وهذا الدير في ظهر عقبة فِيق فيما بينها وبين بحـيرة طبرية ، في جبن يتصل بالعقبة ، منقور في الحجر • وهو عامر بمن فيـه ومن يطرقه من النصارى لجلالة قدره عندهم ، وغيرهم يقصده للتنـزه والشرب فيه • والنصارى يزعمون انه أول دير عمل للنصرانية ، وان المسيح صلى الله عليه ، كان يأوى اليه ، ومنه دعا الحواريين • وفيه حجر ذكـروا ان المسيح كان يجلس عليه • فكل من دخل الموضع كسر قطعة من ذلك الحجر تبرّكاً به • وعُمل هذا الدير في الموضع على اسم المسيح عليـه السلام •

ولأبي نواس ، يذكره :

بحجّك قاصداً ماسرجسان فدير النوبهار فـدير فيـقِ

وهي قصيدة طريفة[١] ، يخاطب فيها غـلاماً [٢] نصرانياً كان يهـواه • أولها [٣] :

(١) ما أشبه هذه القصيدة ، بالقصيدة المزدوجة الشهيرة ، التي قالهـا مدرك بن علي الشيباني ، في غلام نصراني يقال له عمرو ابن يوحنا • وقد أوردها ياقوت في معجم الادبـاء (٧ : ١٥٣ ــ ١٥٨) ونقلهـا أيضاً داود الانطاكي في « تزيين الاسواق » (٢ : ٨ ــ ١٣ بولاق ١٢٩١ هـ) مخلوطة بتخميس الحلي • وفيها كثـير من ألفـاظ دين النصرانية والديارات • ولابي نواس قصيدة أخرى سينية حـوت ألفاظاً نصرانية ، لم نجدها في ديوانه المطبوع ، بل قـرأناها في مقامات الهمذاني (ص ١٩١ ــ ١٩٢) •

(٢) اسم هذا الغلام (عبد يشوع) • انظـر : الفكاهة والايتناس فى مجون أبي نواس (القاهرة ١٣١٦ هـ • ص ٨٠) •

(٣) لا أثر لهذه القصيدة في طبعات (ديوان أبي نواس) • وقد وقفنـا عليها فى الفكاهة والايتناس (ص ٨٠ ــ ٨١) على ان القصيدة في الفكاهة تبلغ ٢٤ بيتاً ، وهي هنا في الشابشتي ١٧ بيتاً • ولم نجد

بمعمودية[٤] الدير العتيق — بمطرنيّها [٥] بالجاثليق
بشمعون بيوحنا بعيسى — بما سرجيس بالقس الشفيق
بميلاد المسيح بيوم دنح — بباعُوثا [٦] بتأدية الحقوق
بأشموني وسبع[٧] قدّمتهم — ومن حادوا جميعاً عن طريق
(٨٩ أ) بمارت[٨] مَريَم وبيوم فصح — وبالقربان والخمر العتيق
وبالصُّلبان ترفعها رماحٌ — تلألأ حين تُومض بالبروق
بحجك قاصداً ما سرجسان — بدير النوبهار[٩] فدير فيق

من هذه السبعة عشر بيتاً في الفكاهة الا اثني عشر بيتاً • كما ان في الفكاهة اثني عشر بيتاً لم ترد في الشابشتي • هذا الى تفاوت في ترتيب الأبيات بين المرجعين ، والى اختلاف في الألفاظ •

وفي معجم البلدان ، بيتان من هذه القصيدة : السابع وبيت آخر لم يرد في الفكاهة ولا في الديارات ، وهو :

وبالمطران اذ يتلو زبوراً — يعظمه ويبكي بالشهيق

وفي المسالك (ص٣٣٧) ، ستة أبيات منها ، وهي ١ ، ٧ ، ١٣–١٦ •

(٤) كتب في الهامش بخط ضعيف : « من هذه القصيدة أخذ مدرك ما أخذه وخاطب به معشوقه عمراً » •

(٥) المسالك : بمرطبليطها • وهذه اللفظة تحريف مطروبوليط ، أي متروپوليت Metropolitan من ألقاب رجال الدين النصارى ، ومنها اختصر لقب المطران •

(٦) الباعوث لفظة سريانية معناها الابتهال والتضرع • وهي تعني في وقتنا هذا صوماً يسميه نصارى العراق باعوت نينوى ، وهو ثلاثة أيام تتقدم الصوم الاربعيني بثلاثة أسابيع •

(٧) يريد أشموني وأولادها السبعة الذين قتلوا ، على ما سيجيء في الذيل (٨) •

(٨) مارت لفظة سريانية معناها السيدة •

(٩) معجم البلدان : النوبهان • وأخبار هذا الدير غير معروفة لدينا •

بهيكل بيعة الله المقدّى — وقُسانٍ (١٠) أتوه من سحيق

وبالناقوس في البيَع اللواتي — تقام بها الصلاةُ لدى الشروق

بمريم بالمسيح وكل حبرٍ — حواريّ على دينٍ وثيق

برهبان الصوامع في ذُراها — أقاموا ثم في جُهدٍ وضيق

بانجيل الشعانين المقدّى — وشمعلة(١١) النصارى في الطريق

وبالصُّلُبِ العظيمة حين تبدو — وبالزنّار في الخصر الدقيق

وبالحسن المركّب فيك إلاّ — رحمت تحرُّقي وجفوف ريقي

أما والقرب من بعد التنائي(١٢) — يمين فتىً لقائله(١٣) عشيق

لقد أصبحت زينة كل دير — وعيداً مع جفائك والعقوق

وأذّن عاشقوك الى النصارى — من الاسلام طُرّاً بالمروق(١٤)

---

(١٠) القسان جمع قس · والقس لفظة سريانية معناها الشيخ والمراد به خادم الكهنوت عند النصارى أي خادم دينهم وامامهم في امور عبادتهم · وتأتي على وزن فعيل (بصيغة المبالغة) ومنها القسيس في العربية ·

(١١) الشمعلة : قراءة النصارى في أعيادهم · وقد وردت هذه اللفظة في الشعر والنثر · انظر : تاريخ الطبري (٣ : ١٣٩١) ، معجم الادباء (٧ : ١٥٦) ، معجم البلدان (٢ : ٥٢٦ و ٦٧٩) ، ديوان امية بن أبي الصلت (ص ١٩ طبع ليبسك) ·

(١٢) المخطوط : التناى ·

(١٣) لعل الأصل : لقاتله ·

(١٤) في الفكاهة والايتناس اثنا عشر بيتاً آخر من القصيدة لم يوردها الشابشتي ·

دير الطور

والطُّور ، جبل مستدير مستطيل ، واسع الأسفل مستدق الأعلى ، (٨٩ ب) لا يتعلق به شيء من الجبال ، وليس اليه الا طريق واحد • وهو فيما بين طبرية واللَّجون ، مشرف على الغور ومرج اللجون والدير في نفس القُلة ، وعين تنبع بها ، وحوله كروم تُعصر ، فالشراب عندهم كثير •

ويعرف أيضاً بدير التجلّي ، لأن المسيح ، صلى الله عليه ، على زعمهم تجلّى لتلامذته بعد أن رُفع ، حتى أراهم نفسه وعرفوه• والناس يقصدونه من كل موضع فيقيمون به ويشربون فيه • فموقعه حسن ، وهو من المواضع الطيبة •

ولمهَلهل[١] بن يَموت بن المزرَّع ، فيه[٢] :

نهضت الى الطور في فِتيةٍ سراع النهوض الى ما أُحبْ

كهمّك من فتيةٍ أنفقوا تلادهم في سبيل الطرَبْ

كرام الجدود ، حسان الوجوه كهول العقول ، شباب اللَّعِب

فأيُّ زمانٍ بهم لم يُسَرّ وأيّ مكانٍ بهم لم يطب

أنختُ الركابَ على ديره وقضّيتُ من حقّه ما يجب

وأنزلتُهم وسط أعنابه أُسقّيهم من عصير العنب

وأحضرتهم قمراً مشرقاً تميل الغصونُ به في الكُثُب

---

(١) مر ذكر أبيه يموت بن المزرع في أوائل الكلام على «دير العذارى»• أما مهلهل فهو أحد شعراء المئة الرابعة • قال المسعودي (المروج ٨ : ٣٧) : « هو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة » (٩٤٣ م) • وسائر أخبار مهلهل ، في: تاريخ بغداد للخطيب (١٣ : ٢٧٣ ـ ٢٧٤) ، معجم الأدباء (٧ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦) ، الوفيات (٢ : ٥١٣ ـ ٥١٤) •

(٢) المسالك (ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨) ، معجم البلدان (٢ : ٦٧٥) •

نحثُ الكؤوس بأهزاجه ومزموم[٣] أرماله بالعَجب

(٩٠ أ) وما بين ذاك حديثٌ يروق وخوضٌ لهم في فنون الأدب

فما شئتَ من مثل سائر ومن خبر نادرٍ منتخَب

فَيا طيب ذا العيش لو لم يزُل ويا حُسنَ ذا السَّعدِ لو لم يغب

وكان مهلهل ، من المطبوعين في الشعر ، والمنهمكين في الخلاعة واللعب والتطرح في مواطن اللهو والطرب ، ملازماً للحانات والديارات • ونحن نورد من شعره ما يليق بكتابنا هذا •

فمن مليح شعره في وصف الرياض والحث على الشرب ، قوله[٤] :

لِجنُون الهوى وهبت جَناني فدعاني ، يا أيها العاذلانِ

طربي زائد ففي حرّ من قد لامَني في خلاعةٍ أو نهاني

قد أبانت لي الرياضُ من الزهر غريب الصنوف والألوان

وبَدا النرجسُ المفتَّح يَرنو من جفون الكافور بالزعفران

كعيونٍ قد حدَّقت باهتاتٍ ناظراتٍ الى وجوهٍ حسان

يثنى زبرجد القضبِ[٥] منه طرباً للُّجَين والعقيان

وقف الطلُّ في المحاجر منها ثم ماسَت فانهلّ مثل الجمان

يا غلام اسقني فقد ضحك الوقت وقد تمّ طيبُ هذا الزمان

(٩٠ ب)

أدنِ منيالدنان، صُفّ[٦] الأباريق ، استحث الكؤوس ، صُفّ القناني

---

(٣) المسالك : ومرسوم •

(٤) المسالك (ص ٣٣٨) •

(٥) المخطوط : زبرجد والقضب • والتصحيح اعلاه للاستاذ عبود الشالجي •

(٦) المسالك : صب •

بادِرِ الوقت واغتنم فُرص العيش ولا تكذبنّ فالعمر فاني

ومن مليح شعره في هذا المعنى، قوله[7] :

زمانُ الرياض زمانٌ أنيق ... وعيش الخلاعةِ عيشٌ رقيقُ

وقد جمع الوقت حاليهما ... فمن ذا يُفيق ومن يستفيق

أيا مَن هو السُّؤل لي والمنى ... ومَن هو بالحبّ مني حقيق

أدرْ لَحظ عينك أمرجه[8] في ... مروج الرياض فكلٌّ يروق

فَقاعٌ[9] نثير وماءٌ نمير ... وروضٌ نضيرٌ[10] وزهرٌ أنيق

له نُسخٌ حرّرت فاستنارت ... فخطٌّ جليلٌ ومعنىً دقيق

يضاحك وجهك وجهٌ عشيق ... ويلقى مشمك مسكٌ فتيق

إذا ضاحك الزهرَ زهرُ الرياض ... فكيف الخلاص وأين الطريق

بهارٌ بهرتَ به غيره[11] ... على نرجس وشقيق شفيق

فذا عاشقٌ وجلٌ خائفٌ ... وذا خَجلٌ وكذاك العشيق

تروقك منه عيون تروق ... بألحاظها وخدود تشوق

مَداهنُ يحملن طل النّدى ... فهاتيك تبرٌ وهذي عقيق

(٩١أ) تضمّنُ أوراقُها درّه ... وينشر منه الذي لا يُطيق

يميل النسيم بأغصانها ... فبعضٌ نشاوى وبعض مفيق

فبادر بنا حادثاتِ الزمان ... فوجه الحوادث وجهٌ صفيق

---

(٧) الأبيات ١ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ وردت في المسالك (ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩) وهي هناك مسكنة القاف في آخر كل بيت .

(٨) أي سرحه في هذه المروج .

(٩) المخطوط : بقاع . ولفظة « القاع » أقرب الى المراد .

(١٠) المخطوط : نطير .

(١١) المسالك : بهار بهير به غيرة . ولعله الصحيح .

ومن مليح شعره ، قوله :

أعد شربك الكأس فيما تعيد وساعد فقد شملتنا السعودُ
وحثّ الصبوح لضوء الصباح فان الحوادث عنا رقود
أما نشكر الفعل من يومنا ونبهى بما نحن فيه خلود
سماءٌ تجود وروض نضيد وزهر جديدٌ وغصن يَميد
ونَدٌ يفوح وراح تُريح وساقٍ[12] مليحٌ وناي وعود
وصوت يشوق وزمر رفيق وعيش أنيق وجدٌ سعيد
أدام الإله لنا عَيشنا ولا نال منّا مُناه الحسود

وقال في هذا المعنى ، وتُغنّي فيه[13] :

قد قُدمت للسرور أثقال[14] وحثّ شهرَ الصيام شوالُ
وأقبل الغيم لابساً حُللاً مسكية ما لهنّ أذيال
ودبّج[15] الأرضَ روضُها فغدا
يُنشر فيها والأرض تختال
(٩١ ب) واهتز عودٌ وحنّ من طربٍ
نايٌ وعبّت بالراح أرطال
و بُعد الخوف من محاذَرةٍ وقربت للقلوبِ آمال
أيامنا في الحياة عارية تحثها للفَناء آجال
فاغتنموا فرصة الزمان ولا تُفرّطوا فالزمان مغتال

---

(١٢) بمعنى ساقي الخمر ·
(١٣) المسالك (ص ٣٣٩) ·
(١٤) المخطوط : انهال ·
(١٥) المخطوط : ودبج·

ومما ملح فيه ، قوله :

زمـــن كالشــباب أو كالتراضي بعـد طول الصـدود والاعراض
ألقحَ الغيث كل أرض فأضحت في ولاد وبعضهــا في مخـاض
يا غـلام اسقني فقـــد ضـحك العيش الينـــا وهش بعـــد انقبـــاض
وأرى لؤلؤ الحَبــاب يبــاري لؤلؤ الطلّ فوق زهـــر الرياض

وقال أيضا :

استودع الله من لم يُرزِ عن نظري لمـا مضى خاطراً والردف يجذبه
يحكيه من حركات الغصن أشكلها ومن نسيم ذكي المسـك أطيبـه

وقال أيضاً :

وبديع يكلّ عـــن وصفه العقـ ـل لافراط حيرة الأبصار
فهو كالخاطر الذي دقّ معنا ه فأضحى يجول في الأفـكار

(٩٢ أ) وقال أيضاً :

كأن أجفانه من جسـم عاشقـه قد ركبت فهي في الأسقام تحكيه
في صدغه عقربٌ للجسـم لادعة د رياق(١٦) لدغتها في الريق من فيه

وقال في غلام نصراني يحبه :

شدّ زنّاره عـلى دقـة الخصـ ـر وشـدّ القلوب في الزنّار
وأســال الأصداغ فوق عذار أنــا من عشقه خليع العـــذار
وبدت منـــه طرة تذكر النا ظر ليـلاً يلوح فوق نهـــار

وهو أبو نضلة مهلهل بن يموت بن المزرّع بن يموت بن موسى بن حكيم بن جبلـة العبدي • وحكيم هو الشهيد بالبصرة الذي منع عائشـة

---

(١٦) الدرياق لفظ معرب معناه قامع السموم •

وطلحة والزبير الدخول اليها وحاربهم حتى قتل . وكان من خبره[17] ومقتله ، انه لما تمكن طلحة والزبير من البصرة ، وقتلوا حرس بيت المال وهم سبعون رجلاً من غير ذنب ولا سبب ، وأخذوا عثمان بن حنيف الأنصاري ، عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، ونتفوا لحيته وأرادوا قتله ، قام حكيم[18] في قومه خطيباً فقال لهم : يا قوم ، ان ابن حنيف دمٌ مصون (**٩٢** ب) وأمانة مؤداة . والله لو لم يكن علينا أميراً لمنعناه لحق الجوار ومكانه من رسول الله صلى الله[19] عليه . فكيف وله الحق والولاية . الا ان الحي ميت والميت مسؤول ، فاما أن تموتوا كراماً وإما أن تعيشوا أحراراً . فأجابوه الى ما دعاهم [اليه] وقال في ذلك أبو أُمية الأصمّ ، وكان فارس القوم :

معاشرَ عبدالقيس موتوا على التي ... تَسرّ علياً واحذروا سبة الغدر
ولا ترهبوا في الله لومة لائم ... وموتوا كراماً فهو أشرف للذكر

وغدا حكيم في ثلاثمائة[20] رجل من أصحابه[21] الى العدو وهو
[22] عائشة . فخرج طلحة والزبير ، وحملا عائشة على الجمل ، وذلك اليوم يسمى يوم الجمل الأصغر . فقاتل حكيم قتالاً شديداً ، وجعل يقول : إنما تريدان أن تصيبا من الدنيا حظاً ، اللهم اقتلهما بمن قَتلا ، ولا تعطهما ما سألا ، ولا تبلغهما ما أمّلا ، ولا تغفر لهما أبداً .

---

(١٧) تاريخ الطبري ، الكامل لابن الأثير (حوادث سنة ٣٦ في كليهما) ، الوفيات (٢ : ٥١٤ ـ ٥١٥) .

(١٨) ذكر ابن خلكان (الوفيات ٢ : ٥١٤) ان حكيماً هذا ، كان على شرطة البصرة .

(١٩) قوله « صلى الله » كتب مرتين في المخطوط .

(٢٠) الوفيات : سبعمائة .

(٢١) كتب فوق هذه اللفظة : قومه .

(٢٢) كلمة لا تقرأ . ولعلها : جمع .

وحمل عليهما وهم في اثني عشر ألف [ألفاً] وهو في ثلاثمائة ، فهزمهم حتى أدخلهم سكة ، وشد رجل من الأزد على حكيم وهو غافل ، فضربه على ساقه فقطع رجله . فأخذ حكيم رجله[23] فضرب بها الأزدي فصرعه (٩٣ أ) ، ثم جاء فقتله ، وأنشأ يقول :

يا نفسُ لا تراعي إنّ معي ذراعي

إن قُطعت كراعي

وقتل هو وثلاثة اخوة له ، وأخرجوا ربيعة من البصرة وأجلوهم عنها .

ومن شعر يموت بن المزرع في ابنه مهلهل :

مهلهل سبقني[24] صغرك وأسبل أدمعي[25] عسرك

لدى أكناف شامهم أموت فيمحى أثرك

ولو سومحتُ في عمري لجلّ لديهم خطرك

فوا أسفي على لُمةٍ يطول اليهم سفرك

وان اهلك فان الله دون الخلق لي وزرك

وشعره وشعر ابنه مهلهل[26] كثير في سائر فنون الشعر . وانما ذكرنا ما احتمله الكتاب واقتضاه الشرط .

---

(٢٣) قوله « فأخذ حكيم رجله » كتب مرتين في المخطوط .

(٢٤) لعل الأصل « شفني » أي هزلني وأضناني (الدكتور مصطفى جواد) .

(٢٥) المخطوط : دمعي . والتصحيح اعلاه للاستاذ عبود الشالجي .

(٢٦) نشر لمهلهل كتاب « سرقات ابي نواس » (القاهرة ١٩٥٧) .

دير البخت

وهذا الدير بدمشق ، على فرسخين منها • وهو دير كبير حسن ، وكان يسمى دير ميخائيل ، فسمي بهذا الاسم ، لبُخت[1] كانت لعبدالملك بن مروان مقيمة هناك ، فعُرف بها •

وكان لعلي بن عبدالله بن عباس (٩٣ ب) بذلك الموضع جنينة مقدارها أربعة أجربة[2] • فكان يخرج اليها ويتنزه فيها أيام مقامه بدمشق •

فذكر علي بن محمد بن أبي سيف المدائني[3] ، عن رجاله ، قال : اشترى عبدالله بن عباس بالمدينة أَمَة صفراء بربرية ، فولدت في منزل عبدالله غلاماً ، فسماه سَليطاً[4] ، ونشأ في منزله ، فخرج جلداً ظريفاً • ثم شخص مع علي بن عبدالله الى الشام ، فلم يزل في خدمته حتى مات عبدالملك[5] ، وَوَلي الوليد ابنه ، فأظهر التحامل على علي بن عبدالله ، وعيّبه بحضرة الناس ، وسعى قوم من حَسدة علي وأهل البغي ، فأفسدوا

---

(١) البخت : الابل الخراسانية •

(٢) الأجربة ، واحدها الجريب (وزان رغيف) وهو من الارض ثلاثة آلاف وستمائة ذراع (التاج) •

(٣) اخباري محدث مشهور • عالم بأيام الناس ، وأخبار العرب وأنسابهم ، والفتوح والمغازي ورواية الشعر • صنف كثيراً من الكتب أحصى منها ابن النديم مائتين وأربعين كتابا • مات سنة ٢٢٥ وقيل ٢٢٤ هـ (٨٣٩ م) وأخباره في : الفهرست لابن النديم (ص ١٠٠ — ١٠٤) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٢ : ٥٤ — ٥٥) ، الانساب للسمعاني (ظهر الورقة ٥١٥) ، معجم الادباء (٥ : ٣٠٩—٣١٨) •

(٤) قصة قتل سليط ودفنه ، في الكامل لابن الاثير (٥ : ١٩٢ — ١٩٣ حوادث سنة ١٢٤ هـ) •

(٥) مات سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) •

سليطاً وزينوا له ادعـاء ولادة عبدالله بن عباس ، وقالوا : أنت شبيهه في جمالك وهيئتك . فادعى سليط انه ابن عبدالله بن عباس وخاصم علياً الى الوليد . فأمر الوليد برفعهما الى قاضي دمشق، فأحضر سليط[٦] قوماً شهدوا له على نسبه ، وانهى ذلك الى الوليد ، فألحقه بعبدالله بن عباس ، فخاصم علياً في الميراث وطالت منازعته إياه حتى قاربه علي وصيره في عياله . فكان يقوم لعلي بحوائجه وأموره . فخرج علي يوماً الى جنينته بدير البخت ، وكان له فيها (٩٤ أ) قوم يعملون ، منهم أبو الدن ، من ولد أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه ، فوقعت بينهم وبين سليط مشاجرة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، بعد أن انصرف علي بن عبدالله الى دمشق واحتفروا له حفيرة بالجنينة فواروه فيها . فاحتبس سليط على أمه ، فاسترابت ، فخرجت في طلبه فخُبِّرت انه دخل الجنينة ولم يخرج منها . فأتت باب الوليد صارخة ، فقال : من تتهمين ؟ قالت علي بن عبدالله . فقال : أحضريني من يشهد على دخوله معه الجنينة . فأحضرت شهوداً على ذلك ، فأرسل اليه الوليد الى الجنينة[٧] ينظرون هل يرون شيئاً أو أثراً . فأثاروا منها عدة مواضع ، فلم يروا شيئاً . فقال لهم أكار[٨] كان في الجنينة : أمخروا عليها الماء حتى يتبين لكم . فمخروها فانخسف الموضع ، فأثاروه ، فاستخرجوا سليطاً . فبعث الوليد الى علي فعنفه وأغلظ له ، وقال : والله ، لئـن صح عندي انك قتلته لأقتلنّك به ! فحلف انه ما قتله ولا أمر بقتله . فحبسه الوليد ، وكتب الى أمراء الأمصار وفقهائهم بقصته وما أُتهم به وما شهد عليه . فكتب اليه عمر بن عبدالعزيز من المـدينة : بأن يُضـرب ويُلبس جبـة صوف (٩٤ ب) ويطاف به . فدعا الوليد بعلي بن عبدالله ، فضربه أحداً وستين

---

(٦) المخطوط : سليطاً . والصواب ما أثبتنا .
(٧) هنا كلمة ساقطة ، ربما كانت « أعواناً » . (كاظم الدجيلي) .
(٨) الأكار : الحراث . والفعل : أكر .

سوطاً ، ويقال مائة ، ثم أطافه ، وأقامه في الشمس ، وألبسه جبة شعر ، وصب على رأسه ماء فبلغ ذلك عباد بن زياد ، وكان صديقاً لعلي بن عبدالله ، وكان أثيراً عند الوليد . فجاء ، فألقى ثيابه على علي ، ودخل اليه فكلمه فيه وقال : يا أمير المؤمنين ، علي يُتهم بالقتل ؟ علي أتقى لله وأفضل من أن يقتل أحداً ! فأمر به الوليد ، فسُيِّر الى دَهلك[9] . فلما أُخرج عن دمشق ، تكلم فيه سليمان بن عبدالملك وقال : يا أمير المؤمنين ، ردّه واحتبسه ! فبعث رسولاً ، فحبسه حيث أدركه . وكان أُدرك بالفرعاء ، فحبس هناك في قرية منها حتى مات الوليد وولي سليمان ، فرده . فنزل الحُميمة[10] بالشراة من البلقاء ، وباع علي بستانه بدير البخت من فاطمة بنت عبدالملك .

قال : وكان عبدالملك عند وفاته ، وصى الوليد بثلاثة نفر : قال له : علي بن عبدالله في نسبه وقرابته وانقطاعه إلينا : أكرمه واعرف حقه . وأخوك عبدالله : أقرّه على مصر ولا تعزله عنها . وعمك محمد بن مروان : أقره على الجزيرة واعرف له موضعه . فأول ما بدأ بأخيه : عزله عن مصر (٩٥ أ) بقُرّة بن شريك . وعزل عمه عن الجزيرة . وضرب علياً بالسوط مرتين !

وكانت بنو العباس لما وَلوا الأمر ، وجدوا في خزائن بني مروان كتاباً من سليمان بن عبدالملك الى الوليد ، يسأله في علي بن عبدالله ويعرّفه حقه ، فكان هذا الكتاب سبباً لترك سليمان في قبره بدابق[11] ، ولم ينبشوا عنه

---

(٩) بلدة ضيقة حرجة حارة . كان بنو أمية اذا سخطوا على واحد نفوه اليها (معجم البلدان ٢ : ٦٣٤) .

(١٠) الحميمة : بلد من أرض الشراة ، من أعمال عمان (معجم البلدان ٢ : ٣٤٢) .

(١١) دابق : قرية بينها وبين حلب أربعة فراسخ (معجم البلدان ٢ : ٥١٣) .

كما نبشوا عن اخوته وبني حرب .

وكان أبو مسلم ، صاحب دعوتهم ، يدّعي انه من ولد سليط بن عبدالله بن عباس ! فكان مما قرّعه به أبو جعفر(١٢) : وادعيتَ انك ابن سليط ابن عبدالله ابن عباس ـ فكان هذا أول ما بدأ به من خطابه ، ثم تعريفه إياه بذنوبه ـ فكتبتَ الى أبي العباس تقول : إن ابراهيم الامام أقرّ بما استودعه إياه محمد بن علي من نسبك وولادة عبدالله ابن عباس إياك ، وانك عبدالرحمن بن سليط بن عبدالله بن عباس ، وانه وعدك اذا تمم الله هذه الدعوة وقتل الكفرة من بني أمية ، أن يزوجك أم علي بنت علي بن عبدالله . فما كنت قائلاً لرسول الله ، صلى الله عليه ، وأنت المجهول النسب : علج من علوج اصبهان . قال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني بهذا أخوك ابراهيم بن محمد . وكان هذا القول جرى بينهما (٩٥ ب) في خطاب طويل قبل قتله إياه .

---

(١٢) قال ابن خلكان (الوفيات ١ : ٤٠٠) ان أبا جعفر المنصور ، عاتب أبا مسلم الخراساني فيما عاتبه : « ... ألست الكاتب الي ، تبدأ بنفسك قبلي ؟ ألست الكاتب تخطب عمتي آسية ؟ وتزعم انك ابن سليط بن عبدالله بن العباس ؟ لقد ارتقيت ، لا أم لك ، مرتقى صعباً ... » .

دير زكى[1]

وهذا الدير بالرَقّة[2] على الفرات . وعن جنبيه نهر البَليخ[3] .
وهو من أحسن الديارات موقعاً وأنزهها موضعاً ، وكانت الملوك اذا اجتازت
به نزلته وأقامت فيه ، لأنه يجتمع فيه كل ما يريدونه من عمارته ونفاسة
أبنيته وطيب المواضع التي به . ونزَهه ظاهرة ، لأن له بقايا عجيبة .
وبناحيته من الغزلان والأرانب وما شاكل ذلك مما يُصطاد بالجارح من
طير الماء والحُبارى وأصناف الطير . وفي الفرات ، بين يديه ، مطارح
الشباك للسمك . فهو جامع لكل ما تريده الملوك والسوقة . وليس يخلو
من المتطربين لطيبه ، سيما أيام الربيع : فان له في ذلك الوقت منظراً
عجيباً .

والصنَوبري[4] ، فيه[5] :

---

(١) يكتبه بعضهم « زكى » بدون تنقيط الياء ، أو « زكا » بتشديد الكاف في الحالين وكل ذلك مقبول . واللفظة سريانية بمعنى « عفيف ، بار ، طاهر » . وقد وهم الزبيدي (التاج ٣ : ٢٢١) في ضبط هذا الاسم ، بقوله « دير زكي : كعلي ، بالرها » ، فليصحح .

(٢) المخطوط : الرقة ، بكسر الراء . والصواب بفتحها على ما هو مشهور في سائر المراجع . وعن أخبار هذا الدير ، راجع **الذيل ١٧** .

(٣) نهر اوله من أرض حران ، ومصبه في الفرات أسفل من الرقة (تقويم البلدان لابي الفداء . ص ٥٢) .

(٤) هو أحمد بن محمد المعروف بالصنوبري الحلبي ، المتوفى سنة ٣٣٤هـ ٩٤٥ م) . كان شاعراً محسناً يألف الرياض والحدائق ، ويميل الى الغناء والمداعبة ومعاشرة أهل الأدب . فأكسبه ذلك ظرفاً ورقة . وقد كان أحد شعراء سيف الدولة الحمداني ، بل كان من خزنة كتبه . جمع محمد راغب الطباخ ، ما عثر عليه من شعر الصنوبري ، وطبعه بعنوان « الروضيات » (حلب ١٩٣٢ ، ٨٠ ص) وفي صدره ترجمة للصنوبري . غير ان الناشر الفاضل ، لم تكن بيده مخطوطة « الديارات » للشابشتي . ففاته ايراد بعض ما انفردت به من شعر

أراق سجاله بالرقتين[٦] جنوبي صخوب الجانبين
وأهدى للرصيف رصيف مزن يعاوده طرير الطرتين
معاهد بل مآلف باقيات بأكرم معهدين ومألفين
(٩٦أ) يضاحكها الفرات بكل فج فيضحك عن نضار أو لجين
كأن الأرض من صفر وحمر عروس تجتلى في حلتين
كأن[٧] عناق نهري[٨] دير زكى اذا اعتنقا عناق متيمين
وقت ذاك البليخ يد الليالي وذاك النيل من متجاورين
أقاما كالسوارين ، استدارا على كنفيه أو كالدملجين
أيا متنزهي في دير زكى ألم تك نزهتي بك نزهتين
أردد بين ورد نداك طرفاً يردد بين ورد الوجنتين
ومبتسم كنظمي أقحوان جلاه الطل بين شقيقتين
ويا سفن الفرات بحيث تهوي هوي الطير بين الجانبين[٩]
تطارد مقبلات مدبرات على عجل تطارد عسكرين
ترانا واصليك كما عهدنا وصالا لا ننغصه ببين

الصنوبري • وانظر ترجمة الصنوبري في مجلة « الكتاب » (٩ [١٩٥٠] ص ٧٨٢ ــ ٧٨٧ ؛ ١٠ [١٩٥١] ص ٣٠٣ ــ ٣٠٦) وهي لسامي الكيالي • وانظر ايضاً : الاعلام للزركلي ١ : ١٩٨ــ١٩٩ من الطبعة الثانية •

(٥) معجم البلدان (٢ : ٦٦٤ ــ ٦٦٥) والمسالك (ص ٢٦٧) والروضيات (ص ٢٨ ــ ٢٩) •

(٦) يريد بالرقتين : الرقة والرافقة • من باب التغليب • وهما بلدان على الفرات •

(٧) هذا البيت والذي يليه ، وردا أيضاً في معجم البلدان (٤ : ٨٦٢) •

(٨) المخطوط : نهر • والوجه ما أثبتنا عن معجم البلدان والمسالك •

(٩) معجم البلدان والمسالك : الجلهتين ، الروضيات : الجهلتين • وهذه الأخيرة من أوهام الطبع •

ألا يــا صاحبيَّ خُــذا عِنانَي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ هواي سَـلمتُما من صاحبـين

لقد غصبتني الخمســون فتكــي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وقــامت بــين لذاتي وبينــي

وكان اللهــوُ عندي كابن أُمي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فصـرنا بعـد ذاك لعِلَّتين(١٠)

ومن مليح شعره في وصف الرَّقتين(١١) :

(٩٦ ب) أما الرياضُ فقد بَدت ألوانها

صـــاغت فنـــون حُليهـــا أفنانُهـــا

رقَّت معانيهـا ورقَّ نسـيمها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وبَدَت محاسنها وطاب زمانها

نُظمت قلائد زهرها كجواهرٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ نظمت زمردها الى عقيانهـــا

هذا خُزَاماها وذا قيصومُهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ هذا شقائقها وذا حَوذانها(١٢)

لو ان غدران السحاب تواصلت ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ سحاً اذا لتواصلت غدرانهـــا

تبكي عليها عين كل ســحابةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ما أن تمل من البكا أجفانهـــا

منقادةٌ طوع الجنوب إذا بدت ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فكأنها بيــد الجنوب عنانهـــا

واهاً لرافقةٍ(١٣)الجنوب محلة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ حسنت بها أنهارها وجنانهـــا

يا بلدة ما زال يعظم قدرهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ في كل ناحيـــة ويعظم شأنهـــا

أما الفرات فانه ضحضاحها(١٤) ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أما الهنيُّ(١٥) فانه بستانهـــا

---

(١٠) معجم البلدان : كعلتين .

(١١) لم نجد هذه القصيدة في « الروضيات » . ووقفنا على ثالث أبياتها في « الجماهر في معرفة الجواهر » للبيروني (ص ١٢٣) على اختلاف في الرواية .

(١٢) الخزامى والقيصوم نبتان طيبا الرائحة (النبات والشجر للاصمعي. ص ٢٣ و ٤٢) . والحوذان : مرّ شرحه في احدى حواشي « دير سابر » .

(١٣) الرافقة : بلد متصل البناء بالرقة ، وهما على ضفة الفرات ، وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع بناها المنصور في سنة ١٥٥ هـ (٧٧١ م) . ثم ان الرشيد بنى قصورها (معجم البلدان ٢ : ٧٣٤ ــ ٧٣٥) .

(١٤) الضحضاح : الماء اليسير أو القريب القعر .

(١٥) الهني : نهر بازاء الرقة ، حفره هشام بن عبدالملك (معجم البلدان ٤ : ٩٩٤) .

وكـــأن أيام الصبـا أيامهــا وكأن أزمان الهوى أزمانهـــا
مهما نصد غزلانها يوماً فقــد ظلت[16] تصيد قلوبَنا غزلانُـه
حثّ الكؤوس فان هذا وقتهـا وصل الرياض فان ذا إبّانهـا

وله [17] :

(٩٧ أ) إن الزمان غدا بوجهٍ كالح
مـن بعـد مـا كنـا نـراه طليقـا

أيام أسحب فضلَ أيـام الصبا في ظل عيش لا يزال أنيقـــا
بالرّقة البيضاء إذ ترعى المهـا حقـي ولا أرعى لهـنّ حقوقا
أغدو على اللذات غـير مراقب منعـاً ولا متخـوف تعويقـا
في فتيةٍ خلعوا أعنّتهم فمـا يألون في طرق السداد مروقا
نازعتهم كأساً كأنّ نسيمَهـا مسك[18] تضوع في الاناء فتيقا
شقت قناع[19] الليل لما غادرت كفُّ النديم قناعَها مشـقوقا
صَبغتْ سواد دُجاه حمرةُ لونها فكأنهـا سبجٌ أعيد عقيقـا
ولقد أقول لصاحبيّ ألا صلا لي بالصبوح عـلى الفرات غبوقا
ان الفرات هو الرحيقُ وإنمـا تتعاطيان على الرحيق رحيقـا

وله[20] :

قد أحدق الوردُ بالشـقيق خـلال بستانك الأنيقِ
كأنه حـولهُ وجوهٌ مستشـرفات الى حـريق

---

(١٦) المخطوط : ضلت .
(١٧) الأبيات ٦ ــ ٨ وردت في زهر الآداب (٢ : ١٧٤) وعنه نقلت فى الروضيات (ص ٦٧) .
(١٨) المخطوط : مسكاً . والصواب ما أثبتنا .
(١٩) المخطوط : سقت قناع .
(٢٠) لم نجدها في الروضيات .

فاشرب على ذا الشقيق كأساً   تشربْ عقيقاً على عقيق

وقال أيضاً[٢١] :

(٩٧ ب) أنَّ شوقاً وللمحبِّ أنينُ

حين فاضت على الخدودِ الجفونُ

آه من زفرة يُنشئها الشَّو   ق[٢٢] وداءٌ بين الضلوع دفين

كيف يسلو الشجيُّ أم كيف ينسى الـ   صبُّ أم كيفَ يذهل المحزون

لا تَلمني بالرقتين ودعني   ان قلبي بالرقتين رهين

يا نديمي أَما تحنُّ الى القصف فهذا أوانُ يبدو الحنين

ما ترى جانب المصلَّى وقد أَشرق منه ظهوره والبطون

أُقحوان وسُوسَن وشقيقٌ   وبهارٌ يجنى وآذَريون[٢٣]

أُسرجت في رياضه سُرجُ القطـْ   ر وطابت سهولُه والحزون

إن آذار لم يذرْ تحت بطنِ[٢٤]   الأرض شيئاً أكنَّه كانونُ

وبدا النرجسُ البديع كأَمثا   ل عيونٍ ترنو اليها عيون

ما ترى جانب الهنى وقد أشرق فيه الخيريُّ والنسرين[٢٥]

صاح فيه الهزَار ، ناح به القُمـ   ري مُغنَّى في جوِّه الشفنين[٢٦]

---

(٢١) الأبيات ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٥ ، ١٩ – ٢١ وردت في المسالك (ص ٢٦٧ – ٢٦٨) وعنه في الروضيات (ص ٣٠) .

(٢٢) المخطوط : رفره تسها السوق .

(٢٣) هذه كلها من أزهار الربيع . الأقحوان ويعرف في العراق بالبابونج . والسوسن نبات من الرياحين بري وبستاني الواحدة : سوسنة . والبهار نبت طيب الرائحة . والآذريون زهر أصفر في وسطه خمل أسود وهذه اللفظة فارسية الاصل بمعنى شبه النار . (الالفاظ الفارسية المعربة . ص ٨) .

(٢٤) المسالك : وجه .

(٢٥) الخيري ورد أصفر يعرف أيضاً بالمنثور . والنسرين ورد أبيض عطر .

(٢٦) المخطوط : الشمنين . والشفنين ضرب من الحمام .

فلهــذا قيصــومه وخزامــا ه وذا الورد فيه والياســمين

وكــأن الفرات بينهمــا عيـ ن لجين يعوم فيها السفين

كبطون الحيات أو كظهور المشرفيات أخلصتها القيــون[27]

(٨٩ أ) ما أتى الناس مثل ذا العام عام لا ولا جاء مثل ذا الحين حين

بلد مشرق الأزاهير موع وسحاب جم العزالى هتون[28]

تتلاقى المياه : ماء من المز ن وماء يجري وماء معين

كم غدا نحو دير زكي من قلـ ب صحيح فراح وهو حزين

لو على الدير عجت يوماً لألهتـ ك فنون وأطربتك فنون

لائمي في صبابتي قدك مهلاً لا تلمني ، إن الملام جنون

كم غزال في كفه الورد مبذو ل وفي الخد منه ورد مصون

فاذا ما أجلت طرفي في خد يه جالت في القلب مني الظنون

لا سعيد من ليس يسعده جـد سعيد وطائر ميمون

ولســان مثل الحسام وقلب صادق عزمه ورأي رصين

وقال ايضاً[29] :

من حاكم بين الزمان وبيني مـا زال حتى راضني بالبين

فأمـا وربعي اللذين تأبـدا لا عجت بعدهما على ربعين

ما لي نأيت عن الهني وكنت لا أسطيع أنأى[30] عنه طرفة عين

---

(٢٧) القيون جمع قين ، وهو الحداد ٠

(٢٨) العزالى جمع العزلاء ٠ ويراد بها ها هنا مصب الماء من القربة ونحوها٠ يقال : انزلت السماء عزاليها : اشارة الى شدة وقع المطر ٠ ويقال : هتنت السماء هتوناً اذا تتابع مطرها وأنصب ٠

(٢٩) معجم البلدان (٤ : ٩٩٤) وعنه في الروضيات (ص ٣٣) ٠

(٣٠) المخطوط : انا ٠

(٩٨ب) يادير زكّى كنت أحسن مألفٍ
من الزمان به على إلفين

وبنفسي المرج الذي ابتسمت لنا جنباته عن عسجدٍ ولجين
لو حُمّل الثقلان (٣١) ماحمّلت من شوقٍ لأثقل حمله الثقلين

وقال أيضاً (٣٢) :

والى الرقّتين أطوى قرى البيـ ـد بمطوية القرا مذعان (٣٣)
حبذا الكرخ ، حبذا العمر ، لابل حبذا الدير ، حبذا السّروتان
قد تجلى الربيع في حلل الزهـ ـر وصاغ الحمام حلي الأغاني
ألبستها يد الربيع من الألـ ـوان برداً كالأتحمي (٣٤) اليماني
يا خليليّ هاتما علّلاني عاطياني الصهباء لا تدرأاني
أبعدا الماء ، أبعدا الماء ، قوما ، أدنيا ، أدنيا بنات الدنان
سقّياني من كل (٣٥) لونٍ من الرا ح على كل هذه الألوان
أخضر اللون كالزمرد (٣٦) في أحـ ـمر صافي الأديم كالارجوان
وأقاحٍ كاللؤلؤ الرطبِ قد فصّل بين العقيق بالمرجان
وبهار مثل الدنانير محفو ف بزهر الخيري والحوذان
وكأن النعمان حلّ عليها حللاً من شقائق النعمان

وللرشيد ، يذكر هذا الدير (٣٧) :

---

(٣١) الثقلان : الأنس والجن ٠
(٣٢) معجم البلدان (٤ : ٢٥٦) ، المسالك (ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧) الروضيات (ص ٢٩ ـ ٣٠) ٠
(٣٣) معجم البلدان : مدعان (بضم أوله وتشديد ثانيه) ٠
(٣٤) الأتحمي من البرود هو الأحمر ، وهو نسيج فاخر موشى ، ينسج ببلاد العرب ٠
(٣٥) المسالك : بكل ٠
(٣٦) المسالك : كالزبرجد ٠
(٣٧) الأغاني (١٧ : ٧٧ و ١٩ : ٧٠ ـ ٧١) ، معجم ما استعجم (ص ٢٧٧) ، معجم البلدان (٢ : ٦٦٥) ، المسالك (ص ٢٦٩) ٠

(٩٩أ) سلامٌ على النازح المغترِب تحيةَ صَبٍّ بـه مكتئبْ

غزالٌ مراتعه[38] بالبليخ الى دير زكّى فقصر الخشب

أيا من أعان على نفسه بتخليفه طائعاً من أحب

سأستر ، والستر من شيمتي هَوى من أحب بمن لا أُحب

وكان عند مسيره من الرافقة الى بغداد ، خلّف بها ماردة[39] أم أبي اسحق المعتصم ، فاشتاقها ، فكتب اليها بهذه الأبيات • قال : فلما ورد كتاب الرشيد عليها ، قالت لبعض من يقول الشعر[40] : أجبه ! فقال عن لسانها[41] :

أتاني كتابك يا سيدي وفيه مع الفضل كل العجبْ

أتزعم أنك لي عاشقٌ وأنك بي مُستهامٌ وَصَب

ولو كان هذا كذا ، لم تكن لتتركني نُهزَةً للكُرَب

وأنت ببغداد ترعى بها رياض اللذاذة مع من تحب

[فيا[42] مَن جفاني ولم أجفه ويا مَن شجاني بما في الكتب]

[كتابك قد زادني صبوةً وأسعرَ قلبي بحرّ اللهب]

[فهبني نعم قد كتمت الهوى فكيف بكتمان دمع سرب]

ولولا اتقاؤك يا سيدي لوافتك بي ناجيات النجب

قال : فلما قرأ كتابها ، وجّه من يحدرها من وقتها اليه :

وذكر صالح التركي ، وكان المعتصم في حجره ، قال : عشق الرشيد ماردة (٩٩ ب) عشقاً مبرّحاً ، فقال فيها :

---

(٣٨) المخطوط : مرتعه • والتصحيح أعلاه للاستاذ عبود الشالجي •

(٣٩) هي أم المعتصم ، كان الرشيد يحبها حباً جماً •

(٤٠) في الأغاني : ان الذي عمل لها الشعر : أبو حفص الشطرنجي •

(٤١) الأغاني (١٩ : ٧١) •

(٤٢) الزيادة من الأغاني

واذا نظـــرتَ الى محاسـنهـا فلكلّ موضـــع نظرةٍ نَبـلُ
وتنال منك بحـــدّ ناظرهـــا ما لا ينـال بحـــدّه النَّصلُ
شغلتك وهي لكل ذي بَصـرٍ لاقى محاســـن وجهها شُغل
فلقلبهــا حلـمٌ يُباعـــدُها عن ذي الهوى ولطرفها جَهل
ولوجهها من وجههـا قمـرٌ ولعينهـــا من عينهـــا كُحـل

وللرشيد شعر صالح ، وأبيات مفردات ، كان يتمثل بها . وأكثـــر شعره في جواريه وعشقه لهن . فمن شعره:

ملكتُ من أصبحَ لي مالكـا لكنــــه في ملكــه ظـــالمُ
لو شئت لاستاقتهُ لي قـــدرةٌ ولكنّ حكم الحـــب لي لازم
أحبته من بـين هـــذا الورى وهو بحُـــبي خَبيرٌ عـــالم
قبيـح فعـل حَسَـنٌ وجهـهُ يعـــذر في أمثالـــه اللائـم
أحســن من أبصره مُبصـرٌ لو انه في حســـنه راحـــم

وله :

صيَّـــرني الحـــبُّ الى ما ترى أنحـــلَ جسمي ولقلبي كـــوى
(٤٠١أ) قد كتب الحبُّ على جبهتي: « هذا قتيـــلٌ في سبيل الهوى »

قال : وكان الرشيد قد استخصّ هيـــلانة ، جارية أخيه الهادي . وأحبها حباً شديداً . فخلّفها في بعض أسفاره ببغداد ، ثم اشتاقها ، فقال هذه الأبيات(٤٣) :

أهدى الحبيب مع الجنوب سلامه فاردُد عليه مع الشـمال ســـلاما
واعـــرف بقلبك ما تضمّن قلبهُ وتداولا بهواكما(٤٤) الأيامـــا

---

(٤٣) الأغاني (٥ : ١١) .

(٤٤) المخطوط : وبدا ولا تهوا كما . وهو تصحيف . والوجه ما أثبتنا عن الأغاني .

مهمـا بكيت لـه فأيقـن انـه — ستفيض عيناه الدموع سجاما
فاحبس دموعك رحمة لدموعه — ان كنت[٤٥] تحفظ أوتحوط ذماما

ومن شعره في جواريه الثلاث :

انـي وزّعت حبي طائعـاً — بين شـجو وضياء وخنث
يتنازعن الهوى من ذي هوى — آمنـات عقـدة لا تنتكث
واذا شـجو أتـت زائـرة — كشـفت عني شـجو كل بث

قال : وكان مولد الرشيد بالري ، أول سنة ثمان وأربعين ومائـة • وولد الفضل بن يحيى قبله بسبعة أيام ، فأرضعته أم الفضل • وبويع له بالخلافة ، ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من (١٠٠ ب) شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة • وولد في هذه الليلة عبدالله المأمون ، من جارية تسمى مراجل • ففي هذه الليلة[٤٦] مات خليفة ، وولي خليفة ، وولد خليفة • وهذا من الاتفاقات الطريفة •

وتوفي الرشيد بقرية تدعى سناباذ[٤٧] ، من عمل طوس • وله خمس وأربعون سنة ، يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة[٤٨] سنة ثلاث وتسعين ومائة • وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشـهراً ونصفاً[٤٩] •

---

(٤٥) المخطوط : كنت (بصيغة المتكلم) • وهو خطأ •

(٤٦) تسمى هذه الليلة « ليلة الخلافة » لاربع عشرة ليلة بقيت من شـهر ربيع الاول سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) مات فيها خليفة ، وولد خليفة ، واستخلف خليفة • مات الهادي ، وولد المأمون ، واستخلف الرشيد (ثمار القلوب ص ٥١٠) •

(٤٧) المخطوط : بغرفة تدعى سنداد • وهو تصحيف • وسناباذ ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٣ : ١٥٣) وقال ان فيها قبر الرشيد ، وانها على نحو ميل من طوس •

(٤٨) المخطوط : جمدى الآخر •

(٤٩) المخطوط : ونصف •

دير ماسرجيس[1]

وهذا الدير بعانة ، وعانة مدينة على الفرات عامرة ، وبها هذا الدير ، وهو كبير حسن كثير الرهبان ، والناس يقصدونه [من هيت وغيرها][2] للتنزّه فيه ، وهناك كروم ومعاصر وبساتين وشجر ، والموضع في نهاية الحسن ، جامع لما يحتاج اليه أهل التطرب والتفرج ،

ولابن أبي طالب المكفوف الواسطي ، فيه[3] :

وربّ صهباء من بنات[4] المجوس   قهوةٍ بابليةٍ خَندريسِ

---

(١) « ما » في « ماسرجيس » مقتطعة من لفظة « مار » ، و « سرجيس » ، هو القديس الشهيد سرجيوس Sergius الذي قتله القيصر الروماني مكسيمينوس غاليريوس Max. Galerius نحو سنة ٣٠٧ م ، ويقترن اسم سرجيس باسم زميله « باخوس » او « باكوس » الذي استشهد معه في رصافة الفرات (سرجيوپوليس Sergiopolis) ، وكان لسرجيس عند نصارى الشرق منزلة كبيرة ، حتى ان نصارى العرب رسموا صورته على أعلامهم لتتقدمهم في حروبهم ، وفي العراق ولبنان عدة كنائس وديارات على اسمه ، ويقع عيده في ٧ تشرين الأول من كل سنة ، وترجمته وترجمة رفيقه باخوس في : التاريخ السعردي (١ : ٤٣ ـ ٤٥) ، مجلة « المشرق » (٥ [١٩٠٢] ص ٩٤٥ ـ ٩٥١) ، أبطال الايمان لشيخو (ص ٢٧ ـ ٢٨) ، مجلة « النجم » (١٠ [١٩٣٨] ص ٢٨١ ـ ٢٨٧) ، اختلفت المراجع العربية في كتابة هذا الاسم ، فورد فيها بصورة : سرجس ، وسرجيس ، وسركيس ، وسرجيوس وتصحف في بعضها الى سرجبيس ، وسرجسان ،

(٢) الزيادة من معجم البلدان ،

(٣) الأغاني (١٧ : ١٢٩) ، معجم ما استعجم (ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥) ، معجم البلدان (٢ : ٦٩٣) ، وقد نسبت في هذه المراجع الى عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع ،

(٤) المراجع المذكورة : شراب ،

قد[٥] تحسّيتها بنايٍ وعودٍ   قبل قرع الشماس للناقوس
(١٠١أ)وغزالٍ مكحّل ذي دلالٍ   ساحر الطّرف سامري[٦] عروس
دينه[٧] معلنٌ لدين النصارى   واذا ما خلا ، فدين المجوس
قد خلونا بظبيهٍ[٨] نجتليه[٩]   يوم سبت الى صباح الخميس
بين وردٍ ونرجسٍ وبهارٍ   وسط بستان دير ما سرجيس
[يتثنّى[١٠] بحسن جيد غزال   ذي صليبٍ مفضّض آبنوسٍ]
[كم لثمت الصليب في الجيدِ منه   كهلال مكلّل بشموس]

وبهذا الموضع ، قبر أم الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك . وكان الرشيد ، لما أشخص من الرقة الى بغداد يريد الحج ، شخص معه البرامكة ، فتوفيت أم الفضل . وكانت أرضعت الرشيد بلبن الفضل . وكان يحبها ويجلّها . وكان مولد الفضل قبل مولد الرشيد بسبعة أيام[١١] . فأمر الرشيد ، فاشتُريت لها عشرة أجربة من بستان عند وادي القناطر ، على شاطىء الفرات ، فدفنت هناك وبُنيت عليها قبة . فهي تعرف بقبة البرمكية .

---

(٥) لم يرد في معجم البلدان .
(٦) معجم ما استعجم ومعجم البلدان : بابلي .
(٧) لم يرد في المراجع المذكورة .
(٨) الأغاني : بطيبه .
(٩) معجم ما استعجم : نجتليها . وهو الأصح . لان الضمير يعود الى الظبية التي كنّى بها عن الغانية . (كاظم الدجيلي) .
(١٠) الزيادة من المراجع الثلاثة المذكورة .
(١١) قد تقدم ذكر هذا في ص ١٤٦ .

دير ابن مزعوق[1]

وهذا الدير بالحيرة ، في وسطها[2] ، [قريب دير الحريق][3] .
وهو دير كثير الرهبان ، حسن العمارة ، أحد المتنزّهات المقصودة والأماكن الموصوفة .

ولمحمد بن عبدالرحمن الثرواني[4] ، فيه[5] :

[قلت[6] له والنجـــوم طالعـــةٌ   في ليلة الفصح أول السحَرِ] :
هل لكَ في مار فاثيون[7] وفـــي   دير ابن مَزعُوق غير مختصِرِ[8]
[يفيض[9] هـــذا النسيم من طرف الشام ودرّ النَّدى على الشجر]

---

(١) معجم البلدان (٢ : ٧٠١) : دير المزعوق .

(٢) معجم البلدان : وهو قديم بظاهرة الحيرة .

(٣) الزيادة من المسالك (٣١٦) . و « دير الحـــريق » من ديارات الحيرة ، ذكر في معجم البلدان (٢ : ٦٥٤) والمسالك (ص ٣١٥) .

(٤) استشهد المؤلف بشعره في كلامــه على « دير أشموني » و « الدير الاعلى » .

(٥) البيت الاول والثاني والرابع في معجم البلدان (٢ : ٧٠٢) والاول في المسالك (ص ٣١٦) .

(٦) الزيادة من معجم البلدان والمسالك .

(٧) المخطوط : نابور . وهو تصحيف . والقـــراءة عن معجم البلدان والمسالك . على ان الاسم في أولهما قد تحرف أيضاً الى « فايثون » والوجه تقديم الثاء على الياء . وهذا الاسم قد يكتب أيضاً « فثيون » . وينطق به اليوم نصارى العراق بصورة « بثيون » و « بيثون » . ودير فاثيون كان في أسفل النجف ودير ابن مزعوق في أعلاها .

(٨) معجم البلدان والمسالك : مقتصر .

(٩) الزيادة من المرجعين المذكورين . على ان البيت في معجم البلدان ، ورد بهذا الوجه :
يقتص منه النسيم على طرق   الشام وريح الندى عن المدر

ونسأل[10] الأرض عن منابتها[11] وعهــدِها بالربيــع والمطــرِ
يا لك طيبــاً وشــمّ رائحــةٍ كالمسك يأتي بنفحــة الســحر
في شرب خمرٍ وسمع محسنةٍ تلهيك بين اللســان والوَتــر

والشرواني هذا كوفي من المطبوعين في الشعر ، والمنهمكين في البطالات ، والمتطرحين في الحانات ، والمدمنين لشرب الخمر ، والمغرقين في اتباع المرد . لا يعرف شيئاً غير ذلك . ولا يوجد في شيء من أمر الدنيا إلا فيه . وكان آخر أمره أن أُصيب في حانة خمار بين زقّي خمر وهو ميت !

ومن مليح شعره ، قوله :

أتاك عــلى الدخــول المهرجانُ تُشيّــعه المعــازف والقيــانُ
وزُفّت نحــوك الصهباء صــرفاً تســير بهـا وتحملُهــا الدنان
لهــذا اليــوم فضــلٌ مستبينٌ عــلى الأيام تعرفُــه وشــأن
(١٠٢ أ) إذا وقّرته عظّمت كسرى وأكرمــك الشــريفُ الهــرمزان
وأصفاك الهــوى بهرامُ جُــورٍ وسارع في رضاك الفيرُزَان[12]
لتعظيــم الذي قــد عظّمــوه ودان بــه أوائلهــم ودانــوا
فَدع عنك الخلاف ولا وحتــى وســوف أجيئكم ونعــم والآن
خــلافك لا يجوز عــلى الندامى ولا يُرضــى بذاك المهرجــان

---

(١٠) المخطوط : ونسل . والوجه ما أثبتنا عن معجم البلدان والمسالك .
(١١) في المرجعين المذكورين : بشاشتهما .
(١٢) كسرى والهرمزان وبهرام جور والفيرزان ، الذين ذكرهم الشاعر في هذا البيت والذي قبله ، من ملوك الفرس الاقدمين . وأخبارهم في المراجع العربية القديمة مشوشة ، قد اختلط فيها كثير من الخيال والخرافة .

وقال أيضاً :

تُقلّب طَرف عينك من بعيدٍ ... شبيهاً بالمودّة والوعيدِ

تقرُّ بطرفِ عينك لي بوَصلٍ ... وفعلك لي مُقرّ بالجحود

تشككني وأعلم ان هذا ... هوىً بين التعطفِ والصدود

هواكَ هوىً تجدّده الليالي ... ولا يبلى على مَرّ العهود

ومن شعره أيضاً :

كرّ الشراب على نَشوان مُصطبح ... قد هبّ يشربها والديكُ لم يصحِ

والليلُ في عسكر جَمّ بوارقُه ... من النجوم وضوء الصبح لم يضحِ

والعيش لا عيش إلا أن تباكرها ... صهباء تقتلُ همّ النفس بالفرح

حتى يظلّ الذي مُذ بات يشربها ... ولا مراح به يختال كالمرح(١٣)

---

(١٣) قلنا : وفي معجم البلدان (٢ : ٦٥٤) ، والمسالك (ص ٣٦١) ، اشارة الى « بيعة المزعوق » في قول الثرواني هذا ، في جملة أبيات له :

دير الحريق فبيعة المزعوق ... بين الغدير فقبة السنيق

وعندنا ان « بيعة المزعوق » هذه هي « دير ابن مزعوق » . واما قبة السنيق ، والاصح : الشتيق ، فسيأتي الكلام عليها .

(١٠٢ ب) دير سرجس[١]

وهذا الدير كان بطيزَناباذ [٢] ، وهو بين الكوفة والقادسية[٣] ، على حافة الطريق ، وبينها وبين القادسية ميل . وكانت [أرضه][٤] محفوفة [بالنخل] والكروم والشجر والحانات [والمعاصر] . وكانت إحدى البقاع المقصودة والنزه الموصوفة . وقد خربت الآن وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آبارها ، ولم يبق من جميع رسومها إلا قباب خراب وحجر[٥] على قارعة الطريق ، تسميه الناس معصرة أبي نواس[٦] .

ولأبي نواس ، فيها [٧] :

---

(١) المسالك (ص ٢٨٤) دير سرجيس .

(٢) من أقدم مدن العرب الجاهلية في العراق . كانت تقع بين الكوفة والقادسية ، بينها وبين القادسية ميل . وتعرف أطلالها اليوم باسم « طعيريزات » وهي على نحو تسعة كيلومترات من شمال شرقي النجف . وفي « لغة العرب » (٢ [١٩١٣] ص ٣٢١ ــ ٣٢٦ ، ٣٧٦ ــ ٣٨١) بحث عنها .

(٣) في العراق ، قادسيتان ، الاولى قرب سامراء وقد مر ذكرها في مطلع الكلام على « دير السوسي » . والثانية هي هذه التي قرب الكوفة . وقد اشتهر أمرها أثناء الفتح العربي ، لان عندها جرت « وقعة القادسية » المعروفة في التاريخ .

(٤) الزيادة من مسالك الابصار .

(٥) المسالك : وجرن .

(٦) ما في معجم البلدان (٣ : ٥٧٠) : « ... وهو الآن خراب لم يبق به الا أثر قباب يسمونها قباب أبي نواس » .

(٧) ديوان أبي نواس (ص ٢٧٢) ، معجم البلدان (٣ : ٥٧٠) ، المسالك (ص ٢٨٤) .

قالوا : تنسك بعد الحج ! قلت لهم :

أرجو[٨] الاله وأخشى طيزناباذا[٩]

أخشى قُضيّب كرم أن يُنازعني رأس الخطام[١٠] وان أسرعت إغذاذا

فان سلمت ــ وما نفسي على ثقة من السلامة ــ لم أسلم ببغداذا

ماأبعد الرشدمن قلبٍ تضمّنه[١١] قُطربّل فقرى بِنّا[١٢] فكلواذا

وكان هذا الدير من أحسن الديارات عمارة وأنزهها موضعاً •

وللحسين بن الضحاك ، فيه[١٣] :

أخوي حَيّ على الصبوح[١٤] صباحا هُبّا ولا تعدا النديم رواحا

مهما أقام على الصبوح مساعدٌ وعلى الغبوق فلن أريد براحا

(١٠٣ أ) عُودا لعادتنا[١٥] صبيحة أمسنا

فالعود أحمد[١٦] مغتدى[١٧] ومراحا

---

(٨) المخطوط : أرجوا •

(٩) عجز البيت في الديوان : أرى وأرجو وأخشى طيزنا باذا •

(١٠) الديوان : القطار •

(١١) الديوان : ما أبعد النسك من قلب تقسمه •

(١٢) المخطوط والديوان : بنى ، معجم البلدان : بنا • والوجه ما أثبتنا • وبنا ، ذكرها يا قوت (معجم البلدان ١ : ٧٣٨) بقوله : بنا : بكسر أوله وتشديد ثانيه والقصر • قرية على شاطىء دجلة من نواحي بغداد ، بينهما نحو فرسخين ، وهي تحت كلواذى • رأيتها • وفي بغداد أخرى يقال لها بنا ، لا أعرفها • واحداهما أراد أبو نواس حيث قال :

ما أبعد الرشد من قلب تضمنه قطربل فقرى بنا فكلواذى

(١٣) معجم البلدان (٢ : ٦٦٧) ، المسالك (ص ٢٨٥) • على انها نسبت في معجم البلدان الى « الحسين بن الصمان » وهو تصحيف •

(١٤) المسالك : أخوي هبا للصبوح •

(١٥) المخطوط : لعادينا • وما أثبتناه عن معجم البلدان •

(١٦) مثل مشهور (انظر : جمهرة الامثال للعسكري ٢ : ٦٣ ــ ٦٤ بهامش الميداني ، مجمع الأمثال للميداني ١ : ٣٢٤) •

(١٧) المخطوط : معبدا • وهو تصحيف •

هل تعذران بدير سرجسَ صاحباً   بالصحو أو تَريان ذاك جُناحا

اني أُعيذكما بسُألفة[18] بيننا   أن تشربا بقُرى الفرات قَراحا

عَجّت قواقزُنا وقَدّس قسُّنا   هَزجاً وأصخبنا الدجاج صياحا

للجاشرية[19] فضلها فتعجّلا   إن كنتما تريان ذاك صلاحا

يا ربّ ملتبس الجفون[20] بنومةٍ   نبّهتُه بالراح حين أراحا

فكأن ريّا الكأس حين ندبته   للكأس أنهض في حشاه جناحا

فأجاب يعثر في فضول ردائه   عجلان يخلط بالعثار مراحا

فهتكت سترَ مجونه بتهتكي   في كل مُلهيةٍ وبُحت وباحا

ما زال يضحكُ بي ويُضحكني به   ما يستفيق دعابةً ومُزاحا

---

(١٨) معجم البلدان : بعشرة ٠

(١٩) الجاشرية : شرب يكون مع جشور الصبح اي انفلاقه ٠ يقال : اصطبحت الجاشرية (التاج ٣ : ١٠١ ، مادة : ج ش ر) ٠

(٢٠) معجم البلدان : ملتمس الجنون ، وما في الشابشتي أليق بالمقام ٠

ديارات الاساقف[١]

هذه الديارات بالنجف ، بظاهر الكوفة ، وهـو أول الحيرة • وهي قباب وقصور تسمى ديارات الأساقف • وبحضرتها نهر يعرف بالغَدير • عن يمينه قصر أبي الخصيب[٢] مولى أبي جعفر ، وعن شماله السَّدير[٣] ، وبين ذلك الديارات •

وقصر أبي الخصيب هذا ، أحد متنزهات (١٠٣ ب) الدنيا • وهو مشرف على النجف وعلى ذلك الظَهر • ويُصعد من أسفله على درجـة طولها خمسون مرقاة الى سطح حسن ومجلس ، فيشرف الناظر عـلى النجف والحيرة من ذلك الموضع ، ثم يصعد منه على درجة أخرى طولها خمسون مرقاة الى سطح أفيَح ومجلس عجيب •

وأبو الخصيب هذا ، مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه •

والسدير ، قصر عظيم من أبنية ملوك لخم[٤] في قديم الزمان[٥] • وما بقي الآن منه فهو ديارات وبيَع للنصارى •

---

(١) الأساقف ، جمع الأسقف ، وقد يجمع أيضاً على الاساقفة : من رؤساء الدين عند النصارى • هـو فوق القسيس ودون المطران • واللفظة يونانية الأصل (Episcopos) •

(٢) وصف ياقوت هذا القصر في معجم البلدان (٤ : ١٠٧) •

(٣) السدير ، من أشهر قصور الحيرة • ويقترن اسمه في أكثر الأحيان بـ « الخورنق » • والسدير معرب « سه‌دير » لأنه كان في داخله ثلاث قبب • فان « دير » (بكسر الدال) باللغة البهلوية معناها القبة (الالفاظ الفارسية المعربة • ص ٨٦) • وعن الخورنق والسدير ، راجع كتاب الحيرة ليوسف غنيمة (ص ١٩ ــ ٢٤) •

(٤) هم الملوك الذين حكموا الحيرة بين سنة ٢٦٨ و ٦٣٢ للميـلاد • (الحيرة لغنيمة • ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠) •

(٥) لعل جملة او كلمة سقطت هنا •

ولعلي بن محمد الحمّاني العلوي[٦] ، يذكر هذه المواضع[٧] :

كـــم وقفـــةٍ لك بالخـــوَرْ ـنَق لا تُـــوازَى بالمواقِــف
بـــين الغـــدير الى الســـديـ ـــر الى ديـارات الأســــاقف
فمــــدارج الرُّهبــــانِ فـــي أطمـــار خائفـــةٍ وخـــائف
دِمـــنٌ كـــأن رياضهـــا يُكسَـــينَ أعـــلام المطـــارف
وكأنمـــا غُـــدرانها فيهـا عُشـــورٌ في مصاحــف
وكأنمـــا أنوارهـــا تهتـــزُّ بالريـــح العواصـــف
طُـــرَرُ الوصــائف يلتقيــ ـنَ [بها][٨] الى طرزِ الوصائف
(١٠٤ أ) تَلقى أوائلهـــا أوا خرُهـــا بألـــوان الزخـــارف
بحـــريةٌ شتواتهـــا بريـــةٌ فيهـــا المصـــايف
دُرّيّـــةُ الحصبـــاء كـــا فوريـــةٌ فيهـــا المشـــارف
ثـــم انبرت سَــحّاً [كَبَـــا كيةٍ][٩] بأربعـــةٍ ذَوارف

ولأبي نواس ، يذكر أيامه بالسدير[١٠] :

عُدن لـــي بالدير أيام قصـــفٍ وســـرورٍ مع الندامـى وعَزفِ
وعيـــون الظبـــاء ترنو إلينـــا مُنعمـــاتٍ بكــلّ بـــرّ ولطـــف

---

(٦) هو علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب . كان شاعراً كوفياً ذكره الطبرى (تاريخه ٣ : ٩٩٠ ـ ٩٩٤ ، ١٠٢٠) في حوادث سنة ٢٠٠ و ٢٠٢ هـ . ونقل ياقوت شيئاً من شـــعره في معجم البلـــدان (٢ : ٤٩٣ » ٦٤٢ ، ٤ : ٣٢١ ، ٦٧٠) .

(٧) معجم البلـــدان (٢ : ٤٩٣ ـ ٤٩٤ و ٦٤٢ ـ ٦٤٣) ، المسالك (ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦) ، أمالي القالي (١ : ١٧٥) ، البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ القاهرة ١٩٥٣ = ١ : ١٨٩ تحقيق الدكتور عبدالرزاق محيي‌الدين . بغداد ١٩٥٤) .

(٨) سقطت من المخطوط .

(٩) سقطت من المخطوط . والزيادة من البصائر والذخائر .

(١٠) ديوان ابي نواس (تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي . ص ٣٦٤) .

ورخيـم الخطـا يكـاد مـن الرقـة يُدمـي أديمَـه كلُّ طـرف
حلّ منه الصليب في موضع الجيـ ـدِ فقد خَصّـه على كل إلف
قـد أدرنا رَحى النعيـم ثلاثاً ووصلنـا النعيـمَ كفـاً بكفِ

قال : ولما نزل الرشيد الحيرة ، وقت منصرَفه من الحج ، ركب جعفر بن يحيى الى السدير ، فطافه ونظر الى بنائه . ثم وقعت عينه على كتاب في أعلاه فأمر من صعد الى الموضع فقرأه . فقال في نفسه : قد جعلته فألاً لما أخافه من الرشيد . فقرئ[11] ، فاذا هو[12] :

إن بني المنـذر عـام انقضـوا بحيثُ شـادَ البيعـةَ الـراهبُ
(١٠٤ ب) أضـحوا ولا يرجوهم راغب
يومـاً[13] ولا يـرهبهـم راهـب
وأصبحوا أكـلا لدودِ الثّـرى وانقطـع المطلوب والطالب[14]

فحزن جعفر لذلك [وصار][15] ينشد الأبيات ويقول : ذهب والله أمرنا !

ومن هذه الأبنية : المسقّطات . وهو قصر فيه آزاج مستطيلة مسَقطة شرقي الحيرة على طريق الحاج . [ثم] القصر . ثم كوة البقال . ثم قصر العدَسيين[16] . ثم الأقصى الأبيض . ثم قصر بني بقيلة . وكان

---

(١١) وفيات الاعيان ١ : ١٣٤ .
(١٢) معجم ما استعجم (ص ٣٦٤) ، معجم البلدان (٢ : ٧٠٩) ، الوفيات (١ : ١٥٣) ، المسالك (ص ٣٢٧ – ٣٢٨) ، الشذرات (١ : ٣١٣) .
(١٣) سائر المراجع : خيراً .
(١٤) البيت في معجم البلدان والمسالك :
فأصبحوا في طبقات الثرى بعـد نعيم لهم راتب
والعجز في معجم ما استعجم : وكل جمع زائل ذاهب .
(١٥) الزيادة من عندنا .
(١٦) قصر كان بالكوفة فى طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح ابن قيس ... وانما نسبو الى أمهم عدسة بنت مالك (معجم البلدان ٤ : ١١٦) .

هذا القصر لعبد المسيح بن بُقيلة الغساني ، وإنما سُمّي بقيلة ، لأنه خرج يوماً على قومه في حلّتين خضراوين قد اتّزر باحداهما واشتمل بالأُخرى، فقال قومه : ما هو إلا بُقيلة ، فسمي بذلك .

وعبد المسيح هذا ، هو ابن أخت سَطيح الكاهن . وكان كسرى أنفذه الى سطيح بسبب الرؤيا التي رآها . فجاءه وهو يجود بنفسه ، فقال : أصمٌ أم يسمع غطريف اليمن ، في أبيات[17] . ففتح سطيح عينه وقال : عبدالمسيح ، على جمل مشيح جاء الى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، من قبل ملك بني ساسان ، لارتجاس الايوان[18] ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان . والخبر مشهور تركناه لشهرته .

فلما نزل خالد بن الوليد الحيرة ، خرج اليه (١٠٥ أ) عبدالمسيح ، فقال له خالد[19] : من أين أقصى[20] أثرك ؟ قال : من صُلب أبي ! قال : ما عن هذا سألتك ! قال : ولا أجبت إلا عما سألت عنه ! قال :

---

(١٧) تاريخ الطبري (١ : ٩٨٢) .

(١٨) يريد به « ايوان كسرى » ويسميه العراقيون اليوم « طاق كسرى » . وأطلاله قائمة على نحو عشرين ميلا جنوب بغداد ، قرب « سلمان باك » . ولنا في مجلة « سومر » بحث في ما عرفه العرب عنه (٥ [١٩٤٩] ص ٦٨ ــ ٧٢) .

(١٩) تناقلت هذا الحديث مراجع قديمة مختلفة ، منها : البيان والتبيين للجاحظ (٢ : ١٢١ ــ ١٢٢ طبعة السندوبي ، سنة ١٩٣٢) ، فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٢ طبعة دي غوية) ، مروج الذهب (١ : ٢١٧ ــ ٢٢١) ، الأغاني (١٥ : ١١ ــ ١٢) ، أمالي المرتضى (١ : ١٨٨ ــ ١٨٩) ، مجمع الامثال للميداني (٢ : ١٣) ، تاريخ ابن خلدون (٢ : ٢٩٨ بتعليق الامير شكيب أرسلان) . واختلفت هذه المراجع في ايراد هذه المحادثة اختلافاً بيناً .

(٢٠) المخطوط : أقصى . وفي بعض المراجع المذكورة : أقصى ، وفي بعضها الآخر : أفضى . ولكل وجه .

ما أنتم ؟ قال : عرب استنبطنا [٢١] ! قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها نتحرز بها من الجاهل الى أن يجيء العاقل فيردعه ! قال : أتعقل ؟ قال : نعم ، وأُقيد ! قال : فما سنُّك ؟ قال : عظم ! قال : كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى علي شيء لقتلني ! قال : كم مضى من عمرك ؟ قال : أربعمائة سنة ! قال : فما رأيت من العجائب ؟ قال : رأيت السفن وهي ترفيء في هذا الموضع [٢٢] ، ورأيت المرأة وهي تخرج من الحيرة الى الشام بمغزلها في يدها ومكتلها [٢٣] على رأسها لا يروْعها أحد ، وهي الآن خراب يباب • وذلك دأب الله في خلقه •

وكان في يده شيء يقلّبه • قال خالد : ما هذا الذي في يدك ؟ قال : سم ساعة ! قال : وما تصنع به ؟ : قال : إن أعطيتني ما أحب وإلا قتلت نفسي به • ولم أكن أول من أدخل الذل على قومه وساق اليهم ما يكرهون • قال خالد هلمَّه إلي • فناوله إياه ، فطرحه في فيه ، وقال : بسم الله ، وازدرده • فأخذته غشية ، ثم أفاق ، كأنما نشط من عقال • فرجع عبدالمسيح الى قومه فقال : جئتكم من عند رجل شرب (**١٠٥ ب**) سم ساعة وما ضرَّه • وحمل إليه مالاً صالحه عليه ، وانصرف عنهم •

ومن بعده [٢٤] : دار عون ، ثم قبة عصر [١] [كذا] وهي ما يلي النجف • فهذه قصور الحيرة الباقية الآن •

---

(٢١) مروج الذهب : قال : أعرب أنتم أم نبط ؟ قال : عرب استنبطنا ونبط استعربنا •

(٢٢) أمالي المرتضى : « قال : فما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف • ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزود الا رغيفاً حتى تأتي الشام » أراد بالبحر ، بحر النجف الذي جف ماؤه في أوائل القرن العشرين هذا •

(٢٣) المكتل : الزنبيل من خوص (ج : المكاتل) •

(٢٤) عاد المؤلف الى ذكر بعض مباني الحيرة ، بعد ان استطرد الى حكاية عبدالمسيح مع خالد بن الوليد •

(١) عن الاستاذ عبدالهادي المختار •

قبة الشتيق[1]

وهي من الأبنية القديمة بالحيرة ، على طريق الحاج . وبازائها قباب يقال لها الشكورة[2] ، جميعها للنصارى . فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة الى القبة ، في أحسن زي ، عليهم الصلبان ، بأيديهم المجامر ، والشمامسة والقسّان معهم يقدسون [على نغم واحد ، متفق في الألحان][3]، ويتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين[4] وأهل البطالة ، الى أن يبلغوا قبة الشتّيق . فيتقربون ويتعمدون ، ثم يعودون بمثل تلك الحال . فهو منظر مليح .

ولبعض الشعراء فيه :

والعذارى مُشـــدّدي الزّنانيـ	ـر عليهـنّ كـل حلي وثيـق
يتمشّـين مـن قبـاب الشعانيـ	ـن الى صحـن قبـة الشتّيق
يا خليـلي فـلا تُعنّفني يـوم	ترى اللّهو فيـه بالتحقيـق[5]

---

(١) في بعض المراجع « السنيق » وفي بعضها « الشيق » وفي الديارات للشابشتي « الشتيق » وعندنا انه الأصح . والشتيق لفظة سريانية « شتيقا » بمعنى الساكت والصامت . ولا يبعد ان هذه القبة كانت منسكاً لراهب انقطع عن الناس ولازم السكوت ، فعرفت به من هذه الجهة . وفي الديارات من كان أصحابها يلازمون الصمت والسكوت ، حتى عرفوا بـ « السكوتيين » .

(٢) المسالك (ص ٣٢٨) : السكورة ، بالسين المهملة . فان أخذنا برواية الشابشتي لهذا الاسم ، جاز لنا رجعه الى أصل سرياني « شكورا » بمعنى الزهر والورد .

(٣) الزيادة من المسالك .

(٤) المخطوط : للمسلين . والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٥) قال مصطفى جواد : لعل أصل البيت :

يا خليلي فلا تعبنـي بيوم   قد ترى اللهو فيه بالتحقيـق

ولبكر بن خارجة[٦] :

(١٠٦ أ) يا خليليَّ ، عرّجا بي الى الحيـ ـرة كم كم تراقبان النجوما

واسقياني من بيت سجوم[٧] را حاً قهوةً لا تماكسا[٨] سجوما

حـ ـنة حشوها ظباءٌ ملاحٌ هيّجوا بالدّلال قلباً سقيما

واذا ما سقيتماني شراباً خندريساً معتقاً مختوما

فاقصدوا[٩] فتنة الشنيق وطيبا سكن الدير قد سباني رخيما

عقد زناره توصل بالقلـ ـب فأمسى بين الحشا مخزوما

وبكر بن خارجة هذا ، من أهل الكوفة • وكان من المنهمكين في الخمر ، والمستهترين بالتطرّح في الحانات والديارات • وكان أكثر شعره في ذلك •

فمن شعره أيضاً :

راح من الحانة سكرانا فزادني همّاً وأحزانا

حانة سجوم التي صبّرت من حبها في القلب نيرانا

يرنو[١٠] بعينَي شادن أحور تخاله للسكر وسنانا

---

(٦) شاعر كوفي ، ماجن ، مطبوع ، طيب الشعر • كان يتكسب من الوراقة ، ويعاقر الشرب في منازل الخمارين والحانات • له قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم ويسمي دياراتهم • (الاغاني ٢٠ : ٨٧ – ٨٨) •

(٧) هكذا ورد في المخطوط • وقد تقرأ : بنجوم • تنجوم • ينجوم • فهل تكون مصحفة من « ناحوم » ؟ على انا لم نجد حانة يشبه اسمها شيئاً من هذه الألفاظ ، في كلام ابن فضل الله العمري على « الحانات » (المسالك ص ٣٨٦ – ٣٩٨) •

(٨) أي لا تنقصا من قيمة ما يطلب • والمماكسة المناقصة •

(٩) لعل الاصل : فاقصدا •

(١٠) المخطوط : يرنوا •

ما رأت العينان شبهاً له إنساً إذا عُدّ ولا جانا

معاقد الزنارِ في خصره عَذَّبْنَني بالحبّ ألوانا

كتمتُ حُبي وَهواي له دهراً وأحوالاً وأزمانا

(١٠٦ ب) حتى توّلى جَسدي للبلى

فما أُطيقُ اليومَ كتمانا

دير هند[1]

بنت النعمان بن المنذر

بنت هند هذا الدير بالحيرة ، وترهبت فيه وسكنته دهراً طويلاً ، ثم عميت . وهذا الدير من أعظم ديارات الحيرة وأعمرها . وهو بين الخندق وحصراه بكر[2] .

ولما[3] قدم الحجاج الكوفة ، في سنة أربع وسبعين ، قيل له إن بين الحيرة والكوفة ديراً لهند بنت النعمان ، وهي فيه ، ومن رأيها وعقلها[4] . فانظر اليها فانها بقية . فركب والناس معه حتى أتى الدير . فقيل لها : هذا الأمير الحجاج بالباب . فاطلعت من ناحية الدير ، فقال لها : يا هند ، ما أعجب ما رأيت ؟ قالت : خروج مثلي الى مثلك ! فلا تغتر يا حجاج بالدنيا ، فانا أصبحنا ونحن كما قال النابغة [5] :

رأيتكَ من تعقــدْ له حبلَ ذمّـــةٍ

من الناس ، يأمنْ سرحهُ حيثُ أربعا[6]

---

(١) في الذيل (١٨) كلام على هذا الدير .

(٢) كذا ما في المخطوط .

(٣) كتب في الهامش ، بخط يخالف الأصل : مخاطبة الحجاج الثقفي لهند بنت النعمان بن المنذر .

(٤) المسالك (ص ٣٢٤) : « وهي متمكنة من عقلها ورأيها » . وهي رواية مقبولة . وقد استقاها ابن فضل الله من الشابشتي .

(٥) هنالك ثلاثة شعراء عرفوا بـ « النابغة » وهم : النابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي ، والنابغة الشيباني . وقائل هذا البيت هو الذبياني فيما نرى ، لاتصاله بالنعمان بن المنذر صاحب الحيرة ، اذ كان يفد عليه فيمدحه . وفي مسالك الأبصار (ص ٣٢٤) قالت هند للحجاج : « ونحن كما قال النابغة لابي » ثم ساقت هذا البيت . على اننا لم نجد البيت بكلتا روايتيه في ديوانه المطبوع . مات النابغة الذبياني سنة ٦٠٤ للميلاد .

(٦) عجز البيت في المسالك : « من الناس ، يأمن سرجه حيثما ارتقى » .

ولم نمس إلا ونحن أذلّ الناس • وقلّ إناء امتلأ[٧] إلا انكفأ •

فانصرف الحجاج مغضباً ، وبعث اليها من يخرجها من الدير ويستأديها الخراج (١٠٧ أ) فأخرجت مع ثلاث جوار من أهلها ، فقالت إحداهنّ في خروجها[٨] :

خارجات يسقن من دير هند   مذعنات بذلة وهوان

ليت شعري ، أأوّل الحشر هذا ،   أم محا الدهر غيرة الفتيان ؟

فشدّ فتى من أهل الكوفة على فرسه ، فاستنقذهن من أشراط[٩] الحجاج ، وتغيّب • فبلغ الحجاج شعرها وفعل الفتى : فقال : إن أتانا فهو آمن ، وإن ظفرنا به قتلناه ! فأتاه الفتى ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : الغيرة ! فوصله وخلاّه •

وكان سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق ، أتى هنداً الى ديرها ، فخرجت اليه ، فأكرمها وعرض عليها نفسه في حوائجها فقالت : سأحييك بتحية كانت أملاكنا[١٠] تحيّا بها : « مسّتك يد نالها فقر بعد غنى ولا مستك يد نالها غنى بعد فقر[١١] • ولا جعل الله لك الى لئيم حاجة • ولا نزع الله عن كريم نعمة إلا جعلك سبباً لردها عليه » •

---

(٧) المخطوط : امتلى •

(٨) المسالك (ص ٣٢٥) •

(٩) الاشراط : رجال الشرطة •

(١٠) أي ملوكنا •

(١١) في معجم البلدان (٢ : ٧٠٨) : « شكرتك يد افتقرت بعد غنى ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر » وشبيه ذلك ما في معجم ما استعجم (ص ٣٦٣) • وفي زهر الآداب (٤ : ٢٤) : شكرتك يد نالتها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك الله عن يد نالتها ثروة بعد فاقة •

ثم جاءها المغيرة[١٢] ، لما ولاه معاوية الكوفة ، فاستأذن عليها ، فقيل لها : أمير هذه المدَرَة بالباب . فقالت : قولوا له : من أولاد جبلة بن الأيهم أنت ؟ قال : لا ! قالت : فمن ولد المنذر بن (١٠٧ ب) ماء السماء ؟ قال : لا ! قالت فمن أنت ؟ قال المغيرة بن شعبة الثقفي . قالت : فما حاجتك ؟ قال جئتك خاطباً ! قالت : لو جئتني بجمالٍ أو حال لأجبتك . ولكن أردت أن تتشرف بي في محافل العرب ، فتقول : نكحتُ بنت النعمان بن المنذر ! وإلا ، فأي فخر في اجتماع أعور وعمياء ؟ فبعث اليها ، قال : كيف كان أمركم ؟ قالت : سأختصر لك الجواب . أمسينا مساء وليس في الأرض عربي إلا وهو يرغب الينا ويرهبنا[١٣] ، ثم أصبحنا وليس أحد إلا ونحن نرغب اليه ونرهبه !

قال : فما كان أبوك يقول في ثقيف ؟ قالت : اختصم اليه رجلان منهم ، في شيء ، أحدهما ينتمي الى إياد والآخر الى بكر بن هوازن . فقضى به للايادي ، وقال :

ان ثقيفاً لم تكن هوازنا ولم تناسب عامراً ومازنا

فقال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن ، فليقل أبوك ما شاء !

---

(١٢) كتب في الهامش ، بخط يخالف الاصل : « حضور المغيرة بن شعبة الى هند بنت النعمان بن المنذر يخطبها لزواجها ، وامتناعها » . والحكاية وردت في : الاغاني (٢ : ٣١) ، المسالك (ص ٣٢٥ — ٣٢٦) ، المستطرف للأبشيهي (١ : ١٩٨) .

(١٣) المخطوط : وترهبنا . والوجه ما أثبتنا .

دير زرارة[1]

وهو دير حسن ، بين جسر الكوفة وحمَّام أعين[2] ، ناحية عن الطريق على يمين الخارج من بغداد الى الكوفة . وهو موضع نزه حسن ، كثير الحانات والشراب ، عامر بمن يطرقه ، لا يخلو ممن يطلب **(١٠٨أ)** اللعب ويؤثر البطالة . وهو من المواطن المستصلحة لذلك .

قال : خرج يحيى بن زياد[3] ومطيع بن إياس[4] حاجَّين[5] .

---

(١) قال ابن الفقيه الهمذاني (مختصر كتاب البلدان . ص ١٨٢ طبعة دي غوية) في كلامه على الكوفة وما جاورها : « زرارة : نسبت الى زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكاء (بتشديد الكاف) وكانت منزله ، فأخذها معاوية بن أبي سفيان » . قلنا : فلعل اسم دير زرارة جاء من ذلك .

(٢) المخطوط : أعين . وفي معجم البلدان (٢ : ٣٢٩) حمام اعين بالكوفة ، منسوبة الى أعين مولى سعد بن أبي وقاص .

(٣) هو يحيى بن زياد الحارثي ، من شعراء المئة الثانية للهجرة . ساق الخطيب البغدادي سلسلة نسبة (تاريخ بغداد ١٤ : ١٠٦ ـ ١٠٧) وقال انه ابن خال أبي العباس السفاح . وهو شاعر كوفي أديب ماجن ، نسب الى الزندقة ، وكان صديق مطيع بن اياس ، وحماد عجرد ، ووالبة بن الحباب ، وغيرهم من ظرفاء الكوفيين . وله في السفاح مدائح ، وفي المهدي أيضاً . قدم بغداد فأقام بها مدة ثم خرج عنها .

(٤) شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان ظريفاً خليعاً حلو العشرة مليح النادرة ماجناً متهماً في دينه بالزندقة . ولد ونشأ في الكوفة . وسيأتي شيء من أخباره في هذا الفصل من الكتاب . وسائر اخباره وأشعاره في : طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٣٧ ـ ٣٨) ، الأغاني (١٢ : ٧٥ ـ ١٠٥) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٣ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦) ، معجم الشعراء للمرزباني (ص ٤٨٠) ، نهاية الارب (٤ : ٥٧ ـ ٦٣) .

(٥) ما أشبه رواية الحج هذه ، برواية الأغاني (٣ : ٤١) فهما متشابهتان حتى في الألفاظ والشعر . الا ان الاشخاص هناك غير هؤلاء !

فلما قربا من دير زُرَارة ، قال أحدهما لصاحبه : هل لك أن نقدّم أثقالنا ونمضي الى زرارة ، فنشرب في ديرها ليلتنا ونتزود من مُردها وخمرها ما يكفينا الى العودة ، ثم نلحق بأثقالنا ؟ ففعلا . وسار الناس ، وأقاما . فلم يزل ذلك دأبهما الى ان انصرف الحاج . فلما وصل الى الكوفة ، حلقا رؤوسهما وركبا بعيرين ودخلا مع الحاج . فقال مطيع[٦] :

ألم ترني ويحيى إذ حججنا[٧] وكان الحجُّ من خير التجاره
خرجنا طالبي حجٍّ ودينٍ فمال بنا الطريقُ الى زُراره
فآب الناس قد غنموا وحجّوا[٨] وأبنا مُوقرين من الخساره

ثم قال فيه أيضاً ، وفيه لحن . وقيل ان الأبيات لأبي علي البصير[٩] :

خرجنا نبتغي مكـ ـة حجّاجاً وزوّارا
فلما قدم الحير ة حادي جملي حارا
وقد كاد يغورُ النجـ ـم للاصباح أو غارا
فقلت : احططْ بها رحلي ولا تحفل بمن سارا
(١٠٨ ب) فجدّدنا عهوداً سـ ـلفت منّا وآثارا
وقضّينا لُباناتٍ لنا كانت وأوطارا
وصاحبنا بها ديراً وقسيساً وخمّارا[١٠]
وظبياً عاقداً بين النقا والخصر زنّارا

---

(٦) الأغاني (٣ : ٤١ ، ١٢ : ٨٧) ، شرح مقامات الحريري للشريشي (١ : ٢٣٨) ، المسالك (ص ٢٨٦) .

(٧) الأغاني (٣ : ٤١) وشرح المقامات : الم ترني وبشاراً حججنا .

(٨) الأغاني (٣ : ٤١) وشرح المقامات : قد حجوا وبروا .

(٩) مروج الذهب (٧ : ٣٣٠) .

(١٠) البيت في المروج :

فصادقنا بها لهوا وبستانا وخمارا

شــرحنا لــك أخبــاراً وادمجنــاك أخبــارا

ولأبي نواس ، في هذا المعنى :[11]

وقائل : هل تريد الحج ؟ قلت له : نعم ، إذا فنيت لذات بغداذ[12]

أما وقطربل منهــا بحيث نــرى فقبةالفرك[13]من أكناف كلواذي

فالصالحية[14] ، فالكــرخ الذي اجتمعت

شــذاذ[15] بغــداد لي فيــه بشــذاذ

وكيف بالحج لي ما دمت منغمساً في بيت قوادة أو بيت نبــاذ

وهبك من قصف بغدادتخلصني كيف التخلص لي من طيزناباذ[16]

وممن فعل فعل مطيع ، سليمان بن محمد الأموي ، وكان قد أعد البخاتي للحج وصنعها طول سنته . فلما وصل الى الكوفة ، بدا له وأقام وقال :

حرصي على الحج أفسد الحجا إذ لم أجد مهرباً ولا منجــا

(١٠٩ أ) تبت اليه من الذنوب ومن

عــرض بــريء بمنكــر يهجــا

فـردني خاســئاً الى قدحــي وقول شــعر وعفوه يرجــا

---

(١١) ديوان أبي نواس (ص ٢٧٢) ، معجم البلدان (٤ : ٣٤ مادة : قبة الفرك) . والبيت الأول والرابع وردا في شرح مقامات الحريري للشريشي .

(١٢) روي الابيات في معجم البلدان : بغداذا ، كلواذا ، طيزناباذا .

(١٣) قبة الفرك : موضع كان بكلواذى ، من أعمال بغداد (معجم البلدان ٢ : ٣٤) .

(١٤) الصالحية : محلة ببغداد ، تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين (معجم البلدان ٣ : ٣٦٣) . وفي الجانب الغربي مــن بغداد اليوم محلة تعرف بالصالحية .

(١٥) المخطوط : سداد .

(١٦) المخطوط : طيرباباد .

بحيث تضحي الزقاق خاضعةً تحسبها من سوادها زنجا[١٧]
اذا وضعنا للزق باطيةً وحُلّ عنه رباطه مَجّا
زادي الى الحج صار مُنتقلاً لما احتسيت المدامةَ الزلجا
ومضجعي زكرتي نعمتُ بها مملوءةً ما تفارقُ الخُرجا
كذاك من يطلب الثوابَ ولا ينهض إلا بنيّةٍ عَرجا

وخرج أبوالمضرحيّ وسلام بنغالب بنشماس وأبوالبصير الشاعر ، يريدون الحج • فلما قدموا الكوفة ، بدا لأبي البصير ولسلام[١٨] ، ثم مضى أبو المضرحي • فقال أبو البصير يخاطب سلاماً

خُذ برأس القطا[١٩] واستخر الله الى دار قينة الرمّاحِ
حيث لا تنكر المعازِفُ والخمر ووضع الأيدي على الأحراح

وكان مطيع بن إياس ، من أظرف الناس وأحسنهم شعراً وأكثرهم نادرة وأشدهم مجوناً وخلاعة • وكان لا يغبّ الشرب واللعب والانهماك في الخسارة والتطرح في مواضع اللذات • (١٠٩ ب) وكان مطيع ويحيى بن زياد وحماد عَجرَد[٢٠] وحماد الراوية[٢١] ، لا يفترقون• وكان

---

(١٧) المخطوط : ربجا

(١٨) في العبارة نقص ، ولعل الأصل : لأبي البصير ولسلام « الاقامة بها » أو ما الى ذلك المعنى •

(١٩) لعل الأصل : القطار او الخطام •

(٢٠) شاعر مجيد نشأ في الكوفة ثم واسط • وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر الا في العباسية • قدم بغداد في أيام المهدي • وكان ماجناً ظريفاً خليعاً متهماً في دينه بالزندقة وادرك بشار بن برد ، وله معه أهاج فاحشة • مات سنة ١٦١ هـ (٧٧٧ م) أخباره في : الأغاني (١٣ : ٧٠ ــ ٩٨) ، طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٢٣ ــ ٢٦) ، الوفيات (١ : ٢٣٣ ــ ٢٣٤) ، المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء للآمدي (ص ١٥٧ طبعة كرنكو) ،

جميعهم على منهاج واحد في الخلاعة ، وكلهم متهم بالزندقة !

فذكر العُتبي عن أبيه ، قال : قدم علينا شيخ من أهل الكوفة ، لم أر قط أحسن منه حديثاً . فكان يحدثني عن مطيع والحمادَين وعن ظرفاء أهل الكوفة وعجائبهم ، فلم يكن يحدث عن أحد منهم بأحسن مما يحدثني به عن مطيع بن إياس . فقلت له : كنت والله اشتهي أن أرى مطيعاً . فقال : والله لو رأيته للقيتَ منه بـلاء عظيماً ! فقلت : وكيف ؟ قال : كنت ترى رجلاً لا يصبر عنه العاقل إذا رآه ، ولا يصحبه أحد إلا افتضح به !

وذكر ابن حبيب ، قال : رأيت رجلاً من أهل الكوفة ، فسألته عن مطيع ، وكان قد صحبه ، فقال : لا ترد أن تسأل عنه . قلت : ولم ذاك ؟ قال : ما سؤالك عن رجل اذا حضرك ملكك ، واذا غاب عنك شاقك ، واذا عُرفت بصحبته فضحَك !

وكان مطيع من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . فقد مـدح

الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ١٨١ ــ ١٨٢ طبعة الخانجي ١٣٢٢ هـ) .

(٢١) نشأ بالكوفة ، كان في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . ثم طلب الادب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم حتى عرف بحماد « الراوية » . كان قوي الحافظة بما يفوق المألوف . واختص بجمع الشعر . سأله الوليد بن يزيد يوماً : « بم استحققت أن تدعى الراوية ؟ » فقال : « بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفه ولا سمعت به . ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث » . فقال له : « فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ » قال : كثير ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » .
مات سنة ١٥٦ هـ (٧٧٢ م) وأخباره في : الأغاني (٥ : ١٥٦ ــ ١٥٧) ، الوفيات (١ : ٢٣١ ــ ٢٣٣) ، نزهة الالباء (ص ٤٣ ــ ٥٠) .

الوليد بن يزيد ونادمه ومدح أخاه وخصّ به .

قال : حضر مطيع بن إياس (١١٠ أ) وشراعة بن الزندبوذ(٢٢) ويحيى بن زياد ووالبة بن الحباب(٢٣) وعبدالله بن عياش المنتـوف(٢٤) وحماد عجرد مجلس بعض الأمراء بالكوفة . فاجتمعوا كلهم على مطيع فكايدوه وهجوه ، فغلبهم كلهم ، ثم بدههم فقال(٢٥) :

وخمسةٍ قد أبانوا لي عداوتهم وقد تلظّى لهم مِقليً وطنجيرُ
لو يقدرون على لحمي تقسّمه قردٌ وكلبٌ وجرواه وخنزير

فقطعهم وأقرّوا له .

قال(٢٦) : واجتمعوا يشربون ، فأقاموا على ذلك أياماً . فقال لهم يحيى بن زياد ليلة ، وهم سكارى : ويحكم ! ما صلّينا منذ ثلاثة أيام . فقوموا بنا حتى نصلي . فقالوا : نعم ! فقام مطيع فأذّن وأقام . ثم قال للمغنية : تقدّمي فصلّي بنا . فتقدمت ، وكانت بلا سراويل ، وعليها غلالة رقيقة . فلما سجدت انكشف متاعها ، فوثب اليه مطيع فقبّله ، ثم قال :

---

(٢٢) المخطوط : الزندبود . وما أثبتناه عن الاغاني .

(٢٣) رجل كوفي ، من شعراء الدولة العباسية . كان استاذ أبي نواس . ولما مات رثاه أبو نواس (ص ١٣٢) وكان والبة ظريفاً شاعراً غزلا وصافاً للشراب والغلمان والمرد . وقد هاجى بشاراً وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً وفضحاه ، فعاد الى الكوفة كالهارب ، وخمل ذكره بعد . أخباره في : طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٣٣ ــ ٣٤) ، الأغاني (١٦ : ١٤٢ ــ ١٤٦) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٣ : ٤٨٧ ــ ٤٩٠) .

(٢٤) المخطوط : المنتوف . وهو رجل كوفي ، راوية للاخبار والآداب . مات سنة ١٥٨ هـ (٧٧٤ م) . وأخباره في : تاريخ الطبري (انظر : فهارسه) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٠ : ١٤ ــ ١٦) .

(٢٥) الاغاني (١٢ : ١٠٢) .

(٢٦) الاغاني (١٢ : ١٠٠) ، الصبوح والغبوق (ص ١١١ ــ ١١٢) .

ولمـا بـدا هَنُهـا جاثمـاً كرأسِ حليقٍ ولم تعتمدْ
سجـدتُ له ثـم قبّلتـهُ كما يفعلُ العـابد المُجتهد

فقطعوا صلاتهم بالضحك ، ثم عادوا الى ما كانوا عليه •

قال : كتب يحيى بن زياد يوماً الى مطيع : أنا نشيط[٢٧] للشرب ، فان (١١٠ ب) كنتَ فارغاً فصر اليَّ • وإن كان عندك نبيذ طيب وغناء جئتك ! فجاءته الرقعة وعنده حماد الراوية وحكم الوادي وغلام أمرد ، فأجابه[٢٨] :

نعـم ، لنـا نبيـذٌ وعنـدنا حمّـادُ
وعنـدنا وادينـا[٢٩] وهـو لنـا عمـادِ
وخـيرُنا كثـيرٌ والخـيرُ يُسـتزاد
ولَهـونا لـذيـذٌ لـم تَلْهُـهُ العبـاد
أو تشـتهي سَفادُ فعنـدنا فسـاد
أو تشـتهي غـلاماً فعنـدنا زيـاد
ما ان بـه التـواءٌ عنّـا ولا بعـاد

فلما قرأ الرقعة ، صار اليهم ، فتمموا بقية يومهم •

وقال[٣٠] يحيى بن زياد له : انطلق بنا الى فـلانة المغنيـة ، وكان يهواها ، فان بيننا مغاضَبة ، فلعلك أن تصلح بيني وبينها ، وبئس المصلح والله ، أنت ! فدخلا اليها ، فأقبل يحيى يُعاتبها ، ومطيع ساكت • فقال له :

---

(٢٧) المخطوط : نسط •
(٢٨) الاغاني (١٢ : ٨٦) •
(٢٩) لعله يريد « حكم الوادي » المغنى الشاعر •
(٣٠) طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٣٧) ، الاغاني (١٢ : ٧٩ ـ ٨٠) ، بدائع البدائه (ص ١٨٥) ، نهاية الارب (٤ : ٦١) •

ما يسكتك ، أسكتَ الله نأمتك[٣١] ؟ فقال مطيع :

أنتِ مُعتلّةٌ عليه وما زا   لَ مُهيناً لنفسه في هواكِ[٣٢]

فأعجب يحيى ما قاله ، وهشّ له ، وقال : هيه ! فقال :

فدعيه ، وواصلي ابن إياسٍ   جُعلتْ نفسه الغَداة فداكِ

فقام اليه يحيى بالوسادة يجلد بها رأسه ، وقال : ألهذا دعوتُك (١١١ أ) يا ابن الفاعلة ؟

قال[٣٣] : وكان بالكوفة مقين[٣٤] ، يقال له أبو الأصبغ . وكان له ابن يقال اصبغ ، أحسن الناس وجهاً . وكان مطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحماد عجرد يغشون منزله ويعشقون ابنه ولا يقدرون عليه . فعزم أبو الاصبغ على أن يصطبح يوماً مع يحيى بن زياد . فأهدى اليه يحيى من الليل جداء ودجاجاً وفراخاً وفاكهة وشراباً . فقال أبو الاصبغ لجواريه : إن يحيى بن زياد عندنا ، فأصلحوا له ما يشتهيه . فلما فرغ من الطعام ، لم يجد رسولاً يبعث به اليه سوى ابنه اصبغ . فقال له : لا تبرح إلا ويحيى معك . فلما جاءه اصبغ ، قال للغلام : أدخله : وتنحّ أنت واغلق الباب ، فان أراد اصبغ الخروج فامنعه . فلما دخل اليه اصبغ وأدى الرسالة ، راوده يحيى عن نفسه ، فامتنع . فثاوره[٣٥] يحيى ، فصرعه ، ورام حلّ تكّته ، فلم يقدر على ذلك ، فقطعها يحيى . فلما فرغ ، أعطاه أربعين ديناراً كانت تحت مُصلاه . فأخذها . وقال له يحيى : إمضِ[٣٦] ،

---

(٣١) النأمة : الصوت . وأسكت الله نأمته ، أي أماته .
(٣٢) سائر المراجع : رضاكِ .
(٣٣) الصبوح والغبوق (ص ١٠٨ ــ ١١٠) ، نهاية الارب (٤ : ٧٦ ــ ٧٨ من الطبعة الاولى الكاملة المتن) .
(٣٤) نهاية الارب : رجل له قيان .
(٣٥) نهاية الارب : فعاركه .
(٣٦) المخطوط : امضى .

فاني على أثرك . فخرج اصبغ من عنده ، واغتسل يحيى ، وجلس يتزيّن ويتبخر . فدخل اليه مطيع ، فرأى ما هو فيه ، فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يُجبه ، وشمخ بأنفه ، وقطّب حاجبه ! (١١١ ب) فقال له : أراك تتزيّن وتتبخر ، أين عزمت ؟ فلم يجبه . فقال : ويحك ! ما لك ؟ نزل عليك الوحي ؟ أو كلمتك الملائكة ؟ أو بُويع لك بالخلافة ؟ وهو يومىء برأسه : لا ، لا ! قال : فأراك قد تهتَ علينا فما تتكلم ، حتى كأنك قد نكت اصبغ بن أبي الاصبغ ! فقال : أي والله ! الساعة ، وأعطيته أربعين ديناراً . قال : فالى أين تمضي ؟ قال : الى دعوة أبيه . فقال مطيع : اِمرأته طالق اِن فارقتك أو أقبّل أيرك ! فأبداه يحيى له . فقبّله . ثم قال له : كيف قدرتَ عليه ؟ فحدّثه حديثه ، وقام ليمضي الى منزل أبي الاصبغ ، فاتبعه مطيع ، وصَبرَ ساعة ، ثم دق الباب واستأذن . فخرج اليه الرسول ، فقال له : انه اليوم على شُغلٍ لا يتفرغ لك ، فتعذر ! قال : فابعث الى دواة وقرطاس . فكتب مطيع الى أبي الاصبغ بهذه الأبيات[٣٧] :

يا أبا الاصبغ ، لا زلت على	كل حالٍ عالياً مُمتنعَا
لا تُصيّرني في الودّ كمن	قطع التكّة قطعاً شنعا
وأتى ما يشتهي لا ينتهي[٣٨]	خيفة أو حفظ حقٍّ ضُيعا
لو ترى الاصبغ ملقىً تحته	مستكيناً خجلاً قد خضعا
(١١٢ أ) وله دفعٌ عليه عَجلٌ	شبقاً ساءك ما قد صنعا
فادعُ بالاصبغ فاعرف حاله	سترى امراً قبيحاً فظعا

فقال أبو الاصبغ ليحيى : فعلتها يا ابن الزانية ؟ قال : لا ! فضرب بيده الى

---

(٣٧) الاغاني (١٢ : ١٠١) ، نهاية الارب (٤ : ٧٧ من الطبعة الكاملة) ، الصبوح والغبوق (ص ١٠٩ — ١١٠) .

(٣٨) الاغاني ونهاية الأرب : لم يثنه ، وهي أحسن .

تكة ابنه ، فوجدها مقطوعة ، فأيقن بالفضيحة ! فقال يحيى : قد كان الذي كان ، وسعى اليك مطيع ابن الزانية . وهذا ابني ، وهو أفره من ابنك . وأنا وهو عربي ابن عربية ، وابنـك نبطي ابن نبطيـة . فنك ابني عشراً مكان المرة التي نكتُ ابنك ، فتكون قد ربحتَ الدنانير ، وللواحد عشرة . فضحك أبو الاصبغ ، وقال لابنه : هات الدنانير يا ابن الفاعلة ! فرمى بهـا اليه ، وقام خجلاً . فقال يحيى : والله ، لا دخل مطيع ابن الزانية ! فقال أبو الاصبغ وجواريه : والله ، ليدخلنّ الينـا ، فقـد فضحنا ! فأُدخل وجلس يشرب معهم ، ويحيى يشتمه بكل لسان ، ومطيع يضحك !

ولمطيع أخبار كثيرة ظريفة ، منع من إيرادها خوف الاطـالة وما تدعو[٣٩] اليه من الملالة .

وله شعر حسن مليح ، ويتغنى في شعره . فمن ذلك ، قوله :

واهاً لظبي رجـوتُ نائله حتى انثنى لي بوده صـلفا

(١١٢ ب) لانت حواشيه لي وأطمعني

حتـى اذا قلتُ نِلتُـه انصـرفا

وقال أيضاً ، وله فيه غناء :

خليـلي مُخلفٌ أبـدا يمنّيني غـداً فغـدا

وبعد غـدٍ وبعـد غـدٍ كـذا لا ينقضي أبـدا

وليس بلابثٍ جمرُ الـ غضا أن[٤٠] يحرق الكبدا

ومن مليح ، قوله :

إخلع عذارك في الهـوى واشـرب معتقـةَ الدِنـان

---

(٣٩) المخطوط : تدعوا .

(٤٠) لعل الأصل : أو . (كاظم الدجيلي) .

وصل القيـــان مُجاهــراً فالعيشُ في وَصل القيــان
لا يُلهينـــك غـــير مـــا تهــوى فان العُمرَ فـــاني

وكان مطيع يبغض أباه ويهجوه . وهو من بني كنـانة . وكان يوماً يذكر قبائل قريش والعرب ويصف قوماً قوماً . فقال له بعض من حضر : فأين بنو كنانة ؟ فقال غير متمهـــل : « بفلسطين يسرعون الركوبا » ، أراد قول الشاعر(٤١) :

حَلَق(٤٢) من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركـــوبا

---

(٤١) البيت لابن قيس الرقيات . انظر ديوانه (تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٩٥٨ ؛ ص ١٠٩) .
(٤٢) جمع حلقة .

عمر[1] مر يونان[2]

(١١٣ أ) وهذا العُمر بالأنبار[3] ، على الفرات ، وهو عمر حسن كبير ، كثير القلايات والرهبان ، وعليه سور محكم البناء ، فهو كالحصن له ، والجامع ملاصقه ، ولا يخلو من المتنزهين والمتطرفين ، وله ظاهر حسن ومنظر عجيب ، سيما في أيام الربيع : لأن صحاريه وسائر أراضيه تكون كالحلل لكثرة طرائف زهره وفنون أنواره ، ومن اجتاز بالأنبار من الخلفاء ومن دونهم ينزله مدة مقامه[4] .

وقد وصفته الشعراء وذكرته في أشعارها ، وللحسين بن الضحاك[5] ، فيه[6] :

آذَنكَ الناقوس بالفجر وغَرَّدَ الراهبُ في العُمرِ

---

(١) المخطوط : عمر : بفتح أوله ، والوجه بالضم ، على ما ذكرنا في مطلع الكلام على « عمر الزعفران » .

(٢) المخطوط : يونان . وقد تصحف اسم هذا الدير في المسالك (ص ٢٨٦) الى « عمر مر تومان » .

(٣) الانبار : مدينة كانت على الفرات ، في غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ . وكانت الفرس تسميها فيروز سابور . أول من عمرها سابور بن هرمز ذو الاكتاف ، ثم جددها أبو العباس السفاح وبنى بها قصوراً وأقام بها الى ان مات (معجم البلدان . مادة الانبار) . قلت : وأطلالها ، في شمال غربي بلدة الفلوجة ، على نحو اربعة كيلومترات منها وقد رأيتها .

(٤) ممن نزل هذا الدير من الخلفاء ، هرون الرشيد ، ذكر الطبري في تاريخه (٣ : ٦٧٥ و ٦٧٨) انه نزل العمر .

(٥) اختلفت الرواية في قائل هذه الابيات . فقيل انها للحسين بن الضحاك . وقيل انها لابي نواس ، فقد وردت في ديوانه .

(٦) المجموع اللفيف (مخطوط . الورقة ١٨٢) ، ديوان أبي نواس (ص ٢٧٦) ، معجم البلدان (٢ : ٧٠١) .

واطّردت عيناك في روضة تضحك عن حمر[7] وعن صفر

وحن مخمور الى خمره وجاءت الكأس[8] على قدر

فارغب[9] عن النوم الى شربها ترغب عن الموت الى النشر

ولكشاجم[10] ، فيه[11] :

اغد ، يا صاحبي ، الى الأنبار تشرب الراح في شباب النهار

واعمر العمر باللذاذة والقصف وحث الكؤوس والأوتار

ما ترى الدهر قد أتاك بوجه طلق بعد نبوة وازورار

(١١٣ ب) لابساً حلة من الزهر كانت

قبل محجوبة عن الأبصار

نرجس كالعيون يرقب من يهواه من غير رقبة أو حذار

واذا ما بدا الشقائق فيها خاله الناظرون شعلة نار

أو كما نشرت مطارف حمر لأمير في جحفل جرار

وكأن البنفسج الغض فيها أثر القرص في خدود الجواري

---

(٧) الديوان : خضر ٠

(٨) الديوان : الغيث ٠

(٩) هذا البيت لم يرد في الديوان ٠ على ان في الديوان ثمانية أبيات أخرى لم ترد في الديارات ٠

(١٠) أبو الفتح محمود بن الحسين ، الأديب الكاتب الشاعر ، المعروف بكشاجم ٠ من أهل الرملة من نواحي فلسطين ٠ سئل عن معنى كشاجم ، فقال : الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد ، والميم من منجم ٠ وله تآليف ، طبع منها : أدب النديم ، وديوان شعر ، والمصائد والمطارد ، توفي سنة ٣٣٠ على رواية ٠ (الفهرست ص١٣٩ ، مقدمة ديوانه المطبوع في بيروت سنة ١٣١٣ هـ ص ٢ ــ ٣ ، الشذرات ٣ : ٣٧ ــ ٣٨) ٠

(١١) هذه الأبيات لم ترد في ديوانه المطبوع ٠ والأول والثاني والأخير منها ، وردت في المسالك (ص ٢٨٧) مع بيت آخر لم يذكره الشابشتي ٠

وتراءى الخزامى[١٢] السمائي فيها كاليـــواقيت نظمت في المـــذاري
وكـأن المنثـــور حُـلـةٌ وشـيٍ مثلها ما حَـوت تُخوتُ التجـار
في طـــراز الربيع حيكت ولـكن نمّقت وشـيها يـــدُ الأمطـــار
أقحـوان وسُوسنٌ حَسَن النـو رِ وشيحٌ [١٣] مُنمنمٌ مع بهار
فاغتنـم غفلـة الزمـــان وبـــادر وافترصْ لذّة الليـالي القصـــار

وكشاجم ، أبو الفتـح محمود بن الحسين الكاتب ، مليح الشعر ، رقيق الطبع ، حسن الوصف . له كتب كثيرة وتأليفات طريفة . فمن شعره في بعض ما كان يألفه : قوله[١٤] :

من عـذيري من عـذاري رشـأٍ عـرّض القلبَ لأسبابِ التلفْ
قمـــرٌ جال نعيـــمُ الحسن في مـاء خـدّيـه عـلى مـاء الترف
(١١٤ أ) وله خطُّ عـــذارٍ خطّـه روـــق العـــزّ بأقـلام الشـــرَف
حكمـةٌ في نعمةٍ قـــد طُرزت بطرازٍ لم يَجُزْ حـدَّ الشَّنف
جمّشا[١٥] خـــديه ثم انعطفـا آه مـا أحسن ذاك المنعطف
عَلِمَ الشعر الذي عـــاجله[١٦] انـــه جـــارَ عليـــه فوقَف
فهو في وقفتـــه معتـرفٌ بالتناهي في التعـــدي والسَّـرف

---

(١٢) الخزم بفتح اوليه وثانيه ، أو بضمهما : جمع الخـــزام . نبت طيب الرائحة .

(١٣) المخطوط : وشيخ وهو من أوهام الناسخ .

(١٤) هذه الأبيات ، عدا الثاني والثالث ، وردت في الديوان (ص ١٢٥) . وفي النسخة المخطوطة من ديوان كشاجم (مخطوطات خزانة برنستن H. 17 [23] الورقة ٨) بيت آخر لم يرد في الشابشتي وهو :

زيد حسناً وضـــياءً بهمـــا فهو الآن كبدر في سدف

(١٥) الديوان : خمشا .

(١٦) الديوان : جاعله .

وله في صفةُ عود[17] :

جاءت[18] بعـــودٍ كأن نغمتـهُ	صوت فتـاة تشـكو فراق فَتـى
محفّفٌ حفّتِ النفوسُ بـــه	كأنمـــا الزهر حولهُ نَبتـا
دارت مَلاويــه فيــه واختلفت	مثـل اختلاف الـكفينِ شُبـّكتا
لـو حركتــهُ وراء منهزم	عـلى بريـدٍ لعاجَ والتفتا
يـا حُسنَ صوتيهمـا ، كأنهمـا	أختـان في صَنعـةٍ تراسَـلتا
وهو عـلى ذا ينوبُ إن سَـكتت	عنهـا ، وعنـــه تنوب إن سـكتا

وله في ذلك[19] :

ومُسمعةٍ تحنو[20] عـلى مترنم	له زَجلٌ عالٍ وليس لهسَحْرُ[21]
إذا ما تأملتَ الحشـى منه خِلته	تضمّن شبعاً وهو منخرقٌ صِفر

(١١٤ ب) له نغمٌ يفضين من كل سامع[22]

	الى حيث لا تفضي بشاربهـــا الخمـــر
اذا طرقتـــه بالأنامل والتقى	على جسمه من جسمها النحر والصدر
يكى طرباً فاستضحك اللهو نحـــوه	
	وفضّت عرى الاسباب واستلب الصبرُ
وتمنحـــهُ اليمنـى حساباً مُفصّلاً	
	فتحمل فيـــه الخَمسُ والستُّ والعشر

---

(١٧) ديوان كشاجم . (ص ١٧) ، المسالك (ص ٢٨٧) .

(١٨) كتب فى الهامش ، بخط يخالف الأصل : قف على وصف العود .

(١٩) الأبيات ، عـدا الثـاني والثالث والسادس ، وردت في الديوان (ص ٩٨ ــ ٩٩) .

(٢٠) المخطوط : تحنوا ، الديوان : تحبو .

(٢١) السحر : الرئة .

(٢٢) الصحيح : له نغم تُفضي الى كل سامع .

فمتُّ صريعَ السُكر أطيبَ ميتةٍ وما الحِلم إلا أن يسفهك السكر

ومن مليح شعره[23] :

يقولون : تبْ ، والكأس في كفِّ أَغيد
وصوت المثاني والمثالث عالي
فقلت لهم : لو كنتُ أضمرت توبةً
وابصرت هذا كلّه َلبدا لي[24]

وله يصف ِمعزَفة[25] :

معلقة الأوتار صَخّابة لها حنينٌ كحنين الغَريبْ
زادت[26] على المزهَر[27] طيباً وقد
تاهت عن الناي بخلقٍ[28] عجيب
مكسوةٌ أحشاؤها جلدة بيضاء من جلدِ غزالٍ ربيب
كأنما تسعة[29] أوتارها ُنصِبنَ أشراكاً لصيد القُلوب

وله في مضراب[30] :

يا أيها الصلِف المدِل بحسنه ُجد للمحبِّ ، فأنت أهل الجودِ
(**١١٥** أ) بقبول مضراب حكاكَ بحسنه
َحسن التعطُّفِ مخطف مقدود[31]

---

(٢٣) ديوان كشاجم (ص ١٤١ ــ ١٤٢) .
(٢٤) الديوان : وابصرت هذا في المنام بدا لي .
(٢٥) ديوان كشاجم (ص ٨) .
(٢٦) الديوان : تاهت .
(٢٧) المزهر ، كمنبر : آلة طرب كالعود . ج : مزاهر .
(٢٨) المخطوط : بحلو .
(٢٩) الديوان : ستة .
(٣٠) ديوان كشاجم (ص ٣٨) وعنوانها فيه « وقال في مضرب أهداه » .
والمضراب : ما يضرب به ، مثل ريشة العود التي يضرب بها الوتر .
(٣١) المخطوط : محطف ممدود ، وما في أعلاه عن الديوان .

مُتشبّه بك حـين تخطو لاهيـاً وتميس بين مَجاسد[٣٢] وعُقود
لا تشمتنّ بي الحسودَ بـردّه يَفديكَ كلُّ حسودةٍ وحسود
لـم أهدهِ لك يـا مُناي وإنمـا أهديتُـه متقرباً للعـود

وله يرثي قدحاً له كان انكسر[٣٣] :

وعنـدي فجائعُ للنائبـات وليس كفجعتنـا بالقـدَحْ
وعـاءُ المدام وتاج البنـان[٣٤] وخـدن السرور ومقصي الترح
يَردُّ على الشخص تمثالـهُ فلو تتخـذه مِرآةً صَلَح
يكاد مع الماءِ إن مَسَّـه لما فيـه من شِبهه يَنسفح
فأفقدنيـه عـلى ضنَّـةٍ بـه للزمان غَريـمٌ مُلحّ
كأنّ لـه ناظـراً يتقي فما يتعمَّـدُ غـيرَ المُلح
فلا تبعدنّ فكم من حشىً عليك كليمٍ وقلبٍ قَـرِح

وله في النيل[٣٥] :

كأن النيلَ حين أتى بمصرٍ وفاض بها وكسرتِ التراعُ
وأحدق بالقرى من كلّ وَجـهٍ سماوات كواكبُهـا ضيـاع

وقال في البطّيخ[٣٦] :

(١١٥ ب) وطيّبٍ أهـدى لنا طيّبـاً
فدلّنـا المُهـدَى عـلى المُهـدي
يا جاني البطيخ من غرسـهِ جنيتَ منـه ثمرَ الحمـد

---

(٣٢) الديوان : منافس .
(٣٣) ديوان كشاجم (ص ٢٧ ـ ٢٨) .
(٣٤) الديوان : الندام .
(٣٥) لم يردا في ديوانه المطبوع .
(٣٦) الديوان (ص ٥٠) .

لم يأتنا حتى أتتنا به روائح أَغنت عن النَّدّ
كأنما تكشفُ منه المُدى عن زَعفرانٍ دِيف[37] في شهد
كأنما في جوفه قهوةٌ يُنقع فيها مَندلٌ[38] هندي

وفيما أتينا به من طريف شعره وغريب صفاته ، كفاية تفي بالشرط ولا تتجاوز الحد[39] .

(٣٧) يقال : داف الدواء ونحوه : خلطه . أذابه في الماء وضربه فيه ليختر .

(٣٨) الديوان : عنبر . والمندل : العود الطيب الرائحة . قال ياقوت (معجم البلدان ٤ : ٦٦٠) : « مندل : بلد بالهند منه يجلب العود الفائق الذي يقال له المندلي » .

(٣٩) بهذا ينتهي كلام الشابشتي على « عمر مر يونان » . وأكثره على ما رأى القارىء ، استطراد لا يتصل في هذا الدير بسبب . وللوقوف على أنباء أخرى عن هذا الدير ، راجع الذيل (١٩) .

دير قنى[1]

ويعرف أيضاً بدير مر ماري السليح[2]

وهذا الدير ، على ستة عشر فرسخاً من بغداد ، منحدراً في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد •

وهو دير حسن ، نزه ، عامر • وفيـــه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه ، لكل راهب قلاية • وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من ألف دينار الى مائتي دينار الى خمسين دينـاراً • وحول كل قلاية بستان ، فيه من جميع الثمار والنخل والزيتون • وتبـاع غلّته من مائتي دينار (١١٦ أ) الى خمسين ديناراً • وعليه سور عظيم يحيط به • وفي وسطه نهر جار •

وعيده الذي يجتمع الناس اليه عيد الصليب[3] •

وقد وصفته الشعراء • ولابن جُمهور ، فيه[4] :

يـا مَنـــزل اللّهو بدير قُنّـــا ... قلبي الى تلك الربى قـــد حنّـا

سـقياً لأيامك لمـــا كنـــا ... نمتـارُ منك لذّة وحُسنـــا

أيـام لا أنعَـمَ عيشٍ منّـــا ... اِذا انتشينا وصحونا عُـــدنا

---

(١) كتب أخي ، ميخائيل عواد ، مقالة مستقصاة في هذا الدير (المشرق ٣٧ [بيروت ١٩٣٩] ص ١٨٠ ـ ١٩٨) وقـــد أفردت في رسالة عنوانها « دير قنى : موطن الوزراء والكتاب ، ومعقـل المسيحية فى العراق » •

(٢) المخطوط ، السليخ ، بالخاء المعجمة • والوجه ما أثبتنا • واللفظـة سريانية الأصل (شليحا) بمعنى : الرسول •

(٣) يقع عيد الصليب فى اليوم الرابع عشر من شهر أيلول فى كل سنة •

(٤) هذه الأبيات ، ما عدا الخمسة الأخيرة منها ، وردت فى معجم البلدان (٢ : ٦٨٨) • على ان صدر البيت الاخير ورد فيه وحده دون العجز •

وإن فنى دنّ نزلنا[5] دنّا حتى يظنّ أننا جُننّا

ومُسعدٍ في كل ما أردنا يَحكي لنا الغصن الرطيب اللّدنا

أحسن خلق الله أدّى لحنا وجسّ زير عوده وغنّى

بالله يا قسيس يا ما قنّى متى رأيتَ الرشأ الأغنّا

متى رأيتَ فتنتي يوحنا آهٍ اذا ما ماس أو تثنّى

يا مُنية القلب اذا تمنّى فتكتَ بالصبّ بك المعنّى

ثم قلبت في الهوى المجنّا[6] عذبته بالحبّ فَنّاً فنّا

وصارت الارض عليه سجنا فما يلاقي الجفن منه جفنا

أفديك لا[7] تهجر صباً مضنى قد كان من غدرك مطمئنا

(١١٦ ب) أسأتُ إذ أحسنتُ فيك الظنّا

وصار قلبي في يديك رهنا

وقال فيه أيضاً[8] :

وكم وقفةٍ في دير قُنّى وقفتها أُغازل فيه فاتن الطرف أحورا

وكم فتكةٍ لي فيه لم أنسَ طيبها أمتُّ بها عُرفاً وأحييت منكرا

وهو أبو علي محمد بن الحسين بن جمهور القمّي[9] . وكان

---

(٥) لعل الأصل : بزلنا .

(٦) مثل سائر . وأصله « قلب له ظهر المجن » والمجن الترس . يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد . (مجمع الأمثال ٢ : ٣٢ ، جمهرة الأمثال : بهامش الميداني ٢ : ١٣٤ ، تاريخ الطبري ٢ : ٧٧٢) .

(٧) المخطوط : لم .

(٨) معجم البلدان (٢ : ٦٨٨) .

(٩) أخباره في كثير من المراجع . وهو في بعضها « القمّي » بالقاف وفي بعضها « العمى » بالعين المهملة ، وهو الصواب . نشوار المحاضرة للتنوخي (٢ : ١٤٥ دمشق ١٩٤٢) . وقد تصحف فيه الى

أبوه من رواة أهل البيت ، صلوات الله عليهم ، وحاملي الأثر عنهم •

وكان أبو علي ظريفاً ، متأدباً ، مليح الشعر والكتابة[١٠] • وقد سافر في طلب العلم ، وتطرّح في مواطن اللعب ، وعاشر أهل الخلاعة ، وطرق الحانات والديارات • ثم أقام بالبصرة وحسنت حاله بها ، وصارت له نعمة كثيرة •

ومن شعره في جارية كانت في القيان تُعرف بزاد مهر[١١] جارية المنصورية ، وكانت له معها في القيان أحاديث طريفة ، ثم تأتّى له أن اشتراها ، قوله :

ربما استصعب واستُبْـ ـعِد أمرٌ وهو داني
يأتي[١٢] الانسانُ ما يهواه في صَفو الزمانِ
فيرى المستخذىء الآ يس من نيل الأماني
(١١٧أ) قد حوى ما كان يرجو في اغتباطٍ وأمانِ

« العجمى » بدلا من (العمي) ، الفهرست لابن النديم (ص ٢٢٣) ، الامتاع والمؤانسة (٢ : ١٧١) ، رجال النجاشي (ص ٢٣٨) ، الفهرست للطوسي (ص ١٤٦ طبعة النجف) ، معالم العلماء لابن شهراشوب (ص ٩٢) ، معجم الأدباء (٦ : ٤٩٨) منهج المقال في أحوال الرجال لمحمد بن اسماعيل المعروف بأبي علي (ص٣٥٧) ، اتقان المقال في أحوال الرجال لمحمد طه نجف (ص ٣٤٢ طبع النجف سنة ١٣٤٠ هـ) ، تنقيح المقال في أحوال الرجال للمامقاني (٣ : ١٠٠ ـ ١٠١) •

(١٠) قال ياقوت (معجم الادباء ٦ : ٤٩٨) : « قال أبو علي التنوخي : وكان من شيوخ أهل الادب بالبصرة ، وكثير الملازمة لابي • وحرر لي خطي لما قويت على الكتابة ، لانه كان جيد الخط حسن الترسل كثير المصنفات لكتب الادب ، فكثرت ملازمتي له ، وكان يمدح أبي » •

(١١) في « حكاية أبي القاسم البغدادي » (ص ٧١ ـ ٧٥) شيء كثير من أخبار هذه الجارية مع ابن جمهور ، ليس بينهما ما في ديارات الشابشتي •

(١٢) الصواب : يفعل •

وقال ايضاً :

كم قد ارتنا صروف الدهر من عَجبِ
ومن محبٍّ شديد السقم والوَصبِ

صفا له الدهر حتى نال بغيتَه
ممن تَعشَّقه في أيسر الطلب

وأخباره معها ومع غيرها من القيان عجيبة .

قالت لهزاد مهر هذه مرة ، وهي في القيان ، وقد دعاها : « خذ لي الطالع في شيء قد أضمرتُه » . فأخذ الطالع وزرقها[١٣] فقال : سألتِ عن رجل عليل القلب ، شديد الكرب ، دائم الفكرة ، طويل الحيرة ، قد أشفى على أمر عظيم في طاعة إنسان عزيز . فضحكت ، ثم قالت مسرعة : على بظر أمّ الكاذب ! والله ما سألتُ إلا عن الثوب المصمَت[١٤] الذي وعدتني به ، متى تبعث به إلي . فخجل ، وبعث به اليها .

وطرّز مرة منديلاً بهذه الأبيات[١٥] ، وأنفذه اليها :

أنا رسولٌ من فتىً عاشق   أدمعُه في خدّه جاريه
هذا ابن جمهورٍ فجودي له   منكِ بما يهواه يا قاسيه
وليست النفس وان شفّها   حبّك يا مولاته ساليه

---

(١٣) الزَرْق والرَزْق : هو عمل الزرّاق . والزرّاق من يقعد في الطريق فيحتال وينظر بزعمه في النجوم . يقال : زرقت عليه أي موّهت . ورجل زرّاق : خدّاع .

(١٤) الثوب المصمت ، اذا كان لا يخالط لونه لون . أو هو الذي جميعه ابريسم لا يخالطه قطن ولا غيره (تاج العروس ١ : ٥٦١ ــ ٥٦٢ مادة : ص م ت) ، النهاية لابن الاثير (٢ : ٢٧٤) .

(١٥) في الموشى للوشاء (ص ١٧٣ ــ ١٧٦ طبعة ليدن) ، فصل طريف بعنوان « ما وجد من الشعر على الزنانير والتكك والمناديل » . على ان رواية الشابشتي هذه ليست فيه .

(١١٧ب) فردت المنديل ، وقد طرزت في وسطه :

« أمّ من يسخر بنا حتى ينيكنا زانيه » !

وكتب اليها ، وقد كانت هجرته : يا سيدَةَ عَبْدِها ، والله ، ان الذي بلغك باطل ، لكنني اعترف به طاعةً لك ، وأقول كما قال ربيعة الأسدي :

هَبيني امرءاً أذنبت ذنباً جَهلته ولم آتهِ عمداً وذو الحلم يَجهلُ
عفا الله عما قد مضى لست عائداً وها أنا ذا من سُخطكم اتنصل

وقد قلت أيضاً :

أَملي إن كنت أخطأ تُ رشادي في هَواكِ
فلقد أسهرتِ عَيناً أرقت عند كراك
فاصفحي عني وجُودي جُعلت نفسي فداك

فوقّعت على ظهر الرقعة : ما لك تَغمّ نفسك ، وتتنطّع في كتب الأشعار ؟ وجّه الي بالغلالة ، وقد اصطلحنا !

وله فيها .

باتت عداكِ كما أبيتُ ولقي حسودك ما لقيتُ
يا منْ شقيت بحبّهِ صل ، لا شقيت كما شقيت
(١١٨أ) لاخنتُ عهدك ما حَييت ولا قطعت ولا نَسيت
كنْ كيف شئتَ فانني أرعى ودادك ما بقيت

وقال لها يوماً : يا قحبة ! قالت له : يا ابن القحبتين ! فقال لها : ويلك أقول لك يا قحبة ، فتقولين لي يا ابن القحبتين ؟ فقالت : نعم ! أنا شموس ، أردّ بالزوج !

وكنا نحضر مجلسه بالبصرة ، فيملي أخبار أهل البيت ، عليهم السلام . فاذا فرغ من الاملاء ، ابتدأ جواريه فقرأن بألحان ثم قُلن القصائد الزهديات . فاذا فرغن من ذلك ، انصرف من انصرف واحتبس عنده من يأنس به ، وعمل الغناء والشرب .

قال : وكان عبدون[١٦] بن مَخلد ، أخو صاعد بن مخلد ، عند وفاة أخيه وإطلاقه من الحبس ، صار الى دير قُنّى ، فأقام فيه وتعبّد •

وكان عبدون هذا ، ناقص الصنعة شديد التخلف • وبلغ مع ذلك مبلغاً عضيماً في أيام أخيه •

قال : فأهدت ريّق المغنية الى عبدون فاكهة مبكرة ، فيها تين ورمان وغيرهما • فقال لكاتبه : اكتب اليها جواب رقعتها بشعر • فحلف انه ما قال شعراً قط ! فغضب عبدون غضباً شديداً ، وقال : أنت بين يدي منذ سنين لا تحسن القصائد[١٧] السبع ؟ يا حمار ، أكتب اليها [١٨] :

(١١٨ب) قد أتتنا هديّتانكِ ... في يوم مهرجانك
وأكلنا من رُمّانكِ ... لأنك جانجانتنا ونحن جانجانك[١٩]

وكان صاعد[٢٠] ، من رجالات الناس حزماً وضبطاً وكفاية وكرماً ونبلاً • وكان كثير الصدقات والصلوات ليلاً ونهاراً • وكان في أيام

---

(١٦) كان عبدون من وجوه النصارى في وقته بالعراق (أخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى ص ٧٥) • واليه ينسب « دير عبدون » قال ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦٧٨) : «دير عبدون : بسر من رأى ، الى جنب المطيرة ، وسمي بدير عبدون لان عبدون أخا صاعد بن مخلد كان كثير الالمام به والمقام فيه ، فنسب اليه • وكان عبدون نصرانياً ، وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق واستوزره • وفي هذا الدير يقول ابن المعتز الشاعر :
سقى المطيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطال من المطر »
وانظر ايضاً وفيات الاعيان (١ : ٣٦٧) • وقد ذكر الشابشتي في آخر هذا الفصل ، ان عبدون توفي سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) •

(١٧) المخطوط : قصائد • والوجه ما أثبتنا •

(١٨) التحف والهدايا للخالديين • (القاهرة ١٩٥٦ ص ١٨١) •

(١٩) جانجان ، لفظ فارسي بمعنى روح الروح • وتقال لمن كان من أعز الأحبة • أنظر : Redhouse, Turkish and English Lexicon. p. 638

(٢٠) ترجمناه في ما سبق من حواشي « دير باشهرا » •

وزارته للموفق ، يركب الى دار الموفق ، فيقيم بحضرته أربع ساعات ثم ينصرف الى منزله ، فينظر في حوائج الناس وأمور الحاضر والغائب الى الظهر ، ثم يتغدى وينام ، ثم يجلس بالعشي فينظر في الأعمال السلطانية الى عشاء الآخرة ، لا يبرح أو يحصل جميع الأموال ما حُمل منها وما أُنفق وما بقي . ويعمل له بذلك عملاً[٢١] في كل يوم ويعرض عليه ، وما يخفى عنه شيء مما يجري في الأعمال كل يوم . ثم يأمر في أمر ضياعه وأسبابه ، ويتقدم الى وكلائه وخاصته بما يحتاج اليه . ثم يتشاغل بعد ذلك مع نديمٍ يتشاغل بحديثه ويأنس به . ثم ينام ، ويقوم في آخر الليل فلا يزال يصلي الى طلوع الفجر ، ثم يأذن للناس فيسلّمون عليه ، ثم يركب الى دار الموفق .

قال : ولما انصرف صاعد من فارس ، شكا اليه الموفق أمر عمرو بن (١١٩ أ) الليث[٢٢] وقلة الأموال وما يحتاج اليه لإنهاض العسكر . والتمس منه احتيال مال يُخرج به راشداً[٢٣] الى الصفّار . فقال والله ما لي حيلة أكثر من حظر النفقات ومنع المرتزقين . فقال الموفق : أين يقع ذلك مما احتاج ؟ والذي أريد أن تأخذ من التجار قرضاً وتوظّف[٢٤] عليهم وعليك وعلى الكتاب والعمال مالاً نستعين به على إخراج راشد . فاذا

---

(٢١) العمل هاهنا ، بمعنى الاحصاء .

(٢٢) هو أخو يعقوب بن الليث الصفار . وقد مرت الاشارة اليه في نحو أواسط « دير العذارى » من هذا الكتاب .

(٢٣) كان راشد مولى الموفق وقائداً من قواده . أبلى بلاء حسناً في حرب الزنج ، بين سنة ٢٦٧ و ٢٧٠ هـ (٨٨٠ – ٨٨٣ م) . وفي سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) عقد المعتضد له على الدينور وخلع عليه . توفي بالدينور سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م) . وحمل منها الى بغداد . أخباره في تاريخ الطبري (٣ : ١٩٨٨ ، ٢٠١٢ ، ٢٠٥٦ ، ٢٠٦٦ ، ٢٠٧٥ ، ٢١٣٤ ، ٢١٣٩) .

(٢٤) توظف عليهم مالا ، أي تلزمهم بدفعه .

اتسعت رددناه عليهم . فاستوحش صاعد من ذلك وأراد إعمال الحيلة في التباعد عنه . فقال : أما بواسط ، فلا يتهيأ لي . ولكن إن أذن لي الأمير في المصير الى مدينة السلام ، رجوت أن أحتال على ما يريد . فقال : إعزم على ذلك . وكتب الى أبي العباس[٢٥] ابنه بالقبض على ما لصاعد بسر من رأى وبغداد وجميع أسبابه .

قال اسحق بن ابراهيم الكاتب : فرأيت صاعداً في اليوم الذي قبض عليه فيه متثاقلاً عن المصير الى الموفق . فلم أزل به الى أن قعد في الطيّار وهو على غاية الكراهة ، ووصل الى حضرة الموفق ، وقد واقف الموفق راشداً أن يسير الى دار صاعد عند حصوله بين يديه ، فيقبض على ما فيها وعلى إبنه وأسبابه . فلما رأى صاعد (١١٩ ب) عند مسيره الجيش على الجسر ، قال : ما هذا ، أعز الله الأمير ؟ قال : استأذنني راشد في عرض رجاله الذين يخرجون معه الى فارس ، وقد مضى لعرضهم . قال فأقوم وأمضي نحوهم واحضر عرض الرجال معه . قال : إفعلْ . فوثب صاعد ليمضي ، فعُدل به الى الحجرة التي اُعدّت له ، ووكل به ، وقبض على ما كان له بواسط ، وعلى عبدون أخيه وجميع أموالهما[٢٦] في يوم واحد . وحصل مما قُبض عنه وعن أخيه وابنه من الضياع ما مقدار ارتفاعه ألف ألف دينار . ووُجد لهم من المتاع والكسوة والطيب والجوهر والفرش والآلات ما لا قيمة له كثرةً ، ونحو أربعة آلاف رأس من الدواب والبغال .

---

(٢٥) تولى الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد على الله ، سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢م) ، وعرف بالمعتضد بالله .

(٢٦) قال الطبري (تاريخه ٣ : ٢١٠٩ حوادث سنة ٢٧٢ هـ) : « فيها قبض الموفق على صاعد بن مخلد بواسط وعلى أسبابه ، وانتهب منازلهم ، يوم الاثنين لتسع خلون من رجب ، وقبض على ابنيه أبي عيسى وأبي صالح ببغداد ، وعلى أخيه عبدون وأسبابه بسامراء ، وذلك كله في يوم واحد وهو اليوم الذي قبض فيه على صاعد » .

وأربعة آلاف غلام بين فحل وخادم • ولم يوجد له مما ظهر من المال إلا نحو مائتي ألف دينار • ثم وضع يده في كشف أموالهم وودائعهم ومصادرات أسبابهم ، فكان ذلك امراً عظيماً •

ولم يزل محبوساً الى سنة خمس وتسعين ومائتين ، ثم نقل الى دار ابن طاهر(٢٧)، فمات هناك من خِلفة(٢٨) أصابته• فدفن بازاء الدار(٢٩) المعروفة به •

ومات أخوه عبدون ، وهو مترهب بدير قنى ، في سنة عشر وثلثمائة(٣٠) •

---

(٢٧) دار ابن طاهر كانت في الحريم الطاهري ، بالجانب الغربي من بغداد على دجلة ، وله ذكر كثير في تاريخ بني العباس وحوادث الخلفاء منهم • وكانت في الشمال الشرقي منموضع قصر عبدالحسين الجلبي الحالي ، بين الكاظمية وبغداد • وموضع القصر هذا يعد من الحريم الطاهري (الدكتور مصطفى جواد) •

(٢٨) الخلفة : فساد المعدة من الطعام •

(٢٩) يريد بالازاء هنا القبالة من الجانب الآخر مندجلة (الدكتور مصطفى جواد) •

(٣٠) لدير قنى أخبار كثيرة ، ألمعنا الى شيء منها في الذيل (٢٠) •

(١٢٠ أ)   عمر كسكر [١]

وهو أسفل من واسط ، في الجانب الشرقي منها ، بالقرية المعروفة ببرجوني [٢] ، وفيه كرسي المطران [٣] ، وهو عمر كبير عظيم حسن البناء محكم الصنعة ، حوله قلايات كثيرة ، كل قلاية منها لراهب ، وسبيلها سبيل القلايات التي بدير قُنّى ، ويحيط بالموضع بساتين كثيرة فيها الشجر والنخل وسائر الثمار ، فكل ذي ظرف يطرقه وكل ذي شجن [٤] يتسلى به [٥] .

---

(١) تصحف اسم هذا الدير في مسالك الأبصار (ص ٣١٠ – ٣١١) الى « عمرعسكر » . وكسكر التي أضيف اليها هذا العمر ، كورة واسعة قصبتها واسط (معجم البلدان . مادة : كسكر) .

(٢) المخطوط : برحوى . والوجه ما أثبتنا . وبرجوني ، وقيل فيها برجونية « قرية من شرقي واسط ، قبالتها . وهي نزهة ذات اشجار ونخل كثيرة . عندها عمر النصارى الذي ذكره ابن الحجاج في قوله :

بالعمر من واسط والليل ما انبسطت
فيه النجوم وضوء الصبح لم يلح

(معجم البلدان ١ : ٥٥٠ مادة : برجونية) .

(٣) يؤيد هذا ما ذكره ناشر «تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية» (المقدمة . ص ٥) نقلا عما كتبه ابن التلميذ في المئة الحادية عشرة للميلاد ، وما ورد في تاريخ كلدو واثور (ص ١١ من مقدمة المجلد الثاني) .

(٤) المخطوط : سحن .

(٥) وصف ياقوت هذا العمر في قوله (معجم البلدان ٣ : ٧٢٥) : «هذا العمر في شرقي واسط ، بينه وبين المدينة نحو فرسخ وهو عند قرية تسمى برجونية . وفي هذا العمر كرسي المطران . وهو عمر حسن جيد البناء مشهور عند النصارى، يحيط به بساتين نخيل بينه وبين دجلة فلا يراه القاصد حتى يلتصق بحائطه . وقد أكثر الشعراء من ذكره ... » .

ولمحمد بن حازم[٦] فيه ، وكان قصده أيام مقام الحسن بن سهل بواسط ، ومدح الحسن بن سهل ، وله معه حديث نذكره بعقب الشعر :

بعمر[٧] كسكر طاب اللهو والطربُ والبادكارات[٨] والأدوار والنُخبُ
وفتيةٍ بذلوا للكأس أنفسهم وأوجبوا لرضيع الكأس ما يجب
وأنفقوا في سبيل القصف ما وجدوا وانهبوا ما لهم فيها وما اكتسبوا[٩]

وتطرق الطبري غير مرة لذكر هذا الدير ، في حرب الزنج ، سنة ٢٦٧هـ • قال (٣ : ١٩٥٠) : « وركب أبو العباس [هو ابن الموفق، وصار خليفة باسم المعتضد] من غد يوم الوقعة [مع الزنج] حتى دخل واسط في أحسن زي ، وكان ذلك يوم جمعة ، فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة ، واستأمن اليه خلق كثير • ثم انحدر الى العمر ، وهو على فرسخ من واسط • فقدر فيه عسكره ، فقال : أجعل معسكري أسفل واسط ليأمن من فوقه الزنج • وقد كان نصير المعروف بأبي حمزة والشاه بن ميكال أشارا عليه أن يجعل مقامه فوق واسط ، فامتنع من ذلك وقال لهما : لست نازلا الا العمر ، فانزلا انتما في فوهة بردودا • وأعرض أبو العباس عن مشاورة أصحابه واستماع شيء من آرائهم ، فنزل العمر ••• » •

وقال في (٣ : ١٩٥٢) : « ورجع أبو العباس [بعد فوزه في معركة مع الزنج] وأقام بمعسكره في العمر » •

ومثل ذلك ما ذكره في (٣ : ١٩٥٦ و ١٩٦٠ و ١٩٦١) •

ويؤخذ منها جميعاً ، ان أبا العباس اتخذ من هذا الدير معسكرا له •

(٦) هو أبو جعفر محمد بن حازم بن عمرو الباهلي • ولد ونشأ في البصرة ، ثم سكن بغداد • كان شاعراً مطبوعاً من شعراء الدولة العباسية ، كثير الهجاء للناس • ولم يمدح من الخلفاء الا المأمون • ولم نقف على سنة وفاته • (الأغاني ١٢ : ١٥١ ــ ١٦٠ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٤٥ــ١٤٦ ، تاريخ بغداد للخطيب ٢:٢٩٥ ، معجم الشعراء للمرزباني • ص ٤٢٩) • وسيأتي طرف من أخباره وشعره في هذا الفصل من الكتاب •

(٧) معجم البلدان (٣ : ٧٢٥) ، المسالك (ص ٣١١) •

(٨) معجم البلدان : البازكارات ، المسالك : الباذكارات • والبادكارات مر تفسيرها في احدى الحواشي على « دير مر جرجس »

(٩) معجم البلدان : كسبوا •

محافظينَ ان استنجدتُهم دفعوا ... وأسخياء ان أستوهبتهم وهبوا

نادمتُ منهم كراماً سادة نُجباً ... مهذَّبين نمتهُم سادةٌ نُجب.

فلم نزل في رياض العُمر نعمرها ... قَصفاً وتغمرنا اللذات والطرب.

(١٢٠ب) والزهر يضحك والأنواء باكيةٌ ... والناي يُسعد والأوتار تصطخب

والكأس في فَلكِ اللذاتِ دائرةٌ ... تجري ونحن لها في دَورها قُطب

والدهر قد طُرِفَت عنّا نواظِرهُ ... فما تروعُنا الأحداث والنُّوَب.

وكان محمد بن حازم ، أحد الشعراء المطبوعين ، يجيد كل فنٍّ يركبه ويأتي بالمعاني التي تستغلق على غيره • وكان أكثر شعره في القناعة ومدح التصوُّن وذم الحرص والطمع •

وذكر[١٠] محمد بن حازم هذا ، قال : عرضت لي حاجة في عسكر الحسن بن سهل ، فأتيته وقد كنتُ قلت في السفينة شعراً • فدخلت الى محمد بن سعيد بن سالم الباهلي ، فانتسبت [له] فعرفني وأنزلني وأكرم مثواي • ثم قال لي : ما قلت في الأمير ؟ قلت : لم أقل بعد شيئاً • فقال رجل كان معي في السفينة : بلى ، قد قال أبياتا • فسألني أن أنشده إياها ، فأنشدته :

وقالوا لي مدحتَ فتى كريماً ... فقلت : وكيف لي بفتىً كريمِ

بلوت الناس مذ خمسين[١١] عاماً ... وحسبُك بالمجرِّب من عَليم

فما أحدٌ يُعدُّ ليوم خيرٍ ... ولا أحدٌ يعود على حَميم

ويعجبني الفتى وأظن خيراً ... فأكشف منه عن رجل لئيم.

(١٢١أ) تَقَيَّل بعضهم بعضاً فأضحوا ... بني أبوين قُدّا من أديم،

---

(١٠) الأغاني (١٢ : ١٥٦ ـ ١٥٧) •

(١١) المخطوط : خمسون •

قطاف الناسُ بالحسن بن سهل طوافهم بزَمزم والحطيم
وقالوا سيّدٌ يعطي جزيلاً ويكشف كربة الرجل الكظيم
فقلت مضى بذمّ القوم شعري وقد يُؤتى البرئُ من السقيم
وما خبرٌ تُرجّمه ظنُونٌ بأشفى من مُعاينة الحليم
فان يك ما تنشر عنه حقاً رجعت بأهبة الرجل المقيم
وإن يك غير ذاك حمدت ربي وزال الشك عن رجل حليم
وليس المال يعطفني عليه ولكن الكريم أخو الكريم

فلما أنشدته الشعر : قال : بمثل هذا تلقى الأمير ؟ والله لو كان نظيرك لما جاز لك أن تخاطبه بهذا . قلت : صدقتَ ، ولذلك قلتُ اني لم أمدحه . ولكني سأمدحه مدحةً تشبهه . قال : إفعل ! ودخل الى الحسن، فأخبره الخبر ، وأنشده الشعر وعجبه من جودة البيت الأخير(١٢) . فأمر بادخالي عليه لغير مدح . فأُدخلت . فأمرني أن أُنشده الشعر ، فاستعفيته : فلم يُعفني ، وقال : قد قنعت بهذا العذر ، إذ لم تُدخلني في جملة من ذممت ! ومع هذا ، فعلينا حسنُ مكافأتك . فأنشدته ، فضحك **(١٢١ب)** وقال : ويحك ! مالك وللناس تعمّهم بالهجاء ؟ حسبكَ الآن من هذاالنمط وأبقِ عليهم . فقلت : قد وهبتهم للأمير ! قال : قد قبلت ، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أُهديت له هدية فقبلها . ثم وصلني فأجزل. فقلت فيه ، وأنشدته :

وهبتُ القوم للحسن بن سَهلِ فعوّضني الجزيل من الثوابِ
وقال : دع الهجاءَ وقل جميلاً فان القصد أقربُ للصواب
فقلت له : بَرئتُ اليك منهم فليتهم بمنقطع التراب

---

(١٢) عبارة الأغاني : ودخل الى الحسن ، فأخبره بخبري وعجبه من جودة البيت الأخير ، فأعجبه ، فأمر بادخالي اليه ... »

ولولا نعمةُ الحسن بن سهلٍ عليَّ لسمتُهم سوء العذاب
أكيدهم مكايدة الأعادي واختلهم مخاتلة الذئاب
وما مُسخوا كلاباً غير اني رأيتُ القوم أشباه الكلاب

فضحك ثم قال : ويلك ! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد.
فقلت : هذه بقية طفحت على قلبي ، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقى الله الأمير .

قال(١٣) : وكان محمد بن حازم قد نسك وترك شرب النبيذ .
فدخل يوماً على ابراهيم بن شكلة(١٤) ، فحادثه وأكل معه ، وجلس
ابراهيم للشرب ، وسأله أن يشرب معه ، فامتنع ، وقال :

(١٢٢) أ أبعد خمسين أصبو والشيبُ للجهل حَربُ
سِنٌّ وشَيبٌ وجهلٌ أمرٌ ، لعمرك ، صعب
يا ابن الامام فهلاَّ أيام عُودي رَطب
وشيبُ رأسي قليلٌ ومنهل الحبِّ عَذب
وإذ سهامي صِيابٌ ونصل سيفي عَضب
وإذ شفاءُ الغَواني منّي حديثٌ وقُرب
فالآن لما رأى بي العذَّالُ ما قد أحبُّوا
وآنسَ الرشدُ منّي قومٌ أُعاب وأصبو
آليت أشربُ كأساً ما حج لله ركب

وذكر حمدان بن يحيى ، قال(١٥) : آخر ما فارقت عليه محمد بن

---

(١٣) الأغاني (١٢ : ١٥٧ و ١٦٠) .
(١٤) هو ابراهيم بن المهدي . وقد ترجمناه في احدى حواشي « دير سمالو » .
(١٥) اسناد الحكاية هاهنا جاء بوجه مقتضب . وفي الأغاني : « حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعيسى بن الحسين الوراق واللفظ له .
قالا : حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني ، قال : حدثنا حماد بن يحيى ، قال : حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : آخر ما فارقت ... ».

حازم انه قال لي : لم يبق علي شيء من اللذات إلا بيع السنانير[١٦] ! قال : فقلت له : أسخن الله عينك ! أيش لك في بيع السنانير من اللذة ؟ قال : تُعجبني العجوز الرعناء تخاصمني ، وتقول : هذا سنوري سُرق مني ، فأقول لها : كذبت ، ثم تشتمني وأشتمها وتخاصمني وأخاصمها !

قال : وأنشدني[١٧] :

صِل خَمرةً بخُمار[١٨] ... وصل خُماراً بخمرِ

(١٢٢ب) وخُذ بحظّك منها ... زاداً[١٩] الى حيث تدري

فقلت : الى أين ، ويحك ؟ فقال : الى الهاوية ، يا رقيع !

ومن مليح شعره ، قوله :

أيا ابن سعيد جُزتَ بي غاية البرّ ... وحمّلتني ما لا أطيق من الشكرِ

وان امرءاً أعطاك مجهود شكرِه ... وفُتّ ولم يبلغ مداكَ لفي عُذر

تُقلّبُ حالُ للفتى بعد حالةٍ ... وتبقى أيادِ حُرةٌ[٢٠] لفتىً حُرّ

ومن جيد شعره ، قوله :

واني لذو وِدٍّ لمن دام وده ... وجافٍ لمن رامَ الجفاءَ ملول

وان امرءاً يأوي الى دار ذلةٍ ... تَعبّده فيها الرجاء ذليل

وفي اليأس من ذلّ المطامع راحةٌ ... وفي الناس ممن لا تُحبّ بديل

وقال في القناعة :

اللهَ أحمدُ شاكراً ... فبلاؤهُ حَسنٌ جميلُ

---

(١٦) انظر : « التبصر بتجارة السنانير » لميخائيل عواد (جريد « البلاد » بغداد ٢٩ حزيران و ٥ تموز ١٩٤٤) .

(١٧) الاغاني (١٢ : ١٥٥) ، المسالك (ص ٣١١) .

(١٨) كتب فوق هذه الكلمة : بسكر .

(١٩) المسالك : كأساً .

(٢٠) المخطوط : حرة (بالجر) والصواب ما أثبتناه .

أصبحت مستوراً مُعافى   بين أَنعمه أجول

خلواً من الأحزان خفّ   الظهر يقنعني القليل

لم يشقني طمعٌ ولا   حرصٌ ولا أملٌ طويل

(١٤٣أ) سيّانَ عندي ذو الغنى الـ   ـمتلاف والرجلُ البخيل

ونفيت باليأس المُنى   عني فطاب لي المقيل

والناس كلّهمُ لمن   خَفّت مؤونته خليل

قال[٢١] محمد بن حازم : بعث الي بعض الطاهرية ، وكنت قد بالغت في هجوه وأفرطت ، بألف درهم وتخت[٢٢] ثياب ، وقال : أما ما قد مضى ، فلا سبيل الى رده ، ولكني أُحبُّ ألا تزيد عليه شيئاً . فرددت الدراهم والثياب ، وكتبت اليه :

لا ألبس النعماء من رجُلٍ   ألبستُه عاراً على الدهر

ثم أمسكت عن هجائه .

قال[٢٣] : وكان سعيد[٢٤] بن مسعود القطربلي صديقاً لي ، فسألته حاجة فردني عنها ، فانقطعتُ عنه ، فبعث الي بألف درهم وترضاني، فرددتها ، وكتبت اليه :

مُتسع الصدرِ رحيب[٢٥] لما   يضيق عنه الحوّل القلّبُ

راجع بالعتَبى فاعتبْتُه   وربّما اعتبك المذنب

أجل وَفَى الدهر على انه   مُوكّلٌ بالبين مُستعتب

سقياً ورعياً لزمان مضى   عني وسَهم الشامتِ الأخيب

(٢١) (١٢ : ١٥٢) . وفي طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٤٦) والوفيات (١ : ٣٦٦ ـ ٣٦٧) رواية ثانية لها .

(٢٢) التخت : وعاء من خشب أو نسيج يصان فيه الثياب .

(٢٣) الاغاني (١٢ : ١٥٥) .

(٢٤) الاغاني : سعد .

(٢٥) الاغاني : منطبق .

(١٢٣ب) قد جاءني منك مُوَيل[٢٦] فلم
أعرض له والحرُّ لا يكذب

أخذي مالا منك بعد الذي أوليتنيه[٢٧] مَركبٌ يَصعب
أبيتُ أن أشرب عند الرضا والسخط اِلا مشرباً يعذبُ
أعزّني اليأس[٢٨] وأغنى فما أرجو سوى الله ولا أرهَب
قارون[٢٩] عندي في الغنى مُعدمٌ وهمّتي ما فوقها مذهَب
فأي هاتين تراني بها أصبو الى مالك أو أرغب

ومن شعره في القناعة ، قوله[٣٠] :

من أعمل اليأسَ كان اليأسُ جاعله معظّماً أبداً في أعينِ الناسِ
ومن رماهم بعين الطامعين رأى ذُلاً وَحسَّوه مُرَّ المنع في كاس
اليأسُ خيرٌ وما للناس من ثمرٍ هات امرءاً ذلّ بعد اليأسِ للناس

وقال في هذا المعنى :

جعلت مطيّة الآمالِ يأساً فآواني الى كنفٍ وسيع[٣١]
فتلك مطية الآمال غُفلٌ بلا رَحلٍ يُشدُّ ولا نُسوع[٣٢]
لعمرك، لَلقليلُ أصونُ وجهي به في الأوحَدين وفي الجميع
أحبُّ الي من طلبي كثيراً تُمدُّ اليه أعناقُ الخضوع

(١٢٤ أ) فعشْ بالقوتِ يوما بعد يوم
كمصّ الطفل فِيقات الضُروع

---

(٢٦) تصغير مال .
(٢٧) الاغاني : أودعتنيه .
(٢٨) الاغاني : أغز بي البأس .
(٢٩) قارون : رجل يضرب المثل بغناه .
(٣٠) في غرر الخصائص الواضحة للوطواط (ص١٨٤) أبيات لابن حازم تشبه هذه في المعنى والقافية : وليست بها .
(٣١) كتب تحت هذه الكلمة : وديع .
(٣٢) النسوع : واحدها النسع : سير أو حبل عريض تشد به الرحال .

ولا ترغبْ الى أحدٍ بحرصٍ رفيعٍ في الأنامِ ولا وضيعِ
وقد رحلَ الشبابُ وحلَّ شيبٌ فهل لك في شبابك من رجوع

قال محمد بن حازم : دخلت على المأمون ، فلما مثلت بين يديه ، قال : كيف بصرُك بأيام الناس وأخبار العرب ؟ قلت : أنا على الميدان ، فليطلق من عناني ! قال : أَنشد ما بدا لك . فتركت ما أومأ اليه وعملت في صلاح شأني ، وقلت : مجلس خلافةٍ ولست آمن نَبوة ، فأنشدته [٣٣] :

رُزقتُ عقلاً ولم أُرزق مروءته وما المروءة إلا كثرة المال
إذا أردتُ مساماةً تقاعد بي عمّا ينوه باسمي رقّة الحال

قال المأمون : الشيخ يشكو رقة الحال ، فليُدفع اليه ألف درهم ، وتبسَم . فقلت : ما وراء التبسم إلا خير ، فأنشدته :

أنت سماءٌ ويدي أرضُها والأرضُ قد تأملُ غيثَ [٣٤] السَماء
فازرع يداً عندي محمودةً تحصد بها في الناسِ حُسنَ الثناء

قال : هذا المعنى أقوى من الأول ، وأمر لي بألفي درهم ، ثم قال : خدعتني ! قلت : قد حضرني بيتان في الخديعة ، فقال : وما هما ؟ فأنشدته :

(١٢٤ب) واذا الكريمُ أتيتَه بخديعةٍ فرأيتَه فيما تروم يسارعُ
فاعلم بأنك لم تُخادع جاهلاً ان الكريم بفعله يتخادع [٣٥]

---

(٣٣) البيتان في «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص ١٧٠ طبعة الجوائب)، وقد نسبا الى « ابن الجلال » .

(٣٤) المخطوط : غيث ، بالرفع . والوجه ما أثبتنا .

(٣٥) هذا يماثل ما جاء في المحاسن والمساوىء للبيهقي (٢ : ٥٧) بقوله : « ان الكريم اذا خادعته انخدعا » .

فقال : هما والله أحسن من الأول • وأمر لي بمثل ما أمر به • وسألني أن أنشده ، فأنشدته[٣٦] :

لا ترهقنَّك[٣٧] ضجرةٌ من سائلٍ	فلخيرُ دهرك أن تُرى مسؤولا
لا تجبهنَّ بالمنع[٣٨] وجه مؤمِّل	فبقاء عزّك أن تُرى مأمولا
واعلم بأنك عن قليل صائرٌ[٣٩]	خبراً ، فكن خبراً يروق جميلا
يُلْقَىالكريم فيُستدل[٤٠] ببشره	وترى العُبوس على اللئيم دليلا

فقال : لله درك ، ما أحسن معانيك ! يا غلام ، صكّ[٤١] له بمثل ما أعطيناه •

وله من هذا الفن وغيره كل شيء حسن •

ولولا خروج الكتاب عن حده المرسوم وخوف الاطالة، لأوردت من غرر شعره ومحاسنه ما يلتذ به سامعه • وفي ما أوردنا كفاية[٤٢] •

---

(٣٦) الأبيات لابن دريد ، وقد وردت في ديوانه (ص ١٠٥ القاهرة ١٩٤٦) وفي : أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ١٤٩) ، وأدب الوزير للماوردي (ص٥٥) ، نهاية الأرب للنويري (٦ : ١٣٩) • والبيتان الأولان في « قانون السياسة ودستور الرياسة » (ص ٤٤ مخطوط في خزانة أخي ميخائيل عواد) •

(٣٧) سائر المراجع : لا تدخلنك •

(٣٨) سائر المراجع : بالرد •

(٣٩) المخطوط : صائراً • والصواب ما أثبتنا •

(٤٠) أدب الدنيا والدين : تلقى الكريم فتستدل •• وهي أقوم •

(٤١) أي اكتب له بها صكا • والمراد بذلك ادفع له المال •

(٤٢) ممن ذكر عمر كسكر في شعره ، ابن سكرة الهاشمي ، قال وقد شرب في هذا العمر (يتيمة الدهر ٣ : ١٦ وقد تصحفت فيه لفظة العمر الى الغمر) :

ليلتي في العمر دهري	أو يقضي العمر عمري
مر لي في العمر يوم	لا أجازيه بشكر
بين غزلان النصارى	امزج الريق بخمر

ديارات مصر[1]

التي تقصد للشرب فيها والتنزه بها

فمنها : دير القصير

(١٢٥ أ) دير القصير

وهذا الدير في أعلى الجبل[2] ، على سطح قلّته • وهو دير حسن البناء ، محكم الصنعة ، نزه البقعة • فيه رهبان مقيمون به • وله بئر منقورة في الحجر يستقى الماء له منها • وفي هيكله صورة مريم في حجرها صورة المسيح عليه السلام • والناس يقصدون الموضع للنظر الى هذه الصورة • وفي أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارويه[3] بن أحمد بن طولون ، لها أربع طاقات الى أربع جهات • وكان كثير الغشيان لهذا الدير • معجباً بالصورة التي فيه ، يشرب على النظر اليها • وفي الطريق الى هذا الدير من جهة مصر صعوبة • فأما من قبليّه فسهل الصعود والنزول • والى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس يكون فيها • وهو مطل على القرية المعروفة بشَهران وعلى الصحراء والبحر • وهذه القرية المذكورة ، قرية كبيرة عامرة على شاطىء البحر ، ويذكرون ان موسى ، صلى الله عليه ، ولد فيها ، ومنها ألقته أُمه الى البحر في التابوت[4] •

فدير القُصير هذا ، أحد الديارات المَقصودة لحسن موقعه وإشرافه

---

(١) انظر : مجلة المجمع العلمي العربي (٩ [١٩٢٩] ص ٤٩٠ ــ ٤٩٧ ومجلة الآثار القبطية (٥ [١٩٣٩] ص ١ ــ ٣٢) ففيهما ما في هذا الفصل وما بعده حتى آخر الكتاب • وقد نشر أولهما توفيق اسكاروس ، وثانيهما الدكتور عزيز سوريال عطية •

(٢) يريد بالجبل : المقطم •

(٣) حكم مصر من سنة ٢٧٠ الى ٢٨٢هـ (٨٨٤ــ٨٥٩م) •

(٤) قابل ذلك بما جاء في التوراة (الخروج ٢ : ٣) •

على مصر واعمالها • وقد قال(١٢٥ب) فيه شعراء مصر وذكروا طيبه ونزهته •

ولأبي هُريرة ابن أبي العصام[٥] ، فيه[٦] :

كم لي بدير القصير من قَصف ِ مع كل ذي صَبوةٍ وذي ظرفِ
لَهوتُ فيه بشادنٍ غنج تقصر عنه بدائعُ الوصف

وقال فيه أيضاً[٧] :

أذكرتَني يا دير مَن قد مضى من أهل وُدّي ومصافاتي
كم كان لي فيك وفيهم معاً من طيب أيام ولَيلات
أشكو الى الله مصابي بهم وفقدنا أهل المروءات

ولمحمد بن عاصم[٨] ، في هذا الدير[٩] :

ان دير القصير هاج ادكاري لَهو أيامي الحسان القصار
وزماناً مضى حميداً سريعاً وشباباً مثل الرداءِ المُعار
عرفتني ربوعُه بعد نكرٍ فعرفت الرُبوعَ بالانكار
فلو ان الديار تشكو اشتياقاً لشكت جَفوتي وبُعد مزاري
ولكادت تحوي تسير[١٠] لما قد كنتُ فيها سيّرت من أشعاري
فكأني إذ زرتُه بعد هَجرٍ لم يكن من منازلي ودياري

---

(٥) أورد الثعالبي (يتيمة الدهر ١ : ٣٦١ ـ ٣٦٢) طرفاً من أشعاره •
(٦) اليتيمة (١ : ٣٦١) ، خطط المقريزي (٤ : ٤١٠) •
(٧) اليتيمة (١ : ٣٦١ ـ ٣٦٢) •
(٨) شاعر مصري ، مات سنة ٢١٥هـ (٨٣٠م) • ورد شيء من شعره في اليتيمة (١ : ٣٨١ ـ ٣٨٤) ، معجم البلدان (٢ : ٦٧٤ و ٦٧٦ و ٦٨٦ و ٦٩٨) •
(٩) اليتيمة (١ : ٣٨٣) ، معجم البلدان (٢ : ٦٨٦) ، المسالك (ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤) •
(١٠) معجم البلدان : تسير نحوي •

(١٢٦ أ) إذ صعودي على الجيـاد اليه

واتحداري في المنقـات[١١] الجواري

بصقورٍ الى الدماء صَوادٍ[١٢] وكلابٍ على الوحوش ضواري

منزلاً لست مُحصيـاً ما لقلبي ولنفسـي فيـه من الأوطـار

منزلاً من عُلوه كسمـاء والمصابيحُ حـوله كالدراري

وكأن الرهبانَ في الشَعر الأسودِ[١٣] سُودُ الغربانِ في الأوكار

غربـه ذو البحـار والأنهـار في ثيابٍ من سُندسٍ ذي اخضرار

غردت بيننـا الطيورُ فطارت بفـؤادِ المتيَّـم المستطـار

كم خلعتُ العذارَ فيه ولم أر عَ مشيباً بمفرقي وعـذاري

كم شربنا على التصاوير فيـه بصغـارٍ محثوثـةٍ وكبـار

صورةٌ من مصوَّرٍ فيـه ظلَّت فتنـةً للقلـوبِ والأبصار

أطربتنـا بغـيرِ شـدوٍ فأغنت عن سـماع العيـدان والمزمار

يفتر الجسم حين ترميه حُسناً بفنونٍ من طَرفهـا السحـّار

وإشاراتهـا الى مَن رآهـا بخضـوع وذلـةٍ وانكسـار

لا وحُسن العينـين والشفـة اللميـاء منهـا وخدهـا الجلَّناري

لا تخلّفتُ عن مزاري لديـر هي فيـه ولو نـأى بي مزاري

(١٢٦ب) فاقصرا[١٤] عن ملامي اليوم إني

غـير ذي سـلـوةٍ ولا اقصـار

---

(١١) اليتيمة : العقبات ، المسالك : المنشآت .والمعنقات : المسرعات

(١٢) اليتيمة : سوار .

(١٣) يريد انهم يلبسون الثياب المنسوجـة من الشعر الأسـود ، وهي المعروفة بالمسوح .

(١٤) سيورد المؤلف هذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه ، في كلامه على « دير طمويه » ، بشيء من الاختلاف .

فسقى الله أرض حلوان فالنخـ

ـل[15] فدير القصير صوب القطار[16]

كم تنبّهتُ من لذاذة نومي ... بنعير[17] الرهبان في الأسحار

والنواقيسُ صائحاتٌ تنادي ... حيّ يا نائماً على الابتكار

قبل أن يبلي الجديدَ الجديدا ... ن بليل معاقب لنهار

إنما هذه الحياةُ عَوارٍ ... وعلى المستعير ردّ المُعار

ولابن الزنبقي[18] المصري ، في دير القصير ، من شعر طويل[19] :

يا حسرةً في القلب ما أقتلها ... كأنها في القلب أطرافُ الأسلْ

كَم كم وكم من ليلةٍ أحييتُها ... يا صاحبي بالدير في خيرِ مَحل

ديرُ القصير الفردُ في صفاته[20] ... يا من رأى الجنّة في رأس جبل

أشربها راحاً شمولاً قَرقَفاً[21] ... تدبّ في الجسم صباحي والأصل

يديرها ذو غنج بطرفه ... يُحيي من شاء ، ومن شاء قتل

كأنه غُصنٌ من البان وقد ... زاد عليه بالقوام المعتدل

ألثغ ، حتفُ النفس في لثغته ... تاه بها على الورى تيه مُدِل

إن قال « نارٌ » قال « ناغٌ » أو يقل « نُورٌ » يقل « نوغٌ » بدلّ وغزل

---

(١٥) المسالك : فالنجد .

(١٦) في أعلى هذه الكلمة ، كتب « العشار » وهو يوافق ما في اليتيمة والمسالك .

(١٧) المخطوط : سعر .

(١٨) اليتيمة : ابن الزيعي .

(١٩) اليتيمة (١ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩) .

(٢٠) اليتيمة : صفائه .

(٢١) الراح والشمول والقرقف : من أسماء الخمرة . (حلبة الكميت للنواجي . ص ٥ ـ ٦ بولاق ١٢٧٦هـ) .

(**١٢٧** أ) وضرب الناقوس فيه راهبٌ
ضـربـاً عـلى ريثٍ وضـربـاً بعجل

فاحثث كؤوس الراح يا سـاقينـا   واغتنـم الدهـرَ فللدهر دول
من قبـل أن يطرقنا بَينٌ فـــلا   ينفع عنـد البين لَيتٌ ولعل[22]

(٢٢) في مراجع أخرى ، أخبار وأشعار تتصل بدير القصير ، أوردناها في الذيل (٢١) ٠

دير مر حنا(١)

وهذا الدير ، على شاطىء بركة الحبش(٢) ، قريب من البحر(٣) ، والى جانبه بساتين أنشأ بعضها الأمير تميم(٤) أخو أمير المؤمنين العزيز بالله(٥) عليهما السلام • ومجلس على عَمد حسن البنـاء مليح الصنعـة مصوَّر ، أنشأه الأمير تميم أيضاً •

وبقرب هذا الدير ، بئر تعرف ببئر نجاتي(٦) ، عليها جُمَّيزة(٧)، تجتمع الناس اليها ويشربون عندها •

---

(١) اسم هذا الدير في اليتيمة (١ : ٣٩١) : « دير يوحنا » ، وفي تاريخ أبي صالح الأرمني (ص ٥١ اكسفرد ١٨٩٥) : دير مار يوحنا ، وفي المسالك (ص ٣٦١) : دير مر يحنا •

(٢) في معجم البلدان (١ : ٥٩١ ـ ٥٩٢) : « بركة الحبش : هي أرض في وهدة من الأرض ، واسعة ، طولها نحو ميل ، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة ، •• وهي من أجل متنزهات مصر •• وعندها بساتين تعرف بالحبش والبركة منسوبة اليها •• » • وفي خطط المقريزي (٣ : ٢٤٧ وما بعدها) ، كلام على هذه البركة •

(٣) يريد بالبحر : نهر النيل •

(٤) توفي سنة ٣٦٨هـ (٩٧٨م) • قال ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٣ طبعة الدار) : « كان تميم أميز أولاد المعز ، وكان فاضلا جواداً سمحاً يقول الشعر • وشق موته على أخيه العزيز » •

(٥) هو الخليفة الفاطمي نزار بن معد أبو منصور ، الملقب بالعزيز بالله• تولى الخلافة من سنة ٣٦٥ الى ٣٨٦هـ (٩٧٥ ـ٩٩٦م) وأبوه المعز لدين الله الفاطمي ، باني مدينة القاهرة •

(٦) معجم البلدان (٢ : ٦٩٨) والخطط (٤ : ٤١١) : بئر مماتي ، تاريخ أبي صالح (ص ٥٢) بئر نجاى •

(٧) المخطوط : حمزة • والجميز : شجر يشبه التين ، كبير الحجم ، كثيف الفيء ، ممتد الاغصان •

فهذا الموضع ، من مواضع اللّعب ومواطن اللهو والطرب ، نزه في أيام النيل وزيادته وامتلاء البركة ، حسن المنظر ، نزه البقاع ، وكذلك في أيام الزرع والنوّار • ولا يكاد يخلو من المتطرحين والمتنزهين • وقد ذكرت الشعراءُ حسنه وطيبه •

ولابن عاصم ، فيه[8] :

يا طيب أيام سفحتُ مع الصبى — طوعَ الهوى فيها بسفح المنظرِ
فالبركةُ الغنـاء فالدير الذي — قد هاجَ فَرط صبابتي وتفكّري
(١٢٧ب) فاحث كؤوسكَ يا غلام وأعفني
فلقد سكرتُ وخمر طرفك مسكري
وأرى الثُريّا في السماء كأنها — تاجٌ تَفصّل جانباه بجوهر
فاشرب على حُسن الرياضِ وغنّني: — أُنظر[9] الى الساقي الأغنّ الأحور
فلعلَّ أيامَ الحياةِ قليلةٌ — ولعلّني قَدّرت ما لم يُقدر

وقال أيضا[10] :

عَرِّج بجمّيزة العرجا مطيّاتي — بسفح حُلوانَ والمُم بالتويتاتِ[11]
والمم بقصر ابن بسطام فربّتما — سُعدتُ فيه بأيامي وليلاتي
واقرأ على دير مَرحَنّا السلام فقد — أبدى تذكُّره مني صباباتي
وبركة الحبش اللاتي ببهجتها — أدركتُ ما شئت من لهوي ولذّاتي
كأن أجبالها من حولها سُحبٌ — تقشّعت بعد قَطرٍ عن سَماوات

---

(٨) المسالك : (ص ٣٦١ ـ ٣٦٢) •

(٩) المسالك : وانظر •

(١٠) معجم البلدان (٢ : ٦٩٨ ـ ٦٩٩) •

(١١) المخطوط : بالمونتات ، معجم البلدان . بالتويثات •

كأن أذناب ما قد كان صيد لنا

من أبرميس[١٢] وراي[١٣] بالشبيكات

أسنة خضبت أطرافها بدم ، أو دستج[١٤] نزعوه من جراحات

منازلاً[١٥] كنت أغشاها وأطرقها ، وكن قدماً مواخيري وحاناتي

وقال أيضا[١٦] :

أأيامي بشاطي البركتين سقاك الله نوء المرزمين[١٧]

(١٢٨ أ) لقد أذكرتني طربي ولهوي

ووكلت الفؤاد بلوعتين

ترى أيامنا فيك المواضي يعود وصالها من بعد بين

سقى الله البقاع ملث قطر وأعطش منزلاً بالجلهتين[١٨]

وطل الطيلسان بصوب طل الى النخلات فالجميزتين

ودار على المدار رهام مزن تسير الى جنان السروتين

وخص الربوتين فكم غزال ربيب بين تلك الربوتين

منازل قد شهدنا اللهو فيها بأكرم معهدين ومألفين

فكم من بيعة عقدت لقصف وعزف في رياض البقعتين[١٩]

---

(١٢) الابرميس : سمك نهري من فصيلة الشبوط (معجم الحيوان للمعلوف ص ٣٩) .

(١٣) الراي : من أسماك نهر النيل (معجم الحيوان ص ٨ ـ ٩) .

(١٤) الدستج قبضة السيف وغيره . فارسية .

(١٥) سيورد المؤلف هذا البيت ثانية في مقطوعة لابن عاصم ، قالها في « دير طمويه » .

(١٦) اليتيمة (١ : ٣٨٤) .

(١٧) النوء : المطر . والمرزمان : نجمان من نجوم المطر (التاج ٨ : ٣١١).

(١٨) اليتيمة : بالجهلتين ، وهو تصحيف . والجلهتان ، على ما في معجم البلدان (٢ : ١٠٨) : مكانان بالحمى ، حمى ضرية في بادية العرب .

(١٩) اليتيمة : البيعتين .

وكم من مُذنب قد حاز وصلاً ونال مُناه وسط المنيتين

وللعباس بن البصري[20] ، من قصيدة[21] :

يا حاملَ الكأس أدرها واسقني قد ذَعر الشوقُ فؤادي فانذعرْ

أما ترى البركة ما أحسنها إذا تداعى الطير فيها فصفر

أما ترى نُوّارها أما ترى حسنَ مسيل مائها إذا انحدر

كأنما صُفرُ الدنانير بها مبذولةٌ ليس بها من مُتَّجر

كأنما الجوهر في ألوانه نُثِّر في تلك النواحي فانتثر

(١٢٨ب) كأنما كفُّ جوادٍ ولَعتْ

في ذلك الروضِ بتبديد البِدَر

وأبيض النرجس في أجفانه دمعُ الندى لولا التشاجي لقطَر

ونضرةُ الورد الى أترابه نظرة معشوقٍ بلحظٍ منكسر

دعني فما أهلكُ إلا بالجوَى ما عيشة العاشق إلا في كدر

ولصالح بن موسى مولى تميم ، يذكر البركة :

وحسبك البركة مرأىً لا يُمل

تبذل وَشياً لم يكن بمبتذل

متصل الأطرافِ غير منفصل

من شاطىء النيل الى سفح الجبل

أكرمْ بتلك منزلاً لمن نزل

قد نشطت أطياره بعد الكسل

وسجعت ورجعت على مَهَل

(٢٠) سماه صاحب اليتيمة (١ : ٣٧٩) : محمد بن عباس البصري، المعروف بصاحب الراقوبة .

(٢١) الابيات ١ ، ٣ ، ٥ وردت في اليتيمة (١ : ٣٧٩) .

بـين الثقيـل والخفيفِ والرمَـل
كـأنهـن في مـراءٍ وَجـدل
يَنُحنَ لا للحـزن لـكن للجذل
(١٢٩أ) يذكرنا[٢٢] أيامنا الغُرّ الأُول

وقال أيضاً ، يذكر الدير والبركة :

انـي لمثلـك نـاصـحٌ فـاجنـح الي ولا تُنفَـر
بكّـر الى ديـر المعـا فر[٢٣] ، آن أوقات البُكر
أو ما تـرى حُسن الريـا ض ِ وما اكتسين من الزهر
وجـه الربيع ، وحبَّـذا وجـه الربيـع إذا ظهـر
الوشـي يُنشـر ، والمـلا حِـفُ والمطـارف ، والحبر
هـذا البنفسج في الحـدا دِ بغيرِ حزنٍ قد ظهـر
وأتى البهـار بصفـرةٍ فلـكلِّ حُسن قـد بَهر
وكـأن آذريـونَـه كاسـات خمـرٍ تبتـدر
وكأنمـا المنثـورُ عقـ دٌ في جـوانبـه انتشـر
والأقحـوان فضـاحـكٌ عـن عَسجدٍ فيـه دُرر
وشـقائق النُعمـان كالـ أعـلام ثـمَّ لمـن نظـر
وتوردَ الـوردُ الذكيُّ وفاح مسكاً في السحـر
وتجـاوبت طـيرُ الغصو ن بكلِّ لحنٍ مُشـتهـر
(١٢٩ب) فمغرّدٌ حَسنُ الغنا ء شـدا وآخرُ قـد زَمر
وتسـرّقـت أنفـاسُـنـا بنسيم انفاس السحر[٢٤]

---

(٢٢) المخطوط : يذكرينا ·
(٢٣) عرفت بركة الحبش ببركة المعافر أيضاً (الخطط ٣ : ٢٤٧) فعرف دير مر حنا أيضاً بدير المعافر ·
(٢٤) لدير مر حنا ، أخبار أثبتناها في الذيل (٢٢)

دير نهيـا

ونَهْيا[1] بالجيزة . وديرها من أحسن الديارات وأنزهها وأطيبها ، عامر برهبانه وسكانه . وله في النيل منظر عجيب ، لأن الماء يحيط به من جميع جهاته . فاذا انصرف الماء وزُرع ، أظهرت أراضيه غرائب النوّار وأصناف الزهر . فهو من المتنزهات الموصوفة والبقاع المشهورة . وله خليج يجتمع اليه سائر الطيور ، فهو أيضاً مُتصيَّد حسن . وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيب موضعه[2] .

ولعباس بن البصري ، فيه [3] :

يا مَن اِذا سكـر النديم بكأسـه ... غَرِيَت لواحظهُ بسكر الفُيَّقِ
طلـع الصبـاح فسقِّني تلك التي ... ُظلمت فشُبِّه لونهـا بالزنبق[4]
والقَ الصباح بنور وجهـك انـه ... لا يلتقي الفرحـان حتى يلتقـي
قلبي الذي لم يُبق فيـه هواكمُ ... اِلا بقيـة نـار شـوقٍ قـد بقـي
أواما ترى وجه الربيع وقد زَهَت ... أنـوارُه بنهـاره المتـألـق
(١٣٠ أ) وتجاوبت أطيـاره وتبسَّمت ... أشـجـاره عـن ثغـر زهـرٍ مـونـق
لـم يغـذها طـلُّ الرذاذ ببردهِ ... حتى تفتّـح كـل جفنٍ مطبَـق
والبـدر في وسـط السماء كأنـه ... وجـهٌ مليحٌ في قنـاع أزرق

---

(١) قال ياقوت (معجم البلدان ٤ : ٨٥٢) « نهيـا : بلدة من نواحـي الجيزة في مصر » .

(٢) نقل المقريزي (الخطط ٤ : ٤١٤) هذا الوصف عن الشابشتي ، وزاد عليه قوله : « قلت : وقد خرب هذا الدير » .

(٣) معجم البلدان (٢ : ٧٠٤ ـ ٧٠٥) ، آثار البلاد (ص ١٣٢) .

(٤) معجم البلدان : بالزيبق .

يا للديارات الملاح وما بها[٥] … من طيب يوم مرّ لي بتشوّق
أيام كنتُ وكان لي شغلٌ بها … وأسير شوق صبابتي لم يُطلق
يا دير نهيا ، ما ذكرتُك ساعةً … إلا تذكرتُ الشبابَ بمفرقي
والدهر غَضٌّ والزمان مساعدٌ … ومقامنا ومبيتُنا بالجوسق
يا دير نهيا ان ذكرتُ فانني … أسعى اليك مدى[٦] الخيول السُبَّق
واذا سُئلت عن الطيور وصَيدها … وجنوسها[٧] فاصدق وان لم تصدق
فالغُرُّ[٨]، فالكروان، فالفارور إذ … يشجيك في طيرانه المتحلّق
أَشهِدتَ حربَ الطير في غيطانه … لما تجوّق منه كلُّ مجوّق
والزمَّج الغضبان في رهط له … ينحطُّ بين مُرعّدٍ ومُبرق
ورأيت للبازيّ سَطوةَ موسر … ولغيره ذُلُّ الفقير المُملق
كم قد صَبوتُ بغرّتي في شرّتي … وقطعت أوقاتي برمي البندق
وخلعت في طلب المجود حبائلي … حتى نُسبتُ الى فعال الأخرق
(١٣٠ب) ومُهاجرٍ ومكابر ومُنافرٍ
قَلِقَ الفؤادُ به وإن لم يَقلق
لو عاين التفاح حُمرةَ خدّه … لصبا الى ديباج ذاك الرونق
يا حامل السيف الغداة وطرفُه … أمضى من السيفِ الحسام المطلق
إرفق بعبدك لا تُطل أشجانه … وارفق به يا صاحب الثغر النقي

وقال أيضاً[٩] :

---

(٥) المخطوط : ومايها .
(٦) معجم البلدان وآثار البلاد : على .
(٧) المخطوط : وحوسها . وقد تقرأ : وجيوشها .
(٨) آثار البلاد : فالعر ، بالعين المهملة ، وهو تحريف . والغر من طيور الماء .
(٩) المسالك (ص ٣٦٢) .

أتنشط للشُّربِ يا سيدي فيومُك هذا دقيقُ الدُّروزِ
فعندي لك اليوم مشويَّتان سرقتهما من دجاج العجوز
وخمسون بيضةً مثل النجوم خَبَتهنّ مني في جوفِ كوز
فغافلتها وتناولتهنّ ولم تنتفع بالمكان الحريز
أتنشط عندي على نَبقتينِ على لوزتين على قَطرميز[10]
ونقصد نَهيا وديراً لها به مطرح الوردِ والمرنجوز[11]
ونشرب فيها برطلٍ وجام وكبَّرةٍ وانخابِ بكُوز
فاما الطيورُ لفرطِ السرور فبين الرياض وبين الغُروز
فهذا يصيح على الحادثات : تنحّي ، وهذا بنا : لا تجوزي
وخشف أتانا رخيم الدلال نشا في النعيم ولبس الخزوز
(١٣١أ) يحب الندامَى وأشعارهم ويخبى ودائعهم في الكنوز
ويظفر مني بشيخ مليح ظريفٍ أديبٍ ضَحوكٍ طنوز
فزرْني تجدني وفي المقال وإلا أفي ، فاكسع اليوم طيزي!

وكان ابن البصري هذا من الخلعاء المجان . وله شعر يجري مجرى

---

(١٠) القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج . أنظر :
(شفاء الغليل . ص ١٦٥ الخانجي) . وفي « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » للشيزري (ص ٦٠ بتحقيق السيد الباز العريني)قوله في الحسبة على السمانين : « وينبغي أن تكون بضائعهم مصونة في البراني والقطارميز » . وقال الناشر في الحاشية : « القطارميز : ومفردها قطرميز ، وعاء من الفخار قصير العنق واسع الفوهة » وأحال على معجم دوزي .

(١١) المرنجوز ، وورد بصورة مرزجوش ومرزنجوش ومرزنكوش ، نبت من الرياحين دقيق الورق بزهر أبيض عطري . فارسي . (المعرب للجواليقي . ص ٣٠٩ ، والألفاظ الفارسية المعربة ص ١٤٤) .

الهزل والطيب . وخدم أبا القاسم أونوجور بن الاخشيد[١٢] ، فأحسن اليه وكساه وصار يركب معه . وكان يلبس طيلساناً أزرق يتشبه بالقضاة . وكان أونوجور قد حمله على برذون أصفر غليظ بطيء السير ، فكان اذا سار مع أقوام من إخوانه ، قال لهم : صِفوا لي موضعكم حتى ألحق بكم ! وكان مليح المجالسة ، كثير النادرة . وكان يبيع الصيدلة في مسجد عبدالله بمصر[١٣] .

---

(١٢) ثاني ملوك الدولة الاخشيدية بمصر . تولى الحكم من سنة ٣٣٤ الى ٣٤٩هـ (٩٤٦ – ٩٦١م) .

(١٣) في الذيل (٢٣) سائر ما وقفنا عليه من أخبار « دير نهيا »

دير طمويه

وطَمْوَيه في الغرب بازاء حُلوان[1] • والدير راكب البحر[2] وحوله الكروم والبساتين والنخل والشجر • فهو نزه عامر آهل • وله في النيل منظر حسن • وحين تخضرّ الأرض ، فانه يكون بين بساطَين من البحر والزرع • وهو أحد متنزّهات مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة •

ولابن عاصم ، فيه[3] :

(١٣١ب) أقصرا عن ملامي اليوم اني
غير ذي سَلوةٍ ولا إقصارِ

فسقى الله دير طمويه غيثاً　　بغوادٍ موصولةٍ بسواري[4]
كم ليالٍ نُبِهْتُ من نوم سكري[5]　　بنعير الرهبان في الأسحار
والنواقيس صائحات تنادي　　حيَّ يا نائماً على الابتكار

وقال فيه أيضاً[6] :

---

(١) طمويه ، قرية على نحو خمسة أميال ، نازلا مع نهر النيل ، عن حلوان • فحلوان في الجنوب الشرقي من طمويه ، في الشاطىء الآخر • راجع :
Churches and Monasteries of Egypt. (Oxford. 1895; p. 197, note 3)

(٢) يريد به نهر النيل •

(٣) معجم البلدان (٢ : ٦٧٤) • وقد ذكر المؤلف هذه الابيات ، للشاعر نفسه ، في الكلام على دير القصير •

(٤) معجم البلدان : « بنوادي موصولة بسوار » • وقد تقدم البيت بهذا الوجه :
فسقى الله أرض حلوان فالنخـ　　ـل فدير القصير صوب القطار

(٥) تقدم ايراده بهذا الوجه : كم تنبهت من لذاذة نومي •••

(٦) اليتيمة (١ : ٣٨٤) ، معجم البلدان (٢ : ٦٧٤ ـ ٦٧٥) ، المسالك (ص ٣٧١) ، الخطط (٤: ٤١٤) •

واشرب بطمويه من صهباء صافية
تُزري بخمر قُرى هيتٍ وعاناتِ[7]

على رياضٍ من النوّار زاهرةٍ تجري الجداول منها بين جنات
كأن نبتَ الشقيق العُصفري بها كاساتِ خمرٍ بَدَت في إثر كاسات
كأن نرجسها في حُسنه حدقٌ في خفيةٍ تتناجى بالاشارات
كأنما النيلُ في مرّ النسيم بها مستلئمٌ في دُروع سابريّات[8]
منازلاً[9] كنتُ مفتوناً بها يفعاً وكنّ قدماً مواخيري وحاناتي
إذ لا أزال ملحاً بالصبوح على ضرب النواقيس صبّاً بالديارات[10]

---

(٧) هيت وعانات (والاخيرة تعرف اليوم باسم عانة) بلدتان في العراق على نهر الفرات .
(٨) الدروع السابريات ، منسوبة الى سابور (لسان العرب ٦ : ٥) .
(٩) أردف المؤلف هذا البيت في كلامه على « دير مر حنا » باختلاف في صدره .
(١٠) عن سائر أخبار « دير طمويه » انظر الذيل (٢٤) .

الديارات

المعروفة بالعجائب ، على ما ذكره أهلها ووصفوه عنها . فمنها :

(١٣٢أ) دير الخنافس

وهـو بين الموصـل وبلد[١] ، كبير ، كثير الرهبان[٢] ، له يوم في السنة يجتمع الناس اليه من كل موضع ، فتظهر فيه الخنافس ذلك اليوم حتى تغطي حيطانه وسقوفه وأرضه ، ويسودّ جميعه منها . فاذا كان اليوم الثاني ، وهو عيد الدير ، اجتمعوا الى الهيكل فقسُّوا[٣] وتقربوا وانصرفوا وقد غابت الخنافس حتى لا يرى منها شيء الى ذلك الوقت .

---

(١) هذا ليس بصحيح . فان « بلد » في شمال الموصل على يمين دجلة . وهذا الدير في شرق الموصل ، على يسار دجلة . وقد وهم الخالدي في كتابه « الديارات » ، على ما نقله ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦٥٨) والقزويني (آثار البلاد ص ٢٤٧) وابن عبدالحق (المراصد ١ : ٤٢٨_٤٢٩) في قوله ان هذا الدير بغربي دجلة . والصواب بشرقيه على ما أسلفنا .

(٢) وهذا وهم من المؤلف . فان الدير ليس بكبير . وقد رأينا أطلاله ، فاذا هي تنبيء عن انه كان ديرا صغيرا . أنظر كلامنا على ذلك في (الذيل ٢٥) . وفي معجم البلدان (٢ : ٦٥٨) في وصفه للدير ، قوله : « وهو دير صغير لا يسكنه أكثر من راهبين فقط » .

(٣) لعله يريد : قدسوا ، أي أقاموا القداس .

دير الكلب

وهو بين الموصل وبلد[1] . يُعالج فيه من عضّه كلب كَلِبٌ . فمن عضه كلب كَلِب بادر[2] اليه فعالجوه منه برئ. ومن مضت له أربعون يوماً من العضة لم ينجع فيه العلاج[3] .

---

(١) يضبط اسم هذا الدير بفتح أوله وثانيه . وموضعه على ما في معجم البلدان (٢ : ٦٩٠) : « بنواحي الموصل . بينها وبين جزيرة ابن عمر ، من باعذرا من أعمال الموصل .

(٢) معجم البلدان : وبودر بالحمل اليه وعالجه رهبانه برىء .

(٣) صفة هذا الدير جاءت مقتضبة في هذا الكتاب . وفي الذيل (٢٦) . ما وقفنا عليه بشأنه في سائر المراجع .

دير القيارة

وهو لليعقوبية ، على أربع فراسخ من الموصل ، في الجانب الغربي ، من أعمال الحديثة[1] ، مشرف على دجلة ، تحته عين قير[2] ، وهي عين تفور بماء حار تصب في دجلة ويخرج منه القير • فما دام القير في مائه فهولين يمتد، فاذا فارق الماء وبرد جف • وهناك قوم يجتمعون فيجمعون هذا القير يغرفونه (١٣٢ب) من مائه بالقفاف ، ويطرحونه على الأرض • وله قُدور حديد كبار ويُنخَل له الرمل ، فيطرح عليه بمقدار يعرفونه ويوقد تحته حتى يذوب ويختلط بالرمل ، وهم يحركونه تحريكاً دائماً • فاذا بلغ حدّ استحكامه قُلب على الأرض قِطعاً مجمدة ويصلب ويحمل الى البلدان • فمنه تُقيَّر السفن والحمامات وغير ذلك مما يستعمل فيه القير[3] •

---

(١) تعرف بحديثة الموصل ، تمييزاً لها عن حديثة الفرات التي تسمى أيضا بحديثة النورة • قال ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٢٢٢) : «هي بليدة كانت على دجلة ، بالجانب الشرقي ، قرب الزاب الاعلى» •

(٢) هذه العين ، هي المعروفة بحمام علي ، ويسميها الناس اليوم «حمام العليل» • ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٣٢٩) بقوله : «حمام علي : باصطلاح أهل الموصل • وهي بين الموصل وجهينة ، قرب عين القار غربي دجلة • وهي عين ماؤها حار ، كبريتية • يقول أهل الموصل ان بها منافع • والله أعلم » •

وحمام علي في وقتنا بليدة عامرة ، يقصدها الناس صيفا للاستحمام بمياهها المعدنية • وهي في جنوب الموصل ، على نحو ١٦ ميلا منها •

وقد وفينا الكلام على هذه البقعة في بحثنا « المياه المعدنية النافعة في الموصل : حمام علي في المصادر القديمة » (الأخبار الاسبوعية [بغداد ١٠ أيلول ١٩٣٨] العدد ٥ ، ص ١٩ ــ ٢٠ ، ٢١) •

(٣) وصف غير واحد من الكتبة الأقدمين هذه العين ومنافعها وكيف يستخرج القير منها • نذكر منهم : ابن جبير (رحلته ص ٢٣٣ ــ

والناس يكثرون القصد لهذا الموضع للتنزه فيه والشرب ، ويستحمون من ذلك الماء الذي يخرج معه القير ، لأنه يقوم مقام الحَمّـَات في قلـع البثـور •

وله[٤] قائم[٥] • وكل دير لليعقوبية والملكية فعنده قائم • فأمـــا ديارات النسطور فلا قائم لها[٦] •

---

٢٣٤ طبعة دي‌غوية) ، ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦٨٩) ، القزويني (آثار البلاد • ص ٢٤٨) ، ابن بطوطة (تحفة النظار ٢ : ١٣٣ ــ ١٣٤ طبعة باريس) ، ابن العماد الحنبلي (الشذرات ٤ : ١٦٢) وقد تصحفت فيه الى « عين الفتاوة » •

(٤) الضمير يعود الى دير القيارة •

(٥) هذه اللفظة ، وردت في كتب الديارات ولم تشر اليها معجمات اللغة • ويؤخذ من بعض النصوص القديمة ان القائم منارة عالية كالمرقب • ولكن في بعضها الآخر ما يدل على انه لم يكن مرقبا فقط • ولعل أوجه ما يقال فيه انه كان شبه صومعة تتخذ الى جانب بعض الأديار لسكنى أحد النسّاك المعتزلين فيه •

(٦) راجع الذيل (٢٧) ، ففيه سائر أخبار هذا الدير •

دير برقوما[١]

وهذا الدير بميّافارقين ، على فرسخين[٢] منها في جبل عال • له عيد يجتمع الناس [اليه وهو مقصود لذلك • وتُنذر له النذور وتحمل اليه][٣] من كل موضع • ويقصده أهل البطالة والخلاعة للشرب فيه • وتحته برك يجتمع فيها ماء الأمطار •

وبرقوما هذا ، هو الشاهد[٤] الذي فيه يزعم النصارى ان له سبعمائة سنة[٥] ، وانه ممن شهد[٦] المسيح • وهو في خزانة خشب ، لها أبواب تفتح أيام أعيادهم ، فيظهر منه نصفه الأعلى ، وهو قائم وأنفه وشفته العليا مقطوعـان • وذلك ان اِمرأة احتالت حتى قطعت أنفـه وشفته ومضت (١٣٣ أ) بهما[٧] ، فبنت عليهما ديراً في البرية في طريق تكريت •

---

(١) الصواب : مرقوما ، على ما سيجيء في الذيل (٢٨) • على ان اسم هذا الدير ، ورد في بعض المراجع الاخرى ، بصورة « مر توما » انظر: أحسن التقاسيم للمقدسي (ص ١٤٦) ، معجم البلدان (٢ : ٦٩٧)، آثار البلاد (ص ٢٤٩) •

(٢) أحسن التقاسيم : على فرسخ •

(٣) الزيادة من معجم البلدان •

(٤) الشاهد ، بمعنى الشهيد • أو القديس الذي أقيم الدير على اسمه •

(٥) سائر المراجع : ألف سنة وزيادة •

(٦) أحسن التقاسيم : انه من الحواريين •

(٧) المخطوط : بها •

دير باطا

وهذا الدير بالشرق[١] • وهو دير حسن ، عامر في أيام الربيع • ويسمى أيضاً دير الحمار • وشاهِده يعرف بمريكس[٢] • وهو ناءٍ عن دجلة وعن المدينة[٣] •

وله باب حجر ، ذكر النصارى ان هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان حتى يتجاوز السبعة • فان تجاوزوا السبعة لم يقدر أحد منهم على فتحه ، ولا يفتحه حينئذ الا سبعة[٤] •

وذكروا أيضاً ، ان فيه غرابين[٥] ، تتناسل هناك ، لا يخلو منها • فربما طرقه اللصوص فدخلوه • فان حصل فيه أحد ، صعد الغرابان على مرج[٦] الدير ، فاذا أقبل اليه أحد ممن يطرقه أو يقصده تلقاه الغرابان

---

(١) كذا ما في المخطوط • وهو تحديد غامض ناقص • وفي معجم البلدان (٢ : ٦٤٦) : « بالسن ، بين الموصل وتكريت وهيت » •

(٢) لعله : مريكس (باكوس ، باخوس) •

(٣) زاد ياقوت في معجم البلدان : « وفيه بئر تنفع من البهق • وفيه كرسي الاسقف » • وهذه الصفة تنطبق على الدير الآتي ذكره بعد هذا •

(٤) في العبارة اضطراب • وفي معجم البلدان : « ان هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان • فان تجاوزوا السبعة لم يقدروا على فتحه البتة »• فكأن الطلسم يمنع الطامعين ، ان كانوا جماعة كبيرة ، من دخول هذا الدير •

(٥) المخطوط : غرابان • والصواب ما أثبتنا •

(٦) لعله : برج •

يصيحان في وجهه كالمنذرَين له ، فيعلم ان في الدير قوماً ، فيرجع . فان لم يكن في الدير أحد لم يفعلا شيئاً من ذلك(٧) .

---

(٧) شبيه بهذا ، ما ذكره ابن أبي حجلة فى سكردان السلطان (الورقة ٧ب من مخطوطة المتحف العراقي رقم ١١٩) بقوله : «حكي ان في بحر المغرب ، من جهة الاندلس ، جبلا منقورا ، فيه كنيسة ، مشروط على من بها من الرهبان ضيافة الزوار . وتعرف بكنيسة الغراب ، لان في أعلاها قبة كبيرة وفيها غراب لا يبرح ولا يعلم من أين يأكل . فاذا قدم زائر واحد أو أكثر ، أدخل الغراب رأسه فى روزنة بأعلى القبة وصاح بعددهم . فان كان الزائر واحدا صاح مرة وان كان الزوار سبعة صاح سبع مرات . وان كانوا أكثر صاح بعددهم . وهذا من العجائب » .

دير مار شمعون[1] بنواحي السن

في هذا الدير كرسي الأُسقف ، وفيه أيضاً بئر • فمن لحقه بَهق ، قصده واغتسل من البئر ، لم يبرح حتى يزول عنه •

(١) المخطوط : دير بربارسون • وهو تصحيف ظاهر • وقد كتب بهامش المخطوط : « هكذا على الاصل » • وكاتبها محق • فان اسم الدير قد تحرف حتى استبهم وفي الذيل (٢٩) كلام على هذا الدير •

دير العجاج[1]

(١٣٣ب) وهذا الدير بين تكريت وهيت ، عامر كثير الرهبان ، وخارجه عين ماء تصب الى بركة هناك . وفي البركة سمك أسود ، وهو طيب عذب الطعم . وحوله مزارع وخضر تسقى من تلك العين .

---

(١) بفتح أوله وتشديد ثانيه . وانظر الذيل (٣٠) بصدد هذا الدير .

دير الجــودي

والجُودي هو الجبل الذي استقرت عليه السفينة • وبين هذا الجبل وجزيرة ابن عمر سبعة فراسخ • وهذا الدير مبني على قُلّة الجبل • يقال انه بُني منذ أيام نوح عليه السلام ، [ولم يتجدد بنـاؤه الى هـذا الوقت][1] •

وزعموا ان فيه أعجوبة • حدثني بها بعض نصارى الجزيرة ، وهي ان سطحه يُشبر فيكون عشرين شبراً • ثم يعاوَد قياسه فيكون ثمانيـة عشر[2] شبراً • ثم يعاود فيكون اثنين وعشرين[3] شبراً ، في كل دفعة يشبر يختلف عدده • وانه اعتَبر ذلك وقاسه فوجده كما ذكر •

---

(١) الزيادة من معجم البلدان •
(٢) المخطوط : ثماني عشرة •
(٣) المخطوط : اثنان وعشرون •

كنيسة الطور[1]

وطُور سينا ، هو الجبل الذي تجلّي فيه لموسى عليه السلام وصُعق فيه . والكنيسة في أعلى الجبل ، مبنية بحجر أسود . وعرض حصنه[2] سبعة أذرع ، وله ثلاثة أبواب حديد . وفي غربيه باب لطيف قدّامه حجرٌ لهم ، إذا أرادوا رفعه رفعوه ، وإن قصدهم أحد أرسلوه فانطبق على الموضع فلم يُعرف مكان الباب . (١٣٤ أ) وداخله عين ماء وخارجه عين اخرى . وزعم النصارى ان بها ناراً من نوع الجديدة التي كانت بالبيت المقدّس ، يوقدون منها في كل عشية ، وهي بيضاء ضعيفة الحرّ لا تحرق ثم تقوى إذا أُوقد منها السُرج .

وهو عامر بالرهبان ، والناس يقصدونه لانه من الديارات الموصوفة.

ولابن عاصم ، فيه[3] :

يا راهب الدير ، ماذا الضوءُ والنورُ
فقد أضاءَ به[4] في ديرك الطّورُ

هل حلَّت الشمسُ فيه دون أبرجها
أو غُيّب البدرُ فيه فهو مستور

فقال : ما حلّه شمسٌ ولا قمرٌ
لكن تَقرَّب فيه اليوم قَوريرُ[5]

---

(١) أراد المؤلف بها « دير طورسينا » . ولهذا الدير شهرة بعيدة في المؤلفات الشرقية والغربية . وما زال الى اليوم عامرا آهلا برهبانه . وفي الذيل (٣١) خلاصة ما تحسن معرفته من صفة هذا الدير وتاريخه .

(٢) الضمير يعود الى الدير .

(٣) معجم البلدان (٢ : ٦٧٦) ، آثار البلاد (ص ١٣٢) المسالك (ص ٣٧٢) ، الخطط (٤ : ٤٢٣) .

(٤) سائر المراجع : بما .

(٥) معجم البلدان : قوارير .

بيعة أبي هور[1]

وهذه البيعة بسِرياقُوس من أعمال مصر ، عامرة ، كثيرة الرهبان ، لها أعياد يقصدها الناس . وفيها[2] ، على ما ذكره أهلها ، أعجوبةٌ وهي ان من كانت به خنازير ، يقصد هذا الموضع ليعالَج به . فيأخذه رئيس الموضع فيضجعه ويأتيه بخنزير فيرسله على موضع الوجع ، فيأكل الخنزير الذي فيه ، لا يتعدى ذلك الموضع . فاذا تنظّف الموضع ، ذرّ عليه من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ومن زيت قنديل البيعة (١٣٤ب) فيبرأ ، ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيُذبح ويُحرق ويُعَدُّ رماده لمثل هذه الحال[3] .

---

(١) سميت هذه البيعة في معجم البلدان (٢ : ٦٤١) وآثار البلاد (ص ١٣١) : دير أبي هور (بضم الهاء) . وفي الخطط (٤:٤١٨) : دير سرياقوس . ولفظة « أبي » الواردة في هذا العنوان ، تصحيف « أبا » السريانية بمعنى الاب الراهب واما « هور » فقد كان من الرهبان القديسين الذين عاشوا في مصر العليا . وترجمته مدونة في أخبار الحياة الرهبانية المصرية . وعيده في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) . انظر :
The Churches and Monasteries of Egypt. (p. 112, note 4).

(٢) المخطوط : وفيه .

(٣) زاد ابن فضل الله (المسالك ص ٣٦٠) قائلا : « ولهذه البيعة دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة . وفيه خلق من النصارى » . وفي تاريخ أبي صالح الارمني (ص ٤٣) اشارة الى هذه البيعة ، قال : « كنيسة أبا هور : جددها الشيخ أبو الفخر كاتب الرواتب [في] ديوان المجلس أيضا . الكنيسة الكبيرة جدد عمارتها أبو الفرج بن زنبور في برمهات سنة تسع وتسعين وثمانمائة للشهداء (= ١١٨٣م) وصارت هذه البيعة بطركية في طوبة سنة تسعمائة (١١٨٣ — ١١٨٤م) بعزم المذكور » .

دير يحنّس

هذا الدير بدمنهور[١] ، من أعمال مصر[٢] . اذا كان يوم عيده ، أُخرج شاهده[٣] من الدير في تابوت ، فيسير التابوت على وجه الارض لا يقدر أحد أن يمسكه ولا يحبسه حتى يرد البحر فيغطس فيه ثم يرجع الى مكانه[٤] .

---

(١) معجم البلدان (٢ : ٧١٠) : بسمنود ، المسالك (ص ٣٦٠) : بسنهور وضبط اسم هذا الدير : بضم الياء وفتح الحاء وفتح النون المشددة. وهو صيغة ثانية من اسم « يوحنّا » .

(٢) زاد صاحب المسالك : « وهو عامر برهبانه ، ناضر بسكانه » .

(٣) في تاريخ أبي صالح الارمني (ص ٥٨) اشارة الى هذا الشهيد .

(٤) علق ياقوت على هذا الكلام ما يأتي : « قلت أنا : وهـذا من تهاويل النصارى ، ولا أصل له ، والله أعلم » . أما صاحب المسالك ، فقد قال في هذا الصدد : « قلت : وهذه حكاية مكذوبة لا صحة لها . وانما الذي بلغني ، وانا بمصر تلك المدد الطويلة ، انه اذا كان أوان تحرك النيل ، يخرج تابوت ، يقال ان فيه اصبع الشهيد ، ويرمى في البحر . وذلك لوقت معلوم ، يسمونه عيد الشهيد . ويكـون الذي يرميه بعض أعزاء كبراء القبط . عادة كنت أسمعها ، لا تتغير. ويظن القبط ان رمي الاصبع سبب الزيادة . وانما هو بمشيئة الله وقدرته » .

بيعة اتريب[1]

وعيدها اليوم الحادي والعشرين من بونة[2] . يذكرون ان حمامة بيضاء تجيئهم في ذلك العيد ، فتدخل المذبح ، لا يدرون من أين جاءت ، ثم لا يرونها الى يوم مثله[3] .

---

(١) سميت هذه البيعة في المراجع الاخرى ب « دير اتريب » (وزان : انجيل) . وفي معجم البلدان (٢ : ٦٤١ و٦٩٣) وآثار البلاد (ص ١٣١) : « يعرف بمارت مريم » . وفي الخطط (٤ : ٤١٩) : « يعرف بماري مريم » .

(٢) في سائر المراجع : (وله عيد في الحادي والعشرين من بوونة) . وهذا يقابله اليوم الخامس عشر من آب .

(٣) زاد المقريزي على كلام الشابشتي ، قوله : « وقد تلاشى أمر هذا الدير ، حتى لم يبق به الا ثلاثة من الرهبان ، لكنهم يجتمعون في عيده . وهو على شاطىء النيل ، قريب من بنها العسل » .

وبنواحي اخميم[1]

دير كبير عامر ، يقصدونه من كل موضع • وهو بقرب الجبل[2] المعروف بجبل الكهف • وفي موضع من الجبل شق ، اذا كان يوم عيد

---

(١) ضبط ياقوت اسم (اخميم) (معجم البلدان ١ : ١٦٥) : بالكسر ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنة وميم أخرى • وقال فيها انها بلد قديم بالصعيد على شاطىء النيل • فيها عجائب كثيرة قديمة ، منها البرابي وغيرها • والبرابي أبنية [فرعونية] عجيبة فيهــــا تماثيل وصور •

وذكر أبو صالح الأرمني في تاريخه (ص ١٠٩) ان (في مدينة اخميم سبعين بيعة الى آخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة عربية ١١٥٧م ، منها دير أبو بشونة Saint Pachomius)

(٢) جاء في الأعلاق النفسية لابن رستة (ص ٨٢ طبعة دي غوية في ليدن): (وبأرض مصر ، جبل يقال له جبل بوقيران ، أعلاه بيت في صخرة • وانه يجتمع في كل سنة في يوم بعينه الى ذلك الجبل طير كثير ، فلا يزال دائبا ، الواحدة بعد الواحدة تدخل رأسها في ذلك البيت من الجبل ، حتى تعلق منها واحدة لا يمكنها اخراج رأسها ، فاذا كان ذلك انصرفن جميعا ، ثم عدن في ذلك اليوم بعينه من السنة المقبلة)•

وقال القلقشندي (صبح الأعشى ٣ : ٢٨٨) : (جبل الطير : شرقي النيل ، مقابل منية بني خصيب • فيه صدع يأتي اليه جنس البواقير من الطير ، وهو المعروف بالبح في يوم من السنة ، فيضعون مناقيرهم في ذلك الصدع واحدا بعد واحد حتى يتعلق منها واحد في ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون) •

وقد تعرض غير واحد من الكتبة الى هذه المسألة : معجم البلدان (٢ : ٢١ مادة : جبل الطير) ، عجائب المخلوقات للقزويني (ص ١٦٨طبعة وستنفلد) ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (١ : ٢٨ ــ ٢٩ القاهرة ١٣٢٧هـ) ، سكردان السلطان (الورقة ٨ مخطوط) ، أخبار الدول وآثار الاول للقرماني (بهامش الكامل لابن الاثير ٦ : ٥٩ ــ ٦١ بولاق) •

هـذا الدير ، ولم يبق من الطير المعروف ببوقير[3] شيء في ذلك المكان ، وهم[4] به كثير حتى يجيء الى الموضـع فيكـون أمراً عظيماً لـكثرتـه واجتماعهم وصياحهم عند ذلك الشق ، ثم لا يزالون واحداً بعد واحـد يدخل رأسه في ذلك الشق ويصيح ويخرج ويجيء غيره فيفعل كفعله الى أن يعلق (١٣٥ أ) رأس أحدهم وينشب في الموضع ، فيضطرب حتى يموت • فحينئذ يتفرق الباقون ويرجعون الى مواضعهم ، [فلا يبقى منها طائر • والله أعلم][5] •

(٣) البوقير : طائر كبير المنقار ، يكون في أواسط افريقية وآسية • على منقاره ما يشبه القرن • واسمه العلمي Buceros ومنـه بوقـير بالعربية وبالانكليزية Hornbill (معجم الحيوان ص ١٢٧ــ١٢٨)•

(٤) الضمائر الآتية التي تعود الى (الطير) جاءت كلها بصيغة الجمـع المذكر •

(٥) ما بين العضادتين ، مكتوب بخط رديء يخالف الأصل •

خاتمة المخطوط

تمّ كتاب الديارات بحمد الله وعونه وقوته وحُسن توفيقه ٠

ووافق الفراغ منه ، في ليلة صباحها يوم الخميس ، السادس عشر من شهر ربيع الآخر **سنة احدى وثلاثين وستمائة**[١] ٠

كتبه العبد الفقير الى رحمة الله : **عبدالحليم بن محمد بن عبدالوهاب بن احمد بن عربي الدمشقي المعروف جدّه بالنحوي**[٢] ٠ وهو يسأل الله أن يغفر ذنوبه ويستر عيوبه ٠

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ٠

---

(١) هذا يوافق يوم ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٢٣٤م ٠ وقد جاء في هامشها الايسر ، بخط يخالف الاصل ، ما هذا نصه : (أنهاه مطالعة متملكه علي بن الحاج محمد بن عبدالرحمان بن أحمد بن أحمد بن محمد الزرعي الانصاري الحنفي في سنة ٩٢٧ (١٥٢٠-١٥٢١م) ٠

(٢) في الهامش ، بخط ردىء ، « هذا كتاب الديارات المها (كذا) أربعمائة وخمسين » ٠

ذيل كتاب

الدّيارات للشّابُشتي

بقلم

كوركيس عواد



من نقل عن الشابشتي من الاقدمين

كان كتاب « الديارات » في نظر المؤلفين الأقدمين ، من المراجع النفيسة في بابها . فأقبل غير واحد منهم على النقل منه والاقتباس من فوائده . مصرّحين باسمه أحياناً ، ومغفلين الاشارة اليه مراراً أخرى .

لقد تحرّينا ما بيدنا من مراجع عربية قديمة ، فاستخرجنا منها النقول التي أشير فيها بصراحة الى انها اخذت من كتاب الديارات للشابشتي فاذا بها جاوزت سبعين موطناً من تلك المراجع ، وهي التي يراها القارىء في الثبت الآتي :

دير در مالس : معجم البلدان ٢ : ٦٦٠ ؛ معجم الأدباء ١ : ٣٦٥ – ٣٦٨ ؛ المسالك[١] ٢٧٥

دير سمالو : المسالك ٢٧٦

دير الجاثليق : معجم البلدان ٢ : ٦٥١ ؛ المراصد[٢] : ٥٥٦ .

دير مديان : المسالك ٢٢٧

دير سابر : المسالك ٢٧٩

دير قوطا : المسالك ٢٨٠

دير مر جرجس : معجم البلدان ٢ : ٦٩٩ ؛ المسالك ٢٨١

دير باشهرا : معجم البلدان ٢ : ٦٤٥

دير الخوات : معجم البلدان ٢ : ٦٥٨ ؛ المراصد ٢ : ٥٥٩ ؛ المسالك ٢٨٢

(١) هو المجلد الاول من « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري .

(٢) تحقيق محمد علي البجاوي . (القاهرة ١٩٥٤) .

دير طمويـه : تاريخ أبي صالح الأرمني ٨٥ ؛ المسـالك ٣٧١ ؛ خطط المقريزي ٤ : ٤١٤

دير برقوما : معجم البلدان ٢ : ٦٩٧

كنيسة الطور : المسالك ٣٧٢ ؛ خطط المقريزي ٤ : ٤٢٢

بيعة أبي هور : معجم البلدان ٢ : ٦٤١ ؛ المسالك ٣٦٠ ؛ خطط المقريزي ٤ : ٤١٨

دير يُحنّس : معجم البلدان ٢ : ٧١٠ ؛ آثـار البـلاد ١٣١ ؛ المسالك ٣٦٠ – ٣٦١

بيعـة اتريب : معجم البلدان ٢ : ٦٩٣ ؛ المشترك ١٩١ ؛ خطط المقريزي ٤ : ٤١٩

دير [الطير] بنواحي اخميم : تاريخ أبي صالح الأرمني ١٠٩ ؛ معجم البلدان ٢ : ٦٧٦ ؛ آثار البلاد ١٣٢ ؛ خطط المقريزي ٤: ٤١٢

دير الروم ببغداد [من القسم الضائـع من كتـاب الديـارات] : المسـالك ٢٧٢ – ٢٧٣

ديـر الزندورد [من القسم الضائع من كتاب الديارات] : معجم البلدان ٢ : ٦٦٥ ؛ المسالك ٢٧٤ – ٢٧٥

ديـر الزرنوق [من القسم الضائع من كتاب الديارات] : معجم البلدان ٢ : ٦٦٣

ديـر صليبـا [من القسم الضائع من كتاب الديارات] : الأعلاق الخطيرة ١ : ٢٧٨ ؛ اللمعات البرقية ٣٧ – ٣٨

الذيل (٢)

الديــارات

في المراجع العربية الحديثة

لم تلفت الديارات أنظار المؤلفين الأقدمين وحدهم ، بل استرعت عناية الباحثين والكتّاب المحدثين ، فراحوا يؤلفون فيهـا الكتب والرسائل والفصول . وما كتبوه فيها شيء كثير ، حاولنا أن نلمّ بذكره في هـذا الثَبَت . وقد صنفنا ما أُتيح لنا الوقوف عليه منها ، بحسب السياق الهجائي لأسماء مؤلفيها .

أحمد شفيق باشا (اللواء) :

١ ـ دير سينا وكنيسته (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ص ٣٤-٣٧) .

٢ ـ مذكرات من زيارة طورسينا (القاهرة ، ١٩٢٦ ـ ١٩٢٩ ؛ ٣١ ص ، ١٢٦ صورة) بالعربية والفرنسية .

أحمد يوسف : دير سانت كاترين . (القاهرة ١٩٥٨ ؛ ٣٢ ص) .

أدي شير (المطران) : تاريخ كلدو وأثور (٢ : ٢٩ ـ ٣٩ ، ٢٥٦ ـ ٢٦٨ ، بيروت ١٩١٣)

أرملة (الخوري اسحق) :

١ ـ أديرة طور عبدين (ضمن مقالته « سياحة في طور عبدين » المنشورة في المجلد ١٦ من المشرق ، سنة ١٩١٣) .

٢ ـ لمعة تاريخية في أديار ماردين القديمة ودير مار أفرام السرياني المشيّد عام ١٨٨٤ . بيروت ١٩٠٩ ؛ ١٦ ص) . نُشر أولاً في المشرق ١٢ [١٩٠٩] ص ٧٦٠ ـ ٧٧٠) .

٣ ـ طرفة من أخبار دير الشرفة (المشرق ١٨ [١٩٢٠] ص ٥٧٩ ـ ٥٩٥) •

٤ ـ الطرفة في مخطوطات دير الشرفة (جونية : لبنان ١٩٣٦ ؛ ٥٢٦ ص) •

٥ ـ تاريخ دير سيدة النجاة أي دير الشرفة (جونية ١٩٤٦ ؛ ٦٣٦ ص) •

أسكاروس (توفيق) : خمسة أيام فى الصحراء المصرية • زيارة دير الانبا انطونيوس والانبا بولا • (مجلة « اللطائف المصورة » القاهرة ٢٨ مايو ١٩٢٨) • وانظر مجلة « الهلال » سنة ١٩٢٨ ص ٩٧٧ ـ ٩٨٠ •

الأصمعي (محمد عبدالجواد) : دير بالعراق وآخر بالشام (المقتطف ٨٤ [١٩٣٤] ص ٣١١ ـ ٣١٨) •

أغناطيوس يعقوب الثالث (البطريرك) : دفقات الطيب في تاريخ ديرالقديس مار متى العجيب (زحلة ١٩٦١ ؛ ٢٣٩ ص) •

ألبير أبونا (الأب) : كتاب الرؤساء لتوما أسقف المرج • نقله منالسريانية الى العربية • ولم يُطبع •

بابو اسحق (رفائيل) :

١ ـ الكنائس والديارات في العراق (« تاريخ نصارى العراق » ص ٢٢ ـ ٢٦ ، ٨٦ ـ ٩٠ بغداد ١٤٩٨) •

٢ ـ ديارات بغداد • («أحوال نصارى بغدادفيعهد الخلافةالعباسية»• بغداد ١٩٦٠ ؛ ص ٩٠ ـ ١٣٤) •

الباشا (الاب قسطنطين المخلصي): تاريخ ديرالقديسجاورجيوسالمزيرعة• (صيدا ١٩٣٨ ؛ ٤٠ ص) •

برصوم (البطريرك اغناطيوس أفرام الأول) :

١ ـ نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران ، وفيه لمحة في تاريخ

أبرشية ماردين وأديارها • (دير الزعفران ١٩١٧ ؛ ح + ١٨٦ ص) •

٢ ـ أديار الأمة السريانية في العراق (المجلة البطريركية السريانية ٣ [١٩٣٦] ص ٢٠١ ـ ٢٠٥) •

٣ ـ دير قنسرين •

٤ ـ اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية (حمص ١٩٤٣)• أخبار الأديرة تناثرت في كثير من صفحاته ، ولا سيما في ١٩ ـ ٢٦ ، ٥٠٧ ـ ٥١٦ •

٥ ـ ديورة طور عبدين (تاريخ طور عبدين • ترجمه من السريانية الى العربية : المطران غريغوريوس بولس بهنام • جونيه ـ لبنان ١٩٦٣ ؛ ص ٢١٧ ـ ٢٢٦ ، ٢٦٥ ـ ٢٨٠) •

البستاني (المعلم بطرس) : دائرة المعارف (مادة «دير» ، ٨ [بيروت ١٨٨٤] ص ١٩٠-٢٠٩) • نقل كلامه من ياقوت وابن الأثير والمقريزي وغيرهم •

بطرس روفائيل (الخوري) : « دير مار انطونيوس البدواني ودير سيدة الحقلة في دلبتا » (المشرق ٢٩ [١٩٣١] ص ٥٠٥ ـ ٥١٣) •

بطرس ساره (الأب) •

١ ـ لمحة تاريخية عن دير سيدة المعونات (أو البنات) في لبنان (المشرق ٢٥ [١٩٢٧] ص ١٢٣ ـ ١٣٥ ، ١٧٨ ـ ١٨٥) •

٢ ـ دير كفيفان (المشرق ٢٦ [١٩٢٨] ص ٨٨٧ ـ ٨٩٥) •

بليبل (الأب لويس) : تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية (١ ـ ٢ القاهرة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ ؛ ٤٦٤ ، ٤٠٨ + ١٠٥ ص) •

بولس بهنام (المطران غريغوريوس) :

١ ـ دير مار متّى (نشـر فصولاً كثيرة منـه في أجزاء السنوات ١ و٢ و٣ من مجلة « لسان المشرق » الصادرة في الموصل سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٥١) •

٢ ـ دير مار دانيال الناسك في نينوى (لسان المشرق ١ [١٩٤٩] العدد ٥ ص ٣٣ ـ ٤٠ ، العدد ٦ و٧ ص ٦٣ ـ ٦٤) •

٣ ـ تاريخ دير مار برصوم (الموصل ١٩٥١ ، ٥٦ ص) • وكان قد نُشر اولا في «لسان المشرق» ٣ [١٩٥١] ص ١٥٣ـ٢٠٨)•

٤ ـ رحلة الى آثار دير المعلّق [في شمالي مدينة « بلد » المندرسة المسماة اليوم « أسكي موصـل »] • (« لسان المشـرق » ٣ [١٩٥١] ص ٢١٤ ـ ٢٢٠) •

بيداويد (المطران روفائيل) : دير الشيخ متى ودير مار بهنام («الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكو لانزا » المنشورة في النجم ١١ [١٩٥١] ص ١٧٨ ـ ١٨٠) •

ترتون (أ • س). : الكنائس والأديرة (« أهل الذمة في الاسلام » ص ٢٩ ـ ٦٤ ؛ ترجمة الدكتور حسن حبشي • القاهرة ١٩٤٩) •

توتل (الأب فردينند اليسوعي) : دير البلمند (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ص ٧٤٨ ـ ٧٦٠) •

تيموثاوس جق (الأب) : دير ميلاد السيدة في رأس بعلبك (المشرق ٩ [١٩٠٦] ص ٥٣٣ ـ ٥٤٠) •

ججّوي (عبدالمجيد) : وادي دير ربان هرمزد العجيب وبطولة الاخـوة « الرهبان » والألقوشيين (النجم ٤ [١٩٣٢] ص ٢٧٣ ـ ٢٧٧) [بتوقيع : صحفي] •

جوليان (الأب ميخائيل ، اليسوعي) :

١ ـ أديرة مصر الأولى للقديس باخوميوس (المشرق ٤ [١٩٠١] ص ٥٧٧ ـ ٥٨٧ ، ٦٥٣ ـ ٦٦٢) ٠

٢ ـ بعض أديار مصر القديمة (المشرق ٦ [١٩٠٣] ص ١٤٥ـ١٥٤، ٢٢٢ ـ ٢٣١ ، ٢٦٥ ـ ٢٧١) ٠

الجوهري (اللواء رفعت) : دير طور سينا [سانت كاترين] (« سيناء أرض القمر » ٠ القاهرة ١٩٦٥ ؛ ص ٦٨ ـ ٧٣) ٠

حبشي (لبيب) وزكي تاوضروس : في صحراء العرب والأديرة الشرقية القاهرة ١٩٢٩ ؛ ١٩٢ ص) ٠

حرفوش (الأب ابراهيم) : الأديار القديمة في كسروان : دير مار شليطا مقبس ودير مار يوحنا حراش (نُشر في أجزاء المجلدات ٥ ـ ٨ من « المشرق » سنة ١٩٠٢ ـ ١٩٠٥) ٠

داغر (الأب ليباوس التنوري) :

١ ـ كشف الخفاء عن المحابس والحبساء (المشرق ٢١ [١٩٢٣] ص ١٣٠ ـ ١٤٠) ٠

٢ ـ كشف الخفاء عن محابس لبنان والحبساء (طُبع سنة ١٩٢٣ ؛ ١٦٠ ص) ٠

الدبس (المطران يوسف) : أديار سورية (« تاريخ سورية » ٧ [بيروت ١٩٠٣] ص ٣٥٠ـ٣٥٤ ؛ ٨ [١٩٠٥] ص ٥٩١ ـ ٥٩٩ ، ٧٦٨ ـ ٧٨٧) ٠

الدُجيلي (عبدالحميد) : الشابشتي صاحب كتاب الديارات (البيان ١ [النجف ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧] ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٤) ٠

الدمرداش محمد : الى دير الأنبا أنطونيوس (الثقافة ٥ [القاهرة ١٩٤٣] العدد ٢٣٠ ؛ ص ١٨ ـ ٢٠) ٠

دهمان (محمد أحمد) : دير مرّان (« جبل قاسيون » • دمشق ١٩٤٦ ؛ ص ٧ ــ ١٠) •

الدُويهي (البطريرك اسطيفان ، المتوفى سنة ١٧٠٤م) : الهياكل والأديار التي بُنيت على اسم القديس مارون ، ومختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية • (« تاريخ الطائفة المارونية » • بيروت ١٨٩٠ ؛ ص ٣٩ــ ٥٢ ، ٢٦٢ــ٢٧٧) •

ذبيح الله المحلاتي : أديار سامراء ونواحيها • (« مآثر الكبراء في تاريخ سامراء » ١ [النجف ١٣٥٠ هـ] ص ٧٨ ــ ٩٠) •

رابينو (المستر) : دير سانت كاترين بطورسينا (المقتطف ٩١ [١٩٣٧] ص ٢٦٦ ــ ٢٧١ ، ٤٣٧ ــ ٤٤٦) • أصل البحث بالفرنسية ، وقد نقله الى العربية محمد وهبي •

رحماني (البطريرك أفرام) : دير مار متى الشيخ ودير مار بهنام الشهيد في جوار الموصل • (بيروت ١٩٢٨ ؛ ٤٤ ص) • ظهر أيضا بالفرنسية • وكان نُشر أولاً في مجلة « الآثار الشرقية » الصادرة في بيروت •

رسام (القس أفرام) : تاريخ دير مار ميخائيل •(الموصل ١٩٦١ ؛ ٤٢ ص)•

رسام (الخوري عمانوئيل) : دير مار أوراهام (النجم ١ [١٩٢٩] ص ٤٢١ ــ ٤٢٢) •

رعد (عبدالله ميخائيل) : دير ليبانوس، أو دير قديم في الحبشة العليا (المشرق ١٠ [١٩٠٧] ص ٧٦٨ ــ ٧٧٣ ؛ ١١ [١٩٠٨] ص ٩٢ــ٩٨) •

زيات (حبيب) :

١ ــ مكتبة دير صيدنايا (المشرق ٢ [١٨٩٩] ص ٥٨٦ ــ ٥٩٠) •

٢ ــ الأديار والكنائس (« خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » •

القاهرة ١٩٠٢ ؛ ص ٩١ — ٩٦ ، ١١٣ — ١٢٠ ، ١٣٤–١٥٤)٠

٣ — كتاب الديارات في الجزء الأول من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، تحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا ٠ (لغة العرب ٦ [١٩٢٨] ص ٣٢٢ — ٣٤٢ ، وانظر ص ٤٥٤ — ٤٥٥) ٠ ونشرها ثانية في المشرق.(٤٢ [١٩٤٨] ص ٢٩٤–٣١٦) ٠ وثالثة في « الخزانة الشرقية » (٤ [١٩٤٨] ص ١٤٩–١٧١)٠

٤ — الكنائس والأديار في صيدنايا (« خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا » ص ٣٧ — ٩٠ ، ٢٣٨ — ٢٦٨ ؛ حريصا : لبنان ١٩٣٢) ٠

٥ — دير رمانين في ضواحي حلب (المشرق ٣٥ [١٩٣٧] ص ٢٢ — ٢٤) والخزانة الشرقية (٢ [١٩٣٧] ص ١٠ — ١٢)٠

٦ — دير صليبا بدمشق : زيارة الخليفة المتوكل له ، وقصته مع ابنة قس الدير (المشرق ٣٥ [١٩٣٧] ص ٢٤ — ٢٨) والخزانة الشرقية ٢ [١٩٣٧] ص ١٢ — ١٦) ٠

٧ — دير قزمان في شمالي حلب بالقرب من عزاز (المشرق ٣٥ [١٩٣٧] ص ٣٦١ — ٣٦٢) والخزانة الشرقية (٢ [١٩٣٧] ص ١٠٣ — ١٠٤) ٠

٨ — دير حَنينَا من أعمال دمشق (المشرق ٣٥ [١٩٣٧] ص ٣٦٣– ٣٦٤) والخزانة الشرقية (٢ [١٩٣٧] ص ١٠٥ — ١١١) ٠

٩ — دير يُونّى (يوحنا) بظاهر دمشق (المشرق ٣٦ [١٩٣٨] ص ٤٧ — ٤٩) والخزانة الشرقية (٣ [١٩٤٦] ص ٣٠ — ٣٢) ٠

١٠ — الديارات النصرانية في الاسلام (المشرق ٣٦ [١٩٣٨] ص ٢٩١–٤١٨)٠وقد أُفرد في كتاب بهذا العنوان (بيروت١٩٣٨؛ ١٣٠ صفحة) ٠

١١ ــ دير مَر حَنّا بمصر (المشرق ٣٦ [١٩٣٨] ص ٤٩ ــ ٥٢) والخزانة الشرقية (٣ [١٩٤٦] ص ٣٢ ــ ٣٥) .

١٢ ــ دير مار جرجس في بلودان من ضواحي دمشق (المشرق ٣٧ [١٩٣٩] ص ١٧٣ ــ ١٧٦) والخزانة الشرقية (٣ [١٩٤٦] ص ١٤٢ ــ ١٤٥) .

١٣ ــ أديار دمشق وبرها في الاسلام (المشرق ٤٢ [١٩٤٨] ص ٣٢٨–٣٣٢ ؛ ٤٣ [١٩٤٩] ص ٨٠ ــ ٩٧ ، ٣٩٩ ــ ٤٦٢) .

سركيس (يعقوب) : مقام الشيخ عادي هو دير يوحنان ويشوعسبران (لغة العرب ٧ [١٩٢٩] ص ٤٣٣ ــ ٤٣٦) وظهر ثانية في كتابه « مباحث عراقية » (ج ١ بغداد ١٩٤٨ ؛ ص ٢٢١ ــ ٢٢٤) .

سركيس (يوسف اليان) : دير مار مارون (المقتطف ٣٣ [١٩٠٨] ص ١١٣ ــ ١١٥) .

السقّاف (أحمد محمد زين) :

١ ــ الأوراق : كتاب يبحث في أشهر ديارات العراق والشعراء الذين كانوا يتطرحون فيها . (بيروت ١٩٥٤ ؛ ١٦٠ ص) .

٢ ــ شعر الديارات (مجلة « العربي » . العدد ٩٠ الكويت : أيار ١٩٦٦ ص ٢٨ ــ ٣٣) .

سميكة باشا (مرقس) : دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة الأثرية (١ ــ ٢ القاهرة ١٩٣٠ ــ ١٩٣٢ ؛ ٢٣٣ و ٢٩٢ ص) .

سيوفي (حبيب) : كنائس صيدنايا وديورتها (المشرق [السلسلة الجديدة]: كانون الثاني ــ آذار ١٩٤٦ ؛ ص ٧٥ ــ ٧٧) .

شاكر (محمود محمد) : دير الفاروس (« أباطيل وأسمار » . القاهرة ١٣٨٥ هـ . ص ١١٩ ــ ١٣٢) .

شبلي (القس انطونيوس) : دير سيدة طاميش (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ص ٥٠٤ ــ ٥٠٩ ، ٦٠٤ ــ ٦٠٧ ؛ ٢٨ [١٩٣٠] ص ١١١–١١٧ ،

٢١٧ – ٢٢١ ، ٢٥٢ – ٢٦٤) •

شقير (نعوم) : دير طورسينا (« تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها » • القاهرة ١٩١٦ ؛ ص ٢٠٥ – ٢٣٦ ، ٤٧٨ – ٥٢٨) •

شوقي (حسن) : الرسالة الشوقية عن دير طورسينا والعهدة النبوية (القاهرة ١٩١٥) •

شيخو (البطريرك بولس الثاني) : الديورة في مملكتي الفرس والعرب : تأليف يشوعدناح مطران البصرة (نهاية القرن الثامن للميلاد) • نقله من السريانية الى العربية • ونشره في مجلة « النجم » • ثم طبعه كتاباً قائماً بذاته (الموصل ١٩٣٩ ؛ ٩٤ ص) •

شيخو (الأب لويس ، اليسوعي) : مفردات نصارى العرب الدالة على رهبانهم ومساكن رهبانهم («النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية» • ص ١٩٤ – ٢٠١ ، ٢١١ – ٢١٤) •

صائغ (المطران سليمان) :

١ – رحلة حديثة الى الشيخ عادي ودير الربان هرمزد (المشرق ٢٠ [١٩٢٢] ص ٨٣١–٨٤٥) •

٢ – دير يشوعياب بر قوسري بالموصل (النجم ١ [١٩٢٩] ص ١٤٨) •

٣ – دير ربان هرمزد الفارسي (النجم ١ [١٩٢٩] ص ٢١٧ – ٢١٩) •

٤ – دير مار ايليا (النجم ١ [١٩٢٩] ص ٢١٩ – ٢٢٠) •

٥ – دير مار ميخائيل (النجم ١ [١٩٢٩] ص ٥١٦ – ٥١٧) •

٦ – دير مار جرجس قرب بلد (النجم ١ [١٩٢٩] ص ٥١٧) •

٧ – دير بيث عابي (النجم ١ [١٩٢٩] ص ٥١٧ – ٥١٨) •

٨ ـ دير يونان النبي (النجم ١ [١٩٢٩] ص ٥١٨ ـ ٥١٩) •

٩ ـ دير الشيخ متى (النجم ١ [١٩٢٩] ص ٥١٩) •

١٠ ـ الدير الأعلى وأهميته في الليتورجية الكلدانية (النجم ٥ [١٩٣٣] ص ٢٤-٢٦) •

١١ ـ دير برعيتا (النجم ٧ [١٩٣٥] ص ٤ ـ ١٠) •

١٢ ـ دير مار ايليا المعروف بدير سعيد (النجم ٧ [١٩٣٥] ص ١٣٢ ـ ١٣٧) •

١٣ ـ الدير الأعلى أو دير ماركوريل (النجم ٧ [١٩٣٥] ص ١٦٦ ـ ١٧٣) •

١٤ ـ دير مار ميخائيل رفيق الملائكة (النجم ٧ [١٩٣٥] ص ٢٥٨ ـ ٢٦٨) •

١٥ ـ أثر داثر في كتاب الرؤساء للمؤرخ المرجي (النجم ٧ [١٩٣٥] ص ٣٤٧ ـ ٣٥٢) •

١٦ ـ دير بيث عابي (النجم ٨ [١٩٣٦] ص ١٢٥ ـ ١٣٠ ، ١٦٥ ـ ١٧١) •

١٧ ـ ديارات الموصل (« تاريخ الموصل » ٣ [جونية ـ لبنان ١٩٥٦] ص ٨٨ ـ ٩٠ ، ٩٣ ـ ٩٧ ، ١٠٥ ـ ١٢٢ ، ١٢٦ ـ ١٣٠ ، ١٣٨ ـ ١٤٨) •

طرازي (فيليب) :

١ ـ أديار السريان في لبنان (« أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من أخبار السريان » ١ [بيروت ١٩٤٨] في مواطن عديدة من الكتاب) •

٢ ـ خزائن كتب الديارات («خزائن الكتب العربية في الخافقين» • بيروت ١٩٤٨ ؛ في مواطن عديدة من الكتاب) •

طنوس (الخوري منصور) أديرة كسروان • (« نبذة تاريخية في المقاطعة

الكسروانية » ص ٢٧ ــ ٢٩ ؛ بيروت ١٨٨٤) •

طوسون (الأمير عمر) : وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة ، مذيل بكتاب تاريخ الأديرة البحرية • (الاسكندرية ١٩٣٥ ؛ ٢١٢ + ١٢ ص) • للكتاب ترجمة فرنسية مطبوعة •

عبدالرزاق سعيد البغدادي النجفي : أهم أديرة العراق • (جغرافية العراق وتاريخه القديم • النجف ١٩٣٩ ؛ ص ١٠٢-١١٠) •

عبدالمسيح بهنام : الديورة في قرهقوش • (« قرهقوش في كنة التاريخ » • بغداد ١٩٦٢ ؛ ص ٧٦ ــ ١٠٣) •

عبدال (الخوري افرام) :

١ ــ حياة الأميرين المعظمين بهنام وأخته سارة الشهيدين • (الموصل ١٩٤٩ ؛ ٦٨ ص • فيه صفة دير مار بهنام المعروف بدير الجُبّ ، في جنوب شرقي الموصل) •

٢ ــ بعض آثار دير مار بهنام الشهيد في جوار الموصل (بيروت ١٩٥٤ ؛ ٢٢ ص) •

٣ ــ اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد • (الموصل ١٩٥٥ ؛ ١٥٥ ص) •

عفيفي (عبدالله) : الديارات : فتنة العرب بها ، ديارات العراق والشام (« المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها » ٣ : ٦٤ ــ ٧٢ ؛ القاهرة ١٩٣٠) •

عواد (كوركيس) :

١ ــ أثر قديم في العراق : دير الربان هرمزد بجوار الموصل (الموصل ١٩٣٤ ، ٩٦ ص) •

٢ ـ دير برعيتا في المصـادر العربيـة (النجم ١٠ [١٩٣٨] ص ١٨٤ ـ ١٨٨) .

٣ ـ قصة كتاب الديارات للشابشتي (الرسالة ٨ [١٩٤٠] العدد ٣٧٣ ؛ ص ١٣٥٠ ـ ١٣٥٣) .

٤ ـ دير الفاروس بجانب اللاذقية (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩ [١٩٤٤] ص ٥١٣ ـ ٥١٧) .

٥ ـ أشموني : كنائسها ودياراتها في بلاد الشـرق (المشـرق ١ [الموصل ١٩٤٦] ص ٥١٦ ـ ٥٢٤) .

٦ ـ خزائن كتب الديارات في العراق (« خزائن الـكتب القديمة في العراق» . بغداد ١٩٤٨؛ ص ٧٨ـ١٠٠).في هذا الفصل كلام عـلى خزائن كتب ثمانيـة أديرة ، وهي : دير متى . ديـر ميخائيل . دير بهنام . دير يونس . دير بيث عابي . دير الربان هرمزد . دير باقوقا . الدير الأعلى .

٧ ـ ديارات شرقي الموصل (« تحقيقات بلدانية ـ تاريخية ـ أثرية في شرق الموصل » . بغداد ١٩٦١ ؛ ص ٣٣ ـ ٤٣) .

٨ ـ كتاب جـديد في الديارات : دفقات الطيب] (المـكتبـة ٣ [حزيران ١٩٦٢] ص ١٠ ـ ١٢) .

عواد (ميخائيل) : دير قُنّى : موطن الوزراء والكتاب ومعقل المسيحية في العراق (المشرق ٣٧ [١٩٣٩] ص ١٨٠ـ١٩٨) . وطبع على حدة (بيروت ١٩٣٩ ؛ ٢٠ ص) .

الغزي (كامل) : ديارات حلب وكنائسها (« نهر الذهب في تاريخ حلب » ١ : ٤٣٧ ـ ٤٤٠ و ٤٩٦ ؛ ٢ : ٧٩ ـ ٨٠ ، ٤٦٥ ـ ٤٩٦ ـ حلب ١٩٢٦) .

غنيمة (يوسف رزق الله) : ديارات الحيرة (النجم ٤ [١٩٣٢] ص ٤٤١ - ٤٤٧) • وظهر في كتابه « الحيرة : المدينة والمملكة العربية » • ص ٤١ - ٤٩ ؛ بغداد ١٩٣٦) •

فريحة (أنيس) : أسماء الديارات اللبنانية وتفسير معانيها (« أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها » • بيروت ١٩٥٦ ؛ ص ١٣٩ - ١٤٨) •

كجّو (المطران اسطيفان) :

١ - دير الربان هرمزد (النجم ٢ [١٩٣٠] ص ١٢٢ - ١٢٦) •

٢ - حياة الأب جبرائيل دنبو : مجدّد الحياة الرهبانية في الطائفة الكلدانية ومؤسس الرهبانية الأنطونية في دير الربان هرمزد الفارسي (الموصل ١٩٣٢ ؛ ٦٤ ص) •

كرد علي (محمد) :

١ - البيع والكنائس والديَرَة في الشام (« خطط الشام » ٦ : ٣ - ٤٤ ؛ دمشق ١٩٢٨) •

٢ - الديورة الدائرة في غوطة دمشق (« غوطة دمشق » ص ٢٣٦ - ٢٤٤ ؛ دمشق ١٩٤٩) •

لامنس (الأب هنري ، اليسوعي) : دير القلعة ودير البلمند ودير مار مارون (« تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » ١ : ١٣ - ٢١ ، ١٥٤ - ١٥٦ ؛ ٢ : ٨٠ - ٩٢ ؛ بيروت ١٩١٣ - ١٩١٤) •

محبوبة (جعفر بن باقر النجفي) : أديرة النجف (« ماضي النجف وحاضرها » ص ١٤ - ١٥ ؛ صيدا ١٣٥٣ هـ) •

مصطفى جواد (الدكتور) : ديارات النجف والحيرة • (« موسوعة

العتبات المقدسة » للاستاذ جعفر الخليلي • الجزء الأول من
« قسم النجف » • بيروت ١٩٦٥ ؛ ص ٣٠ ـ ٥٥) •

المعلوف (عيسى اسكندر) : مكتبة دير الشير (الآثار ٣ : ٤٢٦) •

المنجّد (الدكتور صلاح الدين) :

١ ـ لمح وجيزة عن كتاب الديارات للشابشتي (الرسالة ٨ [١٩٤٠] العدد ٣٦٨ ؛ ص ١١٩٣ ـ ١١٩٤)

٢ ـ حول كتاب « الديارات » للشابشتي (الرسالة ٨ [١٩٤٠] العدد ٣٧٤ ، ص ١٤٠٠) •

٣ ـ قصة كتاب الديارات (الرسالة ٨ [١٩٤٠] العدد ٣٩١ ؛ ص ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣) •

٤ ـ دير يونّي لا دير بوني (الكتاب [القاهرة : نوفمبر ١٩٥٠]، ص ٨٦٣ ـ ٨٦٤) •

منش (القس جرجس) : ملاحظة على دبرا ليبانوس (المشرق ١٠ [١٩٠٧] ص ٩١١) •

الناصري (عبدالقادر) : دير العاقول • (جريدة « البيان » البغدادية ١٦ تشرين الثاني ١٩٦١) •

نصري (القس بطرس) : الأديرة والرهبان في بلاد المشرق (« ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان » ١ ـ ٢ الموصل ١٩٠٥ ـ ١٩١٣) • فيهما اخبار كثيرة عن الديارات •

نعمة الله الكفري (الأب) : تاريخ دير مار انطونيوس الملقب بقزحيّا (المشرق ٤ [١٩٠١] ص ٣٦١ ـ ٣٦٨ ، ٨٧٢ ـ ٨٧٧) •

وديع نقولا حنا : ديارات لبنان • (« قاموس لبنان » • بيروت ١٩٢٧ ؛ ص ١٠٧ ـ ١١٤) •

يسي عبدالمسيح : مكتبة دير سيناء (مجلة الراعي ١ [الاسكندرية ١٩٤٠] ص ٤٩) .

بونان عبو اليونان : لمع عن آثار المسيحيين الآراميين في أديرة دير متى ودير بهنام . (مجلة « الفداء » ١ [بغداد ١٩٥١] العدد ٥ ص ١٣ – ١٦) .

* * *

وهنالك مقالات غفل من أسماء كاتبيها . والذي وقفنا عليه منها :

نبذة في تاريخ دير راهبات الزيارة ومدرستهن في عين طورا (المشرق ٤ [١٩٠١] ص ٧٠٤ – ٧١٠) .

دير طورسينا (المقتطف ٧١ [١٩٢٧] ص ٩٧ – ١٠٠) .

دير مار مارون الكبير في القرن الثامن (المشرق ٢٤ [١٩٢٩] ص ٢٣٩) .

دير قزحيًّا (المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ص ٦٩٨ – ٦٩٩) .

دير الأنباء انطونيوس (بحث كتبه بعض أساتذة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وقد نُشر في « رحلة كلية الآداب الى ساحل البحر الأحمر وبعض مناطق الآثار بالوجه القبلي » . القاهرة ١٩٣٩) .

الذيل (٣)

بعض ما ضاع من « الديارات » للشابشتي

(الصفحة ٤ ، الحاشية ٦)

أطلنا البحث والتنقيب في المراجع القديمة التي انتهت الينا ، للوقوف على شيء مما ضاع من كتاب « الديارات » للشابشتي . فلم نظفر إلا بصفة أربعة أديرة ضاعت من النسخة الفريدة لهذا الكتاب . ووصلت الينا بفضل مَن نقل عن الشابشتي من الكتبة الأقدمين .

تلك الديارات الأربعة ، هي : دير الروم ، ودير الزندورد ، ودير الزرنوق ، ودير صليبا .

وفي ما يأتي أقوال الكتبة الأقدمين في صفة كل منها ، مما نقلوه من الديارات للشابشتي .

١ – دير الروم

قال ابن فضل الله العمري فيه[١] :

« هو بأرض بغداد . قال الشابشتي : كان مُدرك بن علي الشيباني يطرقه في الآحاد والأعياد . فينظر من فيه من المردان والوجوه الحسان . وله فيه[٢] :

وجوهٌ بدير الروم قد سَلبت عقلي
فأصبحتُ في بؤسٍ شديدٍ من الخَبلِ
فلم تَرَ عيني منظراً مثلَ حُسنِهم
ولم تر عينٌ مستهاماً بهم مثلي

(١) المسالك (ص ٢٧٢) .
(٢) معجم البلدان (٢ : ٦٦٣) .

٢ ـ دير الزندورد

قال ياقوت :

« دير الزَنْدَورْد : قال الشابشتي : هو في الجانب الشرقي من بغداد • وحدّها من باب الأزج الى الشفيعي ، وأرضها كلّها فواكه وأُترج وأعناب ، وهي من أجود الأعناب التي تعصر ببغداد ، وفيها يقول أبو نواس :

فسقّني من كروم الزندورد ضُحىً
ماء العناقيد في ظلّ العناقيد

هذا ما ذكره ياقوت ، نقلاً عن الشابشتي ، وفي مسالك الأبصار كلام بصدد هذا الدير ، لم نجده في ما أورده ياقوت ، هذا نصه :

« قال الشابشتي : حكى عبدالواحد بن طَرخان ، قال : خرجت الى دير الزندورد في بعض أعياده متطرباً ومتنزهاً ، ومعنا جحظة في جماعة من إخواني • فنزلنا موضعاً حسناً ، ووافقْنا هناك جماعةً من ظراف بغداد ، لجميعهم معشوقاتٌ حسان الوجوه والغناء • فأقمنا به أياماً في أطيب عيش • وقال جحظة فيه شعراً ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنى فيه لحناً حسناً ، وهو :

سقياً ورعياً لدير الزندورد وما يحوي ويجمع من راحٍ وريحان
دير تدور به الأقداحُ مُترَعةً
من كفِّ ساقٍ مريض الطرف وسنان
والعُود يتبعه نايٌ يوافقه والشدوُ يُحكمه غصنٌ من البان
والقومُ فوضى ترى هذا يقبّل ذا وذاك انسانُ سوءٍ فوق إنسان
هذا ودجلة للرائين مُعرضة والطير يدعو هَديلاً بين أغصان
برٌّ وبحرٌ فصيد البرّ مقتربٌ والبحر يسبحُ شطّاه بحيتان

ثم صنع لحناً وغنّى فيه بشعرٍ له . منه :

خليليَّ الصبوحَ ! دنا الصباحُ ! فانّ شفاء ما تجدانِ راحُ
فنبِّه فتيةً جبَهوا قديماً عواذلَهم بزَجرٍ فاستراحوا
رأيت الغانياتِ صددنَ عني وأعرضتِ المبتّلة الرَداحُ
وقلن : مضت بشِرّتك الليالي فقلتُ : نعم، وقد رثَّ السلاحُ(٣)

٣ ـ دير الزرنوق(٤)

قال ياقوت :

« قال الشابشتي : كان هذا الدير يسمى باسم دير بطيزناباذ بين الكوفة والقادسية على وجه الطريق ، بينه وبين القادسية ميل »(٥) أ . هـ .

٤ ـ دير صليبا

سقطت أخبار هذا الدير من نسخة الديارات للشابشتي فيما سقط منه . وقد نبّه الى وروده في الأصل ، عز الدين ابن شدّاد ، المتوفى سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) . قال :

« دير صليبا بدمشق ، مطلّ على الغوطة . ويليه من أبوابها باب الفراديس ، وهو يعرف بدير خالد لأن خالد بن الوليد المخزومي ، نزله أيام حاصرت العرب دمشق وفتحتها. وهذا الدير في موضع حسن ، كثير البساتين والمياه ، عجيب البناء ، وأرضه مفروشة بالبلاط الملوّن . والى جانبه دير للنساء ، وهما آهلان . قال الشابشتي وأُنشدتُ فيه :

---

(٣) المسالك (ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .
(٤) الزرنوق كعصفور : آلة معروفة من الآلات التي يستقى بها من الآبار وهو أن ينصب على البئر أعواد وتعلق عليها البكرة (النهاية لابن الأثير ٢ : ١٢٥) .
(٥) معجم البلدان (٢ : ٦٦٣) .

يا دير باب الفراديس المهيّج لي | بلابلاً بقلاليه وأشجاره
ومفلساً لي من مالي ومن نشبي | بما أباكره من خمر خمّاره
لو عشت تسعين عاماً فيك مصطبحاً | لما قضى منك قلبي بعض أوطاره»[٦]

وهذه الأبيات ، نبّه الى ورودها في الاصل أيضا ، شمس الدين ابن طولون ، المتوفى سنة ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م)[٧] .

---

(٦) الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة : لابن شداد [تاريخ مدينة دمشق] تحقيق سامي الدهان . (دمشق ١٩٥٦ ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨) .

(٧) اللمعات البرقية في النكت التاريخية (ص ٣٧ ــ ٣٨) .

الذيل (٤)

سمالو

(ص ١٤، ح ١ و ٣)

يرى موضع سمالو (Samal, Samaal, Samalla, Sham'al) في الخارطات الحديثة، في شمال شرقي خليج اسكندرونة. وأخربتها تعرف اليوم باسم سنجرلي (Sinjerli Sendschirli). وقد نقّب فيها الآثاريون، فانتهوا الى حقائق خطيرة في تاريخ الأمة الحثّية وحضارتها.

ولسنا بصدد تاريخ هذه المدينة، فان هذا لا شأن له بكتاب «الديارات» للشابشتي. وما نبغي تبيانه هو وجه العلاقة في تسمية «دير سمالو» الذى في بغداد. باسم هذه المدينة.

لسمالو، ذكر كثير في المراجع العربية. وقد اختلف اسمها في تلك المراجع، فوردت بصورة «سمالو» «وسمالوا» و«ضمالو» و«ضمالوا» و «شمأل» و «صمالو» و «صمله» و «صماله».

ويقترن خبرها في المراجع العربية بالفتوحات والغزوات في المئة الثانية للهجرة. فقد غزاها هارون الرشيد. قال البلاذري: «قالوا: وأغزى المهدي ابنه هارون الرشيد، في سنة ثلاث وستين ومائة (٧٧٩ م)، فحاصر أهل ضمالو، وهي التي تدعوها العامة سمالو. فسألوا الأمان لعشرة أبيات فيهم القومس[١]، فأجابهم الى ذلك. وكان في شرطهم أن لا يفرق

(١) القومس، يقابلها الكنت (Count) بالانكليزية وهي باللاتينية (Comes) وقد عربت على قومس (كجوهر) وقمس (كسكر). والمراد به الأمير والرجل الشريف والسيد. راجع الألقاب الرومانية عند قدماء العرب للاب أنستاس ماري الكرملي (مجلة المجمع العلمي العربى ١ [١٩٢١] ص ١٩٩ - ٢٠١).

بينهم . فأُنزلوا ببغداد على باب الشماسية ، فسموا موضعهم سمالو ، فهو معروف . ويقال : بل نزلوا على حكم المهدي فاستحياهم وجمعهم بذلك الموضع ، وأمر أن يسمى سمالو »[2] .

والى هذه الحادثة التاريخية أشار الطبري في قوله : « ... فسار هارون حتى نزل رستاقاً من رساتيق أرض الروم ، فيه قلعة يقال لها سمالو ، فأقام عليها ثمانياً وثلاثين ليلة ، وقد نصب عليها المجانيق ، حتى فتحها الله بعد تخريب لها وعطش وجوع أصاب أهلها ، وبعد قتل وجراحات كانت في المسلمين . وكان فتحها في شروط شرطوها لأنفسهم : لا يُقتلوا ولا يُرحلوا ولا يفرق بينهم ، فأُعطوا ذلك . فنزلوا ، ووفى لهم . وقفل هارون بالمسلمين سالمين ، إلا من كان أُصيب منها بها »[3] .

ويؤخذ من تتبع الأخبار ، ان سمالو كانت تخرج عن طاعة الخلفاء من حين الى حين . فقد ذكر الطبري ، في حوادث سنة ٢٤٤هـ (٨٥٨م) ، ان المتوكل على الله العباسي وجّه بغا لغزو الروم ، فافتتح هذه المدينة[4] .

---

(٢) فتوح البلدان للبلاذري (ص ١٧٠) .

(٣) تاريخ الطبري (٣ : ٣٥٤) .

(٤) تاريخ الطبري (٣ : ١٤٣٦) .

الذيل (٥)

دير الثعالب

(ص ٢٤ ، ح ١)

لدير الثعالب أخبار تناثرت في بعض المراجع القديمة ، رأينا أن نجمع شملها في هذا الفصل :

فمن ذلك ما ذكره ياقوت الحموي بقوله : « دير الثعالب : دير مشهور ، بينه وبين بغداد ميلان أو أقل ، في كورة نهر عيسى ، على طريق صَرصَر ، رأيته أنا . وبالقرب منه قرية تسمى الحارثية . وذكر الخالدي انه الدير الذي يلاصق قبر معروف الكرخي بغربي بغداد ، وقال هو عند باب الحديد وباب بنبرى ، وهذان البابان لم يُعرفا اليوم ، والمشهور والمتعارف اليوم ما ذكرناه . وبين قبر معروف ودير الثعالب أكثر من ميل ، والى جانب قبر معروف دير آخر لا أعرف اسمه ، وبهذا الدير سُمّيت المقبرة مقبرة باب الدير »[1] .

ونوّه ابن عبدالحق بهذا الدير ، وفي ما ذكره فائدة جليلة ، قال : « دير الثعالب : غلط فيه الخالدي فقال هو الذي بقرب معروف الكرخي عند باب الحديد ، والدير الذي ذكره يُعرف بديد مار كليليسع ومنهم مَن يسميه دير البقال ، ملاصق مقبرة معروف ، ولهذا تسمى المقبرة مقبرة باب الدير »[2] .

وأشار ابن الفوطي الى هذا الدير ، في أحداث سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . قال : « فيها ، زادت دجلة زيادة عظيمة وغرقت في الجانب

---

(١) معجم البلدان (٢ : ٦٥٠) .
(٢) المراصد (١ : ٤٢٦) .

الغربي من بغداد عدة نواح ، ووصل الى قباب دير الثعالب »[٣] .

وقال ابن عبدالحق في «دير القباب» انه « من نواحي بغداد . قلت : أظنه دير الثعالب »[٤] .

وتعرّض ياقوت لذكر هذا الدير ، في ترجمة أبي الفرج الاصفهاني ، قال : « قال أبو الفرج في كتاب [أدب] الغرباء : وخرجتُ أنا وأبو الفتح أحمد بن ابراهيم بن علي بن عيسى رحمه الله ، ماضيين الى دير الثعالب في يوم ذكرانه سنة ٣٥٥ للنزهة ومشاهدة اجتماع النصارى هناك والشرب على نهر يزدجرد الذي يجري على بابه هذا الدير ومعه جماعة من أولاد كتّاب النصارى من أحداثهم . وإذا بفتاة كأنها الدينار المنقوش تتمايل وتتثنى كغصن الريحان في نسيم الشمال ، فضربت بيدها الى يد أبي الفتح وقالت : يا سيدي ، تعال إقرأ هذا الشعر المكتوب على حائط هذا الشاهد ، فمضينا معها ، وبنا من السرور بها وبظرفها وملاحة منطقها ، ما الله بـه عليم ، فلما دخلنا البيت ، كشفت عن ذراع كأنه الفضة ، وأومأت الى الموضع ، فاذا فيه مكتوب :

خرجت يوم عيدها في ثياب الرواهب
فتنت باختيالها كلَّ جاءٍ وذاهب
لشقائي رأيتُها يوم دير الثعالب
تتهادى بنسوةٍ كاعب في كواعب
هي فيهم كأنها الـ بدرُ بين الكواكب

فقلتُ لها : أنتِ والله المقصودة بهذه الأبيات ، ولم نشكّ أنها كتبت

(٣) الكتاب المطبوع باسم « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » المنسوب الى ابن الفوطي (ص ٤٤٢ ، بغداد ١٣٥١ هـ) .

(٤) المراصد (١ : ٤٣٧) .

الأبيات . ولم نفارقها بقية يومنا ، وقلت لها هذه الأبيات وأنشدتها إياها ، ففرحت :

مرّت بنا في الدير خمصانه	ساحرة الناظر فتّانه
أبرزها الذكران من خدرها	تعظم الدير ورهبانه
مرت بنا تخطر في مشيها	كأنما قامتها بانه
هبّت لنا ريح فمالت بها	كما تثنّى غصن ريحانه
فتيّمت قلبي وهاجت له	أحزانه قدماً وأشجانه

وحصلت بينها وبين أبي الفتح عشرة بعد ذلك ، ثم خرج الى الشام ، وتوفى بها ، ولا أعرف لها خبراً بعد ذلك »(٥) .

وكان الشاعر سبط ابن التعاويذي ، المتوفى سنة **٥٨٣** هـ **(١١٨٧ م)** دخل يوماً دير الثعالب في ضواحي بغداد ، يوم عيد النصارى ، فرأى شماساً فيه وسيماً ، فقال فيه ارتجالاً :

وغزال علقته	يوم دير الثعالب
من ظباء الصريم يخ	طر في زي راهب
كالقضيب الرطيب يو	هيه حمل الذوائب
شدّ زنّاره فحـ	لّ عقود المذاهب
ما رمى طرفه بسهـ	م يهوى غير صائب
بتُّ من حبّه على	مثل شوك العقارب(٦)

وعثرت على حاشية للاب أنستاس ماري الكرملي ، على معجم البلدان **(٢ : ٦٥ سطر ٤)** : « ان بقايا دير الثعالب تعرف اليوم باسم عين الصنم ».

---

(٥) معجم الادباء (٥ : ١٥٨ ـ ١٥٩) .

(٦) ديوان سبط ابن التعاويذي (ص ٥٢ ـ ٥٣ طبعة مرجليوث) .

وفي الخارطـة المرفقة بكتاب « الجامع المختصـر » لابن الساعي ، بتحقيق الدكتور مصطفى جـواد ، والخارطة من وضعه سنة ١٣٥٣ هـ ، يرى اسم دير الثعالب مثبتاً فيها .

وذكر الاب لويس شيخو ، ان « دير الثعالب منسوباً على ما نظن الى بني ثعلبة المتنصرين ، قريب من بغداد عند الحارثية »[٧] ولم نقف عـلى ما يؤيد هذا الرأي .

(٧) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ص ٨٤) .

الذيل (٦)

دير الجاثليق

(ص ١٨)

لهذا الدير أخبار منثورة في المظان التاريخية القديمة • ومما ينبغي ذكره ، ان تلك المظان ، تذكر ديرين باسم « دير الجاثليق » : أحدهما في بغداد ، وهو الذي عليه مدار كلام الشابشتي ، وثانيهما في شماليها •

ودير الجاثليق الذي ببغداد ، كان يسمى أيضا « دير كليليشوع » أو « دير مر [أو مار] كليليشوع » ، وهي لفظة سريانية بمعنى « إكليل يسوع » • وقد تحرفت هذه اللفظة في مراصد الاطلاع (١ : ٤٢٦-٤٢٧) الى « كليليسع » وهذا هو المصدر الاسلامي الوحيد الذي ذكر الدير بهذه التسمية الى تسميته الأولى • أما المراجع النصرانية ، فقد تكرّر ذكره في كتابين منها ، وكلاهما بعنوان « أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل » الاول لعمرو بن متّى ، والثاني لماري بن سليمان • وسنورد فيما يأتي أهم ما وقفنا عليه من أخبار هذا الدير في هذين السفرين ، على ما في لغتهما من ركاكة :

قال عمرو (ص ٦٦ طبعة جسمُندي ، رومه ١٨٩٦) في ترجمة الجاثليق طيماثاوس : « واستناح سنة خمس ومائتين هلالية ، وهي سنة ألف ومائة وأربعة وثلاثين يونانية (٨٢٣ م) ودُفن بدير ماركليليشوع ببغداد » •

وأوضح منه قول ماري (ص ٧٤ طبعة جسمُندي ، رومة ١٨٩٩) : « واستناح طيماثاوس في سنة دخول المأمون بغداد ••• ودفن في دير كليليشوع الذي جدد بناءه وأقام فيه ، وقبله كان مقيماً في قطيعة أم جعفر ، ولأجله سميت البيعة دير الجاثليق » •

وفي عمرو (ص٦٨) في ترجمة الجاثليق ايشوع برنون : «واستناح... سنة ألف ومائة وتسعة وثلاثين يونانيـة (٨٢٨ م) ... ودفن في دير كليليشوع المعروف بدير الجاثليق » .

ونظيره قول ماري (ص ٧٦) : « ومات ... ودفن في دير كليليشوع الذي جدد بناءه طيماثاوس » .

ويقول عمرو (ص ٦٩) في ترجمة الجاثليق جيورجيس : «واستناح سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين يونانية (٨٣٤م) ... وعمره مائة وأربعة سنين ، ودفن بدير كليليشوع ببغداد »(١) .

وشبيه بـه قول ماري (ص ٧٦) : « وأُسيم سنة عشـرة ومائتين [للهجـــرة] ... واستناح وعمره مائة وأربع سنين ، ودفن في ديـــر اكليليشوع ، ومدة جثلقته أربع سنين » .

وفي عمرو (ص ٧٠) في ترجمة الجاثليق سبريشوع : « واستناح سنة ألف ومائة وخمسين يونانية (٨٣٩ م) ... ودفن بدير الجاثليق ، في السنة الثانية من خلافة المعتصم » .

وفي هذا لم يزد ماري (ص ٧٧) على القول انه « مات ودفن في دير اكليليشوع » .

وفي ترجمة الجاثليق تاذاسيس يقول عمرو (ص ٧٢) : « واستناح سنة ألف ومائة وثلاثة وثمانون [كذا] يونانية (٨٧٢ م) ، يـوم الأحد الثاني بعد عيد الصليب ، أحد وعشرون من أيلول ، ودفن بدير الجاثليق».

ومثله قول ماري (ص ٨١) : « واستناح يوم الأحد الثاني من عيد

---

(١) وانظر كتاب الرؤساء لتوما المرجي :
The Book of Governors by Thomas Bishop of Marga (ed, Budge, Vol. 2, p. 332).

الصليب ، وهي السنة الثالثة من خلافـــة المعتمد ••• فحُـــمل الى دير كليليشوع ببغداد » •

وفي الفقرة الآتية إشارة الى هذا الدير ونهبه ، قال عمرو (ص ٧٥) في ترجمة الجاثليق يوحنا بن نرسي : « وفي أيامــه [كانت جثلقته خلال ١١٩٦ ـ ١٢٠٣ يونانية = ٨٨٤ ـ ٨٩٢ م] هُدم دير الجاثليق بعد نهبه دفعة ثم أخرى وأخرى » •

وأوضح من ذلك قول ماري (ص ٨٣) في ترجمة يوحنا المذكور : « وهُدم دير الجاثليق دفعتين في أيامه ، واتصلت الفتن ، وبُني دفعتين ، وهدم وبُعّـِدَ الجاثليق الى أيام المعتضد ، وعـاد وبنى الدير ، ولم يطب نفساً بالمقام فيه ، وسكن في دار الروم في بيعة اصبغ العبادي » •

وقال (ص ١١٠) في ترجمـــة الجاثليق يوانيس (المتوفى ســنة ١٠١٣ م) : « وانتقل الى دير الجاثليق » •

وفي (ص ١١٩) يقـول عمرو في ترجمة الجاثليق سبريشوع بن المسيحي : « واستناح ••• سنة ألف وخمسمائة وسبعة وستين يونانيـــة (١٢٥٦ م) عشـــرين ربيع الأول سنة ستمائة وأربعة وخمسين لتاريـــخ العرب » ودفن ببيعة الكرخ في اليم ••• وقرأ عليه القريان الأول قسُّ دير مار كليليشوع » •

نخرج مما نقلناه مــن عمرو وماري ، ان دير الجاثليق ، كان ذا مكانة خاصة بين ديارات بغداد ، بدليل ان ستة من الجثالقة الذين ذكراهم ، دُفنوا فيه • ويستخلص مما دونه هــذان المؤلفان ، انه كان عامراً آهلاً برهبانه خلال الحقبة الممتدة بين سنة ٨٢٣ و ١٢٥٦ م ، وهي مدة تبلغ ٤٣٣ سنة • ومن الواضح ، ان سنة ٨٢٣ م ، لم تكن سنة تأسيس هذا الدير ، بل سنة تجديد عمارته • وما من شك في انه مرّت عليه مئات من

السنين كان فيها قائما ، قبل أن آل أمره الى الخراب • ثم اننا لا ندري كم كانت المدة بين خرابه الأول وتجديده ، فالمراجع التي بيـدنا لا تشير الى ذلك • واذا علمنا ان الدير كان لا يزال قائما في زمن ابن عبدالحق صاحب المراصد (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، ١٣٣٨ م) ، أدركنا ان هذا الدير ظل عامراً بعد تجديده مدة تربو على خمسمائة وثلاثين سنة في أقل تقدير ، أعني طوال حيـاة الدولة العباسية ومن بعدها بمائة سنة • اما بعـد ذلك التاريخ فلم نقف على خبر له •

★ ★ ★

أما الدير الثاني الذي عُرف أيضا بدير الجاثليق ، فموضعه في شمال بغداد ، على الضفة الغربية من دجلة ، في عَرض حَربى • وهو على الحد بين آخر السواد وبين أول أرض تكريت • وهذا الدير يقوم عـلى ربوة قريبة من مسكن ، وهي قصبة طسوج الاستان العالي • ويقول شترك[٢] انه يمكن ان يعرف موقع مسكن على التقريب على نحو ٩ أو ١٠ فراسخ (أي ٥١ ــ ٥٦ كيلومتراً) في أعلى بغداد ، ولعل موضعه يرى في الأخربة الحالية المعروفة اليوم بـ « أبو صخر » • ويرى الدكتور أحمد سوسة[٣]، ان قرية « مسكن » ما زالت أطلالها تعرف باسمها القديم او ما يشبهه • فهي تسمى « خرائب مسكين » التي عـلى الضفة الغربية من نهـر دجيل الحالي ، على نحو ثلاثة كيلومترات من جنوب قريـة سميكة (الدجيـل الحالية) •

ويقول الدكتور سوسة ، بصدد موضع دير الجاثليق هـذا ، اننا

---

(٢) دائرة المعارف الاسلامية (مادة : دير الجاثليق) •

(٣) ري سـامراء في عهد الخلافة العباسيـة للدكتور أحمد سـوسه (١ : ١٩٨) •

« نميل الى الاعتقاد انه كان في موضع التل الأثري المسمى (تل الدير) ، وهو التل الواقع على نحو ستة كيلومترات من جنوب غربي قرية سميكة (الدجيل الحالية) . وتتكون أطلال هذا الدير من بناء مربع من الآجر والجص ، تتوسطه ساحة تعلو سطح الأرض المجاورة حوالي ثلاثة أمتار . ويعلو البناء الساحة على طول الأضلاع الاربع من المتر الواحد الى المترين . أما مساحة البناء ومعها الساحة ، فتبلغ حوالي خمسة آلاف متر مربع»[٤].

ولدير الجاثليق هذا شهرة في تاريخ الاسلام ، لنشوب معركة حامية في جواره سنة ٧١ للهجرة (٦٩٠ م) بين عبدالملك بن مروان وبين مصعب ابن الزبير ، فغُلب فيها مصعب على أمره ، لتخلي أكثر أصحابه عنه . وقُتل هو وولده عيسى هنا ودُفنا في المكان الذي وقعا فيه .

ولابن قيس الرُقيّات ، أبيات يرثي بها مصعباً ، تناقلها كثير من الكتب القديمة ، وهذه هي :

لقد أورث المصرين حزناً وذلةً قتيلٌ بدير الجاثليق مقيمُ
فما قاتلت في الله بكرُ بن وائلٍ ولا صَبرت عند اللقاء تميم[٥]

ويقول البلاذري ، ان عبدالملك « بويع بدير الجاثليق ، ودفنت جثة مصعب هناك[٦] ، فقبره معروف بمَسكِن بقرب أوانا . ويعرف موضع

(٤) ري سامراء (١ : ١٩٦ ـ ١٩٧) .

(٥) مروج الذهب (٥ : ٢٥٦) ومعجم ما استعجم (ص ٣٦٧) وأنساب الأشراف للبلاذري (٥ : ٣٤٢) والأخبار الطوال للدينوري (ص ٢١٩ طبعة ليدن) . ولفظة « حزناً » في البيت الأول . وردت « خزياً » في المرجعين الأخيرين . وانظر : ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات . تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم) بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٩٦ (.

(٦) يقول الدكتور سوسة (ري سامراء ١ : ١٩٨) : « لعل قبة (امام منصور) الواقعة بالقرب من (تل مسكين) الى جهة الغرب تضم قبر مصعب بن الزبير الذي قيل انه دفن هناك » .

عسكره ووقعته بخربة مصعب وبصحراء مصعب ، وزعموا انهـا لا تنبت شيئاً »[7] .

ويقول ابن عبـدالحق ، ان مصعب بن الزبير ، ُقتـــل بقرب دير الجاثليق « وقبره ظاهر ، عليه مشهد وقبة يقصد لزيارته »[8] .

وللتوسع في أخبار هذه الحرب التي وقعت في دير الجاثليق ، ُيرجع الى أمهات المؤلفات التي تتناول أخبار تلك الفترة[9] .

---

(٧) أنساب الاشراف (٥ : ٣٥٠) .

(٨) المراصد (١ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧) .

(٩) تاريخ الطبري (٢ : ٨٠٦ ، ٨١١ ، ٨١٢) والكامـــل لابن الأثير (٤ : ٢٦٨) وتاريخ اليعقوبي (٢ : ٣٧ طبعة ليدن) والاخبـــار الطوال (ص ٣١٨ ، ٣١٩) وأنساب الأشراف (٥ : ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥) والمروج (٥ : ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣) والأغـــاني (٨ : ٧٢ ؛ ١٠ : ١٤٧ ؛ ١٧ : ١٦٢) ومعجـم البلدان (٢ : ٦٥٠ ؛ ٤ : ٥٢٥) ومعجم مـا اســتعجم (ص ٣٠٧ ، ٣٧١) والمســـالك (ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩) وتاريـخ أبي الفـداء (١ : ٤١٨ طبعة أوربة) .

دير مديان

(ص ٣٣ ، ح ١)

ذهب الأستاذ محمد عبدالجواد الأصمعي ، في مقال له بعنوان « دير في العراق وآخر في الشام »[١] ، الى أن دير ُمديان « ورد اسمه في كتاب الديارات للشابشتي ومعجم البلدان لياقوت ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، بالميم والدال » . ثم قال ان هذا « غير صحيح ، لأن الديارات تسمى بأسماء القديسين ، ولا يعرف قديس باسم مديان بالميم والدال ، وانما المشهور مَريان بفتح الميم وسكون الراء (Marianus) ولذا صححناه هكذا في جميع المواضع التي ُذكر فيها في هذا البحث نقلاً عن هــذه الـكتب فتنبَّه ! » انتهى .

وعندنا ان لفظة « مديان » بالميم والدال ، صحيحة لا غبار عليهـا . فهي من السريانية (مودياني) بمعنى « المعترفين »[٢] .

فاذا عرفنا ان دير مديان كان ديراً للنساطرة ، وان لغة هؤلاء الدينية كانت السريانية ، ظهر لنا صحة هذا القول .

بقي ان ياقوتاً الحموي[٣] ، ضبط اسم هذا الدير بكسر الميم ، في حين انه ورد في مخطوطة الشابشتي بضمها . والذي عندنا ان هذا الضبط الثاني هو الوجه ، لتقارب لفظه من اللفظ السرياني المذكور .

---

(١) المقتطف (٨٤ [مارس ١٩٣٤] ص ٣١١ — ٣١٨ ، المراجعة في حاشية ص ٣١٢) .

(٢) انظر : معجم باين سمث السرياني اللاتيني
Payne Smith, Thesaurus Syriacus. Vol, 1, Oxford 1879, p. 1551.
ودليل الراغبين (ص ٣٠٤) ومعجم برون السرياني اللاتيني (بيروت ١٩١١ ص ٢٠٢) .

(٣) معجم البلدان (٢ : ٦٩٥) .

الذيل (٨)

أشموني

كنائسها ودياراتها في بلاد المشرق ـ أخبارها ـ عيدها

(ص ٤٦ ، ح ١ و ٤ ؛ ص ٢٠٥ ، ح ٧)

١ ـ الكنائس والديارات باسم أشموني :

ما زال ذكر أشموني شائعاً بين أبناء كنائس المشرق ، ولا سيما بين السريان المشارقة والمغاربة . ففي العراق وغيره من الأقطار الشرقية ، جملة كنائس عُرفت باسم هذه القديسة الشهيدة :

إحداها في قرەقوش[1] . وهذه الكنيسة القديمة ما زالت قائمة عامرة يؤمّها الناس من وقت الى وقت ، ويتواردون اليها في كل سنة في يوم عيدها من مختلف الجهات[2] .

وفي قرية بَرْطُلّى[3] ، كنيسة أخرى باسم أشمونى[4] ، وهي عامرة .

---

(١) من أجل قرى شرقي الموصل وأعظمها شأناً . أهلها نصارى . ذكرها ياقوت الحموي (معجم البلدان ١ : ٤٥٨) باسم « باخديدا» . ولعبد المسيح بهنام ، وهو من أبنائها ، مؤلف مطبوع في تاريخها .

(٢) لمعة في تاريخ الأمة السريانية في العراق : للبطريرك أفرام الاول برصوم (المجلة البطريركية السريانية ٣ [١٩٣٦] ص ٢٠٠) ومجلة المشرق لصاحبها المطران بولس بهنام (١ [الموصل ١٩٤٦] ص ٤٢٧) .

(٣) برطلي من أعمر قرى شرقي الموصل اليوم . أهلها نصارى . ذكرت في معجم البلدان (١ : ٦٥٧) .

(٤) لمعة (ص ٢٠٠) .

وفي باعشيقا[٥] ، كنيسة ثالثة مسماة باسمها أيضاً[٦] وهي عـامرة يصلى بها يومياً •

وكتب الحيّ البحاثة الأب حنـا فيـاي الدومنكي ، « ان في شـمالي العراق أيضا ،كنائس عديدة باسم اشموني : في كل من عينكاوه ، خردس، ديرنا ، خطاري ، دوري ، ميزي ، بيبوزي، تلكيف ، پيوز ، مار ياقو ••• الـخ • وهنـاك مصلّيات باسم أشموني في : تلكيف ، باطنايـا ، باقوفا ، تل اسقف ، القـوش • وحتى قبرها في مـار ياقو ، وقلايتها في ديـر متى »[٧] •

وذكر غير واحد من البلدانيين العرب الأقدمين ، ديراً يعرف بدير أشموني[٨] • وهو على ما ورد في وصفهم له ، قد كان بقرية قطربل من قرى بغداد في غربي دجلة ، وكان يُعدّ من أجل متنزهات بغـداد[٩] ، إلا انه قد عفت آثاره وضاعت معالمه منذ زمن بعيد •

فهذا الدير الذي بقطربل والكنائس والمصلّيات المذكورة قبله، كلّها في العراق • وهناك في غير العراق ديارات وكنائس باسم أشموني ، نذكـر ما أُتيح لنا الوقوف على خبره في المراجع التي بيدنا •

---

(٥) باعشيقا من أجمل قرى شـرقي الموصـل وأنزهها ، كثيرة الميـاه والبساتين والخيرات • يسكنها أقوام مـن المسلمين والنصـارى واليزيدية • ذكرها ياقوت في معجم البلدان (١ : ٤٧٢) •

(٦) لمعة (ص ٢٠٠) •

(٧) راجع تفاصيل ذلك ، في مواضع مختلفة من كتابه الجليل الموسوم :
Fiey (J.M.), Assyrie Chretienne. (Vols. 1-2, Beyrouth 1965).
والحق ان هذا الـكتاب من أجـل المراجع الافرنجية التي تتنـاول موضوع الديارات في شمالي العراق •

(٨) هو الدير الذي وصفه الشابشتي في كتاب الديارات (راجع ص ٤٦ ـ ٥٣) •

(٩) ممن وصف هذا الدير ، عدا الشابشتي : معجم البلدان (٢ : ٦٤٣) والمراصد (١ : ٤١٣) والمسالك (ص ٢٧٨) •

فعند سور ماردين في جنوبيها ، دير مرت شموني المقابية ، لا يزال قائماً[١٠] .

وقد كان في الاسكندرية بمصر ، كنيسة للنساطرة على اسم القديسة مرت شموني وسبعة أولادها ومعلمهم الكاهن أليعازر[١١] .

وكان في مدينة بدليس[١٢] ، كنيسة أخرى للنساطرة باسم هذه القديسة[١٣] .

وفي مدينة رأس العين ،كنيسة أخرى كانت للنساطرة أيضا ، عرفت بهذا الاسم[١٤] .

وفي مدينة أنطاكية ، كنيسة أخرى كانت تعرف باسم أشمونى أيضاً[١٥] .

وفي مدينة مذيات ،كنيسة صغيرة تعرف ببيعة الشهيدة شمونى[١٦].

وفي بلدة « شدرا » في لبنان ، بيعة على اسم الشهيدة « مرت شموني وأولادها السبعة »[١٧] .

---

(١٠) نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران : للبطريرك افرام الأول برصوم (ص ٢٤) .
(١١) تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية : لمؤلف مجهول (بيروت ١٩٠٧ ص ٧) .
(١٢) بدليس مدينة من نواحي ارمينية .
(١٣) تقويم قديم (ص ١٤) .
(١٤) تقويم قديم (ص ١٦) .
(١٥) تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ١٠٢ طبعة بيروت) .
(١٦) سياحة فى طور عبدين : للخوري اسحق أرملة (المشرق ١٦ [١٩١٣] ص ٦٦٧) وخزائن الكتب العربية في الخافقين لطرازي (ص ٥٠٦) .
(١٧) أصدق ما كان عن تاريخ لبنان : لفيليب طرازي (١ : ٢٦٦ بيروت ١٩٤٨) .

٢ ـ نبذة من أخبار أشمونى :

وقد وقفنا على أخبار أشمونى في جملة مراجع ، أقدمها وأجلها شأناً « التوراة »[١٨] . ويليه كتاب أعمال الشهداء والقديسين وهو بالسريانية[١٩] . وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري[٢٠] . وفي أبطال الايمان لشيخو اليسوعي[٢١] ، وفي غيرها من المراجع الشرقية والغربية التي لا يتسع المقام لذكرها .

ويُستخلص من جميعها ، أن أشمونى كانت والدة الفتية المكابيين السبعة التي قُتلت مع أبنائها وأليعازر الشيخ ، بعد أن كابدوا صنوف العذاب لانكارهم الطاعة على الملك انطيوخس ابيفانس السلوقي (١٧٦-١٦٤ ق.م) وكان قد اضطرهم الى جحود ديانتهم الموسوية .

وقد أشار أبو نواس الى مقتلهم في البيت الرابع من قصيدته العامرة[٢٢] التي أوردها الشابشتي في كلامه على « دير فيق » بفلسطين ، وهذا البيت هو :

بأشمونى وسبع قدّمتهم   وما حادوا جميعاً عن طريق[٢٣]

٣ ـ عيد أشمونى :

اتفق بعض المؤلفين العرب الأقدمين ، كالشابشتي وياقوت الحموي ، على أن عيد أشمونى يقع في اليوم الثالث من تشرين الأول من كل سنة .

---

(١٨) سفر المكابيين الثاني (الفصل ٦ و ٧) .

(١٩) نشرة الاب بولس بيجان اللعازري ، بعنوان :
Bedjan, Acta Martyrum et Sanctorum. (Vol. III, Paris 1892; pp. 682 - 686).

(٢٠) أنظر الصفحة ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢١) أنظر الصفحة ٥١ منه .

(٢٢) لم نجد هذه القصيدة في ديوانه المطبوع في القاهرة سنة ١٨٩٨ .

(٢٣) أنظر الصفحة ٢٠٥ من كتاب الديارات هذا .

غير ان داود الأنطاكي قال ان عيدها في عاشر نيسان[٢٤] .

وفي « كلندار السنة لأبرشية الموصل السريانية » للبطريرك بهنام بنّي[٢٥] ، ومثله ما في « كلندار ربان صليبا »[٢٦] نجد يوم عيدها يقع في الخامس عشر من تشرين الأول ، وهو اليوم الذي استشهدت فيه أشموني مع بنيها السبعة ، وهذا يتفق وما ذكره أبو الريحان البيروني ، بقوله :

« وأما [الأعياد] التي قيدتها [الملكائية] بأيام الأسابيع . من غير أن يكون بينهم فيها اشتراك أو وصلة ، فمثل ذكران قوطا الراهب وهو مار سرجس ، فانه في اليوم السابع من تشرين الأول ، ان كان أوله يوم الأحد . وان لم يكن ، أُخّر الى الأحد الذي يتلو السابع ؛ ومثله ذكران أشموني ، فانه في الأحد الذي يتلوه ، على مذهب نصارى بغداد »[٢٧] .

ولكن البيروني كان ذكر ان « في اليوم الاول من آب ، ذكران شموني مقبايا . وقد قتل المجوس سبعة أولاد لهم وقلوهم بالمقالي »[٢٨] .

وهذا يوافقه ما في شهداء المشرق لأدي‌شير[٢٩] : ان عيد أشموني في اليوم الأول من شهر آب ، وذلك نقلاً عن كلندار قديم محفوظ في خزانة دير مار يعقوب الحبيس بجانب سعرت ، وعن كلندار آخر في خزانة كتب الدار البطريركية الكلدانية في بغداد . وهذا يوافق ما قرره

(٢٤) تزيين الأسواق (٢ : ١٥) .
(٢٥) طبع في الموصل سنة ١٨٧٧ ، والمراجعة ص ٤٧ و ٦٦ .
(٢٦) نشره الاب بولس بيترس اليسوعي سنة ١٩٠٨ ، راجع ص ١٩٠ منه .
(٢٧) الآثار الباقية للبيروني (ص ٣١٠) .
(٢٨) الآثار الباقية (ص ٣٠٠) .
(٢٩) راجع ٢ : ٤٣٢ . والكتاب مطبوع في الموصل سنة ١٩٠٠ .

مجمع الشرفة سنة ١٨٨٨ م ٠

أما في وقتنا هـذا ، فيُحتفل بعيـد أشمونى في قرهقوش وبرطلى القريتين اللتين ألمعنا اليهما ، في يوم ١٥ تشرين الاول من كل سنة ، وفقاً للتقويم الشرقي القديم ٠

عكبرا

(ص ٩٣ ، ح ٢)

أطلنا في ذكر هذه البقعة ، لعلاقتها بدير الخوات ، فاذا عُرف موضع عكبرا عُرف موضع الدير .

وقد عرّف ياقوت عكبرا بقوله : « عكبرا : بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة ، وقد يمدّ ويقصر : بُليدة من نواحي دجيل ، قرب صريفين وأوانا ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . والنسبة اليها عكبري وعكبراوي »(١) .

ولابن عبد الحق كلام يصحح ما ذكره ياقوت بصدد هذه البقعة ، نرى في إيراده فائدة ، قال « كانت عكبرا من الجانب الشرقي على شاطئ دجلة . فلما استحالت الدجلة الى جهة الشرق ، صارت دجلة تحتها تسمى الشُطيطة ، وأوانا تقابلها من غربي الشطيطة ، وخربت ، وانتقل أهلها الى أوانا وغيرها ، وصار ما في شرقيها الى دجلة من عمل دجيل ، ويسمى الآن المستنصري ، لأن الامام المستنصر استخرج لـه نهراً يسقيه من دجيل ، ووقفه على آدُر المضيف التي أنشأها في محالّ بغداد لفطور الفقراء في شهر رمضان »(٢) .

وذكر ابن حوقل عكبرا ، قائلاً : « فأما عكبرا والبردان والنعمانية ودير العاقول وجَبُل وجرجرايا وفم الصلح ونهر سابس وسائر ما ذكرته على شط الدجلة من المدن ، فهي متقاربة في الكبر ، وليس بها مدينة

---

(١) معجم البلدان (٣ : ٧٠٥) .
(٢) المراصد (٢ : ٢٧٠ _ ٢٧١) .

كبيرة »[٣] ٠

قلنـا : ما زالت عكبرا معروفة الى يومنـا بأرض عكبـَرا في جنوب شرقي بلدة « السُميكة » الحالية ٠ وهي تلول كبار وصغار وركام مـن الأنقاض والأحجار ٠ ويقول فليكس جونس[٤] إن عكبرا نفسها ، كان يقسمها جدول يسمى الشطيط الذي ما زال عقيقه ظاهراً للعيان حتى يومنا بعد انحسار الماء عنه ٠

والناظر الى خارطة نهر دجلة ، المرفقـة بكتاب جونس المذكور ، يقف على اسم عكبرا ، في شمال بغداد ، غربي مجرى دجلة الحالي ، عند خط طول ٣٠َ ٤٤ْ وعرض ٤٧َ ٣٣ْ ٠ وقد نقل هذه الخارطة عنه ، السر وليم ويلكوكس في كتابه المطبوع في القاهرة سنة ١٩٠٣ ، بعنوان :

Willcocks (Sir W.) The Restoration of the Ancient Irrigation Works on the Tigris, or the Re-creation of Chaldea.

وقد تنبّه ياقوت الى ان عكبرا من الألفاظ الدخيلة قال : « والظاهر انه ليس بعربي » ٠ قلنا : هذه التسمية سريانية ، وهي من (عقبرا) بمعنى الفأر والجرذ ، لعلهـا سُـميت بذلك لوفرة هـذه الحيوانات في تلك البقعة »[٥] ٠

وفي هذا المبحث ، راجع أيضا : «الى عكبرا وقنطرة حربى» للدكتور مصطفى جواد (لغة العرب ٨ [١٩٣٠] ص ٣٢١ ـ ٣٢٤) وري سامراء للدكتور أحمد سوسة (١ : ١٨٧) ٠

---

(٣) صورة الارض لابن حوقل (ص ٢٤٥ طبعة كريمرز في ليدن) ٠

(٤) Memoirs. (p. 235 - 236).

(٥) انظر : دليل الراغبين (ص ٥٦٠) وكتاب شترك :
Streck (M.), Die Alte Landschaft Babyloniens nach den Arabischen Geographen (Leiden 1901; p. 228).

وكتب الينا البحاثة المحقق الأب حنا فياي ، ان مدينة عكبرا ، أسسها سابور الاول (٢٤٤ ـ ٢٧٣ م) ، واسكن فيها قوما من الاسرى (التاريخ السعردي ١ : ١١) • وان كان كل من حمزة الاصفهاني والطبري ينسب تأسيسها الى سابور الثاني • واصبحت كرسياً لأسقف نسطوري • وقد عُرف بعض اساقفتهابين منتصف القرن التاسع ومنتصف القرن الثالث عشر للميلاد •

دير العذارى ، ببغداد

(ص ١٠٨ ، ح ٧)

١ ـ تفضل العلامة البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم ، فكتب الينا بصدد هذا الدير ، ما هذا نصه :

«دير العذارى : كان ديراً للرواهب السريانيات في بغداد ، في قطيعة النصارى ، حيث كانت بيعة مار توما للسريان . ذكره العلامة ابن العبري في أحداث سنة ١٠٠٢م ، وسماه دير الأخوات ، وقال أن قوماً من السوقة حاولوا نهبه ، ثم ولّوا عنه هاربين لنبأ أتاهم ان خلقاً من الأوباش هلكوا في حريق نشب في البيعة المذكورة بفعلهم »(١) .

٢ ـ قلنا : ان لفظتي « الثعلبي » و « ثعلب » الواردتين في (ص ١٠٧ س ٩) ، كُتبتا في المخطوط بحروف مهملة . فهما تقرآن أيضاً « التغلبي » و « تغلب » .

---

(١) التاريخ الكنسي السرياني لابن العبري (٢ : ٢٦٧) .

قصور المتوكل في سامراء

(ص ١٥٠ ، حاشية ٥ ؛ ص ١٥٩ ، حاشية ٥٥)

إذا عُدّ المعتصم مؤسساً لمدينة سامراء ، فان ابنه المتوكل قد وسّع معالم العمران فيها بما أنشأه من قصور ومبان خلّد التاريخ ذكرها .

تولى المتوكل الخلافة في سامراء ، بعد وفاة أخيه الواثق ، سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) . ودامت خلافته نحواً من خمس عشرة سنة ، أعني الى أن قُتل في سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) .

كان المتوكل من أرباب الذوق والأُنس ، لا يقعده عما يشتهيه مال . وقد انصرف انصرافاً عجيبا الى بناء قصور فخمة في سامراء ، كثر عددها حتى بلغت تسعة عشر قصراً ، أنفق في سبيلها أموالاً جساماً ، تكاد تخرج عن حدود التصديق وفرةً .

على ان الريازة والفن ، قد حظيا حينذاك بمغنم عظيم من تشييد تلك القصور . فان حذّاق العمال ومَهرة الصنّاع قد تناولو تلك القصور بالبناء والتجميل والتزويق . ولو ان بقايا تلك القصور انتهت الينا ، لألفينا فيها ثروة أثرية رائعة ، تكشف عن كثير من خفايا الريازة والنقش والتصوير وغيرها من الفنون الرفيعة التي توصلوا اليها في ذلك العصر العباسي .

نوّه جماعة من المؤرخين والبلدانيين والشعراء بذكر تلك القصور . وقد سبق للشابشتي أن أشار اليها في كتاب الديارات[1] . وها نحن أولاء نذكر كلمةً في كل منها ، بعد ان رتبنا اسماءها على حسب حروف الهجاء :

---

(١) أنظر ص ١٥٠ و ١٥٩ و ١٦٠ ــ ١٦١ من هذا الكتاب .

البديع :

قال ياقوت ، نقلاً عن الحازمي ، ان البديع « اسم بناء عظيم للمتوكل بسر من رأى »[٢] ولسنا نعلم متى أقام المتوكل هذا القصر ، إلا اننا وقفنا على سنة نقضه . قال الطبري في أحداث سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) : « فيها أمر المتوكل ببناء الماحوزة ، وسماها الجعفري . وأقطع القواد وأصحابه فيها ، وجدّ في بنائها ، وتحوّل الى المحمدية ليتم أمر الماحوزة . وأمر بنقض القصر المختار والبديع ، وحمل ساجهما الى الجعفري »[٣] .

وقد ورد اسم هذا القصر في ديوان البحتري مرتين ، الأولى في مدح المتوكل والثانية في مدح المعتز[٤] .

البرج :

أجاد الشابشتي في صفة هذا القصر[٥] . وذكر اليعقوبي أن المتوكل أنفق عليه ألف ألف وسبعمائة ألف دينار[٦] . وأشار ياقوت الى ان النفقة عليه كانت عشرة آلاف ألف درهم[٧] .

وممن ذكر هذا القصر ، النويري[٨] ، فوصفه بما يشبه وصف الشابشتي له ، وأورد أشعاراً للسري فيه .

البركة :

ذكره النويري[٩] في جملة قصور المتوكل .

---

(٢) معجم البلدان (١ : ٥٢٧) .
(٣) تاريخ الطبري (٣ : ١٤٣٨) .
(٤) ديوان البحتري (ص ٥ و ٦٢٧ المطبعة الادبية ببيروت سنة ١٩١١) .
(٥) راجع الصفحة ١٦٠ ــ ١٦١ من هذا الكتاب .
(٦) تاريخ اليعقوبي (٢ : ٦٠٠ طبعة ليدن) .
(٧) معجم البلدان (٣ : ١٧) .
(٨) نهاية الارب (١ : ٣٩١ ــ ٣٩٢) .
(٩) نهاية الارب (١ : ٣٩١) .

بركوارا :

اختلفت المراجع القديمة في كتابة اسم هذا القصر ، فقيل : بركوارا وبركوار وبلكوار وبزكوار وبركوانا وبركوان وبيركوار • واللفظة دخيلة رأينا الأستاذ عبد الحميد الدُجيلي قد فسرها بقوله : « ان الكلمة فارسية ، وضبطُها الصحيح : بُزُركوارا ، أي القصر العظيم الكبير جداً »[١٠] •

قال ياقوت : « بَزكوارا : اسم بيت بناه المتوكل في قصرٍ له بسر من رأى »[١١] • وذكر في موطن آخر ، ان المتوكل « انفق على بركوان للمعتز عشرين ألف ألف درهم »[١٢] •

وكتب الينا صديقنا الاستاذ احمد حامد الصراف ، ان الأصح في تسمية هذا القصر « بركوارا » • فقد جاء في المعجمات الايرانية اجمعها ، ان معنى « كوارا » هو الهانيء او الهنيء • وليس بزركوارا • لانه فضلاً عن ان لفظة بزركوارا من اسماء الله المعظمة عند الايرانيين ، فان الالف الموجودة وراء الراء هي ألف المناداة • وليس من المعقول ان يسمي المتوكل قصره بلفظة « يا أيها القصرالكبير » • فالاصح بركوارا ومعناه الهانىء او الهنيء » •

وقد اشتهر هذا القصر بكونه أُقيمت فيه دعوة الاسلام الثانية ، وهي الدعوة التي صنعها المتوكل في اعذار ابنه المعتز • وقد وصفها الشابشتي[١٣] وغيره[١٤] •

---

(١٠) مجلة « عالم الغد » (العـدد الصادر في ١٦ تشرين الاول ١٩٤٨ ص ٢٤ • وانظر ري سامراء ٢ : ٦٦٠) •
(١١) معجم البلدان (١ : ٦٠٥) •
(١٢) معجم البلدان (٣ : ١٨) •
(١٣) انظر الصفحة ١٥٠ ــ ١٥٦ من هذا الكتاب •
(١٤) ثمار القلوب (١٣١) •

وذكر هذا القصر في بعض المراجع التاريخية ذكـــراً خفيفاً دون التنويه بصفته[١٥] .

البهو :

من قصور المتوكل في سامراء . قال ياقوت ان المتوكل أنفق عليـــه خمسة وعشرين ألف ألف درهم[١٦] .

الجامع :

لم نقف على ما يغني في وصفه .

الجعفري :

من أجلّ قصور المتوكل وأوسعها . قال ياقوت : « دخل أبو العيناء على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ٢٤٦ (٨٦٠ م) فقال له : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : ان الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيتَ الدنيا في دارك ، فاستحسن كلامه »[١٧] .

وذكر ابن سرابيون ان القاطول الأعلى الكسروي يسير مماساً لقصر المتوكل المعروف بالجعفري[١٨] .

مدح البحتري هذا القصر ووصفه بكونه غضّ من بنيان كسـرى وقيصر ، ونوّه به غير مرة في ديوانه[١٩] .

وهنالك « الجعفري المحدث » قال ياقوت ان المتوكل أنفق عليه عشرة

---

(١٥) تاريخ الطبري (٣ : ١٨٦٠) ووصف ما بين النهرين وبغداد لابن سرابيون (ص ١٩ طبعة لسترنج) ونهايـــة الارب (١ : ٣٩١) ولطائف المعارف (٧٤) .

(١٦) معجم البلدان (٣ : ١٨) .

(١٧) معجم الادباء (٧ : ٦٢) .

(١٨) ابن سرابيون (ص ١٩) .

(١٩) ديـوان البحتري (ص ٣٢ و ٤٢ و ٤٤ و ٤٥٨ بـيروت ١٩١١) وانظر : أحسن ما سمعت للثعالبي (ص ٩٢) .

آلاف ألف درهم[٢٠] .

الجوسق :

الجوسق لفظة معربة بمعنى القصر[٢١] . وهذا القصر، على ما ذكر ياقوت[٢٢] أُنفق على إنشائه خمسمائة ألف درهم . وقد ورد ذكره في ديوان البحتري[٢٣] .

السندان :

كذا ورد في الديارات للشابشتي . وقد ذكره ياقوت بوجهين آخرين ، الأول : شيدان[٢٤] ، والثاني : شِبداز[٢٥] . قال في الأول ان المتوكل أنفق على بنائه عشرة آلاف ألف درهم . وقال في الثاني انه «قصر عظيم من أبنية المتوكل بسر من رأى» . وبهذه الصورة الثانية ورد ذكره في ديوان البحتري[٢٦] ولعلها الوجه في تلك التسميات الثلاث .

الشاة :

كذا ورد اسمه في الديارات للشابشتي بهاء منقوطة ولا وجه لهذه التسمية والصواب الشاه على ما ذكر اليعقوبي[٢٧] . أما ياقوت فقد قال ما هذا نصه : « الشاه والعروس : قصران عظيمان بناحية سامراء ، أنفق على عمارة الشاه عشرون ألف ألف درهم ، وعلى العروس ثلاثون ألف ألف درهم ، ثم نُقضت في أيام المستعين ووهب نقضهما لوزيره أحمد بن

---

(٢٠) معجم البلدان (٣ : ١٧) .
(٢١) الالفاظ الفارسية المعربة (ص ٤٨) .
(٢٢) معجم البلدان (٣ : ١٨) .
(٢٣) ديوان البحتري (ص ٦٢٧) .
(٢٤) معجم البلدان (٣ : ١٧) .
(٢٥) معجم البلدان (٣ : ٢٥٠) .
(٢٦) ديوان البحتري (ص ٧٦١) .
(٢٧) تاريخ اليعقوبي (٢ : ٦٠٠) .

الخصيب فيما وهب له »[٢٨] ٠

الصبيح :

ورد اسمه في معجم البلدان بصورة « الصبح » أنفق المتوكل عليه خمسة آلاف ألف درهم[٢٩] ٠ ذكره البحتري في مدحه للمتوكل[٣٠]٠ ويؤخذ مما قال انه كان في هذا القصر بركة من الرخام الملون تستمد ماءها من جدول عليه دواليب يديرها النعام ٠

العروس :

مرت الاشارة اليه في الكلام على « الشاه » ٠ ونضيف الى ذلك ان الحموي ذكره أيضاً في ثَبَت قصور سامراء[٣١] ، كما أشار اليه النويري[٣٢] ٠ وقال أبو الفرج الاصفهاني ، ان المتوكل لما عقد لولاة العهود من ولده ركب بسر من رأى ، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس ، وأذن للناس فدخلوا اليه[٣٣] ٠

الغريب :

ذكره النويري[٣٤] في جملة قصور المتوكل في سامراء ٠ وقال ياقوت ان المتوكل أنفق على بنائه عشرة آلاف ألف درهم[٣٥] ٠

القصر :

أشار اليه النويري[٣٦] ٠

---

(٢٨) معجم البلدان (٣ : ٢٤٦) ٠
(٢٩) معجم البلدان (٣ : ١٧) ٠
(٣٠) ديوان البحتري (ص ٤٥٨ و ٧٦١) ٠
(٣١) معجم البلدان (٣ : ١٧) ٠
(٣٢) نهاية الارب (١ : ٣٩١) ٠
(٣٣) الأغاني (٩ : ٣٠ ـ ٣١) ٠
(٣٤) نهاية الارب (١ : ٣٩١) ٠
(٣٥) معجم البلدان (٣ : ١٧) ٠
(٣٦) نهاية الارب (١ : ٣٩١) ٠

قصر المتوكلية :

ذكر ياقوت انه الذي يقال له الماحوزة ، وان المتوكل أنفق عليه خمسين ألف ألف درهم(٣٧) . وذكر في مادة « المتوكلية » انها « مدينة بناها المتوكل على الله قرب سامراء . بنى فيها قصراً وسماه الجعفري أيضاً سنة ٢٤٦ (٨٦٠ م) وبها قتل في شوال سنة ٢٤٧ فانتقل الناس عنها الى سامراء وخربت »(٣٨).

القلاية :

كذا ذكره الشابشتي والنويري(٣٩) . ولعل الصواب « القلائد » على ما قال ياقوت . فقد ذكر ان المتوكل أنفق على بنائها خمسين ألف دينار وجعل فيها أبنية بمائة ألف دينار(٤٠) .

اللؤلؤة :

ذكر ياقوت ان النفقة على هذا القصر بلغت خمسة آلاف ألف درهم(٤١) . وقد أشار الطبري اليه بقوله ان المتوكل بنى في المتوكلية قصراً سماه لؤلؤة ، لم يُر مثله في علوه(٤٢) .

المتوكلية :

مرت الاشارة اليها في « قصر المتوكلية » .

المختار :

بلغت النفقة عليه خمسة آلاف ألف درهم(٤٣) . وقد ذكره ياقوت ،

---

(٣٧) معجم البلدان (٣ : ١٨) .
(٣٨) معجم البلدان (٤ : ٤١٣) .
(٣٩) نهاية الارب (١ : ٣٩١) .
(٤٠) معجم البلدان (٣ : ١٨) .
(٤١) معجم البلدان (٣ : ١٨) .
(٤٢) تاريخ الطبري (٣ : ١٤٣٨) .
(٤٣) معجم البلدان (٣ : ١٧) .

ومما قال فيه « المختار قصر كان بسامراء من أبنية المتوكل ••• وكانت فيه صور عجيبة من جملتها صورة بيعة فيها رهبان وأحسنها صورة شهّار[٤٤] البيعة••• »[٤٥] •

وقد نقلنا قول الطبري في نقض القصر المختار ، لدى الكلام على القصر « البديع » •

المليح :

أُنفق على بنائه خمسة آلاف ألف درهم[٤٦] • ذكره البحتري في مدحه للمتوكل[٤٧] •

★ ★ ★

اختفت هذه القصور وامحى أثر معظمها • وما تبقّى من أطلال بعضها كالمتوكلية وبركوارا ، قد وصفه بعض الباحثين المحدثين وصفاً أثرياً • وأهم ما يُذكر من تلك الدراسات :

Creswell (K. A. C.), Early Muslim Architecture. (Vol. 2, Oxford 1940).

Herzfeld. (E.), Geschichte der Stadt Samarra· (Berlin 1948).

ري سامراء في العصر العباسي : للدكتور أحمد سوسة (بغداد ١٩٤٨)•

---

(٤٤) الشهار لفظة سريانية بمعنى السهار • وهو ، عند النصارى ، من يتولى ترتيب صلاة الليل في الكنائس • وقد مرت الاشارة الى معنى « دير باشهرا » (انظر الصفحة ٧٩ الحاشية ١) •

(٤٥) معجم البلدان (٤ : ٤٤٠) •

(٤٦) معجم البلدان (٣ : ١٧) •

(٤٧) ديوان البحتري (ص ٧٦١) •

دير صباعي

(ص ١٧٥ ، ح ١)

تصحف اسم هذا الدير تصحيفاً غريباً في دائرة المعارف الاسلامية[١] الى « دير سعابة » . فليصحَّح . وفي نسخة الديارات للشابشتي الى « دير ضباعي» بالضاد المعجمة ، وهو تحريف أيضاً . والصواب « دير صبّاعي» بصاد مهملة مفتوحة ، فباء مشدّدة . والمقصود بـه هنا ، القديس الشهيد « شمعون برصباعي » وبرصبّاعي لفظ سرياني بمعنى ابن الصباغين ، لأن أهله كانوا يصبغون ثياب الملك ، وباسمه عُرف هذا الدير .

كان شمعون بر صباعي ، جاثليق المشرق في المدائن . وأصله من السوس . وقد ابتدأت جثلقته سنة ٣٢٩ م . ثم أذاقه سابور الثاني ، الملك الساساني شديد الاضطهاد ومُرّ العذاب إكراهاً له على جحد النصرانية ليدين بالمجوسية . لكن شمعون لم يَحدْ عن دينه ، فكان مصيره القتل مع جملة كبيرة من رفاقه ، سنة ٣٤١ م ، في مدينة كرخ ليدان من أعمال الأهواز .

ولشمعون برصباعي تآليف سريانية مختلفة ، ضاع أغلبها ، وبقي منها رسائل وقصائد دينية اتخذها النصارى الكلدان في صلواتهم الكنائسية . وهي تعد من أقدم الآثار الادبية في السريانية وأنفسها[٢] .

---

(١) أنظر (٥ : ٤٣٥ من الترجمة العربية) .

(٢) ترجمة شمعون بر صباعي في أعمال الشهداء والقديسين (طبعة بيجان ٢ : ١٣١ ـ ٢٠٧) والتاريخ الكنسي السرياني لابن العبري (٢ : ٣٣ ـ ٣٥ طبعة ابلوس ولامي) والتاريخ الكنسي لسوزومين (Chron Eccl. II, IX & X) والمجدل لماري (ص ١٦ ـ ١٩) =

أما ديره ، فلم يتعين عندنا موضعه . والبقعة التي كان يقوم فيها ، هي اليوم كثيرة الأطلال والأخربة . وأكثرها لم يجرِ فيه تنقيب علمي يكشف النقاب عن ماضيه ويفصح عن أمره .

وليس في المراجع التي بيدنا ، ما يوضح تاريخ هذا الدير أو يشير الى زمن خرابه واندثاره .

وقد نقل ابن فضل الله العمري[٣] ، أبياتاً من الشعر قيلت في « دير صباعي » نوردها هاهنا ، إتماماً للفائدة . قال :

« وفيه يقول بعض لصوص بني شيبان :

ألا يا ربِّ سلّم دير صُبَاعا   وزد رهبانَ هيكله اجتماعا

فكم جئناه أمواتاً سِغَاباً   ورحنا منه أحياءً شِباعا

فيا للقصفِ ما أسرى نبيذاً   ألذّ طلاً وأحسنه شُعاعا

لنعمته ومنّته علينا   عَمرناه وخرّبنا الضياعا »

والمجدل لعمرو (ص ١٥ ــ ١٩) والتاريخ السعردي (١ : ٨٦ ــ ٩٥) والسمعاني في :

Assemani, Acta Sanctorum Martyrum (I, p. 15 - 48)

ولابور

Labourt, Le Christianisme dans L'empire perse sous la dynastie sassanide. (Paris 1904; pp. 63 - 69).

وذخيرة الأذهان (١ : ٧٥ ــ ٨٣) وشهداء المشرق (١: ١٩٣ــ٢٣٤) وتاريخ كلدو واثور (٢ : ٦٨ ــ ٧٠) ويزداندوخت للمطران سليمان صائغ (ص ٢٣٨ وما بعدها) .

(٣) المسالك (ص ٣٠٥) .

الدير الاعلى

(ص ١٨٠ ، ح ٢٦)

تقوم خرائب هذا الدير في أعلى الموصل ، عند البقعة المعروفة بين أهل الموصل اليوم باسم « باش طابيه » المطلة على نهر دجلة ، على مقربة من « عين الكبريت » . ولم يبق من تلك الأخربة إلا الشيء الضئيل الذي لا يُفصح عما كان عليه هذا الدير الشهير من اتساع وجمال . على ان موضع الدير يعد من أبهى المواضع في مدينة الموصل وأنزهها ، قديماً وحديثاً ، لعلوه وطيب هوائه واشرافه على دجلة . وليس من ريب في ان الخليفة المأمون في مروره بالموصل ، وجد الدير الأعلى خير المواطن التي يحل فيها . فأقام فيه أياماً على ما نوّه به الشابشتي[١] .

ويُعرف هذا الدير أيضا بدير مار كوريبل (جبرائيل) . ولسنا نعلم تاريخ انشاء الدير ، كما لا نعلم شيئاً من أمر كوريبل هذا .

اشتهر هذا الدير بكونه مركزاً خطيراً لطقوس الكنيسة الكلدانية . فقد ورد في كثير من كتب الطقوس ، قول الناسخ « حسب نسخة الدير الأعلى» ، أو قوله : « حسب نسخة مار كوريبل ومار ابراهام بالموصل»[٢].

---

(١) انظر الصفحة ١٧٧ ــ ١٧٩ من هذا الكتاب .

(٢) راجع :

Rucker (A.), Das "Obere Kloster" bei Mossul, (Oriens Christianus, III, Vol. 7 "1932" pp. 180 - 187).

وخلاصة هذا المقال والتعليق عليه للمطران سليمان صائغ بعنوان (الدير الأعلى وأهميته في الليتورجية الكلدانية) (النجم ٥ [١٩٣٣] ص ٢٤ ــ ٢٦) .

ومثل هذه العبارة تنبىء بأن هـذا الدير كان يحرز خزانـة كتب حافلة بالمؤلفات الطقسية وغير ذلك من المواضيع • ولقد نوهنا بتلك الخزانة في مؤلفنا « خزائن الكتب القديمة في العراق »[٣] •

وكان في هذا الدير مدرسة أطرى المؤرخون علومها وتقدمها • ومن مدرسيها عمانوئيل برشهاري اللاهوتي الشهير • وقد تخرج منها رجال عُرفوا بالفضل والأدب[٤] •

لا نعلم بوجه التحقيق متى خرب هذا الدير • وقد ذهب الخوري سليمان صائغ[٥] الى ان خرابه كان في نحو أواسط القرن الثامن عشـر للميلاد ، مستنداً في ذلك الى قصيدة الشاعر حسن عبدالباقي التي قالهـا سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) في تجديد كنيسة الطاهرة للـكلدان في أعـلى الموصل[٦] •

وقد تطرقت جملة من المصادر العربية الى ذكر هـذا الدير ، ومنها يُستشف ما كان لهذا الدير من جليل المنزلة وبعد الصيت[٧] •

---

(٣) خزائن الكتب القديمة في العراق • ص ٩٩ ـ ١٠٠ •

(٤) الدير الأعلى أو دير مار كوريبل للمطران سليمان صائغ (النجم ٧ [١٩٣٥] ص ١٦٦ ـ ١٧٣ ، المراجعة ص ١٧٠) •

(٥) النجم ٧ : ١٧٣ •

(٦) تاريخ الموصل (١ : ٢٨٩ ـ ٢٩٠) •

(٧) أنظر : يتيمة الدهر للثعالبي (٢ : ١٨٦) ، وتجارب الامم لمسكويه (٢ : ٢٠٦ و ٣١٩ طبعة امدروز) ونشوار المحاضرة للتنوخي (الجزء الثاني المنشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٢ [١٩٣٢] ص ٤٣٣) والكامل لابن الاثير (٧ : ١٣٩ و ١٨٦ و ٣٠١ ، ٨ : ٤١٠ و ٤٦٤ ـ ٤٦٦ و ٤٧٦ و ٤٧٧ ، ٩ : ٤٦) ، معجم البلدان (٢ : ٦٤٤) ، المسـالك (ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤) ، المراصد (١ : ٤٢٣ ـ ٤٢٤) •

الذيل (١٤)

دير مار أوجين

(ص ١٩١ ، ح ٤)

نورد في ما يأتي ، ما تفضل به علينا العلامة البطريرك أفرام برصوم، بصدد هذا الدير . قال « دير مار أوجين : في الجبل المشرف على نصيبين ، على مسافة أربع أو خمس ساعات منها أُنشيء في أواخر المئة الرابعة باسم القديس أوجين الناسك المشهور القبطي الأصل ، الذي نشر الرهبانية في بلاد الشرق . وكان الكلدان قد استولوا عليه في المئة السادسة . وعندما تهدم ، رمّه ناسك يقال له ابراهيم بن المعرّيين « نسبة الى قرية معرّا » واجتمع اليه خمسون راهباً . وخلفه في رئاسته روزبيهان الذي تسقّف على نصيبين[١] وتوفي عام ٧٢٦ م .

وفي أواخر صيف سنة ١٢٧١م ، جدد بناء بيعته عبد يشوع (الثالث) الجصلوني مطران نصيبين وكان البنّاء القس رحمون ، ولم يأخذ عن عمله أجراً فخلع عليه المطران حلّة ، وعاونه في العمل رهبانه ورهبان دير يوحنا العربي الـكثيرون ، فلم يخبز راهب خبزاً في قلايته طوال تلك المـدة ، وشاركهم سبعون رجلاً من قرية معرّا ، وتطوّع لهم شيخها حسين بن حوص بعدة أحمال موسوفة طحيناً وعنباً وتبناً[٢] .

وأهدى اليه العـلامة عبد يشوع (الرابع) المعروف بالصوباوي

---

(١) تاريخ مؤسسي الاديار في بلاد الفرس والعرب لايشوعدناح مطران فرات ميشان (طبعة بيجان . ص ٥٠٠ و ٥٠١) .

(٢) فهرست مخطوطات خزانة كتب سعرد للمطران أدي شير (ص ٤٥) ومخطوطات مجموعة منكنا في خزانة وودبروك للدكتور منكنا (ص ٣٧٣) .

مطران نصيبين المتوفى سنة ١٣١٨ أربعة وعشرين كتاباً[٣] • وأقام فيه رهبان الكلدان حتى أواخر المائة السادسة عشرة[٤] ، ثم انقرضوا بعد ذلك بمدة ، كما يُستدل من بعض الآثار الخطية •

وخلا الدير وتهدم • فأقبل رهبان السريان وتولّوا أمره ورمّوا هيكله وبنوا فيه عدة قلالي وصوامع وقطنوه • وكانوا نساكاً يصومون الدهر مقتصرين على أزهد الأقوات النباتية • ونشأ منهم مطرانان منذ سنة ١٨٦٠ ـ ١٩١٥ •

زرته عام ١٩٠٩ فرأيت فيه رئيساً وثمانية نسّاك متوحدين سالكين على أدق نظام وأصعب رسم وأجمل سيرة تزهداً وتعبداً وتهجداً • وهم لا يفترون عن التسابيح وتلاوة المزامير ليل نهار • وشاهدت حوله من الأطلال ما يدل على عظم اتساعه في أول أمره • أما اليوم فيقيم فيه راهب واحد بعدما شتتت الحرب الكبرى شمل أهله ومعظم رهبان طور عبدين»• انتهى كلام العلامة البطريرك •

* * *

هذه خلاصة نفيسة عن تاريخ هذا الدير • ولقد قرأنا مقالاً طويلا للخوري اسحق أرملة[٥] فيه صفة هذا الدير ، وكان قد زاره في أيلول سنة ١٩١٢ ، نقتطف منه ما يتصل ببحثنا ، قال :

« والدير مستوٍ في واد بين جبلين ، يشرف على البرية • والجبل

---

(٣) مخطوطات خزانة ماردين الكلدانية للمطران أدي شير •

(٤) كتب الينا البحاثة الاب حنا فياي ، ان الرهبان النساطرة ، سكنوا هذا الدير الى بداية القرن السابع عشر • (راجع كتاب « العلاقات » للاب شموئيل جميل • الرسائل من سنة ١٦٠٧ الى ١٦١٠ ص ١١٠ و ٥١٧) •

(٥) سياحة في طور عبدين (المشرق ١٦ [١٩١٣] ص ٨٤٦ ـ ٨٤٩)•

يكتنفه من نواحيه الثلاث على شكل نصف هلال • وفيه أكواخ للرهبان ، يئويه اليوم مطران زاهد واثنا عشر راهباً ، أحدهم ضرير يعرف الصلوات الفرضية كلها غيباً •••

الى أن قال :

« وجعلنا نطوف معاهد الدير ، متفقدين آثاره : فولجنا كنيسته الكبرى • وهي على كبرها واتساعها معرّاة من كل زينة ، وقلما يدخلها الرهبان • وفيها ضريح القديس أوجين المعظم ، انحدرنا اليه بدرجات معدودة ، تعلوه حجارة رخام أسود مغبّر • والى جانبه ضريح أختي أوجين : تقلا واسطر نطانيس •

« ولم نعثر فيه على كتابة او كتاب ، وقس عليه مصلى الصيف فاننا لم نجد فيه ما يستلفت النظر • والى شرقي المصلى غرفة متسعة فيها قبور كثيرة دون كتابة • والى جنوبيها ثلاثة أروقة عالية معقودة بالآجر • وعلى الرواق المتوسط قبة لطيفة ظريفة يعلوها القرميد الأحمر ، وتحتها غرفة مربعة على اسم العذراء مريم ، اعتنى الرهبان فجددوا مذبحها منذ بضع عشر سنوات • وفي ظننا انها أقدم عهداً من الكنيسة عينها •

« وفي أطراف الدير مناسك شتى ، يكتنفها سور ، آثار أبنيته ظاهرة• وفيه بئر كبيرة واسعة لا تنتهي مياهها • وتحت الدير ، الى غربيه ، مغارة واسعة ألفينا فيها عظام أموات ذكر لنا الرهبان انها عظام رهبان نساطرة قد ألقيت هناك •

ثم قال :

« ومن طالع تواريخ الأديرة ، ولاسيما كتاب العفة وكتاب توما المرجي[٦]، وقف على ما كان لذلك الدير الفخيم من الأهمية لدى الكلدان.

---

(٦) ان توما المرجي ، لم يذكر بتاتاً دير مار اوجين • (الاب حنا فياي) ـ

خاصة ، فانه كان أول الأديار وأعظمها عندهم . وبعد هذا دخل في حوزة السريان ، لشديد اعتبارهم ومزيد إجلالهم لمار أوجين » انتهى المراد نقله.

* * *

قلنا : وفي بعض خزائن كتب الشرق والغرب ، مخطوطات سريانية ، كُتبت في هذا الدير أو له ، بين سنة ١١٦٨ و ١٥٦٩م . أما الآن فليس فيه من المخطوطات ما يستحق الذكر .

وممن وصف هذا الدير ، صاحب « تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية »[٧] ونحن ننقل ما قاله ، على ضعف ثقتنا بصحة كثير من أقواله :

« ونصيبين ، كان يوجد بطرفها دير مار أوجين ، على مسافة ساعتين . وكان فيه رهبان مائة وستون راهباً عدا الخدّام . وكان للدير أربعمائة رأس غنم ، وكان له خمسة رحي وخمس قرى ملكه . وكان يوجد فيه مدرسة للرهبان والقسوس والأعوام[٨] ، وكان يُعلّم فيها فلسفة ولاهوت ومنطق وجغرافية وهندسة ووعظ . وكان عدد المؤمنين سبعة آلاف بيت ، جميعهم نساطرة ، وذلك في سنة ألف وخمسمائة وسبعين[٩] ، في زمان البطريرك هرمزد الثالث » . أ هـ .

* * *

أما أوجين ، الذي عُرف هذا الدير به ، فقد كان أصله من جزيرة قليزما في مصر . كان أول أمره غواصاً ، ثم ترهّب في دير باخوميس بمصر ، ثم قدم الى المشرق مع جماعة من تلاميذه وأقام في جبل نصيبين

---

(٧) طبعة المطران بطرس عزيز (بيروت ١٩٠٩ ، ص ١٧) .
(٨) يريد : العوام .
(٩) سنة ١٥٧٠ يونانية ، تقابلها سنة ١٢٥٩م .

المعروف بجبل الازل ، وابتنى هناك ديراً • فالرهبانية انتقلت من مصر الى هذه الديار على يد أوجين، ثم تلامذته من بعده• وكانت وفاته في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣ م ، ودفن في ديره •

وأخبار أوجين في كثير من التصانيف السريانية والعربية • راجع : الديورة فيمملكتيالفرس والعرب لايشوعدناح البصري (ترجمة البطريرك بولس شيخو • ص ٢٣ الموصل ١٩٣٩) والتاريخ السعردي (١ : ٢٤ – ٢٦) والمجدل لماري (ص ١٠) وأعمال الشهداء والقديسين (٣ : ٣٧٦ – ٤٨٠ طبعة بيجان) وشهداء المشرق (٢ : ١١ – ٣٣) وتاريخ كلدو واثور (٢ : ٣٣) وسياحة في طور عبدين (المشرق ١٦ : ٨٤٦ – ٨٤٩) •

الذيل (١٥)

عمر الزعفران

(ص ١٩٣ ، ح ١٣)

ويعرف بدير الزعفران ، أو دير مار حنانيا . وهو دير كبير آهل ، يُعدّ من أجلّ ديارات الجزيرة . يقوم على نشز من الارض ، في شرقي ماردين ، على مسير ساعة منها . وهـــذا الدير نزه طيب جامع بين جمال الموقـع وحسن المستشرف ونقاوة الهواء وعذوبة المـــاء . تكتنفه العيون والبساتين والكروم الزاهية ، ويحدق به الجبل من سائر جهاته ما عــــدا الجنوبية ، فانه يطلّ منها على رستاق ماردين .

طول هذا الدير ٦٣ متراً وعرضه ٧١ ، وهو مسو ر بسور حصين . وأبنية الدير ، على متانتها ، غير متناسقة الترتيب ، لتشييدها في عصور شتى . ومن أخص أبنيته :كنيسة مار حنانيا ، وكنيسة السيدة ، وكنيسة الكرسي ، ومدفن الآباء المعروف ببيت القديسين ، والفردوس وهو إيوان شاهق .

يرتقي تشييد هذا الدير الى أيام مار حنانيا مطران ماردين وكفرتوثا السرياني ، الذي وطّد أركانه سنة ٧٩٣ ـ ٨٠٠ للميلاد ، عـلى أنقاض قلعـة ودير قديم ، وجعله ديراً مشهوراً ، صارفاً همته في بنائه وتزيينه ، وأنشأ فيه كنيسة ومذبحاً وغرس فيه الكروم والزيتون وصنوف الأشجار ، ووضع فيه كتباً كثيرة ، وجمع فيه رهباناً بلغ عددهم في أيامه ثمانين راهباً . فاشتهر هذا الدير باسمه منذ ذلك العهد حتى يومنا هذا .

وقد صار هذا الدير كرسياً للبطاركة من سنة ١٢٩٣ م ، نيفاً وستمائة سنة . وانجب واحـــداً وعشرين بطريركاً وتسعة مفارنة ومائة وعشـــرة أساقفة .

ويطل عليـــه من الشمال ، ثلاثة أديار صغيرة متجاورة وهي دير مار عزرائيل ، وكان آهلاً برهط من الرهبان بين سنة ١٥٠٠ ـ ١٦٠٠م . ودير مار يعقوب الملفان وذُكر لأول مرة سنة ١١٦٥ م ، ولا يزال عامراً. وصومعة مار بهنام وقطنها نفر من النساك حتى أواسط القرن السابع عشر. وتخرّج في كل منها نفر من الأساقفة(١) .

لفت هذا الدير القديم أنظار بعض علماء الغرب ، فزاروه وكتبوا في وصفه أبحاثاً مفيدة(٢) .

---

(١) استندنا في كتابة ما تقدم من هـذا الملحق ، الى كتابين من تأليف البطريرك أفرام برصوم ، وهما :

(أ) نزهة الاذهان في تاريخ دير الزعفران (دير الزعفران ١٩١٧ ، ١٨٦ ص) .

(ب) اللؤلؤ المنثور في تاريـخ العلوم والآداب السريانيـة (حمص ١٩٤٣ ، ص ٥١٠) .

(٢) نذكر من ذلك :

Parry (O.H.), Six Months in a Syrian Monastery. (London 1895)

Preusser (C.). Nordmesopotamische Baudenkmaler. (Leipzig 1911: pp. 49 - 53, pl 62 - 65)

Budge "E. A. W."By Nile and Tigris. "Vol. I, London. 1920, pp. 433 - 435"

الذيل (١٦)

دير احويشا

(ص ٢٠٣ ، ح ٢٠)

ويقال لـه ’عمر أحويشا . وما زال بناؤه قائما ، بل ان الرهبـان الكلدان كانوا يقطنونه حتى الحرب العالمية الاولى ، ثم تشتت شملهم بعد ذلك . وبجانب هذا الدير قرية سميت بديزماريعقوب أيضاً .

أنشأ دير أحويشا ، مار يعقوب ، على مقربة من مدينـة سعرد . وكان يعقوب حياً في المائة الخامسة للميلاد . والاخبار الواصلة الينا عن مؤسس هذا الدير مقتضبة ، يؤخذ منها انه انطلق الى رجل حبيس ناسك ، فاشتركا في بناء هذا العُمر والقيام بأمره . ثم أخذ الناس يتوافدون اليـه من كل حـدب وصوب ليصبحوا رهبانـا فيه ، حتى نال شـهرة بعيدة بين ديارات تلك البقعة[1] .

(١) التاريـخ السعردي (٢ : ١٥١ طبعـة أدي شـير في باريس) ، والديورة في مملكتي الفرس والعـرب لايشوعدناح البصـري (ص ٣٤ ـ ٣٥ من الترجمة العربية للبطريرك بولس شيخو) ، وتاريـخ كلـدو واثور (٢ : ٢٦٢) ، واللؤلؤ المنثور للبطريرك برصـوم (ص ٥١٥) .

الذيل (١٧)

دير زكّى

(ص ٢١٨ ، ح ٢)

تفضل علينا العلامة الجليل ، مار اغناطيوس أفرام الاول برصوم ، بهذه النبذة النفيسة عن دير زكّى ، نوردها في ما يأتي ، شاكرين يده على العلم . قال :

« دير مار زكّى : من أديار السريان الكبرى المشهورة . كان بظاهر مدينة الرقة . وشيّد على الارجح في المئة الخامسة للميلاد . ومن مشاهير رهبانه مار يوحنا ابن قورسوس الرّقي النبيل الذي ترهّب سنة ٥٠٦ م ، وسيم مطراناً على مدينة تلا (ويران شهر) وسار أجل سيرة طهراً وتحمساً للايمان ، وتوفي بانطاكية في ٦ شباط عام ٥٣٨ م . وهو معدود عند السريان من أفضل القديسين والمجاهدين المعترفين . وكان ذا معرفة واسعة بالسريانية واليونانية مضطلعاً بالعلوم الدينية والفقهية وسن بعض القوانين[1] .

« ومار قرياقس المطران ، مطران آمد ٥٧٨ — ٦٢٣ + وكان ذائع الصيت بفضيلته وعلمه ، وله ستة قوانين[2] .

« وذكر هذا الدير في التاريخ الكنسي ، في أحداث المائة السادسة . وأبصرت في خزانة المتحف البريطاني انجيلاً عتيقاً مخطوطاً على رق بالقلم السرياني الاسطرنجيلي ، أنجزه قسطنطين وضبطه في هذا الدير

(١) سيرته بقلم تلميذه الربان ايليا . وسير قديسي الشرق بالسريانية لمار يوحنا الأفسسي (طبعة بروكس ٢ : ٣١٣) .

(٢) تاريخ ميخائيل الكبير (٢ : ٣٩٩) .

القس سابا قبيل سنة ٥٨٣ م ، ورقمه ١٤٤٦٤ .

« وكان رهبان دير مار زكى يدرسون علوم الدين ويتفقّهون بها . ومن أشهر أساتذته الملفان الربان تاودورا وكان يشرح كتب العلامة مار غريغوريوس النزينزي اللاهوتي . وقرأ عليه مار ماروثا مفريان تكريت وأخذ عن غيره من الأساتذة مدة عشر سنين وذلك حوالي سنة ٦٠٣ — ٦١٣ م .

« ومنه نشأ الراهب القس ايثالاها الكاتب مؤلف مقالة جدلية في أواسط المئة التاسعة . وفيه سيم العلامة البطريرك ديونيسيوس الأول التلمحري قسيساً ١٧ آب ٨١٨ . وتخرج فيه البطريرك الانطاكي يوحنا الرابع (٨٤٧ — ٨٧٨ +) واليه نقل رفاته بحسب وصيته . وفيه رسم البطريرك الانطاكي اغناطيوس الثاني (٨٧٨ — ٨٨٧ +) .

« ولم يحفظ لنا التاريخ ، الأساقفة الذين نشأوا منه وتهذبوا فيه في عصوره الاولى عدا يوحنا التلي وقرياقس مطران آمد . وانما ذكر العلامة البطريرك مار ميخائيل الكبير في تاريخه السرياني عشرين مطراناً واسقفاً ظهروا منه منذ سنة ٧٩٣ حتى ٩٥٤ أورد أسماءهم واحدا فواحدا . منهم ثلاثة جلسوا على كرسي مطرانية الرقة[٣] .

« ويستفاد من حكاية أوردها صاحب معجم الأدباء (٤ : ١١٦) عن كتاب الديارات للخالدي عن أبي بكر الصنوبري الشاعر المتوفى سنة ٩٥٤ م ، ان رهبانه كانوا يومئذ مئتين ، وان شاعراً رهاوياً يقال له سعد الوراق أتته منيته في جوار هذا الدير وقد وسوس وخولط في عقله ، فانبرى

---

(٣) التاريخ السرياني لميخائيل الكبير (٢ : ٧٥٣ — ٧٥٩ وقد نشره القس شابو الفرنسي منقولا الى الفرنسية ، في باريس سنة ١٨٩٩ وما بعدها) .

العباس ابن كيغلغ أمير الرها وتجنّى فيه على الدير ورهبانه ظلماً وتعسفاً ، فافتدوا نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم وذلك حوالي سنة ٩٣٠ م .

« ولم نقف لـه على ذكر بعـد سنة ٩٥٤ م . والراجح ان مظالـم مجاوريه عجلت هبوط نجمه وذهـاب عزه . وانما كان عامراً آهلاً أيام الشابشتي المتوفى سنة ٩٩٨ م وياقوت الحموي عام ١٢٢٦ م . فتكون مدة ازدهاره نحواً من خمسمائة سنة ، وجملة مدته زهاء ثمانمائة سنة .

« ومن أجلّ من نزل فيه أيام مجده هرون الرشيد الخليفة العباسي . كما أحسن أبو بكر الصنوبري وصف جمال موقعه وطيبه بقصيدة مـن جيد الشعر » . انتهى كلام العلامة البطريرك .

★ ★ ★

وما يُستدرك على وصف الشابشتي لهذا الدير ، ما ذكره ابن فضل الله العمري في سياق كلامه عليه . قال : « وحُكي عن الحسين بن يعقوب انه قال : صرت الى الرُّهـا ، فبتُّ بها وخرجت قبـل عيد الصليب بيوم . فاذا لدينا وجوه حسان من نصرانيات خرجن لعيدهنّ ، وعليهنّ جيّد الثياب وفاخر الجوهر ، واذا روائح المسك والعنبر قد طُيّب الهواء منها ، وقد فرش لهن عـلى العجل وهو يجرّ بهنّ ؛ وأُخـريات عـلى الشـهاري الخراسانية والبغلات المصرية والحُمر الفُره ؛ ومشاة . وفي خلال ذلك صبيان ما رأيت أحسن منهم وجوهاً وقدوداً وثياباً . فتأملتُ منظراً لم أر أحسن منه قط . واذا هم يطلبون دير زكّى ليعيّدوا فيه »[٤] .

وقال البكري في أثناء وصفه هذا الدير :

« ... ومرّ بهذا الدير ، عبدالله بن طاهر ، ومعه أخ له . فنزلا

---

(٤) المسالك (ص ٢٦٥) .

فيه ، وشربا أياماً ، وخرجا الى مصر • فمات أخوه بمصر ، وعاد هو فنزل بهذا الدير ، فقال :

أيا سَــروتي ُبستانِ زكى سلمتما ومَن لـكما ان تسلما بضمـانِ
ويا سـروتي بستان زكى سلمتما وغالَ ابنَ أمي نائبُ الحدثان(٥)

---

(٥) معجم ما استعجم (ص ٣٧٧) •

دير هند

(ص ٢٤٤ ، ح ١)

في المراجع العربية القديمة ، ثلاثة مواضع ، عُرفت بدير هند :

الأول : دير هند الصغرى ، وهو بالحيرة . وقد عقد له الشابشتي فصلاً في كتابه[١] .

الثاني : دير هند الكبرى . من ديارات الحيرة أيضاً .

الثالث : دير هند : مـــن قرى دمشق . ذكره ياقوت[٢] . ولسنا بصدد الكلام عليه .

ودير هند الصغرى ، من أشهر ديـارات الحيرة وأبعدهـا صيتاً . وسنذكر من أخباره فيما يأتي ، ما لم يرد في الديارات للشابشتي :

فذكر أبو الفرج الاصفهاني ، ان هنداً ، « لما حبس كسرى النعمانَ الأصغر أباها ، ومات في حبسه ، ترهبت ولبست المسوح وأقامت في ديرها مترهّبةً حتى ماتت ، فدفنت فيه »[٣] .

وذكر ابن فضل الله العمري ، ان بشر بن مروان « شق له نهراً من الفرات . ولم يزل النهر يجري حتى خرب الدير »[٤] .

ومما نقله أيضاً :

(١) أنظر الصفحة ٢٤٤ ـ ٢٤٦ من هذا الكتاب .

(٢) معجم البلدان (٢ : ٧١٠) والمشترك (ص ١٩٢) .

(٣) الأغاني (٢ : ٣٣) .

(٤) المسالك (ص ٣٢٣) .

« وحكي ان النعمان كان يصلي به ويتقرب فيه ، وانه علق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة . وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبان وما شاكلهما من الأدهان ، ويوقد فيه من العود الهندي والعنبر شيئاً يجل عن الوصف »(٥) .

وذكر البكري ، ان هنداً ، صاحبة هـذا الدير « هي التي تعرف بحرقة ، ويقرأ بحريقة ، وهي التي دخلت على خالد بن الوليد لما افتتح الحيرة ، فقال لها : أسلمي حتى أزوجك رجلاً شريفاً من المسلمين . قالت : أما الدين، فلا رغبة بي عن ديني ولا ابتغي به بدلاً . وأما التزويج، فلو كانت فيّ بقية لما رغبت فيه ، فكيف وأنا عجوز هامة اليوم أو غد ؟ فقال لها : سليني حاجة . فقالت هؤلاء النصارى الذين في أيديكم تحفظونهم . فقال : هذا فرض علينا وقد وصّانا به نبينا . قالت ما لي حاجة غير هذه . أنا ساكنة في دير بنيته ملاصق هـذه الأعظم البالية من أهلي حتى ألحق بهم . فأمر لها بمعونة ومال وكسوة . فقالت : ما لي الى شيء من هـذا حاجة ، لي عبدان يزرعان مزرعة لي أتقوت منها ما يمسك رمقي »(٦) .

وقد أكثر الشعراء من ذكر هـذا الدير . فقال فيه معن بن زائدة الشيباني الأمير ، وكان منزله قريباً منه :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً — لدى دير هندٍ والحبيب قريبُ
فنقضي لُباناتٍ ونلقى أحبّةً — ويورقُ غصنٌ للسرور رطيبُ(٧)

---

(٥) المسالك (ص ٣٧٧) .
(٦) معجم ما استعجم (ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣) وانظر : معجم البلدان (٢ : ٧٠٨) والمسالك (ص ٣٢٤) .
(٧) معجم ما استعجم (ص ٣٦٣) ومعجم البلدان (٢ : ٧٠٨ ـ ٧٠٩) .

وفيه يقول :

لئن طال في بغـداد ليلي فربّما ... يرى بجنوب الدير وهو قصير[8]

وفيه يقول أبو حيان[9] .

يا دير هندٍ لقد أصبحت لي أنِسا ... كنت لي يا ديـر ميئاسـا

سقياً لذلك ديراً كنتُ آلفُـهُ ... فيـه أُعاشـرُ رهباناً وشماسـا

* * *

أما دير هند الكبرى ، فقد ذكره غير واحـد من وصّاف الديارات كالبكري وياقوت . وأغفل الشابشتي ذكره . وقد قالوا في صفته :

دير هند الكبرى ، أو دير هند الأقـدم : هو دير بنته هند الكبرى أُم عمرو بن هند . في صدر هيكله مكتوب : « بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر ، الملـكة بنت الأملاك ، وأمُّ الملك عمـرو بن المنذر أمة المسيح وأم عبـده وابنة عبـده ، في زمن ملك الاملاك خسرو انوشروان ، وفي زمن افريم الأسقف . فالاله الذي بَنت له هـذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها الى أمانة الحق، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر »[10] .

---

(٨) معجم ما استعجم (ص ٣٦٣) .

(٩) معجم ما استعجم (ص ٣٦٤) .

(١٠) معجم ما استعجم (ص ٣٦٤) ومعجم البلدان (٢ : ٧٠٩) .

عمر مر يونان

(ص ٢٦٤ ، ح ٣٩)

يؤخذ من المراجع التاريخية ، ان يونان مؤسس العُمر المعروف باسمه في الأنبار ، كان من جزيرة قبرس ، من سلالة الملك قسطنطين . وقد تخرج في علم الطب والفلسفة . وذهب الى مصر واطّرح العالم وزهد ولزم العبادة ، وتتلمذ على القديس أوجين . ثم قدم معه بلاد العراق ، وطاف بعض البقاع حتى استقر في برية الفرات عند فيروز شابور (الأنبار) وشيد هناك ديراً . وزار دير مار توما الرسول في الهند ، ثم عاد الى ديره ، وفيه توفي ودفن[١] .

أما زمن إنشاء هذا الدير ، فقد ذكر عمرو بن متى[٢] وماري بن سليمان[٣] ، ان يونان أسسه في أيام الجاثليق بربعشمين ، ابن أخت شمعون برصباعي الذي مرّت الاشارة اليه في كلامنا على دير صبّاعي . وقد كانت جثلقة بربعشمين من سنة ٦٦٤ الى ٦٧٢ يونانية (٣٥١–٣٦١م). فيكون انشاء هذا الدير، في أواسط المائة الرابعة للميلاد .

لبث عُمر مر يونان قائما زاهراً حتى أواسط المائة التاسعة للميلاد .

---

(١) انظر : التاريخ السعردي (١ : ١٣٤ – ١٣٨) والديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٢٤ – ٢٥ الرقم ٤) وتاريخ كلدو واثور (٢ : ٣٤) واعمال الشهداء والقديسين بالسريانية (١ : ٤٦٦–٥٢٥ طبعة بيجان) .

(٢) المجدل لعمرو (ص ٢٠) .

(٣) المجدل لماري (ص ٢٦) .

فقد ذكر ماري بن سليمان[٤] ، ان المتوكل على الله الخليفة العباسي ، أمر بهدم كنيسته فيما هدم من بيَع وأعمار . وقد كانت خلافة المتوكل من سنة ٢٣٢ الى ٢٤٧ هـ (٨٤٧ ـ ٨٦١ م) فيكون هذا العمر ، أو قل كنيسته، قد ظلت قائمة زهاء خمسمائة سنة .

ولكن الدير على ما حاق به ، ظلّ آهلاً برهبانه زمناً طويلا بعد تلك الحادثة . فقد أشار عمرو بن متى[٥] الى ان من رهبانه ، ابراهيم بن العدل الراهب الذي نُصب فيما بعد مطراناً على هراة ، في أيام الجاثليق ماري المعروف بابن طوبى ، المتوفى سنة ١٠٠٠ م (٣٩٠ هـ) .

ثم لم نقف على مايستحق الذكر من أخبار هذا الدير بعد تلك السنة.

(٤) المجدل لماري (ص ٧٩) .
(٥) المجدل لعمرو (ص ٩٥) .

دير قنى

(ص ٢٧٣ ، ح ٣٠)

لأخي ميخائيل عواد ، رسالة نفيسة استوفى فيها ما ورد بشأن دير قنى في مختلف المراجع التاريخية والبلدانية • وما في هذا الملحق لخصناه من تلك الرسالة :

١ ـ اسم هذا الدير :

اختلف الكتبة والمؤرخون في ضبط لفظة « قُنَّى » التي عُرف بها هذا الدير • فقالوا فيها : « قُنَّى » و « قُنِّي » و « قُنَّه » و » قُنّ » و « قُونِي » • وعندنا أن أحسن هذه التسميات أولاها • على ان الدير لم يعرف في المراجع السريانية إلا باسم « دير قوني » •

ولفظة «دير» في بعض المراجع بصورة « دور » فقيل «دور قنَّى» •

٢ ـ تأسيس الدير :

وفي سِير القديسين ، حكاية تشير الى ان مار ماري (وهو من أبناء المائة الأولى للميلاد) أسس دير قنى • وخلاصة ذلك ، ان إمرأة نبيلة تدعى قوني ، أُصيبت بالبرص ، فشفاها ماري بأعجوبة ، فقابلت إحسانه بأن وهبته كثيراً من ضياعها وأراضيها • لكنه اقتصر من ذلك كله على بيت النار المجوسي ، فشيّد فيه ديراً ، وهو دير قنى •

ولما مات ماري ، دُفن في هذا الدير • ومن ثم أصبح مدفناً لكثير من جثالقة المشرق •

٣ ــ موقع الدير :

كان دير قنى يقوم في الجانب الشرقي من دجلة ، جنوبي بغداد ، على نحو من تسعين كيلومتراً . وتبعد خرائبه اليوم عن ضفة نهر دجلة الحالية نحو كيلومترين ، وهذا يكاد يساوي المسافة التي ذكرها الشابشتي بقوله « بينه وبين دجلة ميل ونصف » .

ولا شك في أن الدير عند تأسيسه كان أقرب الى النهر مما ذكرنا ، لان المعماريين قاسوا مشقات جمة لكثرة رطوبة المكان ، لانه كان قريباً من ضفة النهر »[(١)] . وكثيراً ما كان يفرش الرهبان الحصر والثياب من الشط الى الدير عندما ينزل الجاثليق من الشبّارة[(٢)] لزيارة قبر مار ماري في هذا الدير[(٣)] .

٤ ــ كنيسة الدير :

وفي بعض المراجع ، ما يفيد ان سبريشوع الجصلوني[(٤)] ، أسقف كاشغر ، جدد بناء الهيكل الذي في هذا الدير ، على أثر نكبة لحقت به .

ثم تلاه ايليا الثالث المكنى بأبي حليم الذي صار جاثليقا من سنة ١١٧٦ الى ١١٩٠ م . فأعاد تجديده عقب تدمير آخر[(٥)] .

٥ ــ مقبرة الجثالقة :

قلنا ، ان مار ماري دُفن في هذا الدير . ثم أضحى الدير مقبرة

---

(١) شهداء المشرق (١ : ٣٤) . وقد أشار المسعودي الى تحول ماء دجلة هناك (التنبيه والاشراف ص ٥٤ طبعة ليدن) .

(٢) الشبارة : ضرب من السفن النهرية .

(٣) المجدل لماري (ص ١٥٥) وذخيرة الأذهان (١ : ٤٩١) .

(٤) التراجيم السنية للاعياد المارانية : لايليا الثالث (طبعة القس يعقوب نعمو الكلداني في الموصل سنة ١٨٧٣ المقدمة . ص ٨ـ٩) .

(٥) المجدل لعمرو (ص ١١١) .

لبعض الجثالقة خلفاء ماري • فممن دفن في مقبرة الجثالقة هناك : اسحق الجاثليق ، المتوفى سنة ٤١٠ أو ٤١١ م • وداديشوع شموئيل الجاثليق ، المتوفى سنة ٤٥٦[٦] م •

٦ ـ مدرسة مار ماري (اسكول مار ماري) :

أنشأ ماري هذه المدرسة • وقد عُرفت ب « اسكول مار ماري » • وممن نشأ فيها العالم المنطقي متّى بن يونس ذو المؤلفات الكثيرة ، وايشوعياب القنائي الذي أُسيم قساً ودبّر الاسكول بعد ذلك •

كانت اللغة العربية والسريانية واليونانية تدرس في هذه المدرسة • هذا الى ما كان يدرس فيها من أصناف العلوم والفنون كالنحو والمنطق والشعر والهندسة والموسيقى والفلك والطب والفلسفة وعلوم الدين • وكان فيها خزانة كتب حافلة تضم أمهات التآليف التي كانت متداولة في ذلك العصر[٧] •

٧ ـ سور الدير :

قال ياقوت الحموي، نقلاً عمن تقدمه ، في صفة هذا الدير : « وعليه سور عظيم عال مُحكم البناء »[٨] • كان هذا السور منيعاً في حدود سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) وذلك عند اقتراب العساكر السلجوقية من قرية بنارق القريبة من دير قنى ، وانهزام أكثر سكانها • قال بعض أولئك المنهزمين : « فلما كان الليل ، عبرنا دجلة لنجيء الى دير قنى ، لأنه ذو سور منيع ، وبتنا فيه ، ثم تفرقنا في البلاد »[٩] •

---

(٦) ذخيرة الأذهان (١ : ١٠٧ و ١٢٠) •
(٧) تاريخ كلدو واثور (ص ٧ من مقدمة المجلد الثاني) •
(٨) معجم البلدان (٢ : ٦٨٧) •
(٩) معجم البلدان (١ : ٧٣٩) وآثار البلاد للقزويني (ص ١٠٦) : مادة : بنارق •

٨ ـ قرية دير قنى :

وكان الى جانب هـذا الدير ، قرية كبيرة تعرف أيضاً بدير قنى • خرج منها عدد من مشاهير الناس ، فيهم الكاتب والوزير • منهم : علي بن عيسى بن داود الجراح، ومحمد بن داود بن الجراح، والحسن بن مَخْلد بن الجراح ، والوزير بن الفياض ، ومتى بن يونس ، والفضل بن يحيى ابن فرخان شاه ، وغيرهم وغيرهم •

٩ ـ نهاية الدير وانقراضه :

لم ينته الينا من الأنباء التي تذكر خراب هذا الدير الكبير ونهايته • وجـل ما بلغنا أخبـار مقتضبة • مـن ذلك ما ذكره ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، ١١٢٨ م) بقوله : « وأما الآن فلم يبق من هذا الدير غير سوره، وفيه رهبان صعاليك ، وكأنه خرب بخراب النهروان »[١٠] •

ويؤخذ من كلام ابن عبدالحق (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، ١٣٣٨ م) في مراصد الاطلاع ، ان الخراب كان مستولياً على هذا الدير في زمانه •

(١٠) معجم البلدان (٢ : ٦٨٧) •

الذيل (٢١)

دير القصير

(ص ٢٨٨ ، ح ٢٢)

اتسع في ذكر هـذا الدير ، المؤرخ أبو صالح [وقيل : صلح] الأرمني ، أحد أبناء المائة السادسة للهجرة (الثانية عشرة للميلاد) في تاريخه[١] المعروف باسمه ، الذي وصف فيه أخبار نصارى مصر في زمانه مع وصف أديرتهم وبِيَعهم وغير ذلك من الأخبار المفيدة . قال في صفة هذا الدير ، ما هذا نقله [وقد أبقينا على لغته ، وضعفها باد للقارىء] :

« الدير المعروف بالقصير : على قرنة[٢] الجبل الشرقي . وهذا الدير يشرف منه على بحر النيل المبارك وطُراً . أنشأه أرغاديوس[٣] الكبير ابن تدوس[٤] الكبير ملك الروم على قبر معلمه القديس ارسانيوس[٥] ، وسماه باسمه . وكان ارسانيوس هذا قد هرب منه وتعبّد في برية القديس أبو مقار[٦] بوادي هَبيب ثم انتقل الى هذا الجبل وتعبد فيه ، وعرف هذا

---

(١) اتضح من بحوث بعض المحققين ، ان هذا المطبوع جزء من كتاب عام ، وانه (أي المطبوع) خاص بالوجه القبلي . والمخطوط بأكمله لأبي المكارم جرجس بن مسعود من علماء القرن الثالث عشر للميلاد ، بدليل ذكر اسمه في تضاعيف بقية المخطوط الذي كان عثر عليه القمص فيلوثاؤس ابراهيم ، رئيس الكنيسة القبطية الكبرى ، أثناء رحلته في الوجه القبلي سنة ١٨٦٧ م في أوراق مبعثرة . والمخطوط محفوظ حتى اليوم عند صهره جرجس فيلوثاوس عوض ، في طنطا .

(٢) يريد : قمة الجبل .

(٣) Arcadius

(٤) Theodosius

(٥) St. Arsenius

(٦) St. Macarius

الدير بقصير . ويُعيّد له عيد عظيم ويجتمع اليه خلق كثير . وتحت بيعته على الجبل بيعة أخرى نقر في الجبل بالازميل فيها مذبح .

الى أن يقول :

« واصطات[٧] البطريرك ، أنشأ في هـــذا الدير بيعة الابسطلى[٨] وأنشأ فيه قلية[٩] للاساقفة وهو بيد الملكين[١٠] وفيه جماعة من رهبانهم. ويعيّد له كل سنة عيد القديس ارسانيوس في ثالث عشر بشنس[١١] . واصطات هذا ، كان تاجراً في الكتان فوجد كنز في المدق ، وترهّب في هذا الدير ، وبنى فيه ما تقدم ذكره ، وصيّر بعد ذلك بطريركاً للملكيين وأقام مدة بطريركيته أربعة وستين سنة . وفي هـذا الدير ثمانية كنائس وعليهم حصن دائر . وفيه منظرة ، وفيه مدافن ، وتحته مغائر كثيرة نقر في الجبل . وكان هـــذا الدير هدم منه كنيسة الابسطليين في الخلافـة الحاكمية في شعبان سنة أربعمائة[١٢] ، وحضر اليه جماعة مـــن العوام وأخذوا توابيت الموتى وأخشاب من نقضه .ثم رُسم لهم بتجديد ما تشعّث منه ، ورتب له الياصال[١٣] أخو تاج الدولة بهرام ستة عشر فداناً رزقة . وكان فيه بغل يحمل للدير الماء من البحر والصعود به الى الدير . وكان ينزل معه أحد الرهبان يملأ عليه النقلة ، ويبقى الراهب مقيم عند البحر

---

(٧) Eustathius

(٨) Apostles

(٩) مرت في تضاعيف كتاب الشابشتي بصورة « قلاية » أيضا .

(١٠) عرفوا بالملكانيين والملكية . وقد سبقت الاشارة اليهم .

(١١) يقابله ٨ أيار .

(١٢) ذكر المقريزي (الخطط ٤ : ٤١١) : « وفي رمضان سنه أربعمائة [١٠١٠ م] أمر الحاكم بأمر الله ، بهدم دير القصير ، فأقام الهدم والنهب فيه عدة أيام .

(١٣) Al-Yâsâl

[النهر] والبغل متردد في الرواح الى الدير والمجيء بمفرده الى حين يكمل حاجته منه . وعلى هذا الدير حصن حجر دائر .

« عدة البيع الذي في دير القصير ، على ما شوهد في برمهات سنة احدى وتسعين وثمانمائة للشهداء الأبرار (= ١١٧٥ م) ، عشرة بيع ، وهي :

(١) في العلو ، بيعة القديس ارسانيوس : معلم أولاد الملوك . وجسده مدفوناً تحت مذبحها . وهو مذبح واحد وعليه قبة وفي وسطها قبر طولاني .

(٢) بيعة على اسم ستنا السيدة مرت مريم الطاهرة العذراء القديسة: وفيها مذبح واحد مثل ذلك .

(٣) بيعة الابسطليين (Apostles) التلاميذ : وكان فيها صورة السيدة حاملة للسيد ، والملائكة عن يمينها ويسارها وصور التلاميذ الاثنا عشر تلميذ ، جميعهم فصوص [فسيفساء] ومیناء محكمين الصنعة كما في بيت لحم . وفيهم فصوص زجاج مذهبة وملونة . وكان خمارويه ابن أحمد ابن طولون يقف عند هذه الصور ويتبصر في حسن صنعتهم ويتعجب كثيرا من ذلك وبالخاصة صورة السيدة العذراء ، حتى انه انشأ في هذا الدير منظرة لنفسه يتنزه فيها . وكانت هذه البيعة كبيرة جدا ، فهدمها الحاكم في سنة أربعمائة للهجرة (١٠١٠ م) ثم جدد منها بعد ذلك بيعة على اسم بطرس وبولس . وفيها مذبح واحد وعليه قبة . وفي وسطها قبو .

(٤) بيعة اسطفانوس : رئيس الشمامسة وأول الشهداء على اسم المسيح .

(٥) بيعة على اسم القديس ماري جرجس .

(٦) بيعة القديس ماري سابا الاسكندراني : اهتم بتجديدها الشيخ أبي البركات يوحنا الكاتب ابن أبو الليث في خلافة الآمر ووزارة الأفضل شاهنشاه ، وتولى المصروف عليها أبي الفضائل أخيه • وكان أبي البركات هذا متولي ديوان التحقيق في الخلافة الأفضلية ، وبعد هذا الى أن قتل في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة (١١٣٤ م) • وفيها مذبح واحد ، وعليها قبة لطيفة فوق المذبح ، ووسطها قبة واحدة كبيرة واسعة شاهقة • وفيها صور الأربعين شهيد من سبسطية • وتحتها قبر أبي الفضائل هذا •

(٧) بيعة الشهيدة بربارة : لطيفة •

(٨) [بيعة] ماري توما •

(٩) بيعة قزمان ودميان (Cosmas, Damian) واخوتهما وأمهم الذين استشهدوا جميعهم على اسم المسيح •

(١٠) وفي سفلها : بيعة مار يوحنا المعمدان السابق في مغارة سقفها حجر محمول على عامود كدار خافي • وفي وسطها وفي السقف صور كنائسية قد محي أكثرها • وقريب منها قبر يوحنا الراهب الذي هندس سور القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصرية ووزارة أمير الجيوش بدر• وعلى هذا القبر لوح رخام في الحائط •

« وبيعة القديس ماري جرجس المقدم ذكرها[١٤] في جملة هذه الكنائس العدة ، خارجة على قرنة الجبل • أنشأها الشيخ أبو الحكم أخو أبو الخصيب صهر أبي البركات بن أبي الليث •

« وفي الجبل المذكور ، عدة مغائر نقر في الجبل ، سقوفها منها • أحدهم : مغارة القديس ارسانيوس الذي بُني على اسمه ، والحجر الذي كان يتوسده بها •

---

(١٤) هي الكنيسة المذكورة في الرقم ٥ •

« وداخل هذا الدير صهريج يصل الماء اليه من الجبل في وقت المطر • وكان به بئر ماء معين نقر في الجبل منه يشربوا الرهبان ومن يطرقه • وفيه طاحون نقر في الجبل ، وكنائسه كذلك •

« وتجاور كنيسة مدري سابا الذي أنشأها أبي البركات ، منظرة عملت للآمر، كان يحضر اليها في زمان صيد الوحوش ، ومكان لأصحابه• وفيه منظرة خمارويه ابن أحمد بن طولون ، في علو الدير من الجانب الشرقي • وقد تشعثت •

« وفيه الآن ، في وقتنا نحن ، خمسة رهبان ضعفاء الأحوال الى آخر برمهات سنة إحدى وتسعين وثمانمائة للشهداء الأبرار (= ١١٧٥ م) •

« بعد ذلك فيه فخر ابن القنبر المضل الجهّال باعتقاده المخالف للحق ، وصار معه جماعة من التابعين له مقيمين معه • وأقام به مدة عشرين سنة ومات في يوم الاثنين أول جمعة البيضا من الجمعة الثانية في الثالث والعشرين من امشير(١٥) سنة تسعمائة وأربعة وعشرين للشهداء الابرار (= ١٢٠٨ م) • وهو الآن بيد تابعيه ، وهم جماعة كبيرة ، ولكن أحوالهم غير مستقيمة •

« وذكر انه كان فيه متقدماً ، وفي المغائر المنقورة التي بالجبل ، ما يناهز ستة آلاف راهب »(١٦) • انتهى كلام أبي صالح الأرمني ، وقد نقلناه بلغته الركيكة •

* * *

وقال يحيى بن سعيد الانطاكي ، ذاكراً ما حل بهذا الدير في أيام الحاكم بأمر الله ؟

---

(١٥) يبدأ امشير في ٢٦ كانون الثاني وينتهي في ٢٤ شباط •

(١٦) تاريخ أبي صالح الأرمني (ص ٦٢ ــ ٦٦ اكسفرد ١٨٩٥) •

« ورسم [الحاكم] أيضا ، يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة أربعمائة ، بهدم دير القصير • وهو دير للملكية في الجبل المقطّم بمصر ، مبني على قبر ارسانيوس القديس ، ونهب جميع ما فيه • وكان أرسانيوس ، بطريرك الاسكندرية يومئذ ، مقيماً فيه متعبداً ، فأُخرج عنه مع من كان يسكنه من الرهبان • وكان ارسانيوس البطريرك هذا قد أحاط على الدير سوراً منيعاً وعمّره وجدده وزاد فيه أبنية كثيرة فهُدم جميعها وخُرّب الدير • وكان للنصارى الملكية في ظاهره مقابر ومدافن لموتاهم ، ففتح الرعايا والعبيد جميعها ، ونبشوا من كان فيها واخذوا أيضاً توابيتهم وطرحوا عظامهم ، وكان أمراً فظيعاً لم يشاهد مثله ولا جرى في السالف شبهه • فانتهى ذلك الى الحاكم، فأمر بعد الفوات بالكفّ عن فتح القبور وترك التعرض للموتى »(١٧) •

وذكر ابن ابي أُصيبعة ، ان أبا الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان الطبيب النصراني المصري ، لما توفى سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) ، دُفن في دير القصير(١٨) •

وفي بعض كتب البلدان والأدب اشارات الى هـذا الدير • منها ما أورده ابن ظافر الأزدي ، المتوفى سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) ، قال(١٩) :

« مضيت أنا ، وشهاب الدين [يعقوب ابن اخت نجم الدين ، يعني ابن المجاور] ، والقاضي الأعز بن المؤيد رحمه الله ، في جماعة من اصحابنا الى الدير المعروف بالقصير ، إيثاراً لتلك الآثار • فلما تنزهنا في حسن

---

(١٧) تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي (ص ٢٨٧ طبعة كراتشكوفسكي وفاسيليف • باريس ١٩٣٢) •

(١٨) عيون الأنباء (٢ : ٨٩) •

(١٩) بدائع البدائه (ص ١٢١ ــ ١٢٢ بولاق ١٢٧٨ هـ) وعنه نقلها ابن فضل الله العمري في المسالك (٣٩٤ ــ ٣٦٥) •

منظره وقضينا الوطر في نظره ، تعاطينا القول فيه جرياً على عادة خلعاء البلغاء وظرفاء الأدباء ومجّان الشعراء الذين نبذوا الوقار بالعراء فقطعوا طريق الاعمار بطروق الأعمار وضيعوا العين والعَقار في تحصيل العين والعُقار ، فقال الشهاب :

سقى الله يومي بدير القصير قصيرَ العزالي طويلَ الذيولِ
محلٌ إذا لاح لي لم أقفْ بصحبي على حومل فالدّخول

ثم أورد أشعاراً ، وأردفها بقول الشهاب :

على عمر القُصير قطعتُ عمري وصُنتُ خلاعتي وأزلت وَفري

وقد اقتصرنا من هذه المطارحة الشعرية بين هؤلاء الشعراء الثلاثة على هذه الأبيات التي ورد فيها اسم الدير • وأما ما سواها فغزل ومجون لايتصلان بالدير في شيء •

ومن الشعراء الدين قالوا شعراً في دير القصير ، أبو الفتح محمود ابن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم • فقد نقل ياقوت[٢٠] عشرة أبيات ، مطلعها •

ويوم على دير القصير تجاوبتْ نواقيسهُ لما تداعتْ أساقفُهْ

وفي ديوان كشاجم ، مقطوعة ، اولها

سلام على دير القصير وسفحه بجنّات حلوان الى النخلات[٢١]

وممن ذكر هذا الدير ، ابراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق القيرواني ، من أهل المائة الرابعة للهجرة ، قال في جملة قصيدة طويلة :

وكم بتُّ في دير القصير مواصلاً نهاري بليلي لا أفيق من السكر[٢٢]

---

(٢٠) معجم البلدان (٢ : ٦٨٧) •
(٢١) ديوان كشاجم (ص ١٩) •
(٢٢) معجم الأدباء (١ : ٢٩١) •

دير مر حنا

(ص ٢٩٣ ، ح ٢٤)

عقد الأستاذ حبيب زيات ، فصلاً في صفة هذا الدير[١] . قال في مطلعه :

« هو دير مار يوحنا المعمـــدان . من أديار الملـكيين بمصر . قال المقريزي : « وهذا الدير يعرف اليوم بدير الطين (بالنون) عـلى شاطىء بركـة الحبش . وهو قريب من النيل . والى جانبـه بساتين أنشأ بعضها الأمير تميم بن المعز »[٢] . وهو كسائر الأديار والكنائس الملكية لا يُدرى له أصل إنشاء ولا تاريخ بناء . ولعله كان حيناً في حوزة الأقباط . استولوا عليه في جملة ما اغتصبوه مـــن الملكيين ، في دولة الأمويين وأوائل خلافة العباسيين . وهو ما يشير اليه قول التاريخ المنحول لأبي صالح الأرمني :

« هو الآن (٥٦٤ للهجرة = ١١٦٨ للميلاد) بيد الملكيين ، واهتمّ بتجديد عمارته قديماً أبو الفضل ابن البغـدادي وأبو نصـر ابن عبدون يُعرف بابن العدّاس متولي ديون الشام في الخلافة الحاكمية »[٣] .

ولما تتبع الحاكم بأمر الله معابد النصارى بالتقويض والتدمير ، لم ينج هذا الدير من النهب والخراب . وأخذ الحاكم نفسه جانباً منه ومن البيعة وبناه مسجداً بمئذنة . وكان فيه ، فيما عدا الرهبان ، جماعة من الراهبات

---

(١) الخزانة الشرقية (٣ : ٣٢ ـ ٣٥) .
(٢) الخطط (٤ : ٤١١) .
(٣) تاريخ ابي صالح الارمني (ص ٥١) .

أيضا كان يهتم بهن أبو الفضائل بن أبي الليث الكاتب الملكي ، شقيق أبي البركات يوحنا ، متولي ديوان التحقيق ، المقتول سنة ٥١٨ للهجرة (١١٢٤ م) . وكان في جوار الدير بستان له ، جامع لصنوف الأشجار المثمرة النادرة . قال صاحب التاريخ المشار اليه :

« واتفق وفاة أبي الفضائل هذا . وكان له ابن أخت يسمى أبي المكارم محبوب بن أبي الفرج العابودي . وكانت أخت أبي البركات ابن أبي الليث زوجة أبي الفرج هذا . فانتقل من الملة النصرانية واختتن وعمره يناهز أربعين سنة . ووضع يده على البستان المذكور وملكه على حكم الموروث وتسلط على الرهبانات وأخرجهن منه . وهدم المنظرة وجعلها مسجداً وأضعف الدير . وعمل فيه همة(٤) للامام الحافظ . وحضر عنده وازداد الدير ضعفاً . وامتنع الملكيين من زيارته . ثم تواترت الفتن . وهُدم معظم الدير والكنيسة وصار أمره للتلف . وكان للملكية أسقفاً بمصر يسمى يوسف . فجدد ورمّ فيه ما وصلت قدرته اليه . وهو باق الى الآن (١١٦٨ م) لم تكمل عمارته كما كان لضعف الطائفة وقلة عددهم وإهمال رئيسهم وتغفله عن النظر فيه وفي غيره . وعادة أسقف مصر على هذه الطائفة بالحضور الى هذا الدير في يوم الاثنين دائماً أول الجمعة الثانية من الصوم الكبير وجماعة كبيرة من طائفته ومن القبط لسماع وصية الصوم وما يجب أن يُعمل فيه . وهذا الدير أيضا يُعيّد فيه في ثاني يوم عيد الغطاس »(٥) .

---

(٤) الهمة هنا ، بمعنى الدعوة . وكان يقال في دولة المماليك : صنع له مهماً أي دعوة أو صنيعاً .

(٥) تاريخ ابي صالح الارمني (ص ٥١ ـ ٥٢) . وعيد الغطاس هو عيد الدنح ، ويومه الثاني هو عيد مار يوحنا المعمدان ويقع في السابع من كانون الثاني .

ويعد هذا الدير من جملة الديارات التي اتخذهـا الخلفاء وعشاق الصهباء في الاسـلام متنزهات للهو والطرب ، وحانات للسـكر والغناء ، لاجتماع طيب الشراب فيه الى طيب الهواء وحسن المنظر ، وإشرافه على بركة الحبش، احدى بقاع مصر المشهورة بالقصف والبطالة . وقد ذكرته الشعراء وتغزلوا فيه . فقال أمية بن عبد الصلت المعري :

يـا دير مر حنـا ، لنـا ليلـة   لو شُرِيَت بالنفس لم تُبخسِ (٦)

وللأمير تميم بن المعز لدين الله :

أيـا دير مر حنـا ، سقتك رعود   من الغيم، يهمي مزنها ، ويجود (٧)

وقد خفيت آثار هذا الدير ، ومحا الدهر رسومه ومعالمه ، فلا يُدرى له مكان ، ولا كيف عبث به الزمان » . انتهى ما نقلناه من بحث الأستاذ حبيب زيات في دير مر حنا .

قلنا : وممن ذكر هذا الدير في شعره ، ابراهيم بن القاسم الـكاتب المعروف بالرقيق القيرواني . قال من قصيدة طويلة يتشوق فيهـا اخوانه بمصر :

وفي بشـر دوس مستراد وملعب   الى دير مرحنا الى ساحل البحر (٨)

---

(٦) معجم البلدان (٢ : ٦٩٩) وهي فيه تسعة أبيات ، اكتفينا بايراد أولهـا .

(٧) ديوانه (مخطوط في خزانة جامعة ليدن Arab 2038=Amin 314) وقد نشر الاستاذ حبيب زيات منه ها هنا ستة أبيات، أوردنا أولها.

(٨) معجم الأدباء (١ : ٢٩١) .

دير نهيا

(ص ٢٩٧ ، ح ١٣)

قال أبو صالح الأرمني في التاريخ المنسوب اليه ، ان هذا الدير اهتم بعمرته إنسان تاجر ورد من الاسكندرية الى مصر ، قبل أن يتملك دقلطيانس (Diocletian) بأربعين سنة ، ثم قال :

« ولما وصل المعز لدين الله من المغرب وملك مصر[1] ، نزل تحت هذا الدير وأقام سبعة شهور ، وأنشأ قبالته بستان وبئر ساقية تحت الكوم غربي الجميزة وحوض سبيل وهو الآن مردوم . وحوض السبيل قد دثر . ثم دخل الى مصر والبستان خراب اليوم . هذا ولم يبق فيه غير أصول جميز وسدر . وأحرق الحاكم هذا الدير المذكور الى أن وصل بالارض . ثم جدد عمارته إنسان ارخن من أهل وسيم من الجيزية ، وأطلق الحاكم للرهبان رزقة هناك وبقيت باقية الى اليوم . وعُملت عمد هذا الدير بعد تجديده صوّان . وكان الآمر باحكام [الله] قد حضر الى هذا الدير في وزارة محمد بن فاتك ووجه بابه قصير وعليه باب حديد ، فلم يرى أن يدخل اليه منكّس الرأس، جعل وجهه الى خارج وجعل ظهره الى داخل الباب وزحف الى ان دخل اليه واستقام الى أن دخل المذبح فقال لأحد الرهبان : أين مكان وقوف القس ؟ فأوراه ، وقال : اين موضع وقوف الشماس ؟ فأعلمه به . فوقف مكان القس وقال للراهب : اقف مقابلتي مكان الشماس ، ففعل . ثم طاف الكنيسة ، ودفع للرهبان ألف درهم بعد

(١) كان ذلك في سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) .

ضيافتهم له ، وخرج من الدير ينصيد ولم يبات في الدير في هذه الدفعة .

« وكان المذبح يُنزل اليه بدرج ويصعد منهـا الى المذبح . فنقلهـا الشيخ أبو الفضل ابن الأسقف وردم المكان وبلّطه وعمل سترة بلاط على الاسكنا على ثلاثة عمد رخام .

« ثم صار الامام الآمر يتردد الى الدير في مواكبه وعساكره يتصيّد . فأنشأ فيه منظرة عالية ، وعمل قبة طالعة الى فوق من الجانب البحري وبابها من خارج الدير ولها سلم معقودة حجارة يصعد اليها منه والباب الآن مسدود، كانت الأرضة قد استولت على هذه المنظرة وغيرها فسقطت ولم يبق لها أثر . وبات في الدير ليلتين متفرقة . وصار في كل يوم يتردد للصيد ويضيفونه الرهبان . فجعل لهم في كل ركبة يطرق الدير فيها ألف درهم ، فحصل لهم من ذلك خمسة وعشرون ألف درهم ورقاً صحاحاً .

« وكان الصور [السور] القديم قد تهدم ، فجدد الحصن القائم من هذا المال وكان عدة الجمال الذين يحملون له الحجر والطوب في كل يوم أربعين جملاً .

« ويجاور الدير من داخل الحصن ، في زاويته الشرقية القبلية ، بئر ماء معين مسقوفة .

« ثم ان الرهبان ، لما رأوا من الامام الآمر مثل هذه الانعام وصار لهم ادلال عليـــه ، سألوه أن يطلق للدير طين يزرعوه في كل سنة . فأجاب سؤالهم وأنعم عـلى الدير من أراضي ناحيـة طهرمس[٢] من الجيزيـة تمليكاً ثابتاً منه بخط يده ، قطعة أرض قبالة بغير مساحة ، ما يقارب ثلاثون فداناً . واستمرت بأيدهم الى ان ملكوا الغز الأكراد في سنة أربع وستين

---

(٢) ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٥٤٥) .

وخمسمائة ، انتزعوها من ملك الدير ، ولم يبق لهم سوى المصيدة ينتفعوا بما يصيدوه منها •

« وكان أحد الكتاب المصريين قد دخل الى هذا الدير يطلب ماء يشرب منه ويغسل يديه ، فوجد الماء عندهم قليلاً جداً • فاهتم وحفر بئر من داخل الحصن قبالة حائط البيعة القبلية ، وكان تحت الحفير صخرة ، فتسبب في قطعها وقطعها من حساب كل ذراع بدينار ، وكان عدة ذرعها أربعة عشر ذراعاً خارجاً عما انفقه في الحفر والعمارة • وهذا البئر هو الذي يشرب منه اليوم ، نيّح الله نفسه • وبصالح نية المهتم طلع ماء هذا البئر حلو طيب خفيف هضّام •

« ان بيعة هذا الدير على اسم مرتا ومريم اختا العازر الذي أقامه سيدنا يسوع المسيح له المجد من بين الأموات وعاش بعد ذلك تسعة سنين وصار أسقف قبرس مدة طويلة •

« وفي البيعة هذه مغطس كان يجري له الماء في قناة من هذا البئر ، فعميت • وفي الدير طاحون فارسي • وكان فيه مقشرة فبطلت •

« وكانت الأرضة قد استولت على أخشاب هذا الدير والبيعة • فاهتم هذا السيد أيضا بنقضها وجعل عوض السقوف أقبية وجعل العمد مدفونة في أركانه • ولم يبق من العمد ظاهراً إلا العامودين الصوان القديمين اللذين قبالة صورة السيدة العذراء الطاهرة والبستل[٣] الخشب باق لكونه دهن بالصبر فمنع الأرضة أن تفسده • وعدة من اجتمع في هذا الدير في وقتنا نحن من سبع نفر الى ما دونها »[٤] انتهى المراد نقله •

---

(٣) يريد به العمود الخشب الذي عليه صور الرسل (Apostles).

(٤) تاريخ أبي صالح الأرمني (ص ٧٧ ـ ٨١) • وقد نقلنا قوله بنصه على ما فيه من سقم وغلط ظاهرين •

دير طمويه

(ص ٢٩٩ ، ح ١٠)

قال أبو صالح الأرمني في تاريخه بصدد هذا الدير ، ما هذا نصه :

« طمويه : وهي بازاء حلوان ، من الشرق الدير المعروف بها . شهد به كتاب الديارات للشابشتي . ويحيط بهذا الدير حصن دائر . وبيعته على اسم القديس مرقوريوس [١] . وهو مطل على البحر[٢] راكباً عليه. ويجاوره جوسق يتوصل اليه من هذه البيعة وعلوه مناظر حسنة ، ويشرف على البساتين والاشجار والأراضي المزدرعة والكروم المعرشة . وهو عامر آهل . وبه جماعة من الرهبان .

«وجدد عمارته الشيخ أبو اليمن وزير متولي ديوان أسفل الأرض[٣] والشيخ أبو منصور ولده ، وذلك في الخلافة الآمرية[٤] ووزارة الأفضل شاهنشاه . وكان الأفضل هذا ينزل فيه ويقيم به متنزهاً ومتفرج . وأنشأ بستاناً يجاوره ، وأغرس فيه من جميع الأشجار والنخيل . وحفر آبار وركب عليها سواقي ، وأدار على البستان سياج ماكن . والحكر عنه مما يحمل الى بيت المال في كل سنة عشرة دنانير .

« ثم اقطع[٥] أيضا الحكر المذكور ، وأعمر به معاصر للزيت من

---

(١) St. Mercurius .

(٢) يريد : نهر النيل .

(٣) يريد : مصر السفلى .

(٤) كانت خلافة الآمر من سنة ٤٩٥ الى ٥٢٤ هـ (١١٠١-١١٣٠ م).

(٥) يريد : قطع . أي توقف عن دفع الحكر ، وهو الضريبة السنوية التي كان الدير يدفعها للحكومة يوم ذاك .

داخل حصن الدير مكملة العدد والآلات • وله أراضي مبلغها سبعة وأربعين فدانا • واقطعت هـــذه الأراضي الغز الأكراد وغيرهم في مملــكة الناصر يوسف ابن أيوب الكردي[٦] •

« وبهذه البيعة جسد القديس بنودة[٧] رئيس هذا الدير ، يُعيّد له في خامس عشر امشير[٨] • وفيه صورة الست السيدة العذراء الطاهرة مرت مريم • وكان الأفضل يهوى مقامه في علوه •

« واهتم الشيخ أبو اليمن المذكور بتحصيل آنية لهذه البيعة من الفضة الحجر • فعمــل صينية وكأس وملعقة ومجمرة وصليب وكســوة حرير فاخرة •

« وهذه الناحية البيعة الكبيرة الحسنة الوضع للقديس الجليل ماري جرجس •

« وبيعة على اسم الشهيد مهرابيل •

« وبيعة أبا بيمة •

« وبيعة الملاك ميخائيل •

« وبيعة للسيدة العذراء الطاهرة » • انتهى •

---

(٦) هو السلطان صلاح الدين الأيوبي • حكم من سنة ٥٦٧ الى ٥٨٩ هـ (١١٧١ ـ ١١٩٣ م) •

(٧) St. Paphnutius

(٨) يقابله يوم ٩ شباط (فبراير) •

دير الخنافس

(ص ٣٠٠ ، ح ٢)

تفضل العلامة البطريرك مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم ، فكتب الينا في ٨ شباط ١٩٤١ ، بصدد هذا الدير ، ما نثبته هاهنا بلسان الشكر والثناء .

« دير الخنافس : هو دير على هضبة غير بعيدة من قرية برطلى ، في شرقي الموصل . يحمل اسم القديس دانيال الناسك الذي بارح بعض أديار آمد (ديار بكر) في صحبة القديس متى الناسك سنة ٣٦٣ م ، قاصداً بلاد نينوى . ولعله بُني في العقد الأخير من المائة الرابعة أو الأول من المائة الخامسة . وانما أُطلق عليه بعد ذلك هذا الاسم لظهور خنافس صغيرة في عيده الواقع في العشرين من شهر تشرين الأول ، مدة ثلاثة أيام ، ثم تختفي في ما ذكر الخالدي وعنه نقل الشابشتي فياقوت . ولا يزال حتى اليوم . وكان هذا الدير عامرا آهلاً حتى غاية المائة الثالثة عشرة للميلاد . فقد ذكره العلامة ابن العبري في تاريخه المدني السرياني (ص ٥١٧ في أحداث سنة ١٢٦١ م) قال : « وفي ذلك الزمان ، لجأ أهل قرية باصخرايا وغيرهم من أهل نينوى الى دير الخنافس . وعندما غادروه وعبروا الزاب ليتوجهوا الى اربيل ، لاقاهم الأمير قوتلوبك وتجنّى عليهم بانهم قادمون من جهة العدو ، فقتلهم على بكرة أبيهم الرجال منهم والنساء » . وجاء في ذيل تاريخه الكنسي (١ : ٧٨٧ ؛ ٢ : ٤٩٧) : ان أخاه غريغوريوس برصوم الصفي ابن العبري الصغير مفريان الشرق ، نزل في هذا الدير عام ١٢٩٧ م . وهناك قدم عليه رسول منصور الأول الأرتقي ملك ماردين يصحبه رسول

اغناطيوس ابن وهيب بطريرك ماردين ، يسألانه كتاب عهد للبطريرك ففعل . وكان هذا الدير الذي يُعرف أيضاً بالدير الأعلى خاصاً بالرهبان ، ولا تزال رسومه ماثلة .

« وفي سفح الهضبة ، على مسافة نحو أربعين دقيقة منه ، قريبا من العين الصفراء ، دير آخر بالاسم عينه ، ويقال له الدير السفلي . كان مختصا بسكنى الرواهب . وكانت أطلاله معروفة حتى بعد الحرب العامة . فاستأثر بها وبموضعه بعض الطامعين في غفلة من ورثته الشرعيين وأصحاب الأمر .

« فكانت مدة عمارة دير الخنافس زهاء تسعمائة سنة . وسُمي باسمه في أواسط القرن الماضي ، قريتان حقيرتان ، يقال لهما بَدَنه كبير وبَدَنه صغير ، أخذاً من بيت دانيال أي قرية دانيال الكبرى والصغرى» انتهى ما تفضل به غبطة العلامة الجليل .

* * *

قلت : وقد زرت أطلال هذا الدير في الثاني عشر من نيسان سنة ١٩٣٥ مع نسيبي السيد سعيد ججاوي . فسرنا من قرية « كرمليس »(١) حتى بلغنا « دير برعيتا » ، وهو على مسيرة ساعة من شرقي تلك القرية . ولم يبق من هذا الدير الا بقايا مشعثة . ثم سرنا منه حتى انتهينا الى السفح الجنوبي الشرقي لجبل العين الصفراء . فتسلقنا الجبل حتى بلغنا « دير مار دانيال الأعلى » المعروف أيضا بدير الخنافس .

تقوم أخربة هذا الدير ، في قنّة « جبل العين الصفراء » ، وله منظر عجيب ، لأنه يشرف على سهول نينوى كلها .

---

(١) قرية عامرة حسنة ، على نحو ١٥ ميلا شرقي الموصل . ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٢٦٧) .

وهـذا الدير مربع ، صغير الرقعـة ، لا تتجاوز مساحته مائتي متر مربع • وقد تهدمت سقوفه كلها ، وبقي كثير من جدرانه وطيقانه وحناياه قائماً • وفي شماليه صهريج منقور في الجبل ، قد تعطل • كان فيما مضى يمتلىء بماء المطر • وعليه كان اعتماد الدير في مياهه •

وذكر البطريرك أفرام رحماني ، وقد زار هذا الدير سنة ١٨٩٦م ، انه « تُشاهد في بعض جدرانه المتهدمة كتابة سطرنجيلية يُقرأ فيها اسـم دانيال صاحبه »[٢] • لكننا لم نقف أثناء زيارتنا للدير ، على أثر لهـــذه الكتابة ، بل لم نعثر على كتابة ما في بقاياه المرئية •

وصف غير واحد من البلدانين هذا الدير • وما قالوه فيه يشبه بعضه بعضاً • إلا ان ابن فضل الله العمري ، انفرد بكونه نقل شـعراً من كتاب الديارات للخالدي بصدد هذا الدير • ولا بأس من ايراده هاهنا :

« قال الخالدي : ولا أعرف فيه شعراً ، إلا ما قاله بعض بني عُروة الشيباني ، يرثي أخاً له ، مات عنده ، فدفن الى جانبه • ومنه :

بقُربكَ يا دير الخنافس حفرةٌ	بها ماجدٌ رحبُ الذراع كريمُ
طوت منه همّام بن مرّة في الربى	هلالٌ يُنير الليـل ، وهو بهيم
سقاك وسقّاه وسقّى ضريحه	أجشٌ من الغرّ العِذابِ هزيمُ
فيا دير أحسنْ ما استطعتَ جواره	فاني غـادٍ عنــك ، وهو مقيم

قال : فنساء بني عُروة جميعاً تنوح عليـه وعلى موتاهم بهذه الأبيات الى اليوم • واذا نزلت أحياؤهم به ، نحروا عليه وأقاموا مآتم »[٣] اهـ•

---

(٢) دير مـــار متى الشيــخ ودير مـــار بهنام الشـــهيد (ص ٣) • والسطرنجيلية ضرب من الكتابة السريانية •

(٣) المسالك (ص ٢٠٠) •

دير الكلب

(ص ٣٠١ ، ح ٣)

توسّع ابن فضل الله العمري فيذكر هذا الدير . قال فيه : « دير الكَلْب: وهو قرب معلثايا في سفح جبل . والماء ينحدر عليه . وقلاليُه مبنية بعضها فوق بعض ، في صعود الجبل ، فمنظرها أحسن منظر . وينبوعه ينصبُّ عليه من أعلاه . وفيه من الزيتون والرمان والآس والكرم والزعفران والنرجس شيء كثير . ولرهبانه مزارع في السهل . وغلاته كثيرة . قال الخالدي : ولهذا الدير خاصة في برء عضة الكلب الكلِب . وله عيد في وقت من السنة ، يخرج اليه خلق من النصارى : نساء ورجال للاقامة عنده . وخلق من المسلمين للنظر اليه والنزهة فيه . ويجتمع اليه أهل الرَّفث والمجّان وتُسمع به الأغاني وأنواع الملاهي ، وتُذبح به الذبائح، وتُشرب الخمور . وحُكي أن أخاً لأبي السفاح الشاعر ، عضّه كلب كلِب ، فحمله الى هذا الدير ، فتداوى به فبرىء . وأنشد له شعراً فيه ، لم أذكره »(١) . انتهى .

قلنا : وهذا الشعر الذي لم يذكره ابن فضل الله ، نقله ياقوت في كلامه على هذا الدير ، وهو هذا البيت :

سقى ورعى الله دير الكلاب ومن فيه من راهب ذي أدب(٢)

---

(١) المسالك (ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥) .

(٢) معجم البلدان (٢ : ٦٩٠) .

وقد نوه ياقوت مرتين بهذا الدير : الأولى هي هـذه التي نقلنا عنها بيت الشعر . والثانية في مادة « كلَب »[٣] .

وذكر البشاري المقدسي في كلامه على عجائب البلدان فقال : « ومن العجائب بأرض الموصل : دير الكلَب . يُحمل اليه من عضه كلب عقور فيقيم عند رهبانه خمسين يوماً فيبرأ باذن الله تعالى »[٤] .

وكتب الينا البحاثة المدقق الاب حنا فياي ، ان نص الشابشتي بصدد هذا الدير ليس دقيقا . ويؤخذ من نصوص البلدانيين العراقيين ، ان هذا الدير كان قريبا من معلثايا ، أي مـــن دهوك . ويتفق وصفه مع خرائب معروفة في أيامنا باسم مار عبدا» (عَوْدا) .

(٣) معجم البلدان (٤ : ٢٩٩) .
(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص ١٤٦) .

الذيل (٢٧)

دير القيارة

(ص ٣٠٣ ، ح ٦)

« دير القيّارة : على شاطىء دجلة الغربي ، في الموضع المعروف اليوم بحمام العليل ، على مسافة أربع ساعات من الموصل . كان ديراً باسم مار زينا ، وأصله من نرساباد[1] (البوازيج أو بارمان) . تنصّر هو واخته سارة . وسيم قساً ثم أسقفاً لبارّمان ، بيد شموئيل ، جاثليق المشرق (٦١٤ - ٦٢٤ م +) . ونصّر خلقاً كثيرا وبنى بيعاً وأدياراً وعلا صيته . وتنسكت أخته وبني لها دير . ثم استشهد الأسقف بعد عمر طويل حوالي ٦٤٠ م . وبُني هذا الدير على اسمه وتنصر فيه في يوم واحد زهاء ستة آلاف نفس . واجتمع اليه رهبان كثيرون ، بلغوا المائة والسبعين . وكان بجانب الدير عين ماء يظهر فيها زئبق وقيْر يرتفق بها رهبانه . ثم استبد به بعض الحكام فانقطع الزئبق وبقي القير . فكان الرهبان يستغلّونه على ما ذكر ياقوت . وحكى ابن العبري في تاريخه المدني السرياني (ص ٤٢٦) قال : في سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) مات نور الدين ارسلان شاه بن مسعود ابن آقسنقر ملك الموصل . وكان عند اشتداد مرضه ، أشار عليه الأطباء ليسبح في عين دير مار زينا المقدس الواقع على شاطىء دجلة . فلما ذهب اليه وسبح لم ينتفع شيئاً لاشرافه على الموت ، فمات في الطريق من يومه . ومدة هذا الدير المعروفة كانت زهاء ستمائة سنة . وأما دير مرت سارة (السيدة سارة) فكان بالقرب من نهر الخابور ، وكان خاصاً بالرهبان »

انتهى . (مار اغناطيوس افرام برصوم)

---

(١) مدينة صغيرة كانت قريبة من تكريت في منطقة البوازيج وبارمان . وراجع التعليقات الجغرافية التاريخية لقصة مار زينا ، وقد طبعها حديثاً سهيل قاشا . (الاب حنا فياي) .

دير مر قوما

(ص ٣٠٤ ، ح ١)

قال العلامة البطريرك أفرام برصوم ، في رسالة بعث بها الي ، بصدد هذا الدير ، ما هذا نصه :

« دير مار قوما في ميافارقين : جاء في نسخة الشابشتي مصحفاً : « دير برقوما » . كذا . ونقل عنه ياقوت هذا الغلط ، فقال فيه دير مار توما . وانما صوابه قوما ، بفتح القاف وإسكان الواو . وهو اسم سرياني أُطلق على ناسك من صنف العموديين كان يدعى شمعون ، من قديسي الكنيسة السريانية . وأصله من باجرمى (متصرفية كركوك في بلاد العراق) . ولكنه وُلد في مدينـة ميافارقين ، وفيها اختلى في عبـادة الله سبحانه زمنـاً مديدا . ثم أقام فوق شجرة عظيمة متنسكاً حتى خنق التسعين من عمره . ونرجح انه مضى الى ربه في اواخر المائة السادسة أو صدر المائة السابعة . وقرأنا في سيرته ، في مخطوطات كنيسة ديار بكر ، وهي على رق بالخط السرياني الاسطرنجيلي ، مكتوبـة في المائة الثانية عشرة : ان المؤمنين في ميافارقين ، بنوا بعد وفاته ديراً جليلاً باسمه[١] . وقال الشابشتي ان ديره هذا ، كان على فرسخين من ميارفارقين في جبل عال . وعنـه نقل ياقوت فقال : « ومر توما شاهد فيه ، تزعم النصارى ان له ألف سنة وزيادة.... ومن المعلوم ان جسد القديس توما رسول السيد المسيح كان في بلاد الهند،

(١) و (٢) راجع : المجلة البطريركية السريانية ، الصادرة في القدس . السنة السابعة ، العدد ١ ، ص ٥٥ .

ثم نُقل الى الرها عام ٣٩٤ م . وأما قوله ان له ألف سنة ، فذلك من أوهام العامة . وانما كان له حتى زمان الشابشتي مالا يكاد يبلغ نصف هذه المدة . وقد وُزعت بعض عظامه على عدة بيع ، ومن الجملة وُجد شيء منها في كنيسة الطاهرة السريانية بظاهر الموصل في شباط سنه ١٩٤٠ »[٢] انتهى كلام غبطة البطريرك .

* * *

وقد نقل الاستاذ حبيب زيات[٣]، خبراً يشير الى كارثة حاقت بهذا الدير في سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) عندما غزا جماعـة من الغز التركمان جنود طغرلبك السلجوقي هذا الدير . قال نقلاً عما رواه صاحب مرآة الزمان ، في حوادث تلك السنة :

« فيها : صعد عشرون رجلاً من الغز الى دير النصارى في ميافارقين . فيه أربعمائة راهب . فذبحوا منهم مائة وعشرين واشترى الباقون نفوسهم بست مكاكي ذهب وفضة »[٤] .

(٣) الديارات النصرانية في الاسلام (ص ١٥) .
(٤) مرآة الزمان . خزانة بريتيش موزيوم . Or, 4619 fol,241 a,

دير الاب شمعون بنواحي السن للكلدان

(ص ٣٠٧ ، ح ١)

نشكر عظيم الشكر المؤرخ الجليل البطريرك أفرام برصوم ، على ما أتحفنا به بصدد هذا الدير . قال :

« دير برمارسون : تصحيف ، صوابه دير مار شمعون أو دير أبا شمعون . وكان شمعون هذا ناسكاً كلدانيا عاش في أواخر القرن السادس حتى أواسط المائة السابعة . ترجم له يشوعدناح مطران البصرة في كتابه السرياني الموسوم بكتاب العفة (تحت رقم ٦٨ ص ٤٨٢ من طبعة بيجان) وذكره في ترجمتي ابراهيم الكشكري (رقم ١٤ ص ٤٤٦) وبرعيتا (رقم ١٥ ص ٤٤٩) .وترجم له أيضا صاحب كتاب الاخبار العربي الذي نشره المطران أدي شير موسوماً بتاريخ سعرت لوجود نسخته في خزانة قلايته بسعرت (ص ٤٤٧ ـ ٤٥١) وفي ذلك كله إثبات صريح ان الدير الذي ذكره الشابشتي بنواحي السن هو ديره ، واليك خلاصة ترجمته :

كان شمعون من أهل بلدة كشكر من بلاد الاراميين، خرج من بلده طلباً للزهد وتتلمذ لابراهيم الكشكري وبعد وفاته عام ٥٨٨ قصد تلميذه الربان برعيتا الذي أنشأ ديراً حسناً في بلاد المرج وتناول منه اسكيم الرهبنة وأقام في مغارة . ثم انصرف الى فلسطين فأقام على شاطىء نهر الأردن يعبد الله ويأكل من بقل يزرعه وعاد الى أرض الفرس وسكن مغارة على جبل السن[1] وسماه الكاتب جبل ناحية نينوى وهو على شاطىء دجلة . وبنى

(١) السن ، ويقال لها قرديلاباد : كانت على شاطىء دجلة الايمن ، ازاء مصب نهر الزاب الصغير ، بين الحديثة وتكريت . وكانت كرسياً =

هناك عمراً جميلاً رسم فيه قوانين تصلح لتدبير أولاده ، واتصل خبره بالرهبان فاجتمعوا اليه من كل موضع • ورئس زماناً دير كنيبا المجاور لكرخ بيت سلوخ (كركوك) وعنه أخذ طريقة الزهد الراهب افنيماران صاحب دير بنوهدرا ، ثم عاد الى ديره واجتاز به رجل من وجوه الكلدان يتقلد أعمال طريق دجلة فحسن عنده وقع عبادته فأخذه معه الى عمر صليبا بنهر صرصر وفيه مات عن سن عالية وقيل انه بلغ المائة والعشرين سنة ، ودُفن في هيكل دير صليبا وبعد سنتين نقل رفاته الى ديره بالسن •

ولما كثر اللصوص في الجبل وتعذر على الناس العبور الى هذا الدير ، بنوا عمراً الى جانب المدينة ونقلوا تابوت شمعون اليه وانتقل بعض الرهبان الى الدير الجديد وبقي بعضهم في الدير القديم •

وورد اسم هذا الدير ورهبانه في كتاب الرؤساء السرياني لتوما أسقف المرج ، وكان حياً عام ٨٥٢ في ترجمة نرسي أسقف السن التي اشتملت على خمسة فصول مطولة (من ص ٣٠٤ ـ ٣٣٥ طبعة بيجان) ومن أفواههم التقط أخبار نرسي الذي سامه الجاثليق طيمثاوس الأول (٧٧٨ – ٨٢٣) أسقفاً وكان فيما حكاه المرجي من أفضل الأساقفة سيرةً • وذكر منهم شيخا ناسكاً اسمه ماري ، وشوبحالماران الناسك رئيس هذا الدير ، وكان يفاوض نرسي في أمور روحية • ومات قتلاً بيد لص من أخبث قطاع الطريق يقال له علي ابن حمران من قرية تيملة في حذياب وكان سفاكاً

= اسقفياً من ابرشيات جاثليق سليق وطيسفون • وقعنا على اسماء بعض اساقفتها منذ المائة السادسة حتى الثانية عشرة •

قال الاب حنا فياي : تقع مدينة السن على الضفة اليسرى من نهر الزاب الصغير ، على مسافة قليلة من مصبه في دجلة • وبقاياها ظاهرة في التصاوير الجوية لمديرية المساحة العامة ، على مسافة ٣ كيلومترات من الشمال الشرقي من قرية الشجرة •

للدماء أخرب ثلاثة أديار وهي دير أيوب ودير نسطوريس ودير مركونا ومواضع أخرى . ثم قتله عامل الحديثة في قرية اسطرينا .

ويظهر ان الدير صار كرسياً لأسقف السن الكلداني على ما قال الشابشتي ، بعد منتصف القرن التاسع ، فتكون مدة ديري الربان شمعون القديم والحديث المعروفة زهاء أربعمائة سنة منذ أوائل المائة السابعة حتى أواخر المائة العاشرة » . انتهى كلام غبطة العلامة البطريرك وقد بعث به الينا من حمص ، في ٢٦ شباط ١٩٤١ .

دير العجاج

(ص ٣٠٨ في ح ١)

نتقل بلسان الشكر والثناء ، ما تفضل به علينا العلامة البطريرك أفرام برصوم ، بصدد هذا الدير . قال :

« دير العجّاج : وأصله دير عين جاج ، أُدغمت فيه النون فقيل العجّاج : بين تكريت وهيت على طريق دجلة الى الفرات والكوفة . بناه القديس العلامة ماروثا مفريان الشرق والمغرب المعروف بالتكريتي ، نسبة الى كرسيه (٦٢٩ ـ ٦٤٩م +) باسم مار سرجيس الشهيد في عين جاج . وهكذا يذكر اسمه بالسريانية وكان خاصاً بالرهبان .

« وقد أجاد مار دنحا الأول ، مفريان تكريت (٦٤٩ ـ ٦٥٩ م +) في وصف هذا الدير ، وكتب عنه في سيرة سلفه مار ماروثا ، فصلاً شائقاً يشعر مطالعه بما اشتمل عليه من المحاسن وما كان له من الفضل وجميل الأثر في العمران الروحي والأدبي والاجتماعي في بلاد الجزيرة والعراق. ويبرهن لأهل البحث والمؤرخين المنصفين على شعار ديار النصرانية في بلاد الشرق إجمالاً وغايتها وأفضالها ، فلا يؤخذون بما تجنّى عليها بعض سفهاء الشعراء ذهاباً مع الخواطر الفاسدة . قال ما خلاصته وقد نقلناه من نصه السرياني :

« بعد ما انتهى مار ماروثا من تجميل مدينة تكريت بصنوف الفضائل والمنافع والعمران ، أراد أن ينشر هذا اللواء على البرية المصاقبة لها ويمهد لها بساط المبرّات وصالح الأعمال . فشخص اليها بخلق من أهل الصلاح

عازماً علي بناء دير لهم • فأصاب بتوفيق الله وعونه عين ماء تُدعى عين جاجا ، فجهد في حفرها وجمع ماءها • وتوجّه الى الله بالابتهال فانسكب ماؤها جدولاً فائضاً • فبنى بالقرب منه ديراً باسم مار سرجيس، باذلاً فيه جهداً مشكورا وأموالاً جليلة ، وجمّله بأبنية فاخرة ، وخلع عليه من نفائس الستور والأثواب البيعية والآنية القدسية وكتب الصلاة شيئاً كثيراً ، بله ما اقتضى له من قِنيً ومواش وغيرها لقوام مصلحته ومعاش أهله • وجمع فيه جمهوراً من خيرة الرهبان وأجزلهم ورعاً وقنوتاً قلد أمرهم رجلاً جديراً بالثناء اسمه الربان مار سابا • فساروا أجمل سيرة على أفضل طريقة • وأصبح هذا الدير ملجأ ووزراً ومأوى ومحطّ رحال لسائر أهل ما بين النهرين ولاسيما المستوطنين في تلك البادية ، وكل من يجتاز بها الى الكوفة (عاقولا) فمن قفول وركبان تعبر دجلة والفرات ترحل منه وأخرى تنزل فيه لتوسطه بينهما • فيصيب فيه الركبان نُزولاً والجياع قوتاً والذين جفّت ألسنتهم من الظمأ ما يروي غليلهم ومن نزلت بهم الروعات حَرَماً ومن حفّت بهم المخاطر في تلك البوادي مأمناً • وأقبلت عليهم الأمم القاطنة بالجزيرة بمن مسّتهم يد البؤس ونزلت بهم الفاقة واستضافتهم الكروب وبرّحت بهم العاهات ، فكانوا ينالون منه سداداً لاعوازهم وحاجتهم الروحية والجسدية ورفقاً وعزاء ورأفة وشفاء وعافية• وطالما حمى جماً غفيراً من ضواري السباع والقرّ وشدة القيظ والسمائم والشموس وصنوف الآفات والمكاره • وهدى رهبانه الفضلاء خلقاً كثيرا الى محجة الدين القويم بعد الضلال والعمى وجهل معرفة الله سبحانه • فكان علة خير وغبطة وملاذاً وحرماناً وأمناً للسالكين في البوادي والقفار وقاطني جزر الفرات •

« ومن ذا الذي أتاه نبأه أو شاهد رهبانه البررة وخبر سيرتهم الصالحة ، لا تأخذه هزّة الشوق للحظوة لو استطاع بأجنحة الحمام

ليطيراليهم ؟ أما أنا فكلما فكرتُ في ما هم عليه من عبادة وقنوت وأصوام وصلوات متواترة وأسهار متواصلة تهجّداً وتسبيحاً وركوعاً وسجوداً وخشوعاً لجلال الله سبحانه وهذيذاً بناموسه ليل نهار ، لاسيما الذين أخذوا أنفسهم برياضة شديدة وقوفاً في الصلاة وتجنّباًللقعود على الأرض إلا يسيراً واقتصاراً لفطرهم فيالأصوام على الخبز واكتفاء بشرب ماء اجاج وتبلُّغاً بأزهد الأقوات ، رثيتُ لنفسي وذبتُ اليهم شوقاً عسى أن أحرز من مرآهم نفعاً . ولا غرو فهؤلاء هم حَملة صليب المسيح ، وديرهم هو جبل صهيون الذي في سفوح التَّيمن مدينة الملك العظيم كما قال النبي داود . وهل كان بانيه إلا جباراً وهو أبونا (ماروثا) القديس . فتبارك الله الذي جعل هذا الدير بعنايته سبباً لهداية كثيرين ونجاتهم وفرحاً لجزيرة ما بين النهرين ، وهو مصداق قول اشعيا النبي : « لتسبّح الربّ الجزائر والذين فيها يسكنون وتهتز البرية وقراها فرحاً» (ص ٤٢ ع ١٠ و١١)[(١)] انتهى .

« وقال ياقوت : وفي ظاهره عين ماء وبركة فيها سمك وحوله مزارع وخضر » .

« ودام هذا الدير عامراً أكثر من ستمائة سنة . والأرجح ان حروب التتر في أواسط المائة الثالثة عشرة للميلاد نكبته وأمثاله نهباً وسلباً وتدميراً، وربما تواطأت على ذلك مع صروف الزمان » . انتهى كلام غبطة العلامة البطريرك الجليل .

---

(١) سيرة مار احودمه ومار ماروثا (بالسريانية) . نشرها القس نو ، ونقلها الى الفرنسية سنة ١٩١٢ في Patrologia Orientalis ص ٨٥ الى ٨٩ .

دير طور سينا

(ص ٣١٠ ، ح ١)

لم ُيعن الكتّاب والمؤرخون القدماء والمحدثون ، بدير من الديارات الشرقية عنايتهم بدير طور سينا • فقد كتبوا في وصفه ، وتاريخه ، وخزانة كتبه ، شيئاً كثيراً • ويمكننا أن نلخص منها ما يأتي :

١ ـ اسم الدير :

ُعرف هذا الدير ، بدير سينا ، أو دير طور سينا ، أو دير الطور • بالنظر الى وقوعه في الجبل الشهير القائم فيشبه جزيرة سينا • وهو الجبل الذي كلّم الله فوقه النبي موسى ، على ما ورد تفصيله في التوراة •

على ان لهذا الدير ، اسماً حقيقياً هو « دير القديسة كترينة » لكونه أُقيم على اسمها •

وكاترينة(١) هذه ، هي البتول العظيمة الشهيرة في الشرق والغرب• كان أبواها وثنيين من الاسكندرية ثم اعتنقت هي النصرانية ، فنالها من الجور والاضطهاد بسبب ترك دينها القديم ألوان ، على يد الملك مكسيميانس ، فحكم عليها بالموت سنة ٣٠٧ للميلاد • وتروي القصة الموضوعة في سيرة حياتها ، ان جسدها نقلته الملائكة الى طور سينا ، فهو هناك(٢) •

وعيد هذه القديسة ، يقع في كل الكنائس ، يوم ٢٥ تشرين الثاني •

---

(١) أبطال الايمان لشيخو (ص ٥١ ـ ٥٢) •

(٢) المشرق (٧ [١٩٠٤] ص ٧٦٥) وتاريخ سينا لشقير (ص ٣٢) •

وترجمتها في أكثر الكتب التي تتناول سير الشهداء والقديسين[٣] .

٢ ـ موضع الدير :

يقوم هذا الدير في سفح قمة من قمم طور سينا ، ويعلو نحو ٥٠١٢ قدماً عن سطح البحر ، حيث الطول ٣٤ درجة شرقاً ، والعرض ٥و٢٨ شمالاً . وهو على نحو ثمانية أيام من السويس ، وستة أيام من العقبة ، ويومين من مدينة الطور : وذلك بطريق القافلة . وهذا ثبت بالمسافات بين القاهرة والدير :

من القاهرة الى السويس	١٢٤	كيلومتراً
من السويس الى أبو زنيمة	١٣٠	»
من أبو زنيمة الى وادي مقطب	١٨	»
من وادي مقطب الى فيران	٥٨	»
من فيران الى الدير	٥٤	»

فبعد الدير عن القاهرة ٣٨٤ كيلومتراً . ويمكن قطع المسافة بين السويس والدير ، بالسيارات ، في ست ساعات أو أقل .

٣ ـ بناء الدير :

هذا الدير للروم الارثوذكس . وقد بناه الامبراطور يوستنيانس ، نحو سنة ٥٤٥ م . « وللدير سور عظيم ، داخله أبنية قائم بعضها فوق بعض ، طبقة واحدة أو طبقتين أو ثلاثاً أو أربعاً على غير نظام . وتخترقها ممرات ودهاليز معوجة ضيقة ، حتى يرى المتجول نفسه تارة في صعود وتارة في هبوط وتارة في ظلمة وتارة في نور . ويرى من اختلاف حال الأبنية وأشكالها انها قامت في أعصر مختلفة واحوال متباينة . وقد تداعى

(٣) ذكر الأب لويس شيخو أهم تلك المراجع في « أبطال الايمان » .

بعضها الى الخراب ، وخرب البعض الآخر وهُدّم البعض بقصد تجديد بنائه .

« وأهم الأبنية القائمة في داخل السور الى الآن : الكنيسة الكبرى التي بُنيت عند بناء السور . وكنيسة العلّيقة . وعدة كنائس أخرى بُنيت بعدها في أعصر مختلفة . وجامع بمنارة . ومكتبة نفيسة ومنازل لزوّار الدير . ومخازن للحبوب والمؤن والأثاث والأخشاب . ومطابخ وأفران . وطاحونتان . ومعصرة زيتون . ومعمل للخمر من البلح والعنب . وآبار تختلف في العمق والقدم . وخارج السور حديقة متسعة فيها أنواع الشجر والفاكهة »[٤] .

٤ ـ خزانة كتب الدير :

في هذه الخزانة نفائس المخطوطات النادرة ، بالعربية واليونانية والقبطية والحبشية والسريانية ، هذا الى فرامين تركية . وقد عُني غير واحد من الباحثين والمستشرقين بالاطلاع على ما في هذه الخزانة من مخطوطات ، فصنفوا في ذلك فهارس نافعة[٥] .

---

(٤) تاريخ سينا لشقير (ص ٢٠٦) .

(٥) نذكر من تلك الفهارس :

Gibson (M.D.), Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Convent of St. Catharine on Mount Sinai. (Cambridge 1894; Studia Sinaitica, No. III.).

Lewis (A. S.), Cat. of the Syriac Mss. in the Convent of St. Catharine. (Cambridge 1894; Studia Sinaitica, No. 1).

Catalogus Librorum Manuscriptorum et Impressorum Monasterii S. Catherinae in Mounte Sinai, (Petropoli, 1891).

Lewis (S.L.), Forty - one Facsimiles of Dated Christian Arabic Manuscripts. (Cambridge 1907: Studia Sinaitica, No. XII).

وفي هذه الخزانة طائفة صالحة من المخطوطات ، مكتوبة على الرق منذ عهد بعيد ، ويرتقي تاريخ بعضها الى صدر النصرانية •

وفيها كتب مطبوعة ، أغلبها باليونانية والعربية •

Atiya (A.S.), The Arabic Manuscripts of Mount Sinai. (Baltimore 1955)

مراد كامل (الدكتور) : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء (١ ــ ٢ القاهرة ١٩٥١) •



فهارس الكتاب

١ ـ فهرس أسماء الأشخاص •

٢ ـ فهرس أسماء الأمم والقبائل والجماعات والمِلل والنِحل •

٣ ـ فهرس أسماء الأمكنة والبقاع والديارات والأعمار والكنائس •

٤ ـ فهرس أسماء الكتب والرسائل والمقالات والمجلات والجرائد •

٥ ـ فهرس الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال والحِكم والأقوال السائرة •

٦ ـ فهرس القوافي •

٧ ـ فهرس عمراني عام :

وفيه : الألفاظ الدخيلة والمعرّبة والمولدة ، والمصطلحات ، وألفاظ النصرانية ، ولغة الحضارة ، والحيوان ، والنبات ، والأحجار ، والمأكل ، والملبس ، والمسكن ، وغير ذلك مما لم يدخل في الفهارس الستة السابقة •

٨ ـ فهرس محتويات الكتاب •



١ ــ فهرس أسماء الأشخاص[١]

(١) الارقام التى يليها حرف (م) ، تشير الى ما ورد فى مقدمة الناشر ٠
(٢) ظ = انظر ٠

(خ)

(ش)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

٢ ـ فهرس أسماء الامم والقبائل والجماعات والمِلَل والنِحَل

٣ ـ فهرس الأمكنة والبقاع والديارات والأعمار والكنائس

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٤ ــ فهرس أسماء الكتب والرسائل والمقالات والمجلات والجرائد[1]

أولاً ــ باللغة العــربية

(أ)

[1] ج = جريدة
ق = مقالة
م = مجلة

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

ثانيا : باللغات الافرنجية[1]

Ahlwardt (W.), Verzeichniss der Arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin. 5 (preface)

Assemani (J.), Acta Sanctorum Martyum. 373

Atiya (A.S.), The Arabic Manuscripts of Mount Sinai. 429

————, Some Egyptian Monasteries according to the unpublished Ms. of al-Shabushti's "Kitab al-Diyarat. 13 (Preface)

Bedjan (P.), Acta Martyrum et Sanctorum. 24 357 372 380 341

Bezold (C.), Orientalische Studien, Festschrift Theodor Noldeke. 13 (preface).

Brun (J.), Dictionarium Syriaco Latinum. 353

Budge (E.A.W.), By Nile and Tigris. 382

————, The Book of Governors by Thomas Bishop of Marga, 348

Creswell (K.A.C.), Early Muslim Architecture. 371

Dozy (R.), Supplément Aux Dictionnaires Arabes. 151 241

Fiey (J.M.), Assyrie Chretienne. 355

Gibson (M.D.), Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Convent of St. Catharine on Mount Sinai. 428

Herzfeld (E.), Geschichte der Stadt Samarra. 371

Labourt (J.), Le Christianisme dans l' Empire perse sous la dynastie sassanide. 373

Le Strange (G.), Baghdad During the Abbasid Caliphate. 119

Lewis (A.S.), Catalogue of the Syriac Manuscripts in the Convent of St. Catharine. 428

Lewis (S.L.), Forty-one Facsimiles of Dated Christian Arabic Manuscripts. 428

Nau (F.), & Graffin ( ), Patrologia Orientalis. 425

Parry (O.H.). Six Months in a Syrian Monastery. 382

Payne Smith, Thesaurus Syriacus. 353

Preusser (C.), Nordmesopotamische Baudenkmaler. 382

(١) أرقام الصفحات في هذا الفهرست ، كتبناها بالافرنجية ، تيسير لطباعتها .

Rothstein (G.), Zu al - Shabushti's Bericht über die Tahiriden. 13 (preface)

Rucker (A.), Das "Obere Kloster" bei Mossul. 374

Sachau (E.), Vom Klosterbuch des Shâbushtî. 13(preface)

Sbath (P.), Bibliothèque de Manuscrits Paul Sbath, Catalogue. 47(preface)

Sozomen, Chronique Ecclesiastique. 372

Streck (M.), Die Alte Landschaft Babyloniens nach den Arabischen Geographen. 361

Willcocks (W.), The Restoration of the Ancient Irrigation Works on the Tigris, or the Re - creation of Chaldea. 361

Bulletin de la Société d' Archéologie Copte. 13 (preface)

Catalogus Librorum Manuscriptorum et Impressorum Monasterii S. Catherine in Mounte Sinai. 428

Churches and Monasteries of Egypt. 298 311

Orien Christianus. 374

Orientalische Studien, Festschrift Theodor Noldeke, ed. C. Bezold. 13 (preface).

Revue Biblique.

٥ ـ فهرس الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال ، والحكم ، والأقوال السائرة

٦ ـ فهرس القوافي

(قافية الهمزة)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(م)

(ن)

٧ ـ فهرس عمراني عام

وفيــه

الألفــاظ الدخيلــة والمعــرّبــةوالمولّدة ، والمصطلحات ، وألفـــاظ النصرانية، ولغة الحضارة، والحيوان، والنبــات ، والأحجــار ، والمــأكل ، والملبس ، والمسكن ، وآلات الطرب ، وغير ذلك ممــا لم يدخل في الفهارس الاخرى السابقة

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ى)

تصحيح واستدراك

وقعت في أثناء طبع الكتاب ، أوهام مختلفة ، أدرجناها في هذا الثبت ، وأضفنا اليها ما وقفنا عليه من مستدركات •

وهنا ، أودّ أن أشيد مرة أخرى ، بفضل صديقي الاستاذ المحقق الجليل مكي السيد جاسم • فقد تفضّل عليّ بمراجعة كراريس النسخة المطبوعة من الكتاب ، ودوّن في هوامشها ما عثر عليه من أوهام ذكرناها ، مع تصحيحه لها ، في الثبت الآتي ، وقد رمزنا اليها بحرف «م» •

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	الحاشية١٧		يضاف الى مراجعها ، ما يأتي : والرسالةالمصرية : لأبيالصلت أمية بن عبدالعزيزالأندلسي• (طبعة عبدالسلام هارون ، في « نوادر المخطوطات » ١ : ١٤٧)؛ وخريدة القصرللعمادالاصفهاني الكاتب (قسم شعراء مصر ٢ : ٢٠٦)•
٤٥م			أضف الى ما بعد السطر ٩ ما يأتي : ذكر ما بضواحي دمشق من الديارات. والأعمار : (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة : لابن شداد ، المتوفى سنة ٦٨٤هـ • قسم « تاريخ مدينة دمشق»• تحقيق الدكتورسامي الدهان • دمشق ١٩٥٦ ؛ ص ٢٧٧ — ٢٨٧) •
٤٦م			أضف الى ما قبلالسطرالاول، ما يأتي القلاية والأديرة : (أحكام أهلالذمة: لابنقيّم الجوزية، المتوفى سنة٧٥٠هـ ٢:٦٦٨) •
٤٦م			أضف الى ما بعد السطر ٤ ما يأتي : ذكرالأديرة والكنائسبمصروظواهرها: (الانتصار لواسطة عقد الامصار : لابن دقماق ، المتوفى سنة ٨٠٩هـ ؛ [بولاق ١٣٠٩هـ] ص ١٠٧ــ١٠٩) •

(١) الأرقام المقرونة بحرف (م) ، تشير الى صحائف « مقدمة » الناشر •

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٩	الحاشية ١٨		يضاف اليها ، ما يأتي : وراجع : عمرو بن الحمق الخزاعي : لاسماعيل فرج • (مجلة « الجزيرة » ١[الموصل ١ آب ١٩٤٦] ص ٩ـ١٢)؛ وقبر عمرو بن الحمق الخزاعي : لسعيد الديوه‌جي• (الجزيرة ١[١٩٤٦] العدد ٥ ص ٩ ـ ١٠) ؛ وتتمة وتنبيه : للدكتور مصطفى جواد • (الجزيرة ١[١٩٤٦] العدد ٥ ص ١٥) •
٢٣٧	الحاشية٧		يضاف الى المراجع ، ما يأتي : بعض هذه الأبيات ورد في كتاب « التشبيهات » لابن أبي عون • ص ١٩٨ ـ ١٩٩ [م]
٣٢٤			يُضاف بعد السطر ١١ ما يأتي : البرموسي (القمص عبدالمسيح المسعودي) : تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين • (القاهرة ١٩٣٢) •
٣٣٥			يُضاف بعد السطر ٣ ما يأتي : عهدة السلطان سليم العثماني لرهبان دير طورسينا• (الآثار ٤[١٩٢٧] ص ٣٣٨ ـ ٣٤٢) •
٣٣٥			يضاف بعد السطر ١٤ ما يأتي : منير شكري (الدكتور) : أديرة وادي النطرون : تاريخها ، عمارتها ، أنظمتها ، أنباؤها • (الاسكندرية ١٩٦٢ ؛ ٣٤٧ ص) •

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٣٥			يُضاف بعد السطر ٢١ ما يأتي : واكد (عبداللطيف) وحسن مرعي : دير البراموس ، دير السريان ، دير الانبا بشوى ، دير الانبا مقار ، دير سانت كاترين • (« واحات مصر : جُزُر الرحمة وجنّات الصحراء » •
٣٣٦			يُضاف بعد السطر ٦ ما يأتي : ديارات مصر :(«قاموس جغرافي للقطر المصري » • بولاق ١٨٩٩ ؛ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥) •
٣٣٦			يُضاف بعد السطر ١١ ما يأتي : الأديرة في القطر المصري • (« تقويم سنة ١٩٣٣ » • القاهرة ١٩٣٣ ؛ ص ١٩١ ـ ١٩٣) •
٣٣٦			يُضاف الى آخرها ما يأتي : التذكار المئوي الثاني لتأسير دير الشير • (مجلة « حياة وعمل » ٦[حريصا : آذار ١٩٥١] العدد ١ ـ ٢ ؛ ٢٨٨ ص) •
٣٤٢			يضاف الى آخرها ما يأتي : وفي أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان (ص ١٠٢) ، ان الجاثليق عبد يشوع ، جدّد بيعة سمالوا ووسّعها وأنفق عليها جملة •



فهرس محتويات الكتاب